

درجہ



سورۃ التورہ والوہج

میرا کہنہ عشق والہامع 2

رضوی جمادیش

BEAUTIFUL HORSES PEGAS

رواية

موال التوهه والوجع

بقلم

رضوى جاویش

جروب

ترنيمة جنوب

ترنيمة جنوبية

ميراث العشق

و

الدموع

(٢)

موال التوهة و الوجع

الفصل الاول

تسلل ذاك الظل الأسود من خلف أسوار سراي الهوارية و
اندفع مبتعداً قبل ان يشق الفجر خيوطه الاولى في عتمة
الليل .. ما ان وصل لنهاية ذاك السور الذي يحفظ تفاصيله
عن ظهر قلب الا و توقف لحظات و استدار في إجلال يتطلع
لتلك السراي التي شهدت عمره بالكامل فقد تكون تلك المرة
الأخيرة التي يتطلع اليها .. غاب عن واقعه لحظات و أخيراً
استدار مولياً ظهره عنها وهو يزفر في ضيق .. ثم اندفع
مستكملاً طريقه عازماً على المضي فيه ..
خاض تلك الأرض الزراعية التي تفصل السراي عن تلك
الدار التي خصصها له عاصم بن عمه ليعيش بها مكرماً مع
امه .. وها هي تقبع فيها منعمة أخيراً بعد سنوات من
الغربة و التيه الذي على ما يبدو مكتوب على كليهما...
سمع من البعد صوت عواء احد ذئاب الجبل في تلك الليلة
شديدة البرودة .. شد كوفيته الصوفية التي تغطي وجهه و
رأسه بالكامل ولا تظهر من وجهه سوى عينيه ربما
يستشعر المزيد من الدفاء و ها قد وصل لباب داره .. كان

من المفترض به الدخول مباشرة لحجرة امه ليودعها لكنه
تذكر ان زوجة أخيه باقية في الدار بناء على طلبه لخدمتها
و لتجد لها ملجأ بعد كل ما حدث من سليم أخيه الغير شقيق

طرق الباب عدة طرقات .. و انتظر عدة لحظات ليعاود
الطرق من جديد حتى تنهى لمسامعه صوت انثوى مرتعب
خلف الباب يسأل في
ذعر:- مين اللى عيخبط...؟!..

-انا زكريا يا مرت اخوى .. افتحى..
اندفعت كسبانة تفتح الباب في تعجب:- سى زكريا ...؟!..
اتفضل ..
-معلش .. طأطأ رأسه تأدبا ما ان طالعه محياها مستطردا :-
انى چاى في وجت مش مناسب .. بس كان لازماً اشوف
امى ..

هتفت كسبانة في عتاب:- متجلش كده يا سى زكريا .. ده
دارك و احنا ضيوفك .. حد هيستأذن في داره برضك ...؟!..
تنحنح في إحراج و توجه في سرعة الى حيث غرفة امه
التي و كأنها كانت تعلم بمجئ ولدها الليلة فكانت بانتظاره
..تلقفته بين ذراعيها ما ان هل عليها من الباب و هتفت
وعيناها تكللها الدموع :- خلاص ..نويت يا زكريا ..

هز رأسه بالإيجاب دون ان ينطق حرفا واحدا .. ربتت على
كتفه و قبلت هامته التي تسكتين بين ذراعيها
و همست في وجل :- كن الفراج مكتوب علينا يا ولدى
..تتهدت في حزن .. مع السلامة يا جلب امك .. خلى بالك
على نفسك ولو ضاجت بيبك .. ارجع يا زكريا .. متجاوحش
..ومتغيبش على امك .. و طمنى عليك يا ضنايا ..

هز زكريا رأسه موافقا على كل كلمة نطقها امه وهو بين
ذراعيها .. لكنه كان عازما ألا يعود حتى يحقق ما أنطوت
عليه نفسه..

خرج مسرعاً جاذباً حاله من دفء أحضانها الذي حُرِم منه
طويلاً غير قادر على المضي في البقاء أكثر حتى لا يفتر
عزمه و تلين إرادته في الرحيل ..

اندفع خارجاً من باب الدار الا ان كسبائة اندفعت خلفه
تستوقفه:- سى زكريا ..

وقف مجيباً نداءها لتدفع بين ذراعيه بلفافة ما وهى تقول
:- خد دوول .. حاجة بسيطة من خيرك .. تعينك على
طريقك..

قال في امتنان :- تشكرى .. و هم بأن يستدير مغادراً إلا انه
توقف لبرهة حتى قال :- مش هوصيكى يا مرت أخوى على
امى ..

قاطعته هاتفة :- دى في عينى يا سى زكريا متجلجش ..
ابتسم في امتنان :- لو عزتوا اى حاجة اطلبوا من عاصم
الى انتوا عايزينه .. ومتجلجيش كله من مالى .. انا تركت
ورثى كلاته تحت يده عشانكم ..

سألت في فضول :- انت هتروح فين يا سى زكريا ...!!!؟..
-معرفش .. ارض الله واسعة .. و رزجه أوسع .. مش
هوصيكى على امى تانى .. و اشار لبطنها .. وعلى واد
أخوى ولا بته ..ربنا يجومك بالسلامة ..

ابتسمت في خجل :- تسلم يا سى زكريا ربنا يجدرنى و أرد
لك چميلك و معروفك معانا انا واللى في بطنى..
هتف زكريا في عجلة :- ده مش چميل ولا معروف .. ده
حج اللى في بطنك ..

اندفع خارجاً من الدار وهى تهتف خلفه :-مع السلامة يا
سى زكريا .. ربنا يسلم لك طريقك..

وما ان أغلقت الباب خلفه .. حتى استدار مودعاً بنظرات
حزينة داره التي لم يقطنها و كأنما اصبح قدره الوداع لكل
الاماكن و الأشخاص .. لكن ما باليد حيلة لم يعد يطيق
البقاء في بلد اصبح كل شيء فيها برغم ما فعله عاصم بن

عمه لأجله يذكره انه ما زال زرزور ولن يكون زكريا ادا ..
 فأقسم انه لن يعود اليها حتى يصبح زكريا الهواري بحق...
 أخيرا وصل للجانب الشمالي من النجع .. وانحرف قليلا
 ليصل لمقابر الهوارية ..صعد تلك التبة القريبة وقطعها
 مرددا بعض آيات من القرآن الكريم والفاطحة على روح
 اموات الهوارية جميعا .. حتى وصل لقبر ابيه غسان
 الهواري ..مسح التراب عن شاهد القبر بكفه المرتجف و
 جلس صامتا للحظات واخيرا تحشرج صوته وهو يقرأ
 الفاتحة في تأثر و اختتمها وهو ينظر لأسم ابيه على الشاهد
 في إمعان .. اعتدل قليلا و زاد وجيب قلبه و كأنه بالفعل
 في حضرة ابيه .. وتحنح في تردد هامساً :- كيفك يابا
 ..أنى عارف ان لو لساك عايش مكنتش هستجري اجولها
 لك ..

معلوم .. ماهو اصلك كيف لواد عويل زيي يجولك يابا
 ...؟!..وانت من الأساس مش مصدج انه ولدك ومن صلبك

صمت قليلا و تنهد بضيق و أخيرا هتف بصوت متحشرج :-
 بس انى ولدك يا حاج غسان .. ومن صلبك و واحد من
 الهوارية اللي خلتنى بدل ما ابجى واحد من اسيادهم ابجى
 خدامهم...

صمت لحظات من جديد و أخيرا استطرد في عزم :-..بس
 عهدا عليا و جدام تربتك ما انى راجع النجع ده تانى الا و
 انى زكريا الهواري على حج ..و يومها هاجيلك تانى اجف
 على جبرك في نفس مكانى ده عشان تشوف انى بجيت ايه
 .. و تجول يا ريتنى اعترفت بيه و رفعت راسه بين الخلع و
 خليته سيدهم باسم ابوه .. لكن انى هرجع ..هرجع يابوى ..
 وهكون واحد من اسياذ الهوارية ..بس مش باسمك اللي
 بخلت عليّ بيه .. لاااه.. باسمى انى يا حاج غسان ..

و اخرج زكريا الناي من طيات ملابسه و حفر بعنف بجوار
قبر ابيه و دفن نايه و كأنه بذلك يودع زكريا القديم.. زكريا
الذى كان يحتاج لذاك الناي بديلا عن صوته الذى لم يكن
يسمعه احد خوفاً و قهراً .. لكن بعد اليوم لن يخرس صوته
و لن يدع حقه مهما حدث ..

و اندفع زكريا و كأن الشياطين في أعقابه تاركا المقابر
خلفه متوجها للطريق الشرقي للنجع حتى يستقل احدى
العربات التي بدأت تتوافد على الطريق مع خيوط الفجر
الأولى ..

دفع نفسه في احداها بالفعل و التي توقفت ما ان أشار اليها
.. و ألقى بنظرة أخيرة على النجع الذى قضى فيه حياته
كلها نظرة مودعة تحمل الكثير من الوجع و الحسرة
مخلوطة بعزم لا يلين وإصرار على عدم العودة واقسم مرة
أخرى ألا تطأ قدميه ارض ذاك النجع الا و هو زكريا
الهوارى على حق ..

دخلت سهام تترنح في خطواتها و بطنها المنتفخة تسبقها
فقد دخل حملها بالفعل شهره التاسع ..
دخلت تتطلع الى حيث تجلس أمها الحاجة فضيلة دوما ..
فوجدتها برفقة زهرة تتسامران.. ألقت سهام السلام و
جلست في تناقل وهي تلتقط أنفاسها بتتابع مرهق ..
ابتسمت زهرة في مودة هاتفة :- ايه يا سهام .. خلاص
..بقيتى على أورك ..

أومأت سهام إيجابا و هي غير قادرة على الرد ومازالت
تلتقط أنفاسها ..

ابتسمت الحاجة فضيلة لإبنتها في محبة واخذت تدعو لها :-
ربنا يرزك ساعة سهلة من عنديه جادر يا كريم ..
ردت سهام أخيرا :- يا رب يا حاجة ..ياارب

ثم استدارت لزهرة و قد استعادت روحها المرحه بعد ان هذأت سرعة أنفاسها المتلاحقة :- و انتوا يا زهرة .. فين الإنتاج ...؟!.. كده النتيجة واحد صفر للتهامية ..

انفجرت زهرة ضاحكة على تعليق سهام .. و الذى على الرغم من مرحة الا انه لمس وترا حساسا داخلها .. فها هي قد شارفت على تسعة أشهر زواج ولم يأذن الله بعد بخبر سعيد ينبأ بمولود في طريقه اليهم .. كانت الحاجة فضيلة بعينها الخبيرة هي التي استشفت ما شعرت به زهرة رغم ضحكاتها فقالت في حزم :- كل شيء بأوانه .. كله بأمر الله .. حد ليه في نفسه حاجة ...؟!.. كله مجرد و مكتوب ..

ابتسمت سهام مؤكدة على كلام أمها :- صدجتى يا حاجة ..

في تلك اللحظة دخل عاصم و هو يرغى و يزبد .. و جلس ملقياً جسده على الأريكة بجوار أمه و هو يحمل بين أصابعه ورقة مطوية .. صمتت النسوة الثلاثة في قلق وأخيرا ربتت امه على كتفه متسائلة :- خير يا ولدى ...؟!.. فيه حاجة كفالله الشر ...!!..

هتف عاصم في حنق :- زكريا يا حاجة .. سافر ذى ما جال وساب وراه الورجة دى في أوضة الجنينة .. بيوصينى بأمه و مرت اخوه .. و بيحول مش عارف هو ممكن يرجع ميتا .. شهقت الحاجة فضيلة :- هو برضك عمل اللى ف راسه و هملنا و همل امه الغلبانة اللى ما صدجت اتلمت عليه ...؟!.. واه يا ولاد غسان .. واخرتها معاكم ...!!..

زفر عاصم في ضيق .. وأخيرا هتف في دعاء صادق من القلب :- ربنا يسهله طريقه ..

همست سهام و زهرة مؤمنات ..

اندفع عاصم من على الأريكة ناهضاً يصعد الدرج لحجرتة فنهضت زهرة مستأذنة سهام وخالتها و اندفعت خلفه .. ما

ان ولج باب الغرفة حتى كانت في عقبه .. أغلقت الباب و
هو يخلع عباءته و عمامته و يضعهما جانباً و يلقي بجسده
على الفراش في إرهاق واضح ..

جلست على طرف الفراش بجواره .. وضعت كفها على
صدره تربت عليه في حنو .. فهي تدرك مدى حزنه على
رحيل زكريا .. ذاك الأخ الذي اعتقد انه سيظل بجواره سداً
له ..

رفع كفه يلتقط كفها من على صدره ليقبل باطنه وهو
مغمض العينين ..

و فجأة همس متسائلاً :- مالك يا زهرة ..؟! ..
ابتسمت في سعادة .. فهو أبدأً لم يخيب ظنها .. هو قادر
تماماً على استشعار فرحها وحزنها حتى ولو أغلقت عليهما
الف باب وباب في أعماق نفسها .. وكيف لا ..؟! .. و هو
هناك يسكن حيث منابع الروح .. حيث هو دوماً وابدأً مصدر
كل فرحة .. و مزيل كل ألم وحزن ..

دمعت عيناها .. و برغم انه كان مغمض العينين الا انه
نهض في عجل معتدلاً ليواجهها .. و ما ان رأى بريق الدمع
المتراقص في مآقيها حتى جذبها في رفق لأحضانه ..
وهمس بالقرب من أذنها في نبرة حاول ان يكسوها بغلاف
مرح :- هتجولى في ايه ..؟! .. ولا أجرك بطريجتى ..؟! ..
همست بدورها في صوت متهدج تجاريه في مرحة :- لا ..
مش هعترف .. قررنى ..

انفجر ضاحكاً وهو يجذبها حتى تسقط على الجانب الاخر
من الفراش ليشرّف عليها وهو يحاصرها بين ذراعيه ..
وما ان اقترب منها في نظرات عابثة حتى رفعت ذراعيها
في استسلام هاتفة في دعر

مصطنع :- خلاص حرمت يا عصومى بيه .. هعترف ..
قهقهه عاصم وهو يهتف :- ايوه كده .. الطيب احسن ..
ثم تبدلت نظرته .. ونبرة صوته

ليشوبها خليط من الإهتمام و الحنان وهو يستطرد متسائلا :- ايه في .. عن جد يا زهرة ..؟!.

قررت ان تلقى ما بجعبتها دفعة واحدة فهي لا قبل لها للمواربة او الدوران .. خاصة امام تلك النظرات التي تهيم فيها و بها عشقا ..

-الصراحة يا عاصم .. انا قلقانة من تأخر الحمل .. صمت دون ان يعقب بكلمة و نظراته لازالت تجول على محياها المضطرب وأخيرا تنهد وكفه تبعد احدى خصلات شعرها عن خدها و انحنى في عشق يلثم جبينها .. و همس :- بجى ده اللي مضايك ..؟!.

ردت في جدية :- ايه .. حاجة مش مهم اقلق عليها ..!!!.. -لاه .. مجلتش كده .. بس كل حاجة بأوان ..

-يعنى انت مش مستعجل على موضوع الاولاد ده ..؟!.. تطلع الى عمق عينيها وهو يهمس صادقا :- انا مجردش اجولك مش هاممنى .. يبجى بكذب عليكى .. انا لو مهتم بموضوع الخلفة ده ومتسرع عليه يبجى عشان حاجة واحدة بس .

-ايه هي ..!!!.. سألت في اهتمام وفضول .. -انى افرح أبوى يا زهرة جبل ما .. و توقف دون ان يكمل .. لكنها فهمت ما كان يقصد ..فأستطرد وهو ينظر بعيدا عنها شاردا :- نفسى احط بيده ولدى وافرح جلمه و اجوله يا حاج ده واد ولدك اللي عشت طول عمرك تتمنى شوفته و اللي هيشيل اسمك و اسم الهوارية .. تنهد من جديد وهو يعاود النظر اليها :- انت عارفة يا زهرة صحة أبوى في النازل و بتتأخر كل يوم عن اليوم اللي جلمه ..عشان كده لو متسرع هيكون ده السبب لكن إنى مش هاممنى حاجة غيرك .. خلاص هعوز ايه تانى من الدنيا و انت جنبى ..!!!..

رفعت ذراعيها تطوق عنقه وهى تهتف في عشق مازحة:-
صُح يا عصومى ...؟!..

ليقهقه في سعادة :- صُح يا عيون عصومك ...؟!..
ليكون دورها الان لتقهقه وهى تغيب في سعادة بين احضانه

..

كانت السيارة تتهاذى على الطريق الصحراوى متجهة في
عزم الى القاهرة .. تطلع زكريا الى الصحراء الممتدة على
جانبى الطريق و شرد في الشمس التي توسطت كبد السماء
و غاب ذهنه في تذكر النجع واحواله .. و ظهرت صورة
سهام امام ناظريه فأبتسم رغما عنه في سعادة ممزوجة
بالحسرة .. و تذكر عندما رآها ذات مرة تخطو لداخل السرائ
متباهية بحملها .. عيناها تشع فرحة لا توصف .. كم تمنى
لو كان هو السبب في تلك الفرحة .. وكان هو صاحب
السبق في ذرع ذاك الفخر في مشيتها المترنحة المتباهية ..
قفزت الإبتسامة على شفثيه من جديد .. لكن هذه المرة ..
لأنه بحق تمنى لها السعادة حتى و لو في البعد عنه .. فهى
على كل حال .. ابنة عمه الغالية التي شبت على كفيه و
أحاطها دوما بعنايته .. كما ان جميل عاصم أخيها سيظل
يطوق عنقه ما دام حياً .. فلولاه .. لظل حقه ضائع
و كان لايزل زرزور .. فقط زرزور .. بلا هوية او اسم
عائلة يشرف اى ممن ينتسب اليها ..

قرقرت معدته .. فتذكر الطعام الذى يحمله في اللفافة التي
وضعتها كسبائة بين كفيه عند مغادرته .. شكرها في سره و
بدأ في تناول طعامه بشهية و قد دفع ببعض الشطائر لجيرانه
من المسافرين ..

انهم الان على مشارف القاهرة .. هكذا هتف احد المسافرين

..

هو لا يعرف أين يذهب ..؟!.. ولا حتى أين يبببب ليلته ..؟!..
وما المفروض عليه فعله بالضبط ..كل ما يعرفه انه يخط
اولى الخطوات في طريقه الذي ارتضاه لنفسه .. لن يعود
مهما حدث .. لن يظأ ارض ذاك النجع منكس الرأس ابدًا ..
لن يدخله الا مرفوع الهامة و الكل يشير اليه بالبنان ..
فجأة .. استيقظ من شروده على همهمات داخل السيارة التي
تقلهم

و لم يكن يعرف سبباً لها ..تطلع في الوجوة المكفهرة و
الهمهمات الساخطة و تنبه ان السيارة تُبطئ من سرعتها و
أخيرا .. عرف السبب .. أحد كمائن الشرطة تسد الطريق
امام السيارات العابرة ..

توقفت السيارة امام بوابة الكمين مباشرة ليندفع رأس احد
الضباط

الى النافذة و هو يهتف بالركاب في نزق و بلهجة أمرة :-
كله ينزل و معاه بطاقته .. يا اللاه..

بدأ الجميع في النزول و تقديم الهويات الشخصية لذاك
الضابط

الحائق الذي يتصبب جبينه عرقاً رغم برودة الجو ..
كان يتناول الهويات من البعض فيعيدها اليه من جديد و
البعض الآخر يحتفظ بهويته هاتفاً فيه بتعال مقيت و هو
يشير لأحد الأركان البعيدة نوعاً ما :- اركن هنا على جنب ..
و أخيرا جاء دور زكريا ليقدم هويته في هدوء تلك الهوية
التي استخرجها له عاصم تأكيداً لهويته الجديدة كفرد من
الهورية.. تطلع اليها الضابط في اهتمام ثم رفع نظراته
متطلعاً لزكريا بنظرة شاملة من قمة رأسه حتى اخمص
قدميه ..

ثم هتف فيه بصوت جهورى :- اركن على جنب مع الباقيين

رد زكريا في تعجب :- بس يا باشا انا بطايتي سليمة؟!..

هتف الضابط في حق :- هو انت اللي هتعرفنى اذا كانت
سليمة و لا مضروبة .. ما تيجى تعلمنى شغلى .. اركن على
جنب من سكات ..

قال كلماته الأخيرة و هو يدفع بزكريا من كتفه لينضم الى
حيث يقف الباكون بلا حول و لا قوة ..

كظم غيظه .. فلو ان احد من النجع فعلها و دفع به هكذا
لكان الان في عداد الأموات ..

لكن هنا .. هو غريب و لا يملك من أمره شيئا .. انه قانون
جديد عليه احترامه .. قانون يختلف تماما عن قوانين نجع
الصالح التي تعتبر اسم عائلتك الذى يزيل اسمك كاف تماما
لتحمل صك الرفع او الدناءة ..

انتهى الضابط من فحص هويات الجميع .. ليستقل
المحظوظون منهم السيارة من جديد .. بينما من وقع
في الجانب الاخر لسوء حظه ولم ينل الخطوة عند ذاك
الضابط المتجهم فكان مصيره الدفع به الى سيارة الشرطة
في صندوقها الخلفى لتتطلق بهم الى قسم الشرطة ..
و التهمة ...؟! مجرد اشتباه...

بدأت جحافل الليل في إسدال أستارها و زكريا لايزل متكوم
بجوار زملائه في احد أركان القسم .. يروح و يغدو عشرات
الضباط و العساكر دون ان يهتم احدهم بإلقاء نظرة على
هؤلاء المهمشين في ذاك الركن البعيد ..
و أخيرا .. جاء احد الضباط الذى هتف في حق :- ايه
دوول ...؟! ..

رد احد العساكر في سرعة بعد إلقاءه التحية العسكرية في
انضباط :- دوول وارد الكمين يا فندم ..
أشار الضابط اليه في قرف :- هاتهم خلىنا نخلص و نشوف
حكايتهم ايه !!

استعرضهم الضابط في لامبالاة و استعرض هوايتهم
الشخصية الموضوعة على المكتب .. و عندما طالع هوية

زكريا بدأ في تفحصه من جديد و أخيرا سأل في ريبة :-
انت صعيدى طبعاً...؟!..

هز زكريا رأسه مؤكداً:- ايوه يا باشا..
تطلع الضابط من جديد لهوية زكريا و سأل مجدداً:- من
محافظة قنا .. مضبوط ...؟!..

أعاد زكريا هز رأسه بالإيجاب ..
فهتف الضابط في سخرية :- طب اركن لى انت بقى على
جنب كده .. لحد ما اخلص من الباقيين و أفضالك..
هتف زكريا في حنق :- ليه يا باشا .. انى بطاجتى سليمة
ومعملتش حاجة..

رد الضابط متهمكاً :- ما ده اللى هانعرفه بنفسنا .. لو
حضرتك سمحت طبعاً .. و نشوف انهى داهية اللى حدفتك
علينا من بلدكم

مش يمكن عامل مصيبة هناك و لا عليك تار .. و لا خدت
بتار و هربان..

هتف زكريا في حنق متزايد :- و الله يا باشا مفيش الكلام
ده .. هو اكمنى صعيدى يبجى يا اما هربان يا جتال جتلة ..
..؟!..

هتف الضابط و قد بلغ به الحنق مبلغا جعل زكريا يزعن
رغما عنه لمطلبه بالبقاء في احد الأركان حتى يعود
لإستجوابه من جديد ..

جلس زكريا في الركن المشار اليه وهو ينعى حظه العسر
الذى أسقطه في يد احد كمائن الشرطة وقدمه لم تطأ ارض
المحروسة بعد .. وما تكحلت عيناه برؤية شوارعها
الواسعة ولا ميادينها المكتظة ..

ابتسم في حسرة .. وهو يهمس لنفسه .. اول خطوة لك في
مشوارك الطويل بدأت بإشتباه في قسم شرطة .. فما التالى
يا زكريا!؟..و أين ذهبت بركة دعائك يا حاجة بخيتة
!؟تحولت ابتسامة الحسرة تلك لإبتسامة راحة عندما تذكر

وجه امه .. و ارتكن دون ان يدري على راحة كفه و راح
في سبات عميق ..

حركات متسارعة و جرى هنا وهناك في تلك الردهة الطويلة
التي تنتهى بغرفة العمليات ..

الان فقط أعلن طفل سهام و حسام رغبته في الوصول
لدينا فهرع الجميع لإستقبال الحدث السعيد .. حسام يزرع
المسافة الطويلة جيئة و ذهابا في توتر ملحوظ .. الحاجة
فضيلة تجلس تقرأ القرآن الكريم و تدعو في تضرع .. عاصم
يقف مستندا على احد الحوائط ينظر الى حسام الذى أصابه
غدوه و رواجه بعدوى التوتر و القلق على الرغم من عدم
رغبته إظهار ذلك .. بينما زهرة تقف على الجانب الاخر من
الردهة بالقرب من باب غرفة العمليات تتطلع من الجزء
الزجاجى في بابها لعلها تلمح او تسمع اى خبر يطمئن
الجميع و لكن لا شيء سوى الصمت المطبق بعد ان كانت
صرخات سهام المتألمة تشق الأجواء ..
اصبح الوقت ثقيل و ما من أخبار تهدئ من روعهم .. و
أخيرا

خرجت احدى الممرضات التي كان اول من لمحها زهرة و
ذلك لإلتصاقها بالباب .. فصرخت في
لهفة :- ها .. ايه الاخبار...!!؟ طمنينا من فضلك ..
ابتسمت الممرضة في حبور :- الف مبروك .. ولد زى
الجمر ..

هلل الجميع و كبر .. بينما اندفع اليها حسام يسأل في لهفة
:- المهم هي .. سهام .. اخبارها ايه ..؟! ..
هتفت الممرضة :- الأم بخير متجلجش .. هم خارجين حالا
و هاتطمنوا عليهم بنفسكم .. الف مبروك ..
دفع عاصم بمبلغ مالى لا يستهان

به في كف الممرضة التي كادت تقفز فرحاً..
 انتقل الجميع لغرفة سهام التي كانت في إعياء تام يتناقلون
 بين اكفهم الوليد الرائع و يهنئونها بذاك المولود الذي يعد
 الحفيد الأول لكل من التهامية و الهوارية على حد سواء ..
 هتفت زهرة في حماسة :- هتسموه ايه ...؟!..
 هتفت سهام بصوت يحمل الكثير من الإرهاق :- چده جدري
 هو اللي اختار الإسم .. باسل .. ان شاء الله ..
 ابتسم حسام في مودة :- ابويا كان نفسه ياجى .. بس رجليه
 مش مسعده .. ربنا يديله الصحة .. هو وصانا لو ولد ..
 نسميه باسل

و لو بت نسميها تسنيم ..
 ابتسمت الحاجة فضيلة :- مبروك ماچالكم يا ولدى .. يتربى
 في عزك و عز چده و يجعله من الصالحين..
 هتف الجميع :- امين ..

تحرك عاصم من موضعه ليقف مقترباً من اخته ليربت على
 رأسها و على شفتيه ابتسامة سعادة لا توصف وهو يقول :-
 بجيتى ام يا سهام ...؟!..
 و تشوفيه عريس كد الدنيا ..

دفعت سهام رأسها للخلف قليلاً لتقابل نظرات أخيها الحانية
 :- يخليك ليا يا عاصم و ميحرمنيش منيك ابدا .. وهمست
 حتى لا يسمعها سواه :- عجبالك يا واد أبوى لما نشوف
 عوضكم .. وأشارت بطرف خفى لزهرة التي كانت تتخذ
 مقعداً في احد اطراف الغرفة .. و لم يخف على عاصم
 نظراتها الشاردة و عينيها التي تلتمع بدمع شوق و ترقب
 وهى تحمل باسل الصغير بحرص و إجلال بين ذراعيها ..
 فأستدار يطالع اخته من جديد هامساً :- على الله .. كله على
 الله يا بت أبوى ..

ثم اخرج من جيب جلابه حزمة نقدية ليضعها بين طيات
 ملابس المولود وهو يهتف مغتبطاً :- ده نجوط باسل ..

مبروك ما چالكم عجال ما تخاووه باللى ربنا يجدركم عليه

انفجر الجميع ضاحكاً .. ثم هتف عاصم :- طب احنا نمشوا
عشان سهام تستريح و عشان كمان نطمنوا على الحاج ..
سيبينه لحاله في السرايا ..

ثم توجه لأمه متسائلاً :- خلاص يا حاجة هتجعدى انتى مع
سهام و لا تجعد زهرة ..؟!

قاطعهم حسام :- و لا اى حد يتعب نفسه .. انى اللى هجعد
معاها ..

ابتسم عاصم :- لازماً حد من الحريم يجعد معاها يا أبو
باسل ..

انتشى حسام للقبه الجديد فلم يعقب او يعترض على اى
قرارات .. فلقد قررت الحاجة فضيلة البقاء بجوار ابنتها
مؤكدة ان الحاج مهران لم يعد يطالب بالبقاء مع احد اكثر
من مطالبته و راحته بوجود زهرة دوماً بجواره ..
فأنتهى الأمر برحيل عاصم و زهرة للسراي واللذان وصلها
و قد شملهما الصمت المطبق طوال الطريق من المشفى
حتى اعتليا الدرج لحجرة الحاج مهران ليطمئنا عليه ليجداه
في سبات عميق ..

توجه عاصم للحمام فور ان دلفا للغرفة .. كان يهرب من
ملاقاة عينيها و نظراتهما المنكسرة ..

لم يستطع ان ينسى تلك التعبيرات التي كانت مرسومة على
ملامح وجهها المحبب وهى تتلقف بن سهام بين ذراعيها ..
نظرات عينيها و ملامح وجهها لازالت محفورة في مخيلته
.. انه يقدر مشاعرها .. لكن ماذا بيده ان يفعل .. همس
رغبة في تخفيف همه .. اللهم لا اعتراض ..

اما هي فجلست على حافة الفراش تتلمس موضع طفل
سهام على ساعدها و تستنشق رائحته المحببة التي تركت
اثرها على ملابسها .. تستنشقها في شوق حد اللامعقول و

في ارجاء روحها لا يتردد سوى صدى لدعاء و ابتهاج بأن
يرزقها الله ما يقر به عين زوجها الحبيب ..

تطلعت الى باب الحمام حيث غاب منذ لحظات .. و قررت
إنهاء حالة الصمت المخيمة عليهما منذ خروجهما من
المشفى و كأن كل منهما يعلم ان الكلمات في تلك اللحظات
قد تقتل لا تداوى فقرر السكات ..

خرج عاصم يكمل ارتداء جلبابه و ما ان طالعت محياه
المحبيب حتى اقتربت منه محاولة تصنع السعادة و ارتكنت
على صدره وهي تهمس :- لما ربنا يريد و يرزقنا بأولاد يا
عصومي .. تحب تسميهم ايه ..؟!..

لم يتعجب من تبدل مزاجها فهو ادرى الناس بها فهو يعلم
علم اليقين انها تحاول كسر حالة الصمت التي اعترتها لذا
قرر مجاراتها و هو يهتف مبتسما :- لو ربنا رزج بواد
يبجي مهران على اسم أبوى .. و لو بت تبجي سندس ..
هتفت متصنعة الضيق :- ايه ده .. انت اخترت خلاص .. و
انا ماليش رأى و لا ايه ..؟!..

قهقهه و هو يجذبها اليه مطوقا أياها بين ذراعيه :- كيف ده
.. انتى تختارى .. و تختارى اللى على مزاجك كمان .. تحبى
تسميهم ايه يا عيون عصومي ..؟!..

صمتت لحظات مدعية التفكير ثم هتفت في حماس :- مهران
.. او سندس ..

تعالت ضحكاته وهو يمازحها

هاتفاً :- برضك ..؟!..

لتؤكد بإيماءة من رأسها و ابتسامة تكلل شفيتها ما لبثت ان
تحولت لصرخة دهشة ممزوجة بقهقاتها عندما وجدت
نفسها محمولة بين ذراعيه فجأة لتتهتف في تعجب :- عاصم
بتعمل ايه ..؟!.. نزلنى ..

همس في مرح :- اتحايلى عليا الاول..

ضحكت :- وحياتى .. عشان خاطرى ..

هتف :- ايوا.. ها كملى ..
 هتفت في مشاغبة :- وحياتي .. عشان خاطرى .. صمتت
 لحظة وهي تتعلق بعنقه هاتفة .. متزنلنيش..
 لينفجر ضاحكاً لتشاركه ضحكاته
 و فجأة يهتف في جدية مصطنعة
 وهو يضعها على اطراف
 الفراش :- تصدجى .. انا تأخرت على ميعاد مهم ..
 زمت ما بين حاجبيها متسائلة في ضيق :- ميعاد ايه بقى
 .. هو ده وقته!
 اقترب منها ليقول في شوق :- ده مفيش وجت احسن من
 كده .. زمنهم مستتينا ..
 تساءلت في تعجب :- هم مين دوول؟!..
 جذبها لأحضانه من جديد و هو يهمس مازحاً :- مهران و
 سندس .. انتى نسيتى ..
 انفجرت ضاحكة وهي تتعلق بصدر جلبابه :- تصدق صح ..
 اتاخرنا عليهم قووى ..
 تعالت ضحكاتها ممتزجة بدقات قلبيهما..

ثلاثة أيام .. بثلاث ليال .. وهو قابع مكانه لم يحرك ساكناً ...
 و لولا ذاك الشاويش الطيب عم رمضان لكان مات جوعا و
 عطشا و إهمالا ..
 فمذ تركه الضابط هاهنا وهو على هذه الحالة .. لا يعرف
 لما هو محتجز بهذا الشكل المهين .. لا يعرف له تهمة او
 جريمة .. كل ما يعرفه انه موضع اشتباه لأنه صعيدى نزع
 من بلدتهم .. لكن لمتى سيظل على هذه الحالة ..؟! لا
 يعرف ..

اندفع اليه الشاويش رمضان في مودة و في يده لفافة تحمل
 طعاما متواضعا .. فتح اللفافة امام زكريا و هو يهتف به

قائلا :- بِسْمِ الله يا زكريا يا بني .. و قدم له احد الأرغفة الطازجة..

تناولها زكريا في شروود و على الرغم من جوعه الا انه شعر بالشبع فجأة وسأل الشاويش رمضان في نفاذ صبر :- هو انى هفضل هنا لحد ميتا يا عم رمضان ...؟!..
رفع العم رمضان كتفيه ثم اخفضهما كإشارة لعدم معرفته وقال مؤكدا :- علمى علمك يا بني .. بس اهو حضرة الضابط يجى من الحملة اللى طلعتها بالسلامة و نشوف ..

وما ان أتم كلماته حتى اندفع الضابط لحجرة مكتبه في سرعته هو يهتف بالعساكر ان تضع المتهمين في الحبس و اندفع يلقي بنفسه على مقعد مكتبه في إنهاك واضح مغلقا عينيه .. و أخيرا فتحهما ليطلعه الشاويش رمضان و زكريا في احد اطراف الغرفة ليهتف في نزق :- انتوا بتعملوا ايه هنا ...؟!.. و الواد ده .. مشيرا لزكريا .. الذى استشاط غضبا لنعته بلفظه الواد.. لسه بيعمل ايه هنا؟!..

اندفع الشاويش رمضان مؤديا التحية العسكرية وهو يقول :- حضرتك اللى امرت بحبسه هنا لحد لما نعرف لو كان وراه مصيبة و لا حاجة و عملنا له الفيش و التشبيه ذي ما حضرتك امرت و ملقيناك عليه حاجة يافندم..

أشار الضابط في نفاذ صبر لباب المكتب :- خلاص .. طالما معليهوش حاجة غوره من هنا .. يا اللاه..

اندفع زكريا للباب ما ان سمع كلمات الضابط الذى استوقفه في صرامة هاتفاً :- بص يا صعيدى انت .. لو جيت لى القسم هنا بأى مصيبة .. صدقتى مش هرحمك .. أمشى جنب الحيط و كل عيش بالحلال ..

سمعنى ...؟!..

اوما زكريا برأسه إجابا .. و ما ان أشار الضابط له بالخروج حتى اندفع خارج المكتب في عجالة كأن الهواء

دخل رنتيه أخيرا بعد طول اختناق داخل تلك الغرفة الكئيبة
التي لا يتمنى أن يعود إليها ابدا ..

شقت صراخاتها قلب الليل وهي تتقلب على فراش من جمر ..
فقد فاجأتها ألام المخاض الان و لا يوجد معها الا الحاجة
بخيئة .. التي اندفعت تعد العدة لإستقبال المولود المنتظر ..
توالت الصرخات وهتفت كسبانة من بين احداها :- هموت يا
خالة بخيئة .. انى بموت ..

هتفت فيها بخيئة مشجعة :- بتموتى ايه بس .. شدى حيلك
اومال خليكى شديدة .. ده انى ولدت زكريا و انى اصغر
منيكى و جومت ليلتها عشيت ابويا الله يرحمه .. و قوت
نفسى .. ما انتى عارفة كنا غلاية و ملناش حد ..
صرخت كسبانة من جديد عندما عاودتها احدى نوبات
المخاض وهي تتمسك بالأعمدة المعدنية للفراش خلف
رأسها تستمد منها قوة تعينها على تحمل ألمها الذى يمزقها
.. تقدمت بخيئة لتمسح العرق المتصبب على جبين
المسكينة التي تعاني الان أوجاع قاتلة لتدفع بجنينها للحياة
وهي تهمس بالقرب منها :- هانت يا بتي .. هانت .. شدى
حيلك ..

كانت تلك الصرخة الأخيرة التي اطلقتها كسبانة .. كانت
صرخة استثنائية .. ما ان انقطعت حتى وصلها صراخ
الجنين الذى اندفع لكفى بخيئة التي استقبلته في حماس ..
هاتفه :- الله اكبر .. الله اكبر .. واد ذى البدر ..
ابتسمت كسبانة في وهن و هي تلتقط أنفاسها أخيرا .. و
أغمضت عينيها بإستسلام و قد اولت بخيئة اهتمامها
للصغير الذى بدأت في تنظيفه و إلباسه ثيابه ..
هتفت بخيئة بعد انتهائها :- هتسميه ايه يا كسبانة ؟! ..

همست في سعادة و هي تتلقف صغيرها بين ذراعيها:- مش
انى اللى هسميه يا خالة..

هتفت بخيئة متسألة في تعجب :- او مال مين يا بتى ..
أوعاك تجولى انك مستتية ..

قاطعتها كسبانة قبل ان تكمل استنتاجها .. فكيف تنتظر سليم
ليطلق اسما على طفلها الذى لا يعترف به من الأساس ..
كيف يمكن ان تفكر ان تدعه يطلق اسما على طفلها وهو
هارب من العدالة ينتظره السجن فاتحا ابوابه على
مصرعيها لإستقباله هتفت كسبانة في عزم :- اللى هيسميه
عمه زكريا ..

-بس يا بتى .. مين يعرف فينه زكريا دلوجت !!؟..... وميتا
يتصل بينا!؟..محدث يعرف

أكدت كسبانة في إصرار :- يبجى يجعد من غير اسم لحد لما
عمه يسميه ..

ابتسمت بخيئة وهى تربت على كتفها في محبة :- بشوذك
يا بتى .. ربنا يرد الغايب .. و يجرب البعيد.
همست كسبانة :- ياارب يا خالة.. ياارب ..

كانت تجئ و تروح في الغرفة بشكل متوتر ينبئ عن نفاذ
صبرها .. فها هو عاصم ما ان حادثته كسبانة حتى اندفع
في سرعة اليها .. لا تعلم ما الذى حدث ..؟!.. و ما الذى
جرى ليدفعه للذهاب اليها في تلك الساعة المبكرة من
الصباح ..؟!..

تكاد تجن .. فها قد انتصف النهار و لم يظهر له اثر.. و لا
تعرف لما ذهب بتلك السرعة العجيبة !؟
ربما طفلها مريض ..؟!.. هكذا استنتجت .. فقد رزقها الله
بصبى

منذ عدة أيام ..ربما .. هكذا همست .. لكن ايستدعى ذلك
بقاءه النهار بطوله هناك ..؟!..

أخيرا قطع انفراج الباب عن محياه خواطرها و استنتاجاتها
لتهتف في قلق :- خير يا عاصم .. في ايه ..؟!..

هتف في حق :- مفيش ..

هتفت بدورها متعجبة :- يعنى ايه مفيش ..؟!.. غايب النهار
بطوله عند كسبانه وتقول مفيش ..

هتف في حق متزايد :- انا مكنتش عند كسبانه .. انا كنت
في بيت زكريا واد عمى .. و بعدين رحت جضيت
مشاويرى..

كظمت غيظها :- طيب ماشى .. وهى كانت عيزاك في ايه
..؟!..

رد في لامبالاة :- ابدأ .. عادى .

-يعنى ايه عادى .. في حاجة اسمها عادى ..

انفجر في غضب :- زهرة ..؟!.. جلت لك ميت مرة ..

محبش حد يراجعنى في الحديث .. و لا بحب حد يحجج

معاي .. رحت فين وجيت منين .. سمعانى ..

هتف بكلمته الأخيرة في غضب هادر جعلها تنكمش على

نفسها و تركها ليندفع خارج الغرفة ..

استجمعت قواها بعد تلك العاصفة الغاضبة و جلست على

اطراف الفراش تسترد هدوءها و تستجمع شتات افكارها

ويكاد فضولها يقتلها لمعرفة سبب رغبة كسبانه في مقابلته

.. و اندفاعه لتلك المقابلة .. بدأت الغيرة تنهش قلبها و

شيطانها يزين لها افكارا و تخيلات عديدة عما قد يكون

بينهما .. هي متاكدة حد اليقين من حب عاصم لها .. لكن ..

هل سيستمر هذا الحب بنفس القوة اذا لم ترزق منه بأولاد

..؟!.. و هل سيفكر يوم ما في الزواج من أخرى من اجل

ذاك الغرض ..؟!..

و لما لا تكون تلك الأخرى هي كسبانه .. فهي جميلة و

صغيرة و تتجب ..!!..

استشاطت غضبا من تلك الخواطر التي تستعر بداخلها كنار
لا تجد من يطفئها.. و لا تتذكر الا شيء واحد .. ان عاصم
صرخ في وجهها غاضبا من اجلها .. من اجل تلك الكسبانة
و سرها الذي لا تعلم عنه شيئا..

استغفرت قدر استطاعتها محاولة طرد وساوسها و اندفعت
للحمام فربما حمام دافئ يزيح عنها خواطرها التي باتت
تؤرقها.. وقد يساعدها في استرجاع هدوء نفسها و صفاء
سريرتها..

ما ان انتهت من حمامها حتى خرجت تتطلع لفراشهما لعله
جاء ينام في اثناء غيابها .. لكن الفراش كان فارغا منه ..
دخلت هي الفراش و تدثرت حتى عنقها
تحاول الحصول على بعض الدعم لطرد ما يعذبها من
وساوس

أغلقت عينيها مدعية نوم عزيز المنال .. لكن كيف يأتي
النوم...؟!.. و الوجد يذيب صدرها .. و سادتها كجمر
مستعر ..

كيف يأتي النوم ...؟!.. و هي لا تعرف له طعما الا بين
ذراعيه .. متوسدة صدره .. تطمئننا نبضات قلبه انه هاهنا
لأجلها ..

انتفضت في مكانها مدعية النوم عندما فُتح باب الغرفة
بشكل مفاجئ .. فهي لم تشعر بخطواته على الدرج و ما
استطاعت أدراك وصوله الى الغرفة .. فقد استغرقتها
افكارها حد الغرق و التيه عن ما حولها ..
ألقي هو نظرة سريعة على جسدها المدثر بشكل مبالغ فيه
بعد ان فتح احد الأضواء الجانبية الخافتة ..
و غاب قليلا في الحمام ليعود ليستقر على طرفه المعتاد من
الفراش بعد ان أغلق الأنوار
و تدثر بدوره معطيا لها ظهره ..

مرت بضع دقائق لم يحرك احدهما فيها ساكنا .. كلاهما يعطى ظهره لصاحبه .. و ذاك الفراغ في منتصف الفراش و الذى طالما جمعهما متلاحمين يئن ألماً واشتياقا ليعودا لسابق عهدهما من جديد ..

كان هو يغلق عينيه رغبة في نوم سريع بلا مقدمات .. لكن هيهات ان يزوره النوم و هو على هذه الحالة من الغضب و الاشتياق .. غضب منها وعليها .. و اشتياق الى الدفاء و السكون اليها ..

ان ذراعيه خاليتين منها .. يشعر ببرودة عجيبة لم يستشعرها يوما
ضم ذراعيه لبعضهما و كبريائه يكاد يدميه لرغبته في قربه منها..

و أخيرا انتصر شوقه ليقترب قليلا لداخل الفراش عله يصطدم بها فيتعلل بضيق الفراش .. انتظر قليلا ليعاود التقهقر لداخل الفراش من جديد .. وتحققت أمنيته بأن عثر عليها .. اصطدم بظهرها .. فقد كانت تتحين الفرص لذلك .. كما كان يفعل تماما ..

استدار ليقابلها بكليته اما هي فقد ظلت توليه ظهرها .. فهل يستطيع الان ان يتراجع ..؟!.. لم يستطع و خاصة عندما وجد جسدها يهتز بشهقات بكاء مكتوم..
مد ذراعه أسفل خصرها يجذبها

بيسر الى احضانه لتستجيب هي من فورها و تندفع بشوق لدفاء ذراعيه .. لم يقل كلمة .. بل لم ينبس بحرف .. وهى كذلك ..

لكنه زاد من طوق ذراعيه حولها ليأسرها تماما في احضانه و يقبل جبينها بشوق .. و يربت على رأسها بحنو .. كان ذلك كافيا .. بل اكثر من كاف لتكف هي عن البكاء و تطبع قبلة دافئة على أسفل عنقه و تدفع رأسها في التجويف بين كتفه و ذقنه التي تميل على رأسها ليستوطن فيه

جبينها في سعادة .. و يبدأ النوم يداعب جفونهما أخيراً

دس الشاويش رمضان ورقة مطوية في كف زكريا هامساً
له في

حذر :- خد يا زكريا .. ده عنوان ناس طيبين من قرايبي ..
انا أديت لهم خبر انك رايح لهم .. هم عندهم أوضة فاضية
ليك و هيدبروا لك شغلانة ..

هتف زكريا في حبور :- ربنا يبارك لك يا عم رمضان .. انا
كنت لسانتي بسأل روحى .. هخرج اروح على فين ..؟! ..
ابتسم رمضان في مودة :- الناس لبعضيها .. وانت شكلك
طيب وبن حلال و لولا كده مكنتش هبعثك عند حد معرفة
.. بص .. هم قريبين من هنا .. تقريبا شارعين تلاتة و تكون
في حارتهم .. اهو العنوان عندك في الورقة اللى في ايدك ..
لو انا فاضى كنت جيت وصلتك بنفسى ..

هتف زكريا مهلاً :- لاه .. ده كده رضا جووى .. انا هعرف
أوصل لحالى متجلجش ..

ربت رمضان على كتفه وهو يودعه على السلاالم الأمامية
لباب قسم الشرطة داعياً :- ربنا يسهل لك طريقك يا بنى ..
ودعه زكريا بدوره و استدار مغادراً القسم و كلمة (ابنى)
يرن صداها في اسماعه و تشعره بوجع هاهنا بين حنايا
صدره .. ابدا لم يسمع تلك الكلمة المحببة والتي تشعره
بالتقدير و الفخر ..

ظل يحلم بأعتراف ابيه ببنوته و سماع كلمة ابنى من بين
شفتيه لكنه لم يحظى بذاك الشرف ..

لم يعترف ابيه به .. ولا سمع منه غير التقرع و السخرية

..

نفض زكريا عنه تلك الخواطر التي تلهيه عن التركيز في
طريقه و اخذ يسأل كل ذاهب و أيب عن تلك الحارة التي

يقصدها .. حتى أخيرا وصل على أعتابها .. اخرج الورقة
المطوية من جيب جلبابه و قرأ الاسم المطلوب ..
استوقف احد المارة يسأله :- لو تسمح .. تعرف بيت الحاج
وهيب

فين ..؟!.. أشار الرجل بالنفى ..
فقرر زكريا الولوج الى الحارة لسؤال احد أصحاب المحال
التجارية بسيطة العرض و البضائع التي تظهر على جانبيها
توقف عند محل خردواتي ليسأل من جديد عن بيت الحاج
وهيب

فأشار الرجل إلى دائرة من البشر
على مسافة منهما وقال :- هتلاقى الحاج وهيب عند الناس
الملمومة هناك دى ..

شكره زكريا واندفع لتلك الحلقة البشرية الملتفة لا لسبب الا
لمشاهدة شجار ما .. لا يعرف من أطرافه و لا ما سبب
اندلاعه .. وقف يشارك الناس فضولها و ذاك الرجل الضخم
ذو العضلات المفتولة و الشارب الكث يجذب رجل خمسينى
من ياقة جلبابه البسيط هاتفاً فيه بتجبر :- ما انا قلت هتدفع
يعنى هتدفع .. بالذوق بالعافية هاتدفع .. مش قادر على
الدفع؟!.. انت عارف ايه اللى يعفيك من الدفع طول عمرك ..
هتف الرجل الخمسينى باستكانة :- يابنى .. مقدرش ادفع ..
و طلبك أترفض .. أعملك ايه بس ..?!..

زمجر الرجل الضخم في غضب :- دى مش مشكلتى .. انا
مشكلتى دلوقتى هاتدفع و لا لأ ..
هتف الرجل المسكين :- منين يا بنى؟! طب حتى ادينى
فرصة ..

قال الضخم :- اديتك فرص كتير و خلاص مبقاش .. و دفع
بالرجل الخمسينى خارج اعتاب محله الصغير و اندفع هو و
رجاله لنهب بضاعته .. الا ان توقفوا جميعا

ازدادت الدائرة البشرية اتساعا و دخل احد رجال السمرى
في نزال مع زكريا و الذى استطاع زكريا التفوق عليه ..
ليدفع السمرى بأخر .. وهكذا .. استمر الوضع في نزال
متتال حتى تنهى من البعد صوت سرينة عربية شرطة
فتفرق الجمع في طرفة عين و اختفى السمرى و رجاله في
لمح البصر و ما ان تنبه زكريا لما يحدث حتى ظهر أمامه
ضابط القسم و عساكره حوله ..

هتف الضابط في تقرير :- انت تالانى؟! .. انا مش حذرتك
توقع تحت ايدى مرة ثانية .. ده انت لسه خارج من القسم
مبقلكش ساعة .. طيب .. انت اللى جبته لنفسك .. واندفع
عائدا للسيارة وهو يهتف لعساكره بإحضار زكريا الذى
امتلى وجهه ببعض الخدوش و الجروح و جسده ببعض
السحجات جراء المعركة الطاحنة التي دارت رحاها منذ قليل

..
سار في استكانة خلف الضابط محاطا بعساكره .. و قد أيقن
الان

انه لن يغادر ذلك القسم الذى غادره منذ ساعتين ممنيا
نفسه بعدم العودة اليه من جديد .. لكن يبدو ان دعوته لم
تستجاب .. فها هو يعود اليه الان اسرع مما توقع و يبدو
انه لن يغادره الا بعد فترة طويلة جداااااا ..

الفصل الثاني

هتف الحاج وهيب في تأنيب
لنفسه :- يوووه .. انا اذاي مخدتش بالي ...؟!..
قفز في عجالة من امام المنضدة المنخفضة الارجل الممتدة
ليوضع عليها طعام العشاء و المسماه
(طبلية) ليرتدي حذائه ويتناول معطفه الصوفى لتهتف فيه
زوجته نعمة :- خير يا حاج .. فيه ايه .. قمت ليه مسروع
كده؟!..

لتعاجله ابنته بدور هاتفة :- رايح فين الساعة دى يابا ..
وفي الثلج ده .. الدنيا بينها بتشتى .
هتف وهو يرتدى معطفه :- يا بنتى عمك رمضان كان
مكلمنى على جدع صعيدى هايجى يأجر الأوضة اللى على
السطوح و قلت اهى نواية تسند الزير .. و لما حصلت
العركة الضهر نسيت الموضوع .. ولسه فاكرة دلوقتى .. و
الى مخلينى مضايق اكتر ان الجدع ده ..
هتفت بدور مستنتجة :- هو اللى دافع عنى قصاد سمرى و
حاشه ..صح!!

-الظاهر كده .. و احنا بقى بدل ما نلحقه .. سبناه في القسم
و لا سألنا .. حتى بعد اللى عمله معانا ..
-حتى ولو اللى بتقوله صح ..الصباح رباح .. اقعد اتعشى
وبكرة الصبح تروح تضمنه في القسم .. هتفت نعمة و قد
بدأت في تناول طعامها بالفعل.

هتفت بدور:- لا صباح ايه ...!!!.. بقى نسيب الراجل مرمى
في الحبس بسبنا و في البرد ده .. لا ميصحش يابا ..
الواجب تروح له .. حتى عشان خاطر عم رمضان ..
اندفعت نعمة :- بلا يروح .. بلا يجى .. بقى خايفة على
الراجل من برد الحبس وهو شباب و مش خايفة على أبوكى

يخرج دلوقتي في الجو ده .. مدت كفها تخلع المعطف عن
الحاج وهيب و هي تجذبه ليجلس على
(الطبلية) من جديد و تبدأ في إطعامه بيدها لينسى كل ما
عاداها ..

لتمصص بدور شفتيها وتسير في وجوم بإتجاه النافذة
تنظر خلف زجاجها الذي تكاثرت عليه ذرات المطر
المتساقطة بالخارج لتحجب الرؤية عن ما يدور خلف إطاره

و تهمس في تساؤل :- يا ترى عامل ايه .. يا دى
الجدع ...!!؟

كان كل من زهرة و الحاجة فضيلة و سهام تجلسن في
مقعدهن المفضل في صحن الدار و سهام ترضع طفلها الذى
تغير كثيرا في الفترة الماضية ليصبح اكثر طولا و اوفر
صحة و تبدو ملامحه في الظهور ليتأكد الجميع انه نسخة
مصغرة من حسام بعينه العسلية الواسعة و بشرته الخمرية
و شعره الأسود الناعم .. كانت زهرة تنتظر ان يتم باسل
طعامه حتى تحمله في سعادة و تلهو معه قليلا الا ان باسل
خذلها ليبدأ النعاس يداعب جفونه فتهمس سهام مازحة :-
ملكيش حظ في اللعب معاه يا زهرة .. خلى بيكى و نام ..
ابتسمت زهرة في تحسر :- مااشى يا باسل بس لما تكبر
شوية .. انا و انت هنخر بها ..

ابتسمت سهام لمزاح زهرة بينما اشفت خالتها فضيلة على
حال ابنة اختها الحبيبة و كأنما ورثت عنها كل شيء حتى
حملها العزيز .. فهي تتذكر ان فاطمة تأخرت في حملها
لزهرة عدة سنوات .. همست الحاجة فضيلة في نفسها
داعية :- يا رب يا بتي يكرمك باللى يفرح جلك و جلبنا ..
اللهم امين ..

اندفعت سمية من باب السرائى الداخلى تتطلع حولها و ما ان
رأت النسوة مجتمعات حتى توجهت إليهن تغالى في ترنحها
مدعية التعب و الإرهاق من حملها حتى اتتهن ملقية السلام
و هاتفة :- ازيك يا مرت عمى .. كيفك يا سهام و كيفه
ولذك ..كبر الله اكبر ..

ألقين عليها السلام لتستدير بإتجاه زهرة هاتفة:- كيفك يا
زهرة ..زينة!؟

أكدت زهرة محاولة ادعاء الهدوء في وجود سمية التي تعلم
علم اليقين ان وجودها هنا ليس صدفة و انها ما أتت الا
لتثير حنقها :- بخير الحمد لله يا سمية ..
هتفت سمية بنبرة كالفحيح :- طيب .. خير .. انا جلت
هتفرحينا و تجولى الحبل تعبك زى حالاتى ..؟!.. ربنا
يعطيك..

امتقع وجه زهرة و شعرت بأن ألم جارف اجتاح أعماق
روحها بسبب ذاك الاستهزاء الواضح ..
هتفت الحاجة فضيلة تزود عن ابنة اختها الغالية :- كله
چاى يا سمية بأمر الله ..و بعدين هو احنا يعنى كنا مجوزين
زهرة لعاصم عشان الخلفة و بس ليه أمال بهائم لمؤاخذة
مش هنفكروا الا في كده و بس ..؟!..

كتمت سهام ضحكاتها على رد أمها المفحم بينما لازت زهرة
بالصمت و لم تعقب .. فهتفت سمية بغل :- لاه يا مرت
عمى .. مش بهائم لا سمح الله .. بس يعنى كل ست تحب
تفرح چوزها خصوصى لو بتحبه بحتة عيل من صلبه يشيل
اسمه مش تبجى ارض بور جلتها احسن ..

همت سهام بالرد هذه المرة على وقاحة سمية الغير معقولة
الا انها قاطعتهن وهى تنهض في عجالة و كأنها ليست هي
نفس المرأة التي دخلت تترنح بحملها منذ قليل هاتفة في
خبث:- طب افوتكم بعافية لحسن عدلى من ساعة الحمل
وهو بيخاف عليّ و على اللى ف بطنى..

معلوم .. ماهى العيال دى مبتجيش بالساهل ..
 و انفجرت في ضحكة ماجنة قبل ان تستدير راحلة و قد
 ملأت الأجواء توترا ..
 عم الصمت للحظات قبل ان تهم سهام بقطعه في محاولة
 لترطيب الأجواء المشدودة لكن زهرة التي كان وجهها
 يحاكى الموتى و لم تنبس بحرف واحد منذ بدأت سمية
 هجومها المسموم اندفعت في سرعة نحو الدرج تعثليه في
 اندفاع لتدخل حجرتها و تبدأ في بكاء محموم طال كتمانها ...
 لا تعرف كم طال بكائها حتى انها لم تستشعر ذاك الذى دخل
 الغرفة في هدوء متقدما نحوها في حزن على حالها بعد ما
 قصته امه عليه من امر سمية و سخافاتهما ...
 جلس على اطراف الفراش قبالتها ليجذبها نحوه في قوة ..
 انتفضت عندما باغتتها وجوده لكن ما ان اصطدمت نظراتها
 الدامعة بنظراته العاشقة حتى دفعت وجهها ليُدفن في أعماق
 صدره و تدثرها احضانه و يهددها عناقه ..
 تركها تبكى كما شاءت حتى تفرغ كل ما بجعبتها من دموع
 .. و ما ان تيقن من هدوئها بين ذراعيه حتى حاول التفريج
 عنها هاتفاً:- زهرة !!
 رفعت رأسها اليه تتطلع الى نظراته التي تعشقها .. تلك
 النظرات التي تخبرها الف احبك دون ان ينطق هو بحرف
 واحد .. همست بصوت مبجوح من اثر البكاء :- نعم !!؟..
 همس يشاكسها :- انا هجول كلمة و تجولى ورايا .. ماشى
 ..؟!..
 همست معاتبة :- و ده ايه بقى ان شاء الله !!؟..
 همس من جديد :- ده كورس علاج إنما ايه متجرب ..؟!..
 همست وهى تنظر اليه في شك :- ماشى ..
 هتف :- ها جولى ورايا .. بحبك يا عاصم يا هوارى..
 ابتسمت وهى تردد:- بحبك يا عاصم يا هوارى ..
 هتف عابثاً :- بموت فيك يا واد خالتي ..

اتسعت ابتسامتها مرددة :- بموت فيك يا واد خالتى ..
اكد هاتفاً :- ومش هبكي تانى من كلام ماسخ ملوش عازة

..
أكدت وقد ظهر الحزن على محياها من جديد :- و مش
هابكى تانى على كلام ماسخ ملوش عازة ..
جذبها اليه اكتر و انحنى اليها مقبلاً لتهمس و هي تبتعد في
دلال هامسة :- ايه ده بقى ...؟!..
همس بنظرات شقية :- ده اهم جزء في كورس العلاج .. لو
متمش العلاج يبجى ذى جلته ..
همست تكتم ضحكاتها :- لا طالما علاج خلاص ..الا
العلاج..
ليجذبها اليه من جديد و هو يقهقه لمزاحها ..

.....
دفع العسكرى بزكريا لداخل الحبس في عنف جعله يسقط
أرضا متعرقلا في الأرجل الممتدة بداخل الزنزانة لأحد
المحبوسين الذى سب في غضب..
انتبه زكريا واقفا و جال بنظره في الوجوه الغير مريحة التي
تتطلع اليه الان في فضول .. وجد احد الأركان فارغا فتوجه
اليه في تناقل و ترك جسده ليجلس علي المسطبة الاسمنتية
في يأس يرتكن بجانب وجهه على الحائط .. و يستكين في
مجلسه ..
عم الصمت لدقائق حتى جذب مظهر زكريا المصاب الذى
يكلل وجهه بعض الخدوش و جرح ظاهر بالجبهة فضول
احد المساجين ليشاكسه في محاولة لفرض
السيطرة :- سبع الرجال بقى .. كان بيضرب و لا بينضرب
...!!!..
قهقه الجميع على تساؤله كأنه احد النكات برغم سماجته
لكن ما كان احد يستطع الاعتراض ..

لم يرد زكريا .. فقد ناله ما ناله من جراء شجاره مع سمري
و رجاله .. شجار واحد في اليوم يكفى .. همس لنفسه في
تأكيد حتى لا ينتبه لسخافات ذاك الاحمق هناك
و التي استمر فيها هاتفاً في استفزاز عندما ادرك من ملبس
زكريا

كونيته :- مرة واحد صعيدى شاف الهرم قال يا بووى كل
دى حنة جينة نستو ..

انفجر الجمع ضاحكاً على نكات المسجون المستفز ..
همس زكريا لنفسه:- اللهم طولك يا روح .. اهدى يا زكريا
و أعجل.

ليعاود المسجون استفزازه بإطلاق المزيد من النكات
اللازمة على الصعايدة .. و زكريا رابط الجأش يحاول تهدئة
نفسه كي لا يتأثر باستفزاز ذلك الغبى .. لكن يبدو انه لن
يتوقف عن تفاهته .. و التي استطردها من جديد هاتفا :-
مرة واحد صعيدى لم كل النكت اللي على الصعايدة و رماهم
البحر .. السمك طلع يضحك ..

انفجر الجمع ضاحكاً من جديد و لكن هذه المرة كان وصل
الاستفزاز بزكريا مبلغاً خطراً ليندفع في ثورة بإتجاه ذاك
المسجون الأحمق ممسكاً بتلابيه و هو يهتف في غضب :-
و مرة واحد صعيدى جابل واحد جليل الأدب جال لازماً يربيه
عشان يعرف يغلط كيف في اسياده ..

و دفع زكريا بجبهته الصلبة في اتجاه جبهة المسجون
ناطحا إياها والذي ترنح للحظات ثم سقط ليندفع رجاله
مدافعين عن سيدهم و يشتبكوا واحد تلو الآخر مع زكريا ..
حتى شعر العساكر خارج الزنزانة بالهرج و المرج الذي
يحدث بالداخل .. فاندفعوا مبلغين الضابط الذي جاء مهرولا
و ما ان انفرج باب الحبس عن محياه الصارم وهو مشهرا
سلاحه حتى اندفع كل واحد منهم لمكانه و هتف الضابط
صارخاً

فيهم :- في ايه يا حوش ..!!؟
 جال بنظره في الوجوه .. حتى استقرت نظراته على
 المسجون الملقى أرضاً ولازال يشعر بالدوار و ممسكاً رأسه
 متألماً .. ثم وقعت عيناه بسرعة على زكريا الذي ازدادت
 جروح جرحاً على احد جانبي وجهه و تمزق ذراع جلبابه

..
 فهتف الضابط في غضب من جديد تجاه زكريا :- هو انت
 مفيش فايدة فيك؟! .. بره عامل مشاكل و جوه عامل مشاكل
 .. طب اوديك فين ...!!

هتف زكريا :- يا باشا انى في حالى .. هو اللى كان بيجل
 أدبه.

هتف الضابط محاولاً السيطرة على أعصابه :- طيب ..
 تعالالى هنا .. و دفع به خارج حجرة الحبس .. ليغلقها
 العسكرى مباشرة بعد خروجهما .. ليهتف الضابط في زكريا
 دافعا به أمامه :- هو انت مش شايف نفسك وعامل فيها
 السبع رجال ..!!؟! ... انت ملكش القاعدة .. لازم تعمل حاجة
 مفيدة ..

وهتف الضابط في قوة :- يا شاويش مجاهد .. هات الجردل
 و الخيشة من عندك ..

احضرهم الشاويش في عجالة .. ليشير اليهم الضابط بتعالى
 هاتفاً في زكريا :- اتفضل .. خد دوول

عايز القسم بيلمع من النضافة .. عارف لولقيت اثر رجل
 اللى داخل و اللى خارج بعد المطرة اللى بره دى .. هتشوف
 شغلك معايا ..

نظر زكريا للجرذل و الخرقه البالية المصاحبة له وهمس في
 أعماقه .. هل هذا ما اتيت لأجله؟! .. هل هذا مقامك يا واد
 الهوارى ..؟! .. حسنا .. و لما لا ..؟! .. كنت دوما خادماً لقوم
 كان من المفترض ان أكون سيدهم ..

و الان انا خادما لأجل ما اطمح اليه!؟.. اختلفت الأسباب و
لا زلت خادما يا زكريا .. لا بأس ..
صبرا جميل .. و الله المستعان ..
هتف الضابط في حلق مقاطعا زكريا عندما طال شروده:-
خير.. الباشا عنده اعتراض و لا حاجة ...!!..
هتف زكريا :- لاه يا باشا .. حاضر. و جذب الدلو و الخرقة
و اتجه ليبدأ مهمته من حيث أشار عليه احد العساكر و قد
حزم أمره بأنها ستكون المرة الأخيرة التي ينكس فيها رأسه
.. مهما كان ...

هتف الحاج مهران بسعادة وهو يطالع زهرة تدلف من باب
حجرته كعادتها كل صباح .. تلقى عليه التحية و تأنس
بمصاحبته التي تسعدها بقدر ما تسعده و تهون عليه يومه
:- اهلا بالجمر .. مرت ولدى الغالى ..
ابتسمت زهرة في حبور وهى تقترب من العجوز الذى تجله
وتحترمه بحق فتحنى لتقبل كفه في مودة :- ازيك يا عمى
.. اخبار صحتك ايه النهاردة!؟
ابتسم العجوز :- ذى البمب .. احسن منيكي ..
قهقهت زهرة لدعابته ليستطرد في فرحة :- بالك يا مرت
ولدى .. لو مكنتيش جيتى كنت شيعت لك حد يجيبك لحدى
..
-هو انا اقدر اتأخر عنك يا عمى .. ده النهار ميبقاش ليه
طعم و لا يبقى فيه بركة من غير ما أعدى عليك الصبح و
اقعد معاك و اخد منك بركة اليوم كله ..
ربت العجوز على كفها القريب من كفه في امتنان وهو
يشير اليها لتقترب وكأنه على وشك اطلاقها على سر خطير
..
همس في مشاكسة ذكرتها بعاصم فأبتسمت رغما عنها وهو
يقول :-انى عاوز حلاوة البشارة ..

انتبهت متسائلة في همس تقلده
 مازحة :- بشاره ايه يا حاج ؟!..
 ابتعد ناظرا اليها صامتاً لحظات مشعلا فضولها وهو يقول
 :- بشاره الذرية الصالحة باذن الله ..
 انتبهت الان بكل حواسها و قد استطاع جذب انتباهها كليا
 لتردد خلفه بألية :- الذرية الصالحة ؟!..
 هتف مؤكدا بين نوبات سعاله :معلوم
 نظرت متسائلة دون ان تنبس بحرف واحد ليستطرد هو في
 جزل:- عشية(مساء) شفت لكم رؤية .. الله اكبر.. حاجة
 تفرح بصحيح ..
 اندفعت في حماس :- شفت ايه يا عمي...؟!.. قوول ..
 ضحك العجوز لحماسها وهتف مشاكساً :- هو ببلاش كده..
 لاه .. دى الحلاوة كبييرة ...
 هتفت مؤكدة :- عنايا ليك يا عمى .. بس قوول ..
 -طاچن عكاوي و كوارع من يدك .. هالا .. ايه جولاك .. انى
 حاسس انى لو كلتهم هجوم ارمح رمح ..
 قهقهت :- يا سلام .. انت تأمر .. بس يا رب عاصم
 ميشمش خبر او الحاجة فضيلة تدرا.. ساعتها مش هلحق
 اخلف العيال اللى بتبشرنى بيهم دوول ..
 كان دور الحاج مهران ليقهقه ساعلا وهو يقول :- حد يجدر
 يجرب لك و انى موجود .. ؟!.. انت في حمايتى ..
 متجلجيش ..

ابتسمت في سعادة لمحبتة الخالصة التي تشعها كلماته
 وأخيرا همس بعد ان هدأت نوبة سعاله :- بصى يا ستى ..
 خير اللهم اجعله خير يا رب .. جال شوفتك واجفة تايهة في
 وسط ارضنا بتلقتى يمينك و شمالك كن في حاجة ضايعة
 منيكي و مش لجياها .. و فجأة ظهرت واحدة عجوزة جربت
 منيكي و طبطبت على كتفك فانتبهتيلها .. راحت فتحت كفوفك

التنين و حطت ف كفك اليمين بذرة .. و ف كفك الشمال
 بذرة .. وجفلت كل كف على الى فيه و غابت ..
 اتلفتى انت ملجتيهاش .. بس لجيتى عاصم جاى على فرسه
 .. حكيتيله الحكاية راح واخذك على الجهة الجبلية من
 ارضنا الى بينا و بين ارض ابوكى و عمك .. و راح ذارع
 وياكى البذرتين و يا دوب بتلقتوا عشان تمشوا لجيتوا
 البذرتين طرحوا .. البذرة الأولانية طرحت شجرتين من
 اصل واحد .. و البذرة الثانية طرحت شجرة اجصر شوية
 بس كانت فيها ميلا خفيفة ..
 صمت الحاج مهران يلتقط أنفاسه
 وهى تتطلع اليه مبهورة .. و أخيرا همست متسائلة :- و ده
 تفسيره ايه يا عمى .. ربنا هايرزقنا باولاد باذنه!؟
 أكد العجوز في يقين :- باذن الله يا بتى .. هايرزجكم بتلت
 عيال
 الله اكبر .. ربنا يطول في عمرى و يهنينى بشوفتهم ..
 همست هي في وجل :- اللهم امين يا عمى .. اللهم امين .

هتف الحاج وهيب امام الضابط باستجداء:- معلىش يا باشا
 .. مش هاتكرر منه تانى .. انا هضمنه ..
 ده واد غلبان من بلدنا .. جاى ياكل عيش ..
 هتف الضابط :- جى ياكل عيش ولا يشتغل لى بلطجى .. لا
 وجى يعمل فتوة على مين .. على السمرى !!؟.. ده وقعته
 سودا .. ربنا يستر و يعرف أصلا يقعد في الحارة دى .. شكل
 السمرى خلاص حطه في دماغه ..
 كان زكريا يقف ساكنا لا ينبس بحرف و الحاج وهيب
 يستعطف الضابط السمج لفك حبسه .. خاصة و ان
 الشاويش رمضان غير متواجد في القسم منذ عاد اليه للمرة

الثانية بعد شجاره مع سمرى و عرف انه في مأمورية لعدة أيام ..

هتف الحاج وهيب من جديد:- خلاص يا باشا.. سماح .. هو مش هيعدها تانى .. كان غريب .. و الغريب اعمى و لو كان بصير ..

تنهد الضابط بنفاذ صبر وهو ينظر لزكريا شذرا ثم قال أخيرا :- خلاص يا حاج وهيب .. هسيبه .. بس على ضمانتك .. مش عايز قلق تانى .. احنا مش ناقصين .. هتف الحاج وهيب في حماس :- انت تأمر يا باشا .. دفع الضابط بهوية زكريا على طرف مكتبه ليتناولها زكريا في هدوء .. و يضمنه الحاج وهيب و يرحلا معا خارج القسم .. الذى تمنى زكريا من صميم قلبه ان لايعاود دخوله ابدا لأى سبب كان و تمنى ان تستجاب دعوته هذه المرة و هو يسير بجوار الحاج وهيب في طريقهما للحارة .. ليخطو خطوة جديدة في مشواره .

ابتسم عاصم في حبور فهي المرة الثانية التي يصطحب فيها زهرة للإسطبل بعد المرة التي اخذها فيها على صهوة عريزة ..

كان ذلك بناء على طلبها .. و كان يرغب بصدق أن يدخل السرور على قلبها فلم يرفض طلبها بإصطحابه أياها لرؤية عريزة .. و مهرتها زهرة التي كبرت .. لتضاهي أمها جمالا و فتنة ..

وصلا لمربط المهرة الجميلة التي اندفعت تصهل اول ما طالعتها ..

رفرف قلب زهرة فرحا لمرأها .. و بدأت في إطعامها قطع السكر في سقاء .. و أخيرا .. وجدت عاصم انضم اليها ليهمس لها في محبة :- فاكرة !!! و أشار لعريزة مذكرا

أياها برحلتها على صهوتها و التي لا يمكن نسيانها ..
فمنذ تلك الرحلة وهي قد ايقنت كم تهوى ذاك الرجل الذي
تضرب أنفاسه الحارة الان جانب وجهها فيثير فيها مشاعر
شنى

رفعت نظراتها اليه وهمست :- و دى حاجة تنتسى يا عاصم
.. يومها .. عرفت انى مخلوقة عشانك .. و لأول مرة وانا
على ظهر الفرس .. قريبة من قلبك .. قلبى وعقلى يتفقوا
.. انهم ملكك ..

ابتسم في سعادة لإعترافها الذى يزيده شوقاً لقربها :- طيب
.. و ايه رايك نعيدها !!!

لمعت نظراتها :- صحيح يا عاصم؟! وصفقت بكلتا يديها
فرحا كالأطفال مما دفع الضحكات لشفتيه .. فجذبها من كفها
في حماسة .. و أسرج عزيزة .. و قربها منه ليدفعها لأعلى
الفرس لتستقر فوق السرج .. و يعود ليفك لجام عزيزة و
يضبطه .. و يتأكد من جديد على متانة السرج و ثباته .. و
ما ان هم بالقفز ليحتل مكانه خلفها حتى هتفت هي في
صوت مضطرب متقطع :- ألحقنى يا عاصم ..

اندفع اليها .. لا يدري ماذا يحدث
حتى وجدها تسقط فاقدة الوعي بين ذراعيه ..
ليصرخ مناديا بأسمها و لكن .. كانت هي في عالم اخر ..

جلس زكريا متمللا منكس الرأس منذ دخل بيت الحاج
وهيب .. خاصة في وجود ابنته و زوجته و التي كانت كل
منهما تروح وتجئ في نشاط محموم منذ ان وطأت قدماه
ارض المنزل ..

اندفعت احدهما و التي لم يدرك انها ابنته .. تلك التي وقفت
في وجه السمرى الا عندما اقتربت و بدأت تضمد جراحه
فأنتفض فزعا .. يرفع وجهه لتتلاقى نظراتهما فيخفضه من

جديد مؤكدا في إصرار وهو يتناول منها المطهر و القطن
الطبي :- عَنكَ .. انى أجدر أطيب حالى..

تركت له المطهر و القطن و تعجبت وهى تجلس في احد
الأركان تتطلع لذاك الرجل الذى لم يتطلع اليها ولو للحظات
وهى تلك الجميلة التي تشرأب الاعناق لمراها متى ما
وضعت اقدامها خارج منزل ابيها ..

كانت لاتزل تراقبه حتى انتهى من تطهير جراحه .. فهتفت
في امتنان :- و الله الواحد مكسوف منك يا سى زكريا ..
مش عارفين نتشكر لك اذى ..؟! .. لولاك .. كان سمرى
الضلالى جاب الدكان فوقانى تحتانى وكان بهدلنا في قلب
الحارة ..

رد زكريا في احراج :- مفيش شكر و لا حاجة .. دى حاجة
بسيطة .. ربنا يكفينا شره .

هتفت نعمة وهى تضع أطباق الطعام على الطبلية :- امين يا
خويا .. لحسن ده راجل شرانى و نابه ازرق.

نهض زكريا في اضطراب هامساً للحاج وهيب :- مش
هتورينى أوضتى فين يا حاج..؟

هتف الحاج وهيب في صدمة :- هو حد قالك علينا بؤلة و لا
ايه..؟! .. منتش متع من هنا الا لما تتغدى معانا ..

هتف زكريا :- اعفينى يا حاج .. بالهنا و الشفا عليكم ..
هتفت بدور في عزم :- برضة يا سى زكريا..؟! .. ترفض

يكون بينا عيش و ملح ..

صمت وهو منكس الرأس و لم يستطع التعقيب فهتف الحاج
وهيب في سعادة :- غلبتك بدور ..ياللاه .. تعالى كل معانا

لقمة .. يبقى عيش و ملح .. قبل ما تطلع اوضتك تستريح...
جلس زكريا في هدوء و بدأ الجميع في تناول الطعام

مرحبين به بينهم ..

اندفع الخفير سعيد مستدعيا الطبيب ما ان صرخ فيه عاصم
أمرا بذلك و هو يحمل زهرة مندفعاً لداخل السرائ صاعداً
الدرج في عجلة .. و اندفعت خلفه الحاجة فضيلة التي ما
ان شاهدت ولدها يحمل زهرة فاقدة الوعي بين ذراعيه حتى
صرخت في هلع و اندفعت تصعد الدرج خلفه ..

وضعها عاصم على الفراش لاهثاً في دعر حقيقى عليها ..
ينادى باسمها في وجل محاولاً أفاقها و الربت على وجنتيها
لعلها تستجيب لنداءه ..

اندفعت الحاجة فضيلة تهتف في لوعة :- ايه اللى حصل يا
عاصم!؟ ما انتوا خارجين زينين ..

اندفع عاصم لطاولة الزينة يضع بعض العطر على كف يده
و يعود ليقربه من انفها وهو يرد في نفاذ صبر :- معرفش
يا حاجة .. معرفش .. فجأة لجيتها وجعت من طولها فجيت
بيها جرى على هنا ..

قرب عاصم كفه المعطر من انفاش زهرة التي أخيرا
استجابت ..

لتهممهم في وهن محركة رأسها ذات اليمين و ذات الشمال
ببطء فتتنفس عاصم الصعداء .. في نفس اللحظة التي وصل
فيها الطبيب على باب الحجرة طالبا الإذن بالدخول ..
دخل ليفحص زهرة .. لينسل عاصم مبتعداً .. تاركاً أمه
تباشر مهامها و خرج بنفس هو في توتر حتى انه لم
يستطع مداراة قلقه و حنقه في ذات الوقت فاندفع يزرع
الردة الطويلة خارجاً .. ذهاباً و إياباً .. حتى انفرج الباب
أخيرا عن خروج الطبيب مصحوباً باندفاع مفاجئ لزغاريد
أمه الحاجة فضيلة ..

وقف كالمشدوه لا يعلم ما يحدث حتى ابتسم الطبيب وهتف
مشاكساً :- اهى زغاريد الحاجة قالت كل حاجة .. ألف مبروك
يا عاصم بيه .. الهوارى الجديد ف السكة ..

تسمر عاصم للحظات محملاً في الطبيب الذي اتسعت
ابتسامته و نقل نظراته لأمه التي أومأت برأسها تأكيداً على
ما قاله الطبيب لتوه ليهتف عاصم أخيراً :- إنت متأكد يا
داكتور..!؟

قهقهه الطبيب :- و الله .. على حسب معلوماتي الطبية
المتواضعة .. اه .. متأكد ..

هتف عاصم معذراً :- العفو يا دكتور .. متأخذنيش ..
مجصدش

ربت الطبيب بمحبة على ذراع عاصم هاتفاً :- و لا يهملك ..
بس لازم دلوقتي أكد على حاجتين .. الراحة التامة للمدام ..
لأن الحمل ضعيف و لسه في الاول .. ثانياً .. التغذية
الكويسة لحد لما تقدر تتابع مع دكتور متخصص ..
هز عاصم رأسه مؤكداً وهو يصحب الطبيب مودعاً أياه
للخارج .. ثم عاود صعوده لحجرتة لتتركه امه مندفعة في
حماسة لتغذية ام حفيدها المنتظر.

دخل عاصم الغرفة و أغلق بابها خلفه في اضطراب واقترب
من زهرة المسجاة على الفراش في وداعة و انحنى ممسكاً
على شعرها في محبة .. ثم قبل جبينها في وجل .. فتحت
عينيهما لتطالع محياه المشدوه فأبتسمت في سعادة وهي تمد
كفها تلتقط كفاه و تضعه على بطنها هامسة :- مبروك يا أبو
مهران..

ارتجفت كفاه تحت كفها و فجأة

وجدته يلقي برأسه على صدرها

و كأنه صدق أخيراً النبأ السعيد..

ضمت رأسه لصدرها أكثر تذرعه بين اضلعها و تستنشق

رائحة روحه عليها ترزق بطفل يشبهه كثيراً كما تمننت ..

و تذكرت رؤيا الحاج مهران فأبتسمت و هي تقبل جبينه

هامسة:- مبسوط يابو مهران وسندس ..

همس من بين أحضانها :- مبسوط دى كلمة جليلة يا
زهرة.. و رفع رأسه قليلا ليقابل عينيها وهو يهمس في صدق
:- انا لو أطول احط الدنيا كلها تحت رجلكى دلوجت ..

أجيبها لجل عيونك ..

دمعت عيناها حبورا .. و تساقطت دموع الفرح على خديها
وهى تقول :- انا مش عايزة حاجة غير انك تروح تبشر
عمى ان رؤيته صدقت ..

مد كفيه ليمسح دمعاتها و ينهض مقبلاً أياها ثم يندفع
ليبشر الحاج مهران .. ان مهران الصغير سوف يقبع
صارخاً بين ذراعيه في غضون تسعة أشهر على الأكثر

تناول الحاج وهيب كوب الشاي الذى أعدته ابنته فى عجلة
قبل ان تصعد هي و نعمة زوجته لترتيب حجرة زكريا قبل
ان يتسلمها

ليهتف الحاج وهيب ممتنا :- ربنا يبارك لك يا بنى .. انا
لسه كنت بقول اذاي واحد لا نعرفه و لا يعرفنا يقف يدافع
عنا كده ..؟!.. ده محدش من اهل الحارة ادخل .. كله خايف
من السمري و رجلته ..

هتف زكريا متعجباً :- كيف ابجى راجل و واجف و شايفه
بيمد يده على حرمة و مجفلوش ...!!!

هتف الحاج وهيب معجبا :- راجل و سيد الرجالة يا بنى ..
ربنا يخليك و يبارك لك .. اصل انت متعرفش سمري ده
عامل فينا ايه ..؟!.. من ساعة ما بدور بنتى اترملت و هو
حاططها في دماغه و جه أتقدم لها فعلا بس بعد ما طلع
عينا قلة ادب و حاول معاها كذا مرة و لما لقي ان ملهاش
سكة الا الحلال جه يتقدم لها و يطلب ايدها .. بس طبعا
بدور مقبلتش بيه و انا مقدرتش اضغط عليها .. كفاية مرة
واحدة و اللى حصل من وراها ..

صمت الحاج وهيب و استطرد عندما لم يعقب زكريا لكنه
لمح شبح فضول يحوم على ملامح وجهه :- انا ضغطت
عليها مرة و كنت فاكرا انى بعمل الصبح ..
أكد زكريا :- اكيد يا حاج انت ابوها يعنى في الأول و في
الآخر كنت عايز مُصلحتها ..

هتف الحاج وهيب في لهفة كأنما جاء كلام زكريا على وتره
الحساس :- ايوه يا بنى .. و الله كنت عايز مُصلحتها و كنت
عايزها تبقى في عصمة راجل يحميها و يحافظ عليها لأنها
مطمع و انا مش عايش لها العمر كله .. لكن الراجل الكبير
اللى غصبتها تتجوزه عشان يحميها هو اول واحد بهدلها و
عيشها في عذاب و قلة قيمة .. خمس سنين يا بنى عاشتهم
في بيته خدامه ليه و لولاده مشفتش فيهم الراحة و لما
مات .. عياله رموها بالهدمة اللى عليها بعد ما مضوها على
تنازل عن كل ورثها من ابوهم و رجعت لى أيد ورا و أيد
قدام بعد ما ضاع من عمرها خمس سنين بسببى .. بعد ده
كله مقدرش اغصب عليها في اى حاجة تانى كفاية اللى
شافته .. حتى الرجالة اللى كانوا بيتقدمولها بعد ما مات
جوزها من سنتين كانوا بيطفشوا اول ما يعرفوا ان سمرى
حاططها في دماغه بيقصروا الشر و يبعدوا عنها .. منه لله
سمرى موقف حالها و هي مش راضية بيه و عندها حق ..
يعنى بعد اللى شافته مع جوزها الله يرحمه وولاده .. يبقى
اخرتها مع سمرى .. ده حتى ميرضيش ربنا ..

قطع كلام الحاج وهيب دخول بدور و نعمة و كلتاهما تلتقط
أنفاسها في تتابع مرهق مما دفع زكريا ليرفع رأسه منتبها
ليطلع الي بدور للمرة الأولى .. هي بالفعل جميلة الطلة ..
مريحة القسمات .. وجهها طفولى النظرات لا ينقصه الأنوثة
حتى ان لطخات الغبار التي تغطي الان احدى وجنتيها و
جبينها لم تستطع إخفاء ملامح الجمال .. و لا ذاك اللون

القرمزي الذي اعتلى وجنتيها خجلاً عندما لاحظت تفرّس
 زكريا بها للمرة الأولى ..
 انتبه هو لتلك النظرات التي ألقاها بلا إرادة منه فتنحج في
 احراج و نهض منتفضاً و هو يهتف :- طب استأذنك يا حاج
 .. اطلع اوضتي و اسيبك تستريح ..
 هتفت بدور :- خلينا الأوضة بقت عروسة .. يا رب تبقى
 عتبه السعد عليك ..
 اخفض زكريا نظراته كالعادة وهو يهمس بإحراج وهو يمر
 بجوارهن مغادراً الغرفة :- تعبناكم ..
 همست بخجل :- تعبك راحة يا سى زكريا ..
 غادر صاعداً مع ابيها الذي اصر على اصطحابه للغرفة
 ليتأكد بنفسه انه لا ينقصها اى شيء .. غادر و ترك
 ابتسامة خجلى على وجه طفولى ملطخ بالغبار ..

اندفعت سهام لداخل السرائ و هي تحمل صغيرها باسل
 على كتفيها في فرحة مهللة :- الله اكبر .. الله اكبر .. ثم
 أطلقت زغرودة مدوية جذبت اليها كل من بالسرائ ..
 ظهرت الحاجة فضيلة من داخل مقعدها الصيفى في القاعة
 البحرية و هي تقهقه على أفعال ابنتها و ما ان طالعتها
 سهام حتى اندفعت اليها في حبور تقبل وجنتيها :-
 مبروووك يا ام عاصم .. والله و اتحجج المراد .. ربنا يجوم
 زهرة بالسلامة ..

ابتسمت الحاجة فضيلة لابنتها :- ياارب يا بتي يتم لها
 بخير .. انت مشفتيش عاصم اخوكى كانت فرحته كيف لما
 عرف .. و ازدادت ابتسامة الحاجة فضيلة اتساعا و هي
 تتذكر رد فعل ابنها عندما ابلغه الطبيب بحمل زهرة ..
 واستطردت هامسة :- ده كان هيمسك السما بيديه من
 الفرحة ..

.....

لتنفجر كلتاها ضاحكتين و هما في طريقهما للأعلى حيث
حجرة زهرة ..و التي وصلتها سهام لتدخل في اندفاع بعد
عدة طرقات متسرة .. و اندفعت لزهرة التي كانت متكئة
على الوسائد خلف ظهرها ..

ابتسمت زهرة في سعادة ما ان طالعتها سهام بإندفاعها
المعهود

و نثرت القبلات على خديها و هي تهتف :- مبروك يا
مرت خوى ربنا يتم لك بخير يا رب .. بصى بجى .. انت
تخاوى باسل الأول .. و بعديها على طوول تجبييله
عروسة .. انا بجولك اهو ..

انفجرت كل من الحاجة فضيلة و زهرة ضاحكتين على
تحكمات سهام الغير منطقية و ردت عليها الحاجة فضيلة :-
طب و افرض جابت العروسة الأول .. هتعملى ايه يعنى!...
مش تجولى الحمد لله .. كل اللى يجيبه ربنا كويس بس
ياجى على خير و هي تجوم بالسلامة ..
هتفت سهام :- دايم كده كلامك ميتردش يا حاجة ..
صدجتى و الله ..

كان دور زهرة لتهتف ضاحكة :- طيب و ايه قولكم في اللى
يجيب الاتنين سوا .. ؟!! ..

تنبعت كل منهما و فغرت كلتاها فاها غير مصداقات لظنهما
و استنتاجهما .. لتزداد قهقهات زهرة و هي تومئ برأسها
إيجابا كأنما تؤكد لهما صحة ظنهما ..

و كانت سهام اول من هتف :-جصدك تجولى انك حامل في
توأم يعنى ...؟! ..

أكدت بإيماءة من رأسها و قالت في سعادة :- لما رحنا
للدكتور أكد انهم توأم .. لسه معرفش النوع ايه .. لكن قال
انهم اتنين .. و ازدادت ابتسامتها اتساعا ..

همت سهام بإطلاق زغرودة جديدة الا ان الحاجة فضيلة
أسرعت بإغلاق فمها محذرة :- اياكى ..

هتفت سهام في حنق :- ليه ياما خلينا نفرح .. و توجهت
لزهرة مازحة .. كده الهوارية هاييجوا سابجين بخطوة ..
تاريكى مش سهلة يا زهرة .. دكنتي و بتجيبى بالچوز ..
انفجرت زهرة ضاحكة و الحاجة فضيلة تخمس في وجه
ابنتها .. وتهتف مؤكدة :- ااها شفتى .. عشان كده
معيزاش حد يعرف .. خلى حبلها يعدى و يكمل على خير يا
بتى .. الناس مبتسيبش حد في حاله .. و العين حج ربنا
يكفيننا شر المستخبي .

ابتسمت سهام لأمها مؤكدة :- عندك حج يا حاجة .. و انت
خلى بالك على حالك بجى يا زهرة .. و تفرحى بشوفيتهم يا
رب ..

هتفت زهرة في تمنى :- ياارب يا سهام .. اهو الدكتور طلب
الراحة التامة و اديكى شايقة مش بتحرك من مكانى تقريبا
.. قالت كلماتها الأخيرة في شبه امتعاض ..

فهتفت سهام :- لاااه .. انت لحجتى تزهى...؟! .. لسه
بدرى و المشوار لساته طوويل ..بصى .. انا يوماتى
هتلاجينى عندك اسليكى انا واد المچنونة ده .. و اشارت
لولدها الذى تركته يحبو مبتعداً عنهما في اتجاه الطاولة
البعيدة في الجانب الاخر من الغرفة و قد جذبه غطاؤها ذى
الألوان الزاهية .. انفجرت زهرة و الحاجة فضيلة
ضاحكتين لتعليق سهام و اجتذب باسل انظارهن و هو
يحاول التماسك لينهض ثم يسقط فجأة في وضع الجلوس و
ينفجر ضاحكاً مجارياً لضحكاتهن ليحبو من جديد معاوداً
اندفاعه في اتجاه الألوان الزاهية لغطاء الطاولة البعيدة ..

جال زكريا ببصره في الغرفة بعد ان أغلق بابها خلف الحاج
وهيب.

كانت غرفة متواضعة تم تنظيفها بمهارة لتصبح على قدر
الإمكان قابلة للسكنى .. سرير معدنى صغير بالكاد سيكفيه
ممددا و كرسي خشبى عليه شلت منجدة منذ زمن بعيد .. و
موقد افقى و طاولة خشبية تترنح قليلا اذا ما استند عليها ..
و عدة مسامير بالحائط لتعليق ملابسها عليها و مرآة على
احد الحوائط فقدت بعض من بريقها .. و أخيرا نافذة خشبية
تفتح على سطح المنزل الواسع و الذى يمتلى بأحبال
مختلفة الأطوال ممتدة من احد الجوانب للجانب الاخر
بغرض نشر الملابس المغسولة عليها...

تنهد زكريا في راحة و اندفع يتمدد على الفراش متأوها فقد
كانت كل عضلة من عضلات جسده تنن ألماً و رغبة في
الراحة بعد ما مر به منذ وصل القاهرة .

راح فكره يأخذه في نواح شتى وتذكر كل التفاصيل و
الحكايات التي مر بها .. و أخيرا و دون ان يشعر تسلل
الكرى لجفونه ..

و كأن تمدده ذاك كان كفيلا بأن يدفعه دفعا ليغرق في نوم
عميق من اثر التعب و الإرهاق ..

هتف عاصم مازحاً وهو يندفع لحجرة نومه ليرى زهرة
ممددة على الفراش كعادتها منذ اكتشاف

حملها :- الچميل عامل ايه النهاردة!؟

انفرجت اسارير زهرة لمرأه لتهتف بحبور :- الحمد لله ..
اهو واخدة وضع التمثال لحد ما ربنا يفك اسرى...

انفجر ضاحكاً :- معلش .. كله يهون ..بصى انا ججبت لك
ايه ..!؟

واندفع ليخرج عدة روايات من حقيبة بلاستيكية كانت
بحوزته عند دخوله وجلس بجوارها ماداً كفه بهم هاتفاً :-
شوفى .. روايات من النوع اللى بتحببىه .. عشان تتسلى
بيهم و متحسش بالوجع و متبجيش مضايجة ..

تناولت الروايات في فرحة تقلب فيهم و هي سعيدة لإهتمامه
و فجأة جذب انتباهها بضحكاته و هو يهمس :- روايات
عشج و مسخرة ..

لتنفجر زهرة مقهقهة على تعليقه الذي يذكرها برأيه فيما
كانت تقرأ في السابق .. و استطرد من بين قهقهاته هاتفاً :-
الراجل بتاع المكتبة اول ما شفهم في يدى .. بجى يطلع لى
شوية و بعدين يرجع يجلب في الروايات .. مش مصدج ..
و عاود عاصم قهقهاته التي تلاحمت مع قهقهاتها بدورها
لتهمس أخيرا :- مش مصدق ايه بس ...؟!.. ده انت العشق
كله يا عصومى ..

تحشرج صوت عاصم تأثرا و هو ينظر لعرق عينيها و
أخيرا يتحنح هاتفاً :- طب اجوم انا عشان لو جعدت اكتر
من كده همثل لك رواية من دوول و الدكتور جال مفيش
روايات عشان صحتك ..

انفجرت ضاحكة و هو يندفع خارجا من الغرفة متحسرا

وقف زكريا امام الهاتف العمومى يضغط على اذراره في
تركيز و ينتظر في وجل ان يُرفع الهاتف على الجانب الاخر
.. و أخيرا و قبل ان يغلق الخط حانقا جاءه صوت امه لاهثاً
:- ألو .. ألوو..

هتف زكريا بشوق :- ألو .. كيفك ياما ..
هتفت بخيئة :- زكريا يا ولدى كيفك!.. غيب و جلت
عدولى

مش تطمنى عليك ..!!..
هتف زكريا :- انا بخير يا حاجة متجلجيش و سكنت عند
ناس طيبين و كل حاجة تمام ..
قالت بخيئة :- الحمد و الشكر ليك يا رب .. طب و اشتغلت
...!!..؟

قال :- لاه .. لسه هدور على شغل باذن الله .. دعواتك ..

قالت بخيئة متلهفة :- انا مجلتلكش صحيح ..؟!.. مش مرت
 اخوك ولدت و ربنا رزج بواد الله اكبر ..
 هتف زكريا في حبور :- الله اكبر .. حمدالله على سلامتهم ..
 خلى بالك منهم ياما ..
 هتفت بخيئة :- في عنايا يا ولدى بحج الله .. البنية
 مجصرت معايا من ساعة ما دخلت الدار وهى شيلانى على
 كفوف الراحة و بعد ما ولدت حلفت ما حد يسمى ولدها
 غيرك ..
 هتف زكريا مندهشا :- انى ..؟!..
 أكدت بحية :- اه .. انت .. ومستنياك تسميه ..
 صمت زكريا للحظات و أخيرا هتف في هدوء :- سمية
 حمزة .. حمزة ياما .. عايزه أسد يعرف يدافع عن حجه و
 يجيبه من حنك السبع...
 هتف صوت كسبانة على الجهة المقابلة :- يبجى حمزة يا
 سى زكريا..
 كانت قد تناولت الهاتف من بخيئة عند علمها بأن المتصل
 زكريا لتخبره بوضعها ..
 تتحنح زكريا محرجا :- كيفك يا مرت اخوى .. زينة!؟..
 هتفت كسبانة :- بألف خير طول ما انت بخير يا سى زكريا
 و حمزة بخير و بيجلى سلميلى على عمى ..
 ابتسم زكريا في حبور وهتف :- ربنا يبارك فيه .. و يبجى
 راجلك و عزوتك .. مرت اخوى ..؟!.. لو احتجتوا اى حاجة
 .. مهما كانت .. عليكى وعلى عاصم واد عمى .. هو هيتكفل
 بكل حاجة .. خلاص ..؟!..
 هتفت في تأكيد :- حاضر يا سى زكريا .. هو عاصم بيه
 مش سايبنا و على طول بيطل علينا و مش مخلينا ناجصنا
 حاجة .. البركة فيكم..
 هتف زكريا :- طب الحمد لله ..
 همست كسبانة :- الحمد لله ..

وتناولت بخيئة من كفها سماعة الهاتف و بدأت في محادثة ولدها لدقيقة او اكثر ثم أغلقت الخط و هي تبكى حسرة على بعباده الذى كانت تعتقد انه انتهى أخيرا ..

كان يمكنها البقاء معه في القاهرة في شقتها التي كان يتولى دفع إيجارها ناجى التهامى والد زهرة لكنها كانت تعلم انه لن يرضى بذلك .. فهو لن يقبل ان يظل في شقة لا يدفع هو ثمن إيجارها و لا يستطيع أيضا ان يدفعه من ماله الذى يكسبه بشق الأنفس بعد ان قرر و بلا رجعة ألا يمس المال الذى اصبح من نصيبه من ميراث ابيه و الذى أعاده اليه عاصم من براثن سليم و كان السبب في الشقاق بينهما.. لو تعلم ان بقاءها معه سيكون له جدوى ما تأخرت عن اللحاق به لكنها تعلم ان وجودها سيكون حجر عثرة في طريق اختاره لنفسه حتى يحقق ما يريح قلبه و يعيد له كرامته الضائعة ..

خرجت بخيئة من شرودها على بكاء حمزة صارخاً من الحجرة المجاورة .. و تطلعت الى كسبانة و هي تندفع لوليدها و ما هي الا لحظات حتى عادت به لمجلستها تحتضنه لصدرها فيهدأ الصغير في وداعة ليأتيها صوت كسبانة هامسة ومداعبة

لطفها :- حمزة .. عمك اختار هوك .. جال عشان تبجى أسد و تجيب حچك من حنك السبع .. تبجى راجلى و سندی .. سمعنى يا حمزة ؟!!..

دمعت عينا بخيئة و هي ترى في كسبانة أيام ماضية ولت .. ترى فيها نفسها و كأنها تقف امام مرآة تعكس ألم روحها و عذابات ماضيها و صورة مصغرة منها وهي تحمل زكريا و تهمس في أذنيه بنفس الكلمات و لكن هل تأتى رياح الأيام بما شتتاه سفن النفس ؟!!.. تمنى ذلك من صميم قلبها .. وهي تبتسم لمداعبات كسبانة لولدها .. حمزة .

جلست بدور على مقعدها المفضل بجوار تلك النافذة المظلة
على الحارة و هي تحكم شالها الصوفي حول كتفيها مستمدة
منه الدفاء و تحتضن كوبا من الشاي الساخن بين كفيها
ليطالها المزيد من سخونته في ذاك الجو البارد الذي ينذر
بهطول الأمطار التي بدأت تسقط بالفعل أولى زخاتها على
النافذة أمامها مما جعلها تتذمر لأنها بدأت تحجب الرؤية
أمامها

و رغم ذلك استطاعت تمييز ذاك الشبح ذو الجلباب الذي
خرج يجرى من مدخل بيتهم حتى مدخل الحارة محاولا
الإحتماء من الأمطار و التي زادت وتيرة هطولها .. و فجأة
انتفضت عندما ادركت انها نسيت ما امرها به ابوها بعد ان
عاين غرفة زكريا بالأعلى ..

لقد أكد عليها ان تخرج له بعض الأغذية و البطاطين
الصوفية ليستخدمهم في هذا البرد القارس .. كيف لها ان
تنسى ذلك ...؟! ..

نهضت على عجاله و توجهت للغرفة تجذب الأغذية من
فوق خزانة الملابس ..

ضمت الأغذية لصدرها و توجهت للباب لتطالعها نعمة
هاتفه :- على فين العزم بالبطاطين دى ..؟! ..
ردت بدور :- للراجل الغلبان اللى نسيناه فوق من غير غطا
في البرد ده .. مش ابويا منبه علينا .. اذاي نسينا نطلعهم ..
انا هروح أحطهم في الاوضة .. هو مش موجود .. لسه
شيفاه خارج ..

هتفت نعمة مستنكرة :- هاتطلعي في المطرة دى ..؟! .. ده
أنتِ عقبال ما توصلي باب الاوضة هتكوني غرقتي ...
اكدت بدور :- معلى ... هلق نفسي بس منسبش الراجل
كده .. دى غلطتنا ..

و اندفعت لخارج الشقة و منها للأعلى حيث غرفة زكريا ..
بالفعل حدث ما توقعته نعمة فقد تبللت بكاملها ما ان وصلت
لباب الغرفة و فتحتها لتدخل .. وضعت البطاطين على
الفراش و التي حمدت ربها انها لاتزل جافة في غلافها
البلاستيكي و أخذت تحاول نفض المياه عن شالها الصوفي
و منديلها الذي تعقف به شعرها .. قبل ان تندفع من جديد في
مغامرة العودة للأسفل..

فكت منديل شعرها و بدأت في نفضه بالفعل و اندفعت تخرج
من باب الحجرة تحاول رفع الشال على رأسها اتقاء لمزيد
من البلل .. تجرى منكسة الرأس تحاول ان لا تنزلق قدمها
في بركة المياه التي صنعها المطر على ارض السطح
الاسمنتية .. و لكن ..

في اثناء اندفاعها .. كان في المقابل يندفع احدهما في
الاتجاه المعاكس لها داخلا للسطح يحاول بدوره الإحتماء
من المطر ..

صدمة شديدة نتيجة الإندفاع هي كل ما حصل عليه كلاهما
.. حاول هو قدر استطاعته التمسك بها حتى لا تسقط لكنه
لم يفلح .. بل الأدهى .. انه سقط معها .. سقوط مدوى ..
ورزاز ماء ينتشر من كل مكان .. زخات من المطر و من
بركة المياه بالأسفل منهما و التي سقطا فيها ..
استفاق كلاهما من الصدمة و نظر كل منهما للآخر في
ذهول ..

كانت هي اول من نهض .. و لا تعرف ما الذي دفعها لتجذب
الشال على جسدها .. ذاك الشال المبلل بل الذي شبع بللا و
اصبح عبء عليها بكمية المياه التي تشربها نسيجه
.. تصرف احمق .. هي شعرت بذلك و لكنها كانت في حاجة
للحماية أو الشعور بالأمان ففعلت ما اشعرها بذاك الإحساس
حتى ولو كذبا .. نظرت اليه من جديد قبل ان تندفع للأسفل
لتجده ينهض من بركة المياه و قبل ان يصل لغرفته يستدير

لينظر اليها .. و قد شعر انه عندما اصطدم بها .. قد تبدل فيه شيء ما .. شيء لا يدرك كنهه و لكنه شعر ببعض الفقد .. فقد ذاك المجهول الذي لا يعرفه و يشعر بأنها استولت عليه عندما ذهبت و غادرته الان ..

تسلل عاصم على اطراف أصابعه وهو يذلف لحجرته .. بدأت أشهر الوحم بالنسبة لزهرة و ما ان تراه حتى تهتف به طالبة شيء عجيب يليه شيء اعجب .. بالكاد يستطيع السيطرة على أعصابه التي بدأت تنهار من طلباتها التي لا تنتهى و التي لا تُعقل من الأساس ..

تقدم قليلا في ثبات باتجاه الفراش يحاول ان يكون حريصا قدر الإمكان على عدم إيقاظها فهو بالكاد يستطيع فتح جفونه من كثرة التعب و كل ما يطلبه الان هو القليل من النوم و الراحة بعيدا عن الطلبات الغريبة في منتصف الليل

..

خلع نعليه بالفعل و بدأ في تبديل جلبابه حتى انه أجل حمامه للصباح و بدأ يتسلل للفراش و فجأة .. استيقظت زهرة تتطلع حولها في تعجب و انفها الحساس للروائح تلك الفترة اصبح كقرون استشعار مرهفة .. رفعت جزعها عن الفراش و استدارت لتجد عاصم بجوارها يتظاهر بالنوم... لحظات و بدأت معدتها تمور و انتفضت تحاول اللحاق للدخول للحمام لتفرغ ما بها ..

عادت وقد نهض عاصم مشفقا عليها يتبعها حتى اذا ما وصل اليها كانت هي انتهت بالفعل تمسح وجهها بمنشفة و تضعها جانبا و ما ان اقتربت منه .. حتى عاودها الغثيان من جديد فهتفت في وهن :- اخرج يا عاصم .. مش طايقة ريحتك ..

هتف عاصم متأسفا :- يمكن عشان چيت من برة و مخذتش دش ..؟!

و بدأ عاصم يتشمم ملابسه في تعجب.
اشارت بكفها وهي تضع الكف الاخر على انفها و هتفت من ورائه :- عشان خاطري اخرج .. بجد مش قادرة يا عاصم

اندفع عاصم من أمامها حانقاً و هو يغغم في ضيق :- كده كتير .. و الله كده كتير ..

و خرج مندفعاً لحجرة ابيه يطمئن عليه بعد ان طار النوم من عينيه..

دخل ليجد ابيه جالسا في هدوء يهز رأسه هامساً مرتلاً
لبعض آيات من القرآن الكريم الذي يفتحه الان على مصرعيه أمامه على مسنده الخشبي الخاص به ..
انهى الحاج مهران قراءته و انتبه متعجباً لولده الذي هتف في غيظ و كآته لا ينتظر من يسأله :- حتى انا مش طيجاني .. حمل ايه ده ..؟! ..

انفجر الحاج مهران ضاحكاً تلازمه نوبات سعاله و أخيراً هتف :- يا ولدى ما هي الحامل كده .. كل يوم بحال ..
تقدم عاصم ليتمدد بجوار ابيه في إرهاق .. ليبتسم الحاج قدرى في إشفاق و هو يضع كفه على جبين ولده هامساً :-
طب نام هنا چار ابوك .. و بلاها حريم ..

همس عاصم مغلق العينين :- صُح .. بلاها حريم ..
قهقه الحاج مهران :- طب عيني في عينك كده يا واد فضيلة ..؟! ..

حاول عاصم مداراة ضحكة فرضت نفسها على شفثيه وهو يستدير باتجاه ابيه هاتفاً :- انا نعست...

قهقه الحاج مهران وهمس في حنو بالغ و هو يربت على رأس عاصم الذي بدأ بالفعل يخطو نحو النعاس :- نوم العوافي يا ولدى و بدأ يتزحزح قليلاً ليكمل تمدده بجوار

عاصم بعد ان أغلق مصحفه ووضع جانيبا و ضغط بكفه زر
الإضاءة القريب من رأسه ليغم الظلام ..

الفصل الثالث

بدأ زكريا عمله في ذاك المتجر الذي كلم الحاج وهيب
صاحبه ليوظفه عنده .. كان متجر لمستلزمات البناء و
أساساته من طوب و إسمنت و أخشاب .. لم يكن زكريا على
علم بالمطلوب منه بالضبط لكنه كان متحمسا للتعلم و
المعرفة .. في البداية بدأ في نقل أحوال الإسمنت و رصها
في أماكنها المعتادة و كذلك بعض الأخشاب و أدوات الحفر
و الترميم و اوانى حمل الإسمنت التي يستخدمها العمال في
تحويله للأدوار العليا في المباني المرتفعة قيد الإنشاء...
كان العمل عند الحاج مرشدى ليس بالعمل الصعب لكنه
شاق لحد كبير .. لكن زكريا لم يعبأ ابدا بذلك فكل ما يشغل
باله الان هو كيف يثبت أقدامه في ذاك العمل و يكتسب ثقة
الحاج مرشدى و يتعلم كل ما يستطيع ادراكه و يتشرب
الصناعة بجوارحه .. و في صبيحة احد الأيام و بينما هو
سائر خارج الحارة و وصل بالفعل للربع الأخير منها
متوجها لعمله الجديد في مهمة حتى استوقفه فجأة رجل
ضخم الجثة أشار أمرا بصوت أجش :- المعلم طالبك..
كان الرجل يشير لذاك المقهى البلدى الذى يقبع في الركن
الأيسر من الطريق و الذى يستطيع رؤية كل من يدخل و
يخرج من الحارة بفضل موقعه بالقرب من مدخلها ..
استدار زكريا في هدوء و بدأ في السير خلف الرجل الضخم
الجثة باتجاه المقهى..
و التي ما ان خط زكريا عتبتها حتى سمع صوت جهورى
مرحب في تهليل :- اهلا .. اهلا بسيد الرجالة .. الصعيدى
المجدع...

نهض المعلم خميس اللول من خلف طاولته التي تحتل قلب
المقهى هي و صورته التي تزين الجدار خلفه بشاربه
وجسده الممتلى المتوسط الطول مؤكدة انه المالك الأوحد
لذاك المقهى ..

مد المعلم خميس كفه باتجاه زكريا في مودة حقيقية .. و
بالمثل فعل زكريا على الرغم من توجسه لما يحدث فهو لا
يعلم لما استدعاه المعلم خميس من الأساس وهو لا يعرفه و
لا سبق ان تعامل معه او حتى جلس يوما ما على مقهاه ..
اجلسه المعلم خميس في مكانه المفضل بالقرب من مكتبه
حيث يتسنى له مراقبة الزبائن و كذلك الحركة المتدفقة من
و الى قلب الحارة ..

هتف المعلم خميس و هو يربت بقوة على كتف زكريا :- و
المرسى أبو العباس .. انت مفيش منك اتنين .. وقفت زى
السبع للسمرى و رجالته و لبستهم تُرح .. مجدع بصحيح ..
ابتسم زكريا و قد فهم المقصد من الزيارة :- انا معملتش
حاجة يا معلم .. واحد غلط و بنأدبوه ..

انفجر المعلم خميس مقهقها و هو يربت على كتف زكريا
من جديد :- تعجبني يا صعيدى ... ثم استدرك قائلا :- انا لو
كنت موجود مكنتش خليته يقرب لحد في الحارة و
خصوصى الحاج وهيب و اهل بيته .. انا كنت بره الحارة
بجيب لوازم للقهوة .. بس انت ما شاء الله عليك ... سديت و
قمت بالواجب و زيادة .. بص بقى .. انا هجيك دغرى .. انا
عايزك تبقى واحد من رجالتى .. ايه قولك ؟! ..

على قدر تعجب زكريا من مطلبه الا انه لم يبد تلك الدهشة و
هو يقول مبتسما في هدوء :- معلش .. اعفينى يا معلم ..
طلبك على عيني و راسى .. بس انى بجد مليش في شغل
الفتونة ده .. انا راجل عايز امشى جنب الحيط و تيجى معايا
سلامات من غير مشاكل و بالذات ان الظابط حاططنى في
دماغه من يوم العركة أياها .. ويمكن من جبليها كمان ..

ربت المعلم خميس في تفهم على كتف زكريا و هو يهز
رأسه مدركا ما يقصده و أخيرا هتف :- خلاص يا زكريا ..
على العموم فكر و انا قهوتي مفتوحة لك على طول و انا
تحت امرك في ايتها حاجة .. انا استجذعتك .. و انا اللي
استجذعه و ينخشش في نفوخي مبيطلعش خلاص .. و انا
استجذعتك .. و يا بخت اللي يعزه المعلم خميس اللول ..
حبيب الكل ..

ضحك زكريا في مودة و هتف في راحة حقيقية :- تسلم يا
معلم لول ..

ثم نهض زكريا مستأذنا :- طب ألحج انا شغلي يا معلم .. و
متشكرين على الشاي ..

نهض المعلم خميس من مقعده مودعاً زكريا و هو يهمس
خلفه في

حسرة :- خسارة و الف خسارة .. جدع بصحيح ..

اندفع عاصم الى حجرته في ضيق واضح يبحث عن بعض
الأوراق التي قد يكون نسيها في حجرة نومه ولم يودعها
المكتب كعادته .. دخل في عجلة يبحث عنها و نظر باتجاه
زهرة المستلقية دوما على الفراش في ثبات تتطلع اليه
بعيون تتبعه في كل حركة ..

توقف لحظات ينظر اليها و هتف في ضيق :- انا خارج
متجلبش

.. بس استحملي شوية ريحتى اللي مش بطجيتها و اللي
بجالي شهر و اكثر مش بجرب من اوضتي عشانها...
استدار يبحث في احد الادراج و لم يدرك انها خلفه تماما
ترنحت حتى وصلت حيث يقف ولمست ذراعه في شوق
هامسة :- عاصم!!!؟..

انتفض هو و استدار بكليته و قد انتابه الذعر عندما وجدها
تقف خلفه مترنحة بهذا الشكل فحملها بين ذراعيه في خوف

و اتجه بها للفراش هاتفاً :- ايه بس اللى جومك من السرير
...!!...؟..

شبكت كفيها خلف رقبته و دفنت رأسها في صدره و همست
:- اصلك وحشتنى قووى ..

انحنى يضعها على الفراش و هم بالنهوض لكنها ابت ان
تفك تشابك كفيها حول عنقه .. فرفع ناظريه تجاهها هامساً
:- مش اكتر منى يا زهرة و ربنا العالم .. بس انا ..

و جلس على طرف الفراش و رفع يده يفك تشابك كفيها
حول عنقه و يلثم كفيها في شوق ..

عاد للنظر اليها من جديد و شوقه يكاد يقتله فهمس :-
هانت يا بت خالتى .. و بس ياجوا العيال دى .. اما طلعت
عينهم زى ما طلخوا عينا ولاد ..

ابتسمت في شجن و هي تضع كفها على شفتيه هامسة :-
أوعى تشتم ابوهم .. ده حبيبى ..
اقترب منها اكثر و ضمها لصدره

وهو يربت على شعرها في حنو بالغ و دموعها الساخنة
تبلى كتفه حيث يرقد خدما .. و شوقه اليها يكاد يذهب
بتعقله .. ظل بقربها ينعم بمحياها الذى افتقده حد العذاب و
قد نسى كل ما يتعلق بالأوراق التي كان يبحث عنها .. و
تذكر فقط انه بالقرب منها .

كان يصعد الدرج بعد يوم عمل شاق عند الحاج مرشدى كان
كل ما يتوق اليه في تلك اللحظة هو التمدد على الفراش و
الغرق في نوم عميق حتى صباح اليوم التالى..
تناهى لمسامعه وهو يتوجه ليعتلى ما تبقى من درجات حتى
غرفته صوت نعمة و هي تنهر بدور في صوت مؤنب :- ما
قولنا ما تطلعيش في المطرة تودى البطاطين أوضة السطح

.. اهو ده اللى نابك .. نازلة غرقانة مية من فوق و أخرتها
 دور ما يعلم بيه الا ربنا ..
 لم يسمع ردا لبدور غير ذاك السعال الذى تردد في قوة حتى
 وصل الى اسماعه و اخترقها كأنه الرعد ..
 لا يعلم لما توقفت قدماه عن الصعود و تسمر للحظات مكانه
 على عتاب السطح ليجد نفسه يستدير عائدا ليهبط الدرج
 في سرعة ليختفى للحظات خارج البيت ثم يعود حاملا كيسا
 ورقيا .. صعد حتى وصل لبيت الحاج وهيب و امام باب
 شقته وقف للحظات ..
 انحنى ليضع الكيس الورقى و يطرق الباب ثم يصعد في
 سرعة لحجرتة ..
 سمعت نعمة الطرق على الباب فأعتقدت انه زوجها الحاج
 وهيب فأندفعت تفتح في عجالة الا انها لم تجد احدهم بالباب
 .. همت بغلقه لتكتشف ذاك الكيس الورقى لتحمله في تعجب
 و تدخل ..
 هتفت بدور التي كانت تتمدد الان على الأريكة فى ردهة
 المنزل تتدثر بالأغطية الصوفية من رأسها حتى اخمص
 قدميها .. تسعل بشدة في كل دقيقة متعجبة مما تحمل نعمة
 :- ايه اللى في إيدك ده يا نعمة ..؟!..
 هتفت نعمة متعجبة بدورها :- ده كيس برتقان (برتقال) بس
 مين اللى جابه ..؟!.. يكون ابوك بعته .. أصل لقيتة محطوط
 قدام الباب ..
 صمتت بدور و لم تعقب لتتلفت نعمة و كأنها تسأل و تجيب
 نفسها :- بس هيسيبه قصاد الباب ليه ..؟!.. طب ما كان
 جابه في أيده و هو طالع ..
 ثم توجهت بالحديث لبدور هاتفة بخبث :- عارفة مين اللى
 جابه ..؟!..
 تنبعت بدور لتعرف الإجابة .. لتستطرد نعمة بنبرة العالم
 ببواطن الأمور :- الراجل الصعيدى اللى فوق ..

هتفت بدور :- طب و ليه يعمل كده؟! و مخطش ليه يدهولنا
 لو عايز يهادى يعنى؟!..
 ابتسمت نعمة هاتفة :- يا بنتى تلاقيه عارف ان ابوك مش
 موجود مرضيش يخطب علينا و احنا لوحدا .. أنت مش
 شيفاه طالع نازل و عينه في الأرض مبيرفعهاش ..
 و اتسعت ابتسامه نعمة هاتفة :- لا.. وجايب برتقان عشان
 البرد .. تلاقيه عرف انك عيانه..
 صمتت بدور و تذكرت صدمتها به و سقوطهما المدوى في
 بركة الماء فوق ارض السطح فابتسمت و لم تعلق بحرف ..

هتف احد رجال المعلم سمرى في غيظ :- جرى ايه يا معلم
 سمرى!!.. هو احنا هنسيب الواد الصعيدى ده عادى كده
 بعد ما علم علينا لامؤاخذه!..
 صرخ المعلم سمرى خانقا :- نسيب مين !!!.. ده انا
 هجيبه تحت رجليا هنا يطلب العفو و السماح قدام الحارة
 كلها .. و الكبيرة بقى .. و ضحك ضحكة خشنة ملوها الحقد
 مستطرداً:- هخليه يشهد على جوازي من ست الحسن
 والدلال اللى بيحاميها و عامل لنا فيها عنتر ..
 انتشى رجال السمرى و انتفخت أوداجهم ليهتف احدهم :-
 امتى يا معلم .. امتى !!!.. لحسن الواحد من يوميا مش
 عارف يرفع عينه في وش جربوع من اهالى الحارة ..
 اوأ المعلم سمرى برأسه متمهلا و هو يهمس بصوت
 مسموع لرجاله وهو يدفع بمبسم نرجيلته بين شفتين
 صبغهما النيكوتين بلون ازق
 مقيت :- قريب .. كله جاى .. و الحساب يجمع ..

اندفع زكريا صاعداً درج بيت الحاج وهيب في حماسة و ما
 ان وصل للدرجات التي توصله باتجاه حجرته حتى كاد

يصطدم ببدور التي كانت في طريقها للأسفل حيث شقة ابيها ..
تراجع زكريا في سرعة قبل ان يصطدم بها فإصطدام
واحد يكفي و يزيد.. سرعته كادت ان تسقطه مرتدا على
الدرجات خلفه لكنه تماسك قدر استطاعته وهي أيضا لم
تتوانى عن تقديم يد المساعدة التي مدتها ليستعيد توازنه
حيث هتفت في لوعة :- حاسب يا سى زكريا ..
استعاد ثباته من جديد و انتفض من لمستها على ذراعه
حيث انتشلتة .. تنبعت فانتفضت مبعدة كفها و اضطربت
وهي تبرر تواجدها على السطح بالقرب من حجرته :- كنت
بحط لك لقمة كده على ما أسم قبل ما ترجع .. حاجة بسيطة
يا رب تعجبك..

واندفعت مهرولة للأسفل لكن زكريا استوقفها هاتفاً بدوره
:- يا ست بدور!؟..

توقفت فجأة لندائه و رفعت بصرها بإتجاهه ليستكمل قوله
:- الحاج وهيب موجود تحت ...!!؟..

أومأت برأسها إيجابا .. فقال في عزم :- طب انا نازل .. يا
ريت تبلغيه ان انى هنزله دلوجتى ..
هتفت :- طب ما تتفضل ..

قال :- ادخلى ناديه و انا نازل حالا..

خرج الحاج وهيب لزكريا الذى طلب لقاءه و ما ان طالعه
محياه حتى هتف في عزم :- بص يا حاج وهيب .. احنا
خلاص بجينا اهل و كده مينفعش الصراحة .. متزعش منى
.. بس اى اكل هلاجيه فوج هدفع تمنه و الا و الله مانا
دايجه ..

هتف الحاج وهيب :- ايه ده ..!؟ و انا اللى بقول ان

الصعايدة اهل الكرم!؟...

هتف زكريا مؤكدا :- و الله هم فعلا اهل الكرم و الجود كله
.. لكن اهل حج كمان .. و ده حجك يا حاج وهيب .. هو انى

كنت بدفلك اجرة الاوضة عشان تأكلني بيها ..؟!.. ده
ميرضنيش .. عشان كده هزود ايجار الاوضة..
هتف الحاج وهيب في استسلام :- خلاص يا زكريا يا بنى
اللى تشوفه .

هتف زكريا :- تسلم يا حاج .
و اندفع صاعداً لحجرتة مرة أخرى .. دخل الغرفة ليجد
صينية الطعام في انتظاره .. أنعشت الرائحة الذكية صدره و
هو يرفع الغطاء عنها و شعر فجأة بالجوع الشديد امام
منظر الطعام الشهى الذى جلس يتناوله في استمتاع حقيقى
فقد افتقد طعام امه بشدة و هذا الطعام يحمل نفس نفسها
الشهى ..

اندفع عاصم لداخل حجرة نومه بما يحمل من أكياس مختلفة
الأشكال و الأحجام تتبعه الحاجة فضيلة في فرحة ..
و ما ان طالعه وجه زهرة الباسم وهو يدفع الباب والجا الى
داخل الحجرة حتى هتف في حبور:- ازيك النهاردة يا ام
العيال ...!!!

اتسعت ابتسامة زهرة و شعرت بالزهو فهي ستصبح ام
لأطفال ذلك الرجل الذى تعشقه روحها المتعلقة به كمن
يتعلق بسبب وجوده ..

وضع الأكياس أمامها و جلست الحاجة فضيلة بدورها على
الجانب الاخر من الفراش تستمتع بتلك الفرحة البادية من
ولدها و نشوته التي لم يستطع مداراتها ..
جلس بدوره و بدأ في فتح الاكياس بلهفة هاتفاً في حماسة
:- بصى يا ستى .. بعد ما خلاص عرفنا اللى فيها .. واد و

بت ..

ضحكت الحاجة فضيلة عاليا على تشبيه ابنها على ما تحمله
زوجته

ليستطرد عاصم بإبتسامة و هو يفرد ما اخرجه من اول
الاكياس

البلاستيكية :- أدى يا ستى لبس الواد مهران الصغير .. و
أدى لبس البت سندس .. كل الاكياس دى فيها حاجات ليهم
بس ايه بجى مجلكيش ..

ردت زهرة في حبور وهى تطلع للملابس أمامها :- تعيش و
تجيب لهم يا عاصم ..

هتفت الحاجة فضيلة في سعادة فائقة :- ربنا يجعلهم ذرية
صالحة يارب و يرزكم برهم .

هتف كل من زهرة و عاصم مؤمنين على دعائها ..

نهضت الحاجة فضيلة مستأذنة لتطل على الحاج مهران و
ما ان أغلقت الباب خلفها حتى اقترب عاصم من زهرة دافعا

الاكياس جانباً وهو يهمس في سعادة و قد انحنى مقبلاً
جبينها ثم عاد ليستقر أمامها من جديد :- مبسوفة!!؟ ..

احتضنت وجهه بين كفيها في عشق وهى تهمس بدورها :-
مش هكون مبسوفة اكتر من كده يا عاصم .. كل اللى طلبته

من ربنا بيحققهولى .. طلبت يرزقنى بطفل منك و كان أكرم
و رزقنى باتنين .. هعوز ايه تانى .. الحمد لله ..

همس عاصم بصوت متحشرج تأثراً :- الحمد لله ..

و فجأة انتفض من مكانه هاتفاً :- وااه .. نسيت الناس اللى
مستنيانى تحت .. واعية .. نستينى روى انت و عيالك ..

انفجرت ضاحكة وهى تسأله في فضول وهو يبدل ثيابه :-
ناس مين دوول يا عاصم ..؟؟! ..

هتف :- دوول الجزارين .. عشان ندبح عجلين لوجه الله ..
قالت زهرة :- مش لما أولد باذن الله!؟ ..

هتف محتجاً :- لاااه .. احنا مش هنتشرطوا على ربنا .. و
بعدين لما تجومى بالسلامة انتى و العيال يبجى فيها حديث

تانى ..

و ما ان اكمل تبديل ملابسه حتى

هم بالخروج من الغرفة لكنه استدرک و عاد لزهرة مرة
أخرى
لينحنى في شوق هامساً :- خلى بالك على حالك .. انا عارف
انك تعبتى من الرجدة الطويلة دى ..
ها انت .. هزت رأسها إيجابا و على شفيتها ابتسامة حبور
لأهتمامه و تفهمه و زادت سعادتها عندما طبع قبلة على
خدها قبل ان يندفع خارج الغرفة مغالبا شوقه في البقاء
قربها

كان يجلس في غرفته يحضر لنفسه كوبا من الشاي يعينه
على تحمل ذاك البرد القارس..
و فجأة لمح ظلا ما يتحرك على السطح .. شعر برغبة
عجيبة في الخروج و رؤيتها .. شعر انها هي .. ربما
صعدت تحصل على بعض الأغراض من غرفة الخزين
الصغيرة المقابلة لغرفته ..
ظل يسأل نفسه ألف سؤال لم يستطع ان يجد الإجابة داخله
على اى منها .. كل ما يعرفه انه يريد رؤيتها و التأكد انها
بخير ..
لم يحدث مطلقا ان شعر برغبة كهذه تجاه اى امرأة حتى
سهام ابنة عمه كان دافع حمايته لها هو انها ابنة عمه و
وصاية الحاجة فضيلة له بأن يحرص على سلامتها .. كان
يفعل ذلك بدافع الواجب ثم تلك العاطفة التي تولدت تجاهها
فيما بعد .. لكن هذه المرأة التي لا يعرف .. هناك شيء خفى
يجذبه اليها كالمغناطيس .. يشعر انه يشبه البحار الذى
تأسره عروس البحر بسحر غنائها فلا يستطيع الفكك حتى
يجد نفسه غارقا بين الأمواج ولا قبل له على مقاومتها
.. اندفع بقوة لا إرادية تجاه باب غرفته ليفتحه حتى يطالع
محياتها .. و أخيراً توقف مصدوما..

فما كان ذاك الظل التي تخيل الا تراقص ملابسها المنشورة
على احد الأحبال بعرض السطح .. رداءها الذى يتطاير في
رقة الان جعل قلبه يتطاير كورقة شجر خريفية في مهب
الريح .. ابتسم لنفسه في حسرة و دخل مرة أخرى يحتمى
داخل غرفته من الجو البارد .. يتعجب من حاله التي اضحى
عليها

هو هنا بالفعل منذ عدة شهور .. و دوما ما كانت نظراته لا
ترتفع لمحياها .. لكنه يشعر انه يراها .. نعم يراها و يكاد
يحفظ تفاصيل وجهها عن ظهر قلب و كأنه رفع الطرف مرة
اليها لتكون كافية تماما حتى تضحي قسما وجهها الصبح
موشومة على جدار قلبه ..

تناول كوب الشاي يرتشفه ليجده قد برد بالفعل .. ارتشفه
على اى حال فقد شمله دفء من نوع خاص لا يعرف كنهه

..

لكزت نعمة ابنة زوجها بدور بمرفقها لتستفيق من أحلامها
وهى تطل من نافذتها المفضلة كالعادة و لكن من خلف
زجاجها اتقاء للبرد هاتفة بها في صوت خفيض حتى لا
يصل الصوت لزوجها بالخارج و الذى كان يجلس على
أريكته المفضلة يشاهد التلفاز :- خليكى كده يا خايبة ..
متشعلقة في حباله الدايبه ..

هتفت بدور بإضطراب :- هو مين ده؟!...

قالت نعمة :- قال يعنى مش عارفة؟!.. الصعيدى اللى طالع
نازل عينه في الأرض كأنه بيدور على حاجة ضايعة منه و
هو لو دقق شوية هيلاقى قلبك انتِ اللى مدعوك تحت مداسه

..

هتفت بدور تتصنع اللامبالاة :- و النبى انتِ فايقة يا نعمة ..
حب ايه و صعيدى ايه بس ..؟!.. كل الحكاية ان الراجل
نجدنا من سمرى و بجد خايقة الموضوع يقلب بمصيبة و

تكون من تحت راسى .. سمرى غايب عن الحارة بقاله مدة
و ده يوغوش .. حاسة انه بيحضر بلوة ربنا يستر ..
همست نعمة متجاهلة كل ما قالت بدور راغبة في استشارة
غيظها :- اصله صعبان عليا؟! اصل هو وحدانى...؟! .. اصل
هيجيله مشاكل بسببى ...؟! .. كلها حجج فاضية بس نقول ايه
.. هو ببدا كده ..

و ما ان همت بدور بفتح فمها لتسأل عن كنه ذاك الشئ
الذى تتحدث عنه نعمة حتى ابتدرتها الأخيرة تدندن في
سعادة كلمات اغنية ليلى مراد .. الحب جميل ..
و تركت بدور في تخطبها و حيرتها

اندفعت سمية لداخل بيت ابيها و الذى اضحى أشبه بخرابة
ينعق حولها البوم و تحلق فوقها الغربان .. جلست لأقرب
مقعد جوار الباب تتنهد في حسرة و هي تتطلع حولها
لجدران البيت و اخيراً طالعتها أمها التي كانت تجر جر قدمها
أتية من الداخل .

تحدثت أمها بصوت مرهق :- سمية .. كيفك يا بتى ..
بكت سمية في صمت هامسة :- يا ريتنى سمعت كلامك ياما
.. ياريتنى فضلت هنا چارك و لا اتجوزت الجوازة الشوم
دى ..

ربت رتيبة على كتفها في محاولة لتطيب خاطرها :-
خلاص .. معدش الكلام ده يجيب همه يا بتى .. ارضى
بنصيبك .. حتى عشان خاطر ولدك اللي على يدك ده ..
هتفت سمية في ضيق :- مش جادرة .. عدلى و أمه
مبهليني .. جلة جيمة و مسخرة في الروحة و الجاية كنهم
اشتروني .. لو سليم هنا مكنش استجرى يرفع صوته على
.. لكن اجول ايه .. حظى و نصيبى ..

هتفت أمها :- لو سليم هنا مكنش جوزك ليه من الأساس ..
و معدش ليك غير واد عمك اللى اتجوزتى عدلى عشان
تكيديه ...تاريك كدتى روحك ..
هتفت سمية :- ايوه .. عاصم .. هروحله يشوف لى حل مع
عدلى واد محروس .. انا خلاص مبعجش جادرة عليه و
على أمه .. انا بت غسان الهوارى .. يتعمل فيا كده .!؟
و بدأت في النواح من جديد...

أسرعت بدور لتضع شالها على كتفها مندفعة تهبط درجات
سلم بيتهم في عجالة لتصبح خارجة في ثوان معدودة
متجهة بذعر لتشتري ذاك الدواء لأبيها الذى فاجأته نوبة
من نوبات مرضه التي تدخله في شبه اغماء لا يبدأ
الاستفاقة منها الا بعد تناوله الدواء الذى تحت السير
لتبتاعه بأنفاس لاهثة و خطوات متعثرة..
عادت في عجالة و ما ان همت بالولوج لبيتها حتى اعترض
طريقها رجال المعلم سمرى الذى كان يقف في الزاوية
يتطلع لرجاله وهم يحاصرونها و هي لا تستطيع الفكك
منهم لتسرع بالدواء لأبيها ..
سار المعلم سمرى بخطوات متمهلة حتى وصل للحلقة
التمثلة من رجاله و ضحك بخشونة ضحكة مستفزة اثارت
اشمئزازها وهو يهمس بالقرب منها :- خلاص .. معدش
بخطرك يا جميل .. برضاك او غصب عنك هتبقى حرم
المعلم السمرى ..
و زاد صوته فحيحا و هو يهمس متطلعاً اليها برغبة شديدة
.. و الليلة.

كانت بدور تقف لا حول لها ولا قوة .. تتطلع اليها الأعين
المحيطة بها في الحارة غير قادرين على التدخل و الزود
عنها و معاداة المعلم سمرى و رجاله ..فما كان منها الا

اعمال العقل و الحيلة فهتفت متصنعة الموافقة :- و ماله يا معلم .. هو انا أطول .. بس سبنى اطلع لأبويا بالدوا بتاعه و يبقى الكلام بين الرجالة

مش في الشارع و على عينك يا تاجر كده .. انفجر ضاحكاً باستهزاء :- لا .. الكلام ده مبقاش ياكل معايا يا حلوة .

و جذب من كفها دواء ابوها و دفع به لأحد رجاله هاتفاً :- اطلع بالدوا ده للحاج وهيب .. و قوله .. بنته بدور .. عروسة المعلم سمري .. عنده معززة مكرمة و لما يفوق كده و يقوم بالسلامة يبقى يحصلنا عشان نكتب الكتاب و نعلي الجواب ..

وما ان انتهى من كلماته التي جمدت بدور مكانها غير مدركة لما يحدث .. مذهوله لما يقوم به المعلم سمري و ما وصل اليه من جنون .. هل وصل به الامر لأختطافها هكذا على اعين الأشهاد و امام كل من بالحارة حتى يتزوجها غصبا .. و رغما عن ارادتها ...؟؟!!..

استفاقت من ذهولها على كفه التي اندفعت قابضة على ساعدها جاذبة أياها خلفه كالذبيحة لتصرخ هي مستجدة بمن حولها و لا مجير ..

على اعتاب الحارة استشعر المعلم خميس اللول صاحب مقهى الشمندورة بعض من توتر في قلب الحارة حيث الاحداث التي لا تصل اليه في أطرافها الا متأخرة نوعا ما فدفع بأحد رجاله ليستطلع له الامر و قد صدق حدسه عندما جاءه رجله يلهث هاتفاً :- إلحق يا معلم لول .. السمري لامم رجالته و بيسحب بدور بنت الحاج وهيب من قدام بيت ابوها و عايز يكتب عليها بالعافية و ابوها تعبان فوق بيموت عنده الأزمة و محدش ادخل ينجدها من ايده .. انتفض المعلم خميس ما ان سمع ما يحدث ليهب هو ورجاله صارخاً :- و الله ما نبقي رجالة لما الحريم

يستجدوا و ما يلاقوا الى ينجدهم من أيدين واحد ذي
سمري ده ..

و ما ان وضع المعلم لول اول خطوة لقدمه خارج مقهاه و
خلفه رجاله مدججين بالعصى و الأسلحة البيضاء حتى ظهر
زكريا متجها الى مدخل المقهى وما ان رأى المعلم اللول و
رجالهم على هذه الحالة من التأهب حتى هتف مستفسراً في
تعجب :- جرى ايه يا معلم .. خير ..؟؟!.. رايح برچالتك
على فين ..؟؟!

اندفع احد الرجال ليقص على زكريا ما يحدث لينتفض قبل
ان يكمل الرجل حكايته منتشلا احدى العصى من كف احد
رجال المعلم خميس و قد اندفع لقلب الحارة بأقصى قوته و
قد ابصر من موضعه كف السمري وهى تكبل ساعد بدور
جاذباً إياها خلفه في مهانة ..

لم يشعر الا وهو يطيح ذراع السمري القابضة على بدور
بعصاه صارخاً في غضب هادر:- هي حَصَلت يا خسيس
..؟؟!

ما ان تدخل زكريا وكسر القيد الذى كان يكبل معصمها حتى
اندفعت في دعر لمدخل بيتها تحتوى من السمري ورجالهم و
قد أغلقت بابه خشية ان يصل اليها ادهم.. ألتقطت أنفاسها
في تلاحق و هي لا تصدق انها نجت من بين يدي هذا
الحقير .. و نظرت من خلال شراعة الباب لما يحدث
بالخارج تتابع تلك المعركة التي يدور رحاها بين زكريا و
قد انضم اليه رجال المعلم خميس اللول وبين رجال
السمري...

تدخل المعلم خميس هاتفاً بصوت جهورى في المتقاتلين
يحثهم على وقف التناحر فأشار المعلم سمري لرجالهم
بالتراجع و كذلك فعل زكريا و رجال المعلم خميس والذى
هتف مستنكراً :- دى أصول يا معلم سمري ..؟؟!.. من امتى
بنات الناس بيتعمل معاها كده ..؟؟!

هتف سمرى مستكراً بدوره :- لما يبقوا بنات ناس بصحيح
و مش بيلوعوا اللى طلبهم في الحلال على سنة الله و
رسوله ...؟!.. و عشان أحميها من كلام الناس عليها من
ساعة ما الصعيدى ده .. و أشار على زكريا مشمئزاً و
مستطرداً .. جه و سكن في البيت عندهم و الناس لسانتها
مبتطلش .. و دى بت حتى وتهمنى ..
ما ان انتهى السمرى من كلماته المسمومة حتى اندفع اليه
زكريا في غيظ بعصاه ينوى تجديد الصراع و التهجم عليه
من جديد بغية خلع لسانه النجس من منبته لما تفوه به في
حق سمعة بدور و شرفها ..
و قال صارخاً و المعلم لول يحول بينه و بين الوصول لعنق
السمرى ليزهق روحه :- دى اشرف منك و من اهلك كلهم
يا نجس.. و انطج كلمة تانية في حجها عشان يبجى اخر
يوم في عمرك النهاردة ..
انفجر السمرى ضاحكاً في سخرية :- معلش.. متخدوش
على كلامه .. عايز يعمل فيها سبع الرجال قدام المحروسة
.. مش عيب .. بس مش مع السمرى يا واد .. عشان
السمرى لما يحط عينه على حاجة هيخدها غصب عن عين
التخين .. وورينى بقى يا حيلتها هتمنعنى اذاي ..؟!..
هتف زكريا في ثورة :- ورينى انت هتجوزها اذاي ..؟!..
دى مرتى(زوجتى) ..سامع يا سمرى .. مرتى ..
لا يعرف زكريا ما الذى دفعه لينطق بها كاذبا بهذا الشكل و
على مسمع و مرأى من الحارة كلها .. كان يصرخ بها
مؤكداً .. و كأنما يؤكد لها لنفسه .. يصرخ بها و هو لا يطيق
ان يسترجع مشهد السمرى منذ لحظات وهو قابض على
ذراعها بهذه المهانة جاذباً أياها خلفه .. لا يطيق ان يفكر
انها يمكن ان تصبح ملك لغيره .. لا يعرف متى ادرك كل
تلك المشاعر المتضاربة ووجودها مختزنة داخله

لكن هاهى انتفضت حية من أعماقه متى استشعر انها
ستذهب عنه بعيدا بغير رجعة ..

هو لا يدرك ما الدافع .. كل ما يدركه انه كان على استعداد
لقطع يد سمرى التي تجرأت و لمستها .. لا يدرك ما معنى
ذلك ..

كل ما يدركه انه يشعر انها مسؤولة منه و تخصه و ان أى
سوء تتعرض له يسوؤه بشكل ما لا يدرك كنهه .. لكن
يستشعره و بقوة...يوما ما كان له حبيبة لم يستطع البوح
بحبها و لا استطاع نيلها رغم انه كان احق الناس بها
الان .. لا و الف لا .. لن يقف مكتوف الأيدى و هي تضع
امام عينيه .. لن يقف مكبلا لا يحارب من اجل الاحتفاظ بها
.. ستكون له .. و لن تكون لغيره ابدا.. فقد اكتفى من
خساراته القلبية و ما عاد قادر على تحمل المزيد مهما كلفه
الامر...

ظهر صوت الحاج وهيب ضعيفا و قد سار لقلب الحلقة
البشرية بمساعدة زوجته و ابنته بدور .. توقف يلتقط
أنفاسه و أخيرا هتف على قدر استطاعته :- يا سمرى ..
بينا و بينك ربنا في عرض الولايا و بنتى مش ممكن تعمل
كده عارف ليه ...!!؟.. عشان مفيش واحدة هتمشى في السر
مع جوزها ..

اندفعت الهمهمات المتعجبة من كل صوب وناحية حتى من
النوافذ و الشرفات التي كانت تضج بساكنيها ممن استرعى
انتباههم المشهد فوقفوا يتابعونه في فضول ..
شمل الذهول ملامح الجميع حتى أصحاب الشأن أنفسهم
..وكأنما الحارة بأسرها ايقنت صدق زكريا لإدعائه انها
زوجته عندما هتف بها الحاج وهيب .. و على الرغم من ذلك
فلقد ارتسمت ملامح الدهشة على وجه زكريا الذى اعتلاه
بعض الجروح و الخدوش مما ساعده على مداراة مفاجأته
بما يدعيه الحاج وهيب .. اما بدور فوقفت لا تحرك ساكنا

كل ما جال بخاطرها هو النظر الى زكريا و مشاهدة اثار
دهشته لتأكيد ابوها بما ادّعه امام الحارة بأكملها .. كانت
عينها تتعلق به وكأنما هو طوق النجاة الأخير لتصل
لشاطئ الامل في رجل حقيقى يعوضها شبابها و يعيد اليها
رغبتها في الحياة بين ذراعيه من جديد .. لقد هتف بها
صارخاً .. انها زوجته .. فهل كان يقصدها بالفعل ...؟؟!!
هل هي رغبة حقيقة ظهرت من أعماقه في لحظات فارقة.. ام
انها شهامة و مروءة يحاول بها انقاذها من السمرى و
رجاله ..؟؟!!

اما المعلم سمرى فقد كانت الصدمة الأكبر من نصيبه فقد
وقف مسمر لا يأتي بأى رد فعل ينظر لرجاله في ذهول غير
قادر على التصرف و أخيرا هتف في صرخة غاضبة :- طب
فين قسيمة الجواز ...؟؟!! شكلها تمثيلية ومتفقين عليها
سوال..

هتف المعلم خميس بدوره مستفسراً :- اه يا حاج وهيب
صحيح .. فين قسيمة الجواز؟! طلعتها و حطها في عين
التخين .

قال المعلم خميس كلمته الأخيرة بإستهزاء و هو ينظر الى
السمرى الذى احتقن وجهه غضبا و حقدا ..
تحدث الحاج وهيب في هدوء واثق مؤكدا :- قسيمة الجواز
موجودة .. بس احنا لسه كاتبين الكتاب امبارح .. و هي
بتاخذ وقت على بال ما تطلع .. بس الشيخ حسنين المأذون
موجود و نسأله ..

لم يكذب السمرى خبرا و لم ييأس ليدفع بأحد رجاله على
دراجه البخارية ليحضر الشيخ حسنين من بيته الذى يقع
على بعد حارتين .. ليعود في لمح البصر مؤكدا ان الشيخ
حسنين ليس في داره .. ليهتف سمرى حائقاً من جديد :- و
لما انتوا كتبوا الكتاب..كنتموا ناوين تقولوا امتى إن شاء
الله... لما تجيبوا اول عيل...؟؟!! ثم استدرك شامتا :-

و لا ده انا افكرت صحيح .. العروسة ملهاش في الخلفة ..
 هنا لم يطق زكريا الوقوف ساكنا و القيام بدور المتفرج و
 هذا الاحمق يهين من هي زوجته على الأقل امام الناس ..
 فاندفع كالإعصار ليسقط على وجه سمري بكف يده جعله
 يترنح متأوها كثور يخور و قد انبثقت الدماء من شفتيه ..
 كان دوى الصفة كقنبلة بقلب الحارة عم بعدها الصمت
 الرهيب ..

كان الجميع يتوقع هجوما شرسا من سمري و رجاله و
 الذين تأهبوا بالفعل للفتك بزكريا الا ان سمري مسح فمه
 المدمم بسطح كفه في استهانة و أشار لرجالهم بالتراجع و
 نظر لزكريا في غل و حقد لثانيتين و أخيرا اندفع مغادراً
 يتبعه رجاله في صمت قطعه المعلم خميس هاتفاً في سعادة
 :- امبارح انكتب الكتاب يبقى النهاردة احلى فرح و احلى
 زفة اسكندراني للصعيدى المجدع وعروسته و كله تحية من
 المعلم خميس اللول ..

و هتف في رجاله ليبدأوا في تحضيرات الزفاف الذى سيقام
 في قلب الحارة وعلى مسمع و مرأى من سمري الذى كان
 الحقد الأعمى قد وصل به للذروة ونساء الحارة تودعه
 بالزغاريد المنطلقة من كل صوب و جهة تشفيا ..
 اما العروسان فيبدو ان كل منهما كان في واد .. فالعروس
 اندفعت لتصعد درجات منزل ابيها باكية بعد إهانة سمري لها
 .. اما زكريا فوقف لا يعرف ما عليه فعله .. فها هو يجد
 نفسه عريساً بالصدفة ..

هتف عاصم حانقاً في غضب مكتوم و هو يزرع الردهة
 الطويلة ذهاباً و إياباً و امه الحاجة فضيلة تحاول تهدأته :-

هتف الحاج وهيب مناديا عندما لاح له خيال زكريا صاعداً
حجرته من خلف باب شقته التي تركها مواربا حتى يتسنى
له رؤية زكريا في صعوده .. وقف زكريا ملبياً و نظراته لم
تُرفع على الباب الموارب
قائلا :- نعم يا حاج وهيب ..

أمره الحاج وهيب :- ادخل يا بنى عايزك ..
دفع زكريا الباب في هواده متتحنا حتى ما ان ادرك ان
الطريق خال من النساء الا و تقدم باتجاه الحاج وهيب الذى
نهض امرا بصنع الشاي و تبعه زكريا الى غرفة الصالون

..
أغلق الحاج وهيب الباب خلفه و جلس و هو يربت على
كتف زكريا الذى كان يهم بالنهوض تأدبا ليعاود جلوسه من
جديد ..

تحدث الحاج وهيب بصوت هادئ قائلا :- سامحنى يا بنى ..
مكنش القصد توريطك في جوازة حتى ولو بالكذب .. بس
اعمل ايه ؟! ..

هم زكريا بمقاطعته ليوضح انه بالفعل يطلبها رغبة في ذلك
.. و لا شبهة توريط في الامر. لكن الحاج وهيب أشار له
بكفه ليصمت مستمعا ليكمل الحاج وهيب بنفس النبرة
الهادئة...:- ما باليد حيلة .. كنت هقول ايه و سمرى
بيخوض في عرض بنتى قدام الحارة كلها .. والناس بقت
نيتها وحشة و محدش هيفسر وقفك معانا جدعنة و لوجه
الله ... انا عارف ان ملكش ذنب في حاجة و حظك اللى وقفك
في طريقنا وان ده مكنش في حسابك و انت لسه نازل من
بلدكم بتقول يا هاالدى و كرم أخلاقك هو اللى خلاك تعلن
قدام الناس كلها انها مراتك عشان تخرسهم .. بس انا مش
طالب حاجة و لا انت ملزم بحاجة.. انا هبعثها عند اهل أمها
و انا هروح انا ونعمة نقعد في بلدها عند أهلها و أبيع البيت

و المحل من سكات و انت تشوف حالك و قدام الناس و لحد
ده ما يحصل تفضل كأنها على زمتك ..قلت ايه يابنى ...؟!
هتف زكريا مؤكدا :- جلت انها مرتى جدام الناس كلها يا
حاج وهيب و انا كنت جاصدها وبطلبها تانى .. انا بطلب يد
بتك يا حاج وهيب .. و على سنة الله و رسوله ..و.. قاطع
كلامه طرقات على باب الحجرة تعلن وصول الشاي ..نهض
الحاج وهيب ليفتح الباب وقد تهلل وجهه بالبشر لطلب
زكريا ... اشار لبدور التي تحمل صينية الشاي بالدخول و
ما ان همت بوضع الصينية على الطاولة امام زكريا و لا
قدرة لها على رفع نظراتها تجاهه حتى هتف ابوها لها في
فرحة :- قدمى الشاي لعريسك يا بدور ..
انتفضت هي متطلعة لابيها :- عيسى .. عريس مين ...؟!..
ما كلنا عارفين اللى فيها يا حاج ..
هتف الاب حانقاً :- زكريا طلبك منى و انا وافقت ..
هتفت بعناد :- بس انا اللى مش موافقة .. و خلاص قررت
اتجوز سمرى ..

اندفع عاصم من موضعه الى الفراش المسجاء عليه زهرة
ما ان استشعر بوادر استفاقته .. امسك بكفها بين راحته و
هو يهمس باسمها لعلها ترد او حتى تفتح عيونها تطمننه
انها بخير فما عاد يحتمل القلق عليها :- زهرة .. زهرة ..
انا عاصم ..

تنبعت ببطء لإتجاه صوته و ابتسمت في وهن ونادت باسمه
في حشجة واهنة ..ابتسم لها بالمقابل و هو ينحنى يقبل
جبينها و يهمس في راحة :- حمدالله على السلامة ..
ترك كفها و اندفع ينادى الطبيب المعالج ليطمئه على حالها

..

قام الطبيب باللازم و انصرف مباركا في حبور .. عاد عاصم
لموضعه الأول و هو يمسك بكفها محتضناً أياها و بكفه
الاخر يمس على شعرها في حنو هامساً :- اعملى حسابك
مفيش عيال تانى ..
نظرت له و ابتسامة على شفيتها و همست مستفهمة :- ليه
...!!؟..

همس صادقا :- انا دمي نشف و اعصابى باظت لما الداكتور
جال عملية .. لاااه .. لو العيال بياجوا بالمرار ده بلاها ..
كفاية علينا اللي ربنا رزج بيه .. مهران و سندس ..
ابتسمت و هى تشد على كفه المحتضنة لكفها و تساءلت :-
هم الولاد فين يا عاصم ...؟!..

ربت على رأسها مطمئناً :- متجلجيش .. ذى الفل بس
الداكتور جال لازم يتحطوا في الحضانة كام يوم .. و قهقهه
مستطرداً .. و الحاجة فضيلة من ساعتها واجفة جصاد
الأوضة الجزار تطل عليهم خيفة يبدلوهم ..
أمسكت ضحكاتها رغما عنها حتى لا تتألم و اكتفت بابتسامة
واسعة طلّت على شفيتها في سعادة و هي ترى الابتسامة
تعاود ظهورها من جديد على وجه عاصم الذى كان وجهه
شاحبا مذعوراً يحاكى وجوه الموتى و هو ينقلها الى
المشفى عندما فاجأتها الأم المخاض

هتفت نعمة في بدور بغيط :- انت اتهلتي و لا حصل ايه في
دماغك !؟ مش ده اللي كنت هتموتى بس عشان يرفع عينه
و يبص لك .. جه لحد عندك و طالبك في الحلال و انت اللي
ترفضيه .. ده جنان رسمي ..

هتفت بدور :- برضة لا .. مش هتجوزه و لو حصل ايه
...!!؟.. انا حرة ..

هتفت نعمة :- لا انت مش حرة .. انت مجنونة اقسم بالله ..
هو الراجل الجدع ده يتساب ...!!!

هتفت بدور و الدموع تطفر من عينيها :- ماهو عشان جدع لازم اسيبه ..

همست نعمة :- لااا.. كده كتير.. هتجنيني معاك .. منين جدع و منين تسيبيه و انت هتموتى عليه اهو!؟..فزورة دى!!..و بعدين الصوان اللى بينصبه المعلم خميس و رجالته تحت ده هنعمل فيه ايه !!؟.. هنقوله خلاص فضينا الليلة و العروسة رجعت في كلامها!!؟.. مش بمزاجك .. ده انت مراته قدام الناس و متقال ان اتكتب كتابكم .. خلاص اطلعى قولى الحقيقة عشان الصوان اللى تحت ده يبقى لدخلتك على سمرى يا جدعة ..

هتفت بدور و الدموع تخنق حروفها :- هو ذنبه ايه يا نعمة .. ذنبه ايه ياخذ واحدة هو مش اول بختها و كمان مبتخلفش و فوق كل ده يبقى من وراها مشاكل و عداوات .. هو ميستاهلش كل ده .. هو يستاهل ست البنات..حرام يا نعمة اشبكه بيا .. حرام ..

هزت نعمة رأسها في تفهم و ربتت على كتف بدور في حنو هامة :- بس يا بدور اذا كان هو عارف ده كله و راضى ..و ..

قاطعتها بدور هاتفة :- لااا .. هو كان بيدافع عن سمعتى و شرفى و اضطر يقول كده ..و احنا بقى بدل ما نقوله كتر خيرك و متشكرين و نفضوها .. لا ماسكين فيه و ما صدقنا... مش هتجوزه يا بدور .. عشان خاطره هو .. عشان مصلحته .. واذا كان على الصوان و الناس اللى تحت .. خلاص هو ينزل يقعد مع الرجالة و انا هظبط نفسى و اقعد مع النسوان فوق .. و بعد ما المولد ده يتفض خلاص .. كل واحد يروح لحاله لكن جواز و مأذون .. لااا .. ربتت نعمة على كتفها من جديد في تفهم و لم تعقب بحرف بعد ما ايقنت انها غير قادرة على إقناع بدور بالزواج من زكريا و خرجت من غرفة بدور لتخبر الحاج وهيب الذى

كان ينتظر بفارغ الصبر نتيجة ما توصلت اليه بعد ان
أعيتة الحيل ليدفعها للقبول بعرض زكريا الذي لا يُعوض
...وما ان طالعه محياها حتى اندفع اليها متسانلا :- هاا ..
عرفتى تلينى دماغها ..
هزت رأسها نافية لكنها همست للحاج وهيب مؤكدة :- بس
مطاوعهاش .. اعمل اللى انت قلت عليه ..
همس مستفسراً في تردد :- بس مش هايبقى حرام يا نعمة
...!!...؟

أكدت هامسة :- حرام لما تكون عارف و متأكد انها مش
موافقة لكن احلف لك على مصحف و ابصم بالعشرة كمان
انها موافقة و بتكابر ..
سأل الحاج وهيب :- فكرك كده!!
يعنى اتوكل على الله ...؟!..
أكدت :- طبعا .. و من غير تأخير ..
اوما برأسه موافقا .. و اندفع ينفذ ما اتفقا عليه من غير
تأخير

صدحت الأغاني و الأنغام من قلب ذاك الصوان الذى نصبه
المعلم خميس ورجاله في قلب الحارة تحية منه لزفاف
زكريا و بدور و و أخيرا بدأ الجميع في الاستئذان حتى خلا
الصوان على المعلم خميس و رجاله و الحاج وهيب و
زكريا الذى شكر المعلم خميس لكل ما تكبده في سبيل احياء
الليلة و إخراجها بهذا الشكل .. و اندفع زكريا و معه الحاج
وهيب للبيت ..دخل الحاج وهيب لشقته ظنا منه ان زوجته
و بدور بالداخل بعد رحيل جميع النساء بالأعلى ..و كذلك
زكريا الذى دلف الى السطح غير متوقع لوجود احد الا انه
فوجئ بوجود بعض النسوة المقربات لبدور ما ان رأيته
حتى اندفعن مغادرات يصحبهم الغمز و اللمز و الضحكات
المستترة ..و المزيد من الزغاريد .. صاحبتهن نعمة في

خروجهن و نزلت معهن حتى تترك العروس بصحبة
العريس امام النساء ليتم اكتمال المسرحية حتى النهاية ..
وقفت بدور مرتبة لا تعرف ما عليها فعله هل تبقى قليلا
حتى التأكد من رحيل النساء او ترحل الان وفورا من
أمامه؟!..

فهي المرة الأولى التي تجد نفسها معه وحيدين .. وهي معه
وبصحبه تكاد تذوب خجلاً و حياءً ..

تقدم منها في هدوء و كلما تقدم خطوة زاد وجيب قلبها
أضعافا حتى توقف أمامها مباشرة و همس في ثبات و بنبرة
رجولية تعشقها :- مبروك ..

رفعت رأسها محاولة تصنع الثبات :- مبروك على ايه
..؟!.. انت عارف اللى فيها يا سى زكريا ..

ابتسم للمرة الأولى منذ وعته عيناها و هو يهمس مؤكدا :-
ما هو عشان انى عارف اللى فيها بجولك مبروك...
نظرت اليه مستفسرة في تعجب وابتسامته تزداد اتساعا و
تزيده وسامة و محبة الى قلبها الذى يئن الان شوقاً يكاد
يدميه ..

همس مستطرداً :- انا جلتها جدام الناس كلها .. و الشادر
اللى تحت ده كان لفرحنا .. الجواز اصله الاشهار مش
ورجة .. و الناس كلها عرفت خلاص انك مرتى .. عشان
كده بجولك مبروك .. وهو ده اللى فيها يا مرتى ..
فغرت فاها غير مصدقة ما يقول .. ألهذا طاوعها ابوها و
تركها تقول ما تريد ..؟!..

هتفت متحدية أياه :- برضك لا .. مفيش كتاب اكتب .. و لا
ورق رسمي يقول انى مراتك ..
يبقى لا و الف لا ..

ابتسم وهو يقترب منها مشاكساً :- مين جال كده ..؟!.. انا
و الحاج وهيب كتبنا الكتاب لما الشيخ حسنين كان هنا وكان
محضر كل حاجة على الإمضا و لما دخلت نعمة تمضيكي في

اوضتك و الحريم بره مجدرتيش تجولى لا .. و مضيتى ..
و بكده بجيتى مرتى رسمى...
شهقت و هي تبعد عنه متقهرة للخلف في ذعر غير
مصدقة انها بالفعل أضحت زوجته
لكنها استعادت ثباتها فجأة وهى تهتف :- الجوازة باطلة
لانها مش بموافقتى ..
جذبها زكريا اليه مشاغبا :- طب و اللى يخليكى توافجى
...؟!...

شهقت وهى ترى نفسها مصطدمة بصدرة الصلب .. نظرت
اليه في صدمة غير مصدقة ما يحدث معها .. البارحة كانت
تتمنى ان يتطلع فقط اليها و يرفع نظراته المسبلة دوما تجاه
الأرض ناحيتها ولو للحظة و اليوم هاهى بين احضانه ينظر
اليها ملء العين و يشاكسها بتلك النظرات التي غابت فيهما
كما يغيب قمر خلف الغيوم ..
انتفض كلاهما و ابتعدت هي عنه عندما أتاها صوت نعمة
من الدور السفلى تنادى بدور التي ما ان سمعت النداء حتى
اندفعت ملبية و كأنه جاءها نجدة من السماء ليبعدها عن
طوفان المشاعر الذى كانت تعيشه مع ذاك الصعبدى الذى
يدفعها للجنون ..

هبطت في عجالة حتى ما ان طالعتها نعمة حتى دفعت اليها
بصينية طعام ممتلئة و مغطاه هتفت بها وهى تغمز لها
ضاحكة :- خدى ياختى عشاكم ..

تناولت بدور الصينية في صمت وهى لم تستفيق بعد من
صدمة ما حدث بالأعلى وصعدت بها في تردد وقدمها تترنح
.. و أخيرا ما ان دلفت لمدخل السطح حتى تركت الصينية
ارضا هاتفة في عجالة :- عشاك يا سى زكريا ..

و اندفعت تهبط الدرج في سرعة و كأن الشياطين تتعقبها
وضحكاته الخشنة تتبعها و كل ما يجول بخاطرهما ان لا قبل
لها لمواجهة ذاك الرجل الذى تملك قلبها منذ طالعه عينيها

الفصل الرابع

هتف الحاج مهران في فرحة غامرة مكبرا و عاصم يضع
طفليه بين ذراعيه في فخر :- الله اكبر .. الله اكبر .. ربنا
يحفظهم و يحميهم يا رب و يجعلهم الذرية الصالحة
بإذنه.. هتف الحاج مهران بسعادة :- سمتهم ايه يا عاصم ..
..!!؟..

ابتسم عاصم هاتفاً بفخر :- مهران و سندس..
انتشى الجد في سعادة هاتفاً :- رب يبارك فيك يا عاصم ..
سميته على اسمي يا ولدي ..
هتف عاصم و هو ينحنى يقبل رأس ابيه :- هو في أغلى
من اسمك يا حاج مهران .. طب ده يا ريته يطلع نصك يا
حاج..

انحنى الجد مبتسماً لأحفاده مقبلاً لرؤسهم الصغيرة هاتفاً :-
هايطلع احسن منى كمان .. و البنية هاتطلع ست البنات
كلهم لأمها .. بلغها سلامي يا عاصم .. لو أجدر مكنتش
تاخر ارواح اطمئن عليها .. دى الغالية ام الغاليين ..
هتف عاصم مشاكساً :- وااه .. شكلى طلعت من الحسبة يا
حاج .. !!؟..

نظر الحاج مهران لولده عاصم في محبة خالصة و هو
يهتف :- وااه يااا عاصم .. غلاوتك عندي متتجدرش ..
و أعاد النظر الى احفاده بين ذراعيه من جديد و همس في
راحة :- دلوجت اموت و انا مش ناجصنى حاجة ف الدنيا ..
انتفض عاصم هاتفاً :- طولة العمر ليك يا حاج .. ربنا
يخليك لينا و تشوف عيال عيالهم..

هتف الحاج مهران ضاحكاً :- عيال عيالهم ...!! طب جول
اشوف عيالك انت الباجيين ..

صمت عاصم و لم يعقب حزنا على كلام ابيه فأستشعر
الحاج مهران ما بولده فهتف مازحاً وهو يرى احفاده و قد
بدأوا في الاستعداد للاستيقاظ جوعى :- خد يا عاصم عيالك
.. شكلهم چاعوا.. ربنا يبارك لك في ذرعتك يا ولدى ..
وتعيش انت لما تشوف عيال عيالهم .

انحنى عاصم من جديد يقبل هامة ابيه و يتناول اطفاله الذين
بدأوا في البكاء بالفعل من بين ذراعى والده ..

صرخت نعمة في بدور وهى توقظها من نومها :- قومى يا
منيلة .. قومى هتفضحينا ..

هتفت بدور وهى تعطى لها ظهرها لتعاود النوم مستمتعة
بحلم رائع كانت تعيشه لتوها :- أقوم ليه ...؟!.. سبينى يا
نعمة ربنا يخليكى ..

هتفت نعمة من جديد :- بقولك هنتفضح .. النسوان كلها
طالعة تبارك لكم انت و سى زكريا .. هيشفوكى هنا يا خايبة
.. نعمل ايه دلوقتى ...?!..

انتفضت بدور من فراشها وقد ايقنت ان ما اعتقدته حلم لم
يكن الا واقع ما حدث بالأمس وما يؤكد الان هو زغاريد
النساء التي يصل اليها صداها من سلم بيتهم الداخلى ..
هبت من الفراش تدور حول نفسها هي ونعمة غير قادرتين
على التصرف و أخيرا هتفت هي في عجالة :- دخليهم من
باب الصالون مش من باب الشقة يا نعمة .. و انا هتسحب
و اطلع على فوق و عطليهم شوية و قدميلهم حاجة .. ماشى

..
أومأت نعمة برأسها موافقة في سرعة وهى تدخل للصالون
لتفتح للنساء بابه ليدخلوا منه وما ان استقرين داخله حتى
تسحبت بدور في خفة و اندفعت خارج باب الشقة و منه

صعدت السلالم في هرولة حتى ما ان وصلت للسطح
 متقطعة الأنفاس انفعالا حتى اندفعت تطرق الباب على زكريا
 الذى لم يستجب لطرقاتها فهتفت في غيظ :- يا دى النيلة ..
 شكل نومك ثقيل .. اعمل ايه انا دلوقتى ...؟!..
 دارت حول الغرفة باتجاه نافذتها الجانبية لعلها تجدها
 مفتوحة او حتى تستطيع فتحها ..
 صعدت على الأريكة الموضوعة تحت النافذة
 و بدأت في معالجة النافذة حتى فُتحت بالفعل .. تنفست
 الصعداء وهى تضع قدمها على الجانب الداخلى منها و بدأت
 تدخل بجسدها و ما ان لامست قدمها سطح ما حتى تنفست
 في راحة و أدخلت باقى جسدها لتلقى به لداخل الغرفة
 لتسقط مباشرة فوق زكريا الذى كان غارق في النوم غير
 مدرك لما يحدث حوله و فجأة انتفض عندما سقط جسدها
 عليه ..

شهقت هي في زعر و حلق هو فيها بتعجب و أخيرا
 ابتسم.. ثم انفجر مقهقهها وهو يقول :- و الله و چاتلك على
 الطبطاب يا زكريا ..

هتفت هي في زعر مضاعف وهى تراه يحيطها بذراعيه :-
 لا .. انت مش فاهم .. اصل ..

هتف مقهقهها :- ايوه عارف .. اصل الحاج وهيب جالك
 روحى انچرى اطلعى لچوزك ..

هزت رأسها رافضة في عنف هاتفة :- انت مش فاهم ..
 هتف مشاكسا :- في واحدة تجول لچوزها كده برضك
 ...؟!.. بس و ماله .. فهمينى ..

هتفت وهى تجز على أسنانها غيظا محاولة تحرير نفسها
 من أسر ذراعيه :- .. اصل النسوان ..

و هنا ادرك ما كانت تقصده عندما صدحت زغاريد النساء
 وهن متوجهات للأعلى حيث حجرتهما .. فأبتسم مشاكساً :-
 و ماله .. يشرفوا..

استطاعت اخيراً تحرير نفسها من قيد ذراعيه و اندفعت
مبتعدة وهى تلهث من فرط انفعالها وهتفت في غيظ :-
يشرفوا و انت على حالك ده...؟! .. و اشارت لهيئته في
استحياء .. وهو يقف أمامها عار الصدر لا يرتدى الا بنطال
قطنى ابيض ..

تناول جلبابه المطروح جانبا و ارتداه في سرعة و هو يفتح
الباب و على وجهه ابتسامة كانت موجهة لها من الأساس و
ما ان طالعه فوج النساء يعبر عتاب السطح حتى اخفض
نظراته في مقابلتهن وهو يرد على مباركتهن مندفعاً للأسفل
ليجلس مع الحاج وهيب حتى رحيلهن ..

دق الهاتف تلك الرنات المتتابعة التي تعرفها بخيئة جيداً و
تدرك انها لا تأتى الا من ولدها القريب البعيد الذى طالما
يحتل تفكيرها و ينال الكثير من دعواتها..
وصلت لاهثة حتى الهاتف لترفعه على عجالة هاتفة في
لهفة :- ألو .. ايوه .. كيفك يا زكريا...؟! ..

هتف زكريا على الجانب الاخر :- الحمد لله ياما بخير.. بخير
جووى واشتغلت عند راجل طيب و في خبر كمان .. يا رب
يفرحك ..

هتفت بخيئة بلهفة :- خير يا ولدى .. كل مجايبك زين و
تفرح يا حبة عينى ..

هتف زكريا قبل ان يفقد شجاعته :- انا اتجوزت ياما ..
هتفت بخيئة في صدمة :- اتجوزت؟ .. ميتا...؟! و مين
العروسة يا زكريا ...؟! .. زينة يا ولدى ...؟! ..

ضحك زكريا :- صبرك عليا يا حاجة هجولك كل حاجة ..
ايوه اتجوزت من كام يوم .. و العروسة بت صاحب البيت
الى سكنت فيه .. و ايوه زينة ياما و بت حلال ..
تنهدت بخيئة متحسرة :- ياما كان نفسى اشوفك عريس
چار عروستك يا زكريا ..

تنهد زكريا بدوره :- النصيب ياما .. النصيب ..
هتفت بخيئة تبدل من نبرة صوتها المتحسرة حتى لا
تحزنه :- المهم يا ولدى انها تبجى بت حلال تسعدك وتجيّب
لك الخلف الصالح باذن الله ..
ازدرد زكريا ريقه و لم يعقب .. لكنه هتف في محاولة
لإنهاء الحديث عند تلك النقطة :- باذن الله .. دعواتك يا
حاجة ..

هتفت بخيئة :- دعيالك يا زكريا .. ربنا يرزجك محبة خلجه
و مايوجعك في ضيعة ابداء يا رب و يمتعنى بشوفتك عن
جريب ..

هتف زكريا مؤمنا :- اللهم امين يا حاجة ..
اعادت الحاجة بخيئة سماعة الهاتف مكانها و تنهدت و هي
تستدير لتجد كسبانة أمامها تسألها في فضول :- خير يا
خالتي ...؟! .. التلفون ده من سى زكريا .. صُح ...؟! ..
أومأت بخيئة و هي تجلس على الأريكة المجاورة للهاتف
متنهدة لتستجلب المزيد من فضول كسبانة الممزوج بالقلق
و هي تهتف :- طب مش خير ..؟! .. ريحيني يا خالتي!!
أكدت بخيئة و هي تربت على كف كسبانة الملقى على كتفها
:- خير يا بتى .. زكريا أتجوز ..

على الرغم من الصدمة التي تلقت بها كسبانة الخبر الا انها
تماسكت ببراعة تحسد عليها و هي تهتف بثبات :- ربنا يهنيه
.. سى زكريا يستاهل كل خير ..

همست بخيئة :- كان نفسى افرح بشوفته عريس و انجى له
عروسته على حياة عيني .. بس اچول ايه ...؟! .. الحمد لله ..
الى مصبرنى انه اهاا لجى واحدة بت حلال تخلقى بالها منيه
و تراعيه و انى مش چاره ..

ربت كسبانة على كتف الحاجة بخيئة تواسيها و في نفسها
تتسائل بحسرة .. " و انا مين يصبرنى ...؟! .. مين يصبرنى
..؟! .. " و جاءها الجواب في حمزة .. رضيعها الذى أسرع

اليها يحبو في سعادة حتى تعلق بجلبابها و ابتسامته تملأ
وجهه .. لتلتقطه و تضمه لصدرها و كأنها تدفن بضمته ذاك
الألم الذي

كان يرتع بصدرها ..

دست نعمة نفسها بجوار بدور داخل فراش الأخيرة و هي
تهتف بها في غيظ :- انتِ مش هتبطلى عبط بقى و تروحي
لجوزك ...؟!..

نظرت بدور اليها نظرة جانبية و لم ترد لتستطرد نعمة بغيظ
أكبر :- ما كفياكم لعبة القط و الفأر اللي انتوا شغالين فيها
دى .. انت تطلعى تحطى الاكل و تنزلى تجرى .. و هو يجى
يسأل عليكى من على الباب و يمشى .. ايه ده ...!!!.. انتِ
عايزة ايه تانى...؟! واحد وقف قدام الحارة كلها و قال انك
مراته و جه طلبك رسمي من ابوك و كتب كتابك .. عايزة
ايه بقى ..؟!..

هتفت بدور حانقة :- عايزة اصدق يا نعمة .. عايزة اتأكد انه
مطلبنيش جدعنة أو عشان كلمة قالها مقدرش يرجع فيها ..
هتفت نعمة :- و الله انتوا هتجنونى .. بعد ده كله وعايزة
تتأكدى؟!.. ده انا لو منك امسك فيه بايدى و سنانى هو في
رجالة جدعة كده اليومين دوول...؟!..

صمتت بدور و لم تعقب بينما تنهدت نعمة في حسرة هاتفة
بلهجة صادقة النصيحة :- بدور...!!!.. انا من ساعة ما دخلت
البيت ده و انا بعترك ذى اختى الصغيرة .. يمكن عشان
لقيت فيك صورة منى .. يمكن عشان اتبهدلنا و شوفنا نفس
الهم .. و ادينى اهو ربنا جبر بخاطرى و اتجوزت ابوك
.. هو اكبر منى صحيح بس على الأقل مريحنى و مراضيبنى
.. لكن انت بقى ...؟!.. يا بدور الفرحة عاملة ذى الضيف
المجنون .. متسيبهاش تهرب منك قبل ما تخذى حقك منها
.. فرصتك في الفرحة جت لحد عندك امسكى فيها و تبتي ..

همست بدور :- عندك حق .. بس انا مش عايزة افرض
 نفسى عليه يا نعمة .. مش عايزة احس انى حمل هو مكنش
 مستعد له وفجأة لقاه مرمى على كتافه ..
 همهمت نعمة متفهمة ثم هتفت في
 ثقة :- يبقى مفيش غير حل واحد يريحك ..
 هتفت بدور في لهفة :- ألحقينى بيه ..
 قالت نعمة في هدوء :- تطلعى له و تتكلمى معاه و تشوفى
 اخره ايه .. و يا اما تنهوا الحوار ده و تبقى عرفتى اخرها
 .. يا اما تبدوه صح و على حق ربنا ..
 هتفت بدور مشدوهة :- اطلع أتكلم معاه ...!!؟؟
 أكدت نعمة :- اه .. و تحطى النقط على الحروف .. لكن اللى
 بيحصل ده مش صح .. مش يمكن هو برضة بيفكر زيك و
 فاكرك انك اتغصبتى عليه بسبب قولته انك مراته و انك مش
 عيزاه ...!!..
 تذكرت بدور حوارها مع زكريا يوم زفافهما على السطح بعد
 رحيل النساء .. لقد أكدت بالفعل في كلامها معه انها لا
 تريده و لا ترغب به كزوج ..
 همست داخليا لنفسها .. قد يكون كلام نعمة يحمل الكثير من
 الحقيقة ..
 هتفت نعمة وهى تجذب بدور من الفراش :- انت لسه
 هتسرحى و تفكرى .. قومى ياللاه كلميه ..
 أومأت بدور برأسها إيجابا و اندفعت خارج حجرتها في
 اتجاه باب الشقة الى ان أوقفتها نعمة ضاحكة :- يخيبيك ..
 هاتطلعى للراجل بهدومك دى و حافية كمان ..
 تنبتهت بدور لملاحظة نعمة فعادت ادراجها من جديد لغرفتها
 و ارتدت عباءتها و توجهت بألية تجاه باب الشقة .. و
 استدارت و هي على أعتابه مترددة و قد قررت العودة في
 قرارها الا ان نعمة كانت لها بالمرصاد و دفعت بها على

اعتاب الشقة بالفعل في اتجاه الدرج المؤدى لحجرة زكريا

..

همست بدور في اضطراب :- طب ابقى طلى عليا ..
أمسكت نعمة قهقهاتها :- أطل ايه...؟! لاا .. انا داخلة انام ..
لو اتصبحت بطلتك البهية الصبح هعرف ان الموضوع
خلص على كده .. و لو ملقتكيش .. و قهقهت كاتمة فمها
بكفها مستردة .. يبقى صبحية مباركة يا قمر و استنى
صينية فطورك يا عروسة ..

و دفعت نعمة ببدر لأول درجات السلم و عادت مسرعة
ادراجها تغلق باب شقة الحاج وهيب تاركة بدور مترنحة لا
تستطيع ان تخطو باتجاه الأعلى حيث امل تتمنى تحقيقه و
ما بين عودة لا تستطيع إتيان خطوة تجاهها ..

دخل عاصم غرفة ابيه الحاج مهران يتفقد
فاذا بالحاج مهران يهتف ما ان طالعه عاصم يفتح بابه :-
عاصم .. فيك الخير يا ولدى .. تعال عايزك ..
دخل عاصم مغلقا الباب خلفه مندفعاً يقبل هامة ابيه هاتفاً :-
خير يا حاج!؟

ابتسم الحاج مهران قائلاً :- بجولك ايه ..؟! .. انا عايز
اتسبح (استحم) ..

هتف عاصم باسم :- و ماله ننادم على الحاجة فضيلة .. ما
انت يا حاج مبترضاش الا بيها ..

ابتسم الحاج مهران مؤكدا :- صُح .. بس انا عايزك انت
اللى تسبحنى النوبة دى ..

هتف عاصم متحمسا :- يا سلام .. تأمر يا حاج .. و بدأ في
خلع جلبابه و عباءته و عمامته و ألقى بهم بعيدا و اندفع
للحمام يحضر المغطس بدرجة حرارة مياه مناسبة ثم يعود
ادراجه لأبيه هاتفاً :- بس انا مليش صالح لو الحاجة فضيلة
خدت على خاطرها .. انا بجولك اهاا ..

اتسعت ابتسامة الحاج مهران هاتفاً :- لاه ملكش صالح انت
.. فضيلة عتفرح للى يريحنى ..

حمل عاصم ابيه بين ذراعيه بعد ان ساعده في خلع ملابسه
و ارقده في المغطس الممتلى حتى منتصفه بالماء..

همس الحاج مهران متنهذا :- متشال .. وشايل و متشال ..
هتف عاصم :- بتجول حاجة يابوى!!

همس الحاج مهران :- سلامتك يا ولدى .. بتعجب على حال
البنى ادم .

جذب عاصم احد المقاعد من احد الأركان و جلس عليه

ملتصقا بالمغطس ليبدأ في فرك جسد ابيه برفق ..

استطرد الحاج مهران هاتفاً :- او عاك يا عاصم يا ولدى

تتغر بجوتك و لا مالك و لا صحتك .. كله ذایل في لحظة ..
لحظة تفرج بين الصحة و المرض و لحظة تفرج بين الفجر

و الغنا .. و لحظة تفرج بين الحياة و الموت ..

توقفت يد عاصم عن عملها و تنهد بقلب منقبض ولم يعقب
.. ثم عاودت كفه عملها من جديد تزرع جسد ابيه.

هتف الحاج مهران بعد فترة من الصمت مازحاً :- عارف يا
عاصم .. امك دى تربية يدى ..

رفع كفيه اما ناظريه من ماء المغطس مستطرداً:- فضيلة
دى ارضى اللى عمرها ما خيبت و طرحها دايماً كان على

هوائى ..

ابتسم عاصم في محبة .. ليكمل الحاج مهران مشاكساً :-

خلى بالك عليها يا عاصم ..

هتف عاصم محتجاً :- واااه .. بتوصينى على امى يا حاج ..
دى فوج راس الكل ..

انفجر الحاج مهران مقهقها و سعل قليلا و أخيرا هتف و

هو يدفع كتف عاصم بكفه مازحاً :- يا غشيبيم .. انا بوصيك

على ارضك انت .. زهرة بت خالتك .. خلى بالك منيها ..

اللى يحبه ربه يا عاصم يرزجه مرة

(ست) زينة تعينه على حاله ودنيتة..
مرتك ارضك يا عاصم .. بدرت فيها المحبة هاتطرح محبة و
عشج .. بدرت فيها جلة جيمة ..
و صمت الحاج مهران ليتعجله عاصم هاتفاً بمشاكسة:-
عاتطرح ايه...؟!..
انفجر الحاج مهران ضاحكاً :- هاتطرح عجم و حنضل على
دماغ صاحبها ..
انفجر عاصم بدوره مقهقها على تعليق ابيه و أخيرا انتهى
.. فعاد به محمولا لسريره من جديد و ساعده على ارتداء
ملابس نظيفة و سحب عاصم الغطاء على جسده يذثره و
ابيه يتمتم ببعض من آيات الذكر الحكيم..
انحنى عاصم يقبل جبين والده و يندفع حاملا ملابسه مغلقا
الإضاءة و الباب خلفه تاركا ابيه يغط في نوم عميق ..

تقدمت بدور تعبر عتبة باب السطح الخشبية
بعد ان جاهدت حتى تستطيع صعود درجات السلم الفاصلة
بين شقة ابيها و تلك العتبة ..
وضعت أولى خطواتها و هي تضم شالها الأسود فوق
عباءتها السماوية لعلها تلتمس منه بعض من عون
يساعدها على أداء ما جاءت من اجله..توقفت قدمها و لم
تتقدم خطوة تقف مشدوهة امام خياله الورع و همسات
صلاته التي تراه يؤديها الان موليا ظهره لها ..
تقدمت في وجل لتقف قربها تراقب سجوده و ركوعه و
صوته الهامس أحيانا و المرتفع في بعض المقاطع أحيانا
أخرى ..
دابت في ظل التفاصيل التي كانت تحيطه بهالة ما لا تدرك
ماهيتها و أخيرا انتفضت عندما تناهى لمسامعها تحية
إنهائه الصلاة ..

دفعت نفسها دفعا لتتحنى قليلا واضعة كفها على كتفه
هامسة بصوت متحشرج مضطرب:- حرما يا سى زكريا ..
لم يفاجأ بوجودها و كأنه كان على علم به من البداية .. رد
هامساً :- جمعا بإذن الله ..

نهض في هدوء يجمع مصلاه و يضعها بقدسية على الأريكة
الوحيدة بالسطح .. لم ينظر اليها حتى .. هكذا هتفت لنفسها

لما يصعب عليها الامر ...؟!.. كادت تصرخ في وجهه
متسائلة .. الا انها تماسكت و استطاعت بالكاد تحريك
قدميها للوصول لتلك الأريكة و الجلوس عليها لعلها تستعيد
بعض من ثباتها و جزء من رباطة جأشها التي ذهبت ادراج
الريح ما ان طالت محياه ..

كان هو يقف بالقرب من احد أسوار السطح الخالى نائيا
بنفسه عن تلك الجالسة على الأريكة والتي تحتلها بمحيها
.. هتف في نفسه حانقاً :- عليك ان تعيد صلاة العشاء من
جديد يا زكريا ..

فهو ما ان شعر بقدمها تطأ ارض السطح و راح خشوعه و
تركيزه في خبر كان .. رائحة عطرها أسكرته و خطواتها
المتناقلة خلفه كانت كأنما تخطوها على جدران قلبه ..
لما لا تفهم انه يريد لها ...!!!.. لقد صرخ بها امام الحارة
بأسرها .. ماذا تريد اكثر ...!!!..

لم يعد يستطيع ان يقف مكتوف الايدى وهى هنا .. لما
جاءت من الأساس .. لما لا تتركه لحاله طالما انها لا
ترتضيه زوجا لها ...!!!..

احترق الدم بعروقه و لم يعد يحتمل المزيد من ذاك القهر ..
اندفع الى مجلسها و جذبها صارخاً :- جوليها دلوجت ..
جوليها وانت طالة في عيني.. جولى مش ريداك .. جولى
انى مش الراجل اللى ..

رفعت كفها امام فمه الثائر بالكلمات و المتفجر بها كبركان
يلقى حممه لتهمس و عيونها تلتمع بدمع
محبوس :- انت سيد الرجالة .. بس انا عايزة اطمئن يا سى
زكريا .. اصل مش انا اللى يتعمل عشائها كل ده ..؟! ..ليه يا
سى زكريا .. ليه ..؟! ..

رفع كفه بعد ان هدأت نفسه قليلا لجوابها و امسك بكفها
الموضوعة بقرب فمه ليخفضها و هو لايزل ممسكاً بها
هامساً بتعجب :- ايه هو اللى ليه ..؟! ..

هتفت هي و قد بدأت عيونها تزرف دمعها بسخاء :- ليه
عملت كل ده عشان واحدة منتش اول بختها .. و عارف
انها .. و صمتت قليلا تزرد لعابها بحسرة مستطردة .. انك
مش هتشوف معاها الخلفة اللى اكيد هاتشتاق لها ..ليه يا
سى زكريا ..؟! .. لو عشان كلمة اتربطت بيها قلتها ساعة
جدعنة قدام الناس او كتب الكتاب اللى انكتب .. انا بحلك من
اللاتنين .. منتش مجبر .. انت ..

هتف فيها صارخاً :- انا رايدك و كل اللى جلتيه ميهمنيش ..
عايزة تعرفى ليه ..؟! .. مفهاش ليه يا بت الحاج و هيب ..
ربك مجلب الجلوب .. انى محدش غصبنى يوم ما جلت انك
مرتى جدام الكل .. انا مش عيل صغير عشان اجول كلام و
أندم عليه .. دى كلمة طلعت من جلى جبل لسانى .. سامعة

..
انت بجى اللى بسألك ليه ..؟! ..
نظرت مستفسرة بأعين فاض منها الدمع ليمد كفه ماسحا
دمعها
هامساً :- ليه مستجلة بحالك يا بت الراجل الطيب ..؟! .. انت
موعياش لروحك ..

لف كفيه حول مؤخرة رأسها ليزرع جبينها بصدرة هامساً
:- انا لما شفت السمري بيتجراً عليكى .. اقسام بالله كان
هاين عليا ادفنه مطرحه و لا يلمس طرف توبك ..

و بعد ده كله .. تجوليلي ليه ...!!!.. عشان انتِ حلالى ..
 عشان انا رايدك بجلبي جبل عيوني.. عشان .. انتِ بدور ..
 كانت المرة الأولى التي ينطق فيها اسمها مجردا .. المرة
 الأولى التي تسمع اسمها منغما من بين شفثيه ...و المرة
 الأولى التي تعشق فيها ذاك الاسم ..
 رفعت رأسها من على صدره تشفق باكية لا تكاد تصدق انه
 يريد لها حقاً .

اخفض رأسه لتقارب مسامعها
 هامساً :- ايوه انى مش اول بختك بس ده لا بيدى و لا بيدك
 يا بت الناس ..امر الله ..

مبتخلفيش ..؟!.. ربك اداك علمه...!!!.. كله بمشيئته ..
 ثم ازداد ضمناً لها وهمسه يزداد حميمية :- و مشيئته اللى
 علجت روحى بيك من غير ما انى أكون دارى و لا حتى
 واعى انك بجيتى غالية عندى اكثر من روحى نفسها ..
 شملهما الصمت لحظات و فجأة انتفضت بدور شاهقة و هي
 تجد نفسها محمولة بين ذراعيه فهتفت مذعورة :- في ايه
 يا سى زكريا...؟؟..

هتف مشاكساً :- مفيش يا بت الناس .. انا بضمن بس انك
 متطلعيش تجرى على تحت ذى كل مرة ..
 انفجرت ضاحكة و هي تتعلق برقبتة هامسة:- هو حد يلاقى
 ذيك يا سى زكريا و يطلع يجرى برضة و لاه يتعلق برقبتة
 و ميسبوش ابدا ...؟!..

هتف زكريا ساخراً :- في واحدة غشيمة كانت بتعمل كده ..
 قهقهت بدور :- لا خلاص .. الغشيمة عقلت و متبته بأيديها
 و سنانها .. و شدت وثاق ذراعيها حول رقبتة في تملك ..
 ليهتف زكريا في نشوة وهو يتجه لغرفته :- وااه .. و الله
 ودعواتك صدجت يا حاجة بخيئة...!!!..
 لتعلو وتيرة قهقهاتها و هو يغلق خلفها باب غرفته ..
 غرفتهما ..

دخل عاصم حجرته فنهضت زهرة من فراشها تاركة توأمها
الذي راح في نوم عميق بعد إطعامهما ...
تنبهت لحال عاصم و ملابسه التي يحملها على كتفه فتعجبت
متسائلة :- ايه يا عاصم .. ليه شاييل لبسك كده على كتافك
.. انت جاي منين ..؟! ..

رد عليها بنبرة تائهة و عقل شارد :- كنت عند أبوى ..
بسبحه ..

ابتسمت في مودة وهي تربت على كتفه بعد ان جلس في
إرهاق على طرف الفراش :- ربنا يدريك الصحة و تخدمه و
يديله طولة العمر يا رب.

ابتسم هو ابتسامة باهتة لم تصل ابدا لعمق عينيه
فأستشعرت زهرة ان هناك خطب ما فاتحت تربت من جديد
على ظهره هامسة :- خير يا عاصم .. في حاجة ..؟! ..
هز راسه في تردد هامساً :- مش عارف .. بس جلبى
مجبوض الليلة دى ..

شعرت بحاله المضطرب فضمت رأسه لصدرها و همست :-
ربنا يريح قلبك .. خير يا عاصم .. بص قوم خد دش و اقرأ
قرآن و بجد هاتبقى ذى الفل ..

اوماً برأسه متفقاً معها و نهض في تكاسل متوجها للحمام
وهي تشعر بقلق بالغ على حاله ..

توجهت لتفتح احد الأدراج تخرج له ملابس نظيفة ليرتديها
ليتناولها منها قبل ان يغلق باب الحمام في هدوء مبتسماً
ابتسامة باهتة و هو يهمس :- تسلميلى يا ارضى ..

لم تدرك ما كان يعنيه .. و لم تتوقف عنده طويلاً فما كان
يشغل بالها من الأساس هو حاله التي جاء بها من غرفة
أبيه ..

.....

دارت رأسها و لم تستطع التوصل لسبب منطقي قد يدفع
عاصم لما هو عليه من تيه لكنها أكدت لنفسها ربما رغبة
في طمأنة حالها بانه سيكون افضل بعض حمام دافئ يعيد
اليه هدوء أعصابه ..

خرج عاصم من الحمام ليجدها على حال لم تخفى عليه من
الأضطراب فتقدم اليها في ثبات ليؤكد لها انه افضل حتى لا
يزيد من حيرتها و قلقها عليه .. انحنى يقبل رأسها
و يتجه ناحية باب الغرفة .. فهتفت زهرة في تعجب :- مش
هاتيحي تنام يا عاصم ؟!!.. شكلك تعبان .. و الولاد
هوديهم أوضتهم..

هز رأسه نافيا و معترضاً على اقتراحها :- لاه .. خليهم
چارك .. انا مش هبيت هنا الليلة دي ..
لمح الاستفسار في نظراتها فهتف مفسرا :- هبات چار
ابويا ..

و خرج من الغرفة تاركا أياها و قد ازداد قلقها أضعافا
مضاعفة ..

هتفت نعمة صباحا منادية على بدور من خارج شقة ابوها
لتنفض مندفة اليها هابطة الدرج حتى تلاقيها و ما ان
طالعتها بدور حتى همست نعمة متسائلة في خبث ماجن :-
هاا ايه الاخبار ..؟!..

لم تعقب بدور بل خفضت رأسها في الأرض حياءً و اكتسى
وجهها بحمرة محببة .. فأنفجرت نعمة ضاحكة وهي تدفع
بصينية طعام مغطاة باتجاه بدور هاتفة :- طب خدى يا
عروسة .. صينية فطوركم اهي .. و ألحق أنا أفطر ابوك ..
تناولت بدور الصينية في سعادة و اتجهت بها لأعلى و ما
ان صعدت اول درجة حتى وقفت للحظة و استدارت باتجاه
نعمة هاتفة :- نعمة!!

تنبهت نعمة قبل ان تغلق الباب فعادت لتشرعه من جديد
مستفسرة لتستطرد بدور في امتنان:- ربنا يسعدك .. لو ليا
اخت مكنتش عملت اللي عملتيه معايا ..
ابتسمت نعمة و لم تعقب بحرف واحد لكن تلك الدموع التي
ترقرقت بمأقيها كانت اكثر من كافية للرد على ما قالته بدور

..
أغلقت نعمة الباب و اتجهت بدور للأعلى و ما ان دفعت
الباب لتدخل بالصينية حتى فاجأها زكريا مازحاً و هو يأسر
ظهرها لصدره ..

شهقت فزعة الا انها تمسكت بصينية الطعام في ثبات تحسد
عليه و انفجر هو ضاحكاً و لم يفلتها ..
هتفت معاتبه :- كده برضك يا سى زكريا .. كنت هوقع
صينية الاكل من ايدى ..

همس زكريا مغازلا :- فداك ميت صينية ..
فك أسرها لتضع الطعام فوق الطبلية و يجلسا متجاورين و
ما ان رفعت الغطاء حتى هتف زكريا بسعادة :- حمام
محشى .. و الله زمان .

قهقهت بدور :- او مال ايه..؟! مش عريس ..
هتف زكريا في سعادة وهي يتناول الطعام في شهية :- كتر
خيرها الست نعمة و الله .. ربنا يبارك فيها ..
ابتسمت بدور في تأكيد ليستطرد :- بس بجولك ايه ..؟!..
اليومين دوول هعديها عشان انت لسه عروسة لكن اكل تانى
ياجينا من تحت .. لاه .. مش هاكل الا من يدك و من حر
مالى .. مفهوم يا بدور ..؟!..
أومات برأسها إيجاباً و هي تضع بعض من طعام في فمه
ليستقبله منتشياً و يرفع كفه ليطعمها بالمثل لكنها ترفض
معتضة :- كل انت يا سى زكريا ..

هتف متعجباً :- هو انت مش عايزة تدينى الثواب و لا ايه
..؟!..
.....

سألت بدهشة :- ثواب ايه ..؟!..
 قال و ابتسامة تطل على شفثيه وهو يضع بعض من طعام
 في فمها :- هو انت متعرفيش ان الراجل لما يوكل مرته
 بيده ياخذ ثواب !!!..
 هتفت بدور :- لا معرفش .. بس اذا كان كده بقى .. لا ده انا
 اسيب ايدى ووكلنى للصبح ..
 انفجر ضاحكاً :- و انا اكل بأيه ..؟!..
 قهقهت بالمثل ليستطرد مازحاً :- شوية لدنيتنا وشوية
 لاخترنا يا بدور..
 اندفعت ترد عليه مازحة بدورها :- ماشى .. الحق عليا ..
 كنت عايزة اضمن لك الجنة ..
 نظر اليها في عشق هامساً :- الجنة دخلتها امبارح على
 يدك يا بدور ..
 احمرت خجلاً و طأطأت رأسها و ابتسامة ناعمة تكلل
 ثغرها و نظرة عاشقة تطل من عينيها ..

مرت الليلة بسلام و خرج عاصم بعد تردد لمباشرة مصالحه
 و لكن قبل ان ينتصف النهار لاح سعيد في استراحة
 الأسطبل مندفعاً مما جعل عاصم ينتفض في تساؤل :- خبر
 ايه يا سعيد .. الحاج مهران بخير ..?!..
 ألتقط سعيد أنفاسه المتلاحقة في صعوبة مؤكداً حدس عاصم
 بان الامر يخص أبيه :- الحج طالبك ضرورى يا عاصم بيه
 و جالى ياجى لو في يده ايه ..
 اندفع عاصم في عجالة صاعداً سيارته التي لا يستخدمها الا
 للضرورة متوجها الى سرائى الهوارى ووصل في اقل من
 دقائق مندفعاً الى حجرة ابيه .. منذ البارحة و هو منقبض
 الصدر يشعر بثقل غريب يخيم على نفسه ..

دفع باب حجرة ابيه في قلق لكنه تنهد في راحة عندما
طالعه ابوه في تمام الصحة .. حتى انه بدا له كما لو لم يكن
مريضاً قط ..

هتف عاصم في قلق :- خير يا حاج!
أشار الحاج مهران للفراغ المجاور له في الفراش ليجلس
عليه عاصم :- تعال يا ولدى ..
جلس عاصم حيث اشار ابيه و القلق وصل به مبلغاً عظيماً

..
همس الحاج مهران و قد بدا صوته متحسراً من اثر
السعال الذي يلزمه :- اسمع يا عاصم .. لليوم ده رببتك يا
ولدى .. شيع لسهام اختك عايز اشوفها و كمان بلغ الحاجة
فضيلة و زهرة انى عايزهم .. و متجلجهمش ..
اما انت يا عاصم .. ربنا يعينك يا ولدى على حملك .. دير
بالك على اختك و امك دوول أمانة في رجبك يا عاصم ..
مرتك و عيالك دول ارضك و ذرعتك .. حاجي عليهم من
الزمن و ربنا يكرمك فيهم يا ولدى ..
اهلك يا عاصم .. اهلك لتهلك .. دوول عزوتك و ناسك ..
اتجى الله فيهم يا ولدى و في صغيرهم جبل كبيرهم .. و في
أفجرهم جبل أغناهم ..
تحسرج صوت عاصم هاتفاً :- ايه لزمته الحديث ده يا بوى
دلوجت !؟ ..

هتف الحاج مهران واهنا :- ده هو وجته .. اسمع بس ..
الدورچ الأخير ده .. و أشار لأحد ادراج خزانة الملابس
القابعة في ركن الغرفة الأيمن مستطرداً و هو يجذب مفتاح
معلق برقبتة .. ده مفتاحه يا عاصم فيه كل الاوراج اللى
تخصنى .. هتحتاجها ..

سعل الحاج مهران مما دفع عاصم للإسراع خارج الغرفة
صارخاً في سعيد :- جوام .. ارمح جيب الداكتور ..

هتف الحاج مهران بصوت بدأت تخبو نبراته:- لااه ..
داكتور ايه .. هو في دكتور عايمنع جضا ربنا .. اسمع يا
عاصم ..

اندفع عاصم من جديد لأطراف فراش والده ممسكاً بكفه يكاد
يموت قهراً و عجزاً امام ابيه الذى يخبو لون الحياة من
وجهه تدريجياً غير قادر على التصرف حيال ذلك ..
ليستطرد الحاج مهران لاهتاً :- معيش صراخ و عويل ..
معيش عزا و لا صوان .. كل اللى كان هايتعمل .. فلوسه
خرچها على روى صدجة يا عاصم .. ادقنى چار أبوى و
اخوى غسان .. عشان اجوله انى ردیت حج ولده زكريا ..
اما ولده سليم قربنا يهديه و يسامحه ..

شهق الحاج مهران و بدأت أنفاسه تتلاحق مما دفع عاصم
ليهتف صارخاً :- حاج .. يا حاج ..
و خرج ليكمل صراخه لسعيد على الرغم من علمه انه لم
يعد بعد:- الداكتور فين يا والد ..

اندفعت الحاجة فضيلة من الخارج على صوت صرخات
عاصم مذعورة و بالمثل هرولت زهرة في قلق من حجرتها
حيث كانت تطعم صغارها ..

تجمع الكل امام باب غرفة الحاج مهران .. و اندفعوا داخلها
مذعورين لرؤية الحاج مهران بتلك الحالة و الذى همس :-
وينها سهام .. شيعولها.

اندفعت الحاجة فضيلة لام سعيد
هاتفة :- سيبى اللى وراك و هاتى سهام في يدك و تعالى
چرى ..

اندفعت ام سعيد تنفذ في عجالة و دون إبطاء ..
و عادت الحاجة فضيلة تقف مشدوهة على باب غرفة رفيق
عمرها لا تستطيع الا ان تذرف دمعاً لا يبذل الا لعزيز غالى

..

أشار الحاج مهران لها فاقتربت و أمر الجميع لتركهما
وحيدين و لكن قبل ان تخرج زهرة ناداها لتقترب و دموعها
تغرق وجهها غير قادرة على التفوه بكلمة فهمس لها :-
زهرة يا بتي .. خلى بالك على عاصم .. متسبيش يده مهما
حُصل و خليكِ چاره .. ربنا مايفرجكم ابدا ..
ربت على ظاهر كفها و تركه لتندفع زهرة خارجا و شهقاتها
تسبقها .. و هي تغلق الباب خلفها تاركة الحاجة فضيلة
تجلس على احد المقاعد بجوار فراش الحاج مهران .. لكنها
انتقلت ما ان أغلق الباب لتجلس على طرف الفراش مقابلة
له .. تجود بدمعها العزيز ..
همست الحاجة فضيلة شاهقة :- متسبيش يا مهران .. ده
انى عايشة على حسك ..
ربت الحاج مهران على كفها مطمئناً :- مش هسيبك يا
فضيلة .. هكون دايما جنبك وحواليك ..
شهقت الحاجة فضيلة من جديد :- راضى عنى يا مهران ..
!!؟..
همس بوهن متزايد :- واه يا حبة جلبى .. راضى دى كلمة
جلیلة ..
و بدأ في السعال من جديد مما دفع الحاجة فضيلة لتفتح
الباب تستدعى عاصم مذعورة لتندفع معه سهام من باب
حجرة ابوها و قد وصلت لتوها في حالة انهيار تام و خلفها
حسام زوجها ..
بكت في أحضان ابوها غير قادرة على رفع رأسها و
الاستماع لما يقوله بصوته الواهن
.. دفعوا بالجميع خارجا عندما وصل الطبيب أخيرا .. و
الذى أقر بضرورة نقل الحاج مهران للمشفى فى التو ..
الا ان الحاج مهران رفض هاتفاً :- لاااه .. عموت على
فرشتى ..

.. الا ان عاصم لم يعبء بمطلب ابيه و طلب سيارة اسعاف
لنقله فقد استشعر ان الحالة اخطر من اى مرة مضت لذا
اتفق مع الطبيب على ذلك .. و ما ان عاد للغرفة التي كان
بابها مواربا حتى سمع ابيه يرتل بعض من ايات الذكر
الحكيم بصوت هامس مضطرب النبرات:- وَ سِيقَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ...
و أخيرا صمت الهمس و سكن الجسد و مال عاصم على
الباب يستمد منه قوة كان احوج ما يكون اليها ..

هتف الحاج مرشدى عندما طالعه محيا زكريا قادما الى
المحل بعد ان قضى الثلاث ايام الاولى فى زواجه فى اجازة
منحها له ما ان علم بزفافه:- مبروك يا عريس .. الف
مبروك يا صعيدى ..
ابتسم زكريا رابتاً على صدره هاتفاً فى سعادة :- يبارك فيك
يا حاج مرشدى .. ربنا يخليك لينا ..
هتف احد زملاء زكريا فى العمل مستعجبا :- لكن اتجوزت
فجأة كده يا زكريا .. مش غريبة دى؟! ده احنا حتى
مسمعنش انك خاطب او حتى حاطط عينك على واحدة ..
هتف الحاج مرشدى فى سخرية :- ما هو كده يابنى ..
الجواز ده ذى القضا المستعجل لا تعرف يجى امتى و لا
اذاى ..

انفجر جميع صبيان المعلم مرشدى ضاحكين على تعليقه
الساخر و كان من بينهم زكريا الذى خاطبه المعلم مستطرداً
فى مساخره :- بس قولى يا زكريا .. فتحت البرميل من
فوق و لا من تحت؟! ..

تعجب زكريا للسؤال :- برميل ايه لامواخذة يا حاج؟! ..

انفجر الجميع ضاحكين على جهل زكريا بمصطلحات الحاج
مرشدى و فلسفته الحياتية ليستطرد الحاج مرشدى من بين
قهقهاته :- برميل الزفت يا غشيم .. ماهو الجوازده عامل
ذى برميل الزفت على وشه شوية عسل و الباقي قطران
لامواخذة .. فلو انت فتحتة من فوق اهو طلّت لك لحستين
عسل قبل ما تدوق المر يا خفيف و لو فتحتة من تحت يبقى
وقع الزفت على دماغك الكريمة ..

انفجر زكريا و من معه مقهقهين حتى اجاب زكريا باسم :-
لاه .. طلّت لحستين عسل يا معلم ..

هتف الحاج مرشدى :- طب اشكر ربك .. و بوس ايدك وش
و ضهر ..

هتف زكريا :- شكرينه و حمدينه يا حاج .. كل مجايبه خير

..

هتف الحاج مرشدى و قد استعاد وقاره :- الحمد لله .. ربنا
يهنيك يابنى .. و الف مبرووك ..

ثم هتف أمرا زكريا :- قرب ..

اقترب زكريا كما أمره الحاج مرشدى ليودع فجأة فى كفة
حفنة من النقود هامساً :- ده نقوط جوازك .. عشان تفرح
العروسة ..

هتف زكريا محتجاً :- ده كتير يا حاج!!! ..

هتف الحاج مرشدى فيه ليوقف سيل اعتراضاته :- انت
هتكسف ايدى و لا ايه ..؟! .. خد و بلاش غلبة .. و شيلهم
من سكات ربنا يبارك لك فيهم.

هدأ زكريا ووضع المال فى جيب جلبابه وهمس فى امتنان
:- ربنا يبارك لنا فى عمرك يا حاج ..

ربت الحاج مرشدى على كتف زكريا فى محبة و اشار له :-
يا اللاه .. روح شوف شغلك .. و خف على نفسك يا عريس

..

ابتسم زكريا و هو يندفع لشكاير الإسمنت في الخارج
يحملها بكل همة و يضعها حيث مكانها في داخل المحل

دخل عاصم السرائي متجهما يملؤه حزن العالم على رحيل
والده الغالي .. كان يسير في تودة تحمله قدماه بالكاد و ما
ان اقترب من الباب حتى سمع صراخ و عويل فاندفع بكل
عنف لداخل السرائي ليرى من تجراً وخالف وصية ابيه ..
وصل لقاعات الحريم فدخل هاتفاً بصوت كالرعد اهتزت له
الأركان و انتفضت له النساء :- جلنا مفيش لا صراخ و لا
عويل .. و اللي چاية و فاكرة صراخها و عويلها ده الواجب
.. بناجسه الواجب ده .. اللي هاتجعد .. تجعد من غير حس
يا اما تفارجنا بالمعروف ..

ساد الصمت بعد كلمات عاصم الهادرة .. و اندفع لأعلى في
غضب عارم و بالفعل نهضت بعض النساء تستأذن للرحيل

..

اندفعت زهرة خلفه .. لتراه يدخل غرفتهما و يدفع الباب
بعنف خلفه .. دخلت في هدوء لتجده يتناول بعض من
ملابسه و يندفع ليغادر الغرفة من جديد ..
ثلاثة أيام مرت منذ وفاة الحاج مهران لم تنتظر فيها لوجهه
او حتى تلمح عينيه و كأنما يهرب بهما بعيدا لا قبل له
بمواجهة عينيه...

حتى انه لم يعد ينام في فراشه بل اتخذ من حجرة ابيه ملاذ
له يلجأ اليه بعد ان ينتهي من مهام الغزاء في استراحة
الاسطبلات و يختفى بداخلها حتى صباح اليوم التالي ..
تنهدت في حزن على حاله و حال البيت الذي عمه الحزن و
عشتت عليه الكأبة منذ رحيل الحاج مهران .. دمعت عيناها
لذكراه و ترحمت عليه بصوت عال ..

دق زكريا باب غرفته لتفتح بدور في لهفة لرؤيته و عادت
من جديد مسرعة امام الموقد.. ليهتف زكريا :- ايه الروايح
الچامدة دى ..؟!.. هتغدينا ايه يا بدر البدور ..
انفجرت ضاحكة لذاك الدلال المحبب لقلبها و هتفت متعجبة
لإعجابه برائحة الطعام :- ده برنجان
(باذنجان) يا سى زكريا ...

هتف ممتنا :- و ماله .. رضا .. من يدك هاييجى شهد ..
ابتسمت لمغازلته ووضعت الطعام على الطبلية و بدأوا في
تناوله بشهية..
و أخيرا هتف متذكرا :- اه صحيح .. خدى ..
و اخرج من جيب جلبابه بعض النقود ووضعهم أمامها على
الطبلية .

هتفت في سعادة :- ايه ده كله يا سى زكريا..؟!.. ماشاء الله

..
هتف زكريا فرحا :- ده نجوط الحاج مرشدى لما عرف انى
اتجوزت .. عطاهملى و جالى ابسط العروسة ..
انفجرت بدور ضاحكة و سعيدة تدعو للحاج مرشدى بدوام
الصحة و طول العمر ثم تهمس في دلال :- عارف يا سى
زكريا ..!!!

تنبه لها بكل حواسه لتستطرد :- انا فرحتى بانك هاتفضل
معايا بكرة اليوم بطوله .. اكتر من فرحتى بالفلوس و الله ..
لمعت عينا زكريا ببريق مشاكس و هو يخرج من تحت
الطبلية لفافة صغيرة و يقدمها لها هاتفاً :- طب و ايه رايك
.. مع زكريا و لا مع حبيبك دى ..؟!..

انتفضت بفرح و فضول طفلة صغيرة هاتفة :- ايه ده يا سى
زكريا .. ده انا مشفتكش داخل بحاجة في ايدك ..
ابتسم لانه استطاع تمريرها و هى تعطى له ظهرها تتجه
للموقد تنقذ الباذنجان قبل احتراقه
فتحتها في لهفة لتصرخ في سعادة :- بسبوسة..!!!

انفجر ضاحكاً لردة فعلها لتهتف هي في تعجب :- بس اذاي
عرفت انى بحبها ...!!!... سألت نعمة ..صح ...؟!!..

هز رأسه نافيا و لازالت الابتسامة تكلل محياه ثم همس :-
انت اللى جولتيلي ..

همت بالاعتراض الا انه استطرد :- في يوم كنت راجع من
المحل بدرى لمحتك جدام محل الحلويات اللى على طرف
الحارة ..وجفت .. خفت لسمرى او حد من رجالته يتعرض
لك... و سمعتك و انت بتطلبى البسبوسة و خديتها و مشيتى
و انا وراك حارسك وانت مش دريانه لانك فتحتى طبج
البسبوسة و هاتك يا اكل ..

انفجرت ضاحكة .. ليعقب هو مازحاً وهو يختطف طبق
البسبوسة من أمامها و يندفع واقفا و هو يهتف :- دلوجتى
نشوف بتحبى مين اكرر.. زكريا و لا البسبوسة ...!!!..
اندفعت بدور تدافع عن محبوبتها تحاول ان تطالها و هو
يرفعها عنها لأقصى ارتفاع تصله كفه و هو يضحك هاتفاً :-
جولى .. زكريا و لاه البسبوسة ...؟!!..

لتهتف هي محاولة الوصول للطبق و إيجاد حل وسط :-
زكريا بالبسبوسة...

لينفجر زكريا ضاحكاً و هو يخفض الطبق لمستوى ناظريها
لتلمع عيناها في لهفة ممنية نفسها بتذوق قطعة و مدت
كفها تتناول احداها بالفعل و ما ان همت بقضمها الا و
أدارت كفها التي تمسك بها و تتجه بها ناحية فم زكريا الذى
ادرك انها تؤثره على نفسها و تقدم له يدها ليتناول القضة
الأولى ..ففعل في محبة و أخيرا عادت بكفها لتضع باقى
القطعة كلها في فمها لينفجر زكريا مقهقها و هو يراها تعلق
أصابعها في استمتاع و همس متحسرا :- ده شكل اچازه
بكرة هاتبجى للبسبوسة و خلاص راحت عليا انى بجى ..

لتهتف بلهفة و هي تضع طبق حلواها المفضلة جانباً :-
 متقلش كده يا سى زكريا .. طب شايف انا بحب البسبوسة
 قد ايه ..؟! .. انا بحبك اكثر بكتييير ..
 قهقهه زكريا هاتفاً :- كتر خيرك .. انا عرفت كده انك
 بتموتى فيا بجد ..
 اندفعت بين ذراعيه ضاحكة في سعادة

خرجت تطمئن على صغارها في حجرتهما الخاصة و تتأكد
 انها على خير حال ..
 قابلت الحاجة فضيلة التي كانت تصعد الدرج بعد رحيل اخر
 النسوة المعزيات ..
 نظرت اليها زهرة في حسرة و قد ارتسم على وجهها
 تغضنات لم تكن موجودة على وجهها من قبل .. أضحت
 الحاجة فضيلة عنوان القوة و الصمود امرأة عادية يُظهرها
 الحزن اكبر بكثير مما هي عليه حقا .. حزنها كبير.. زهرة
 تعلم ذلك جيداً .. فحبها للحاج مهران كان كبيراً أيضاً ..
 اشفت عليها .. فأندفعت زهرة تتلقى كفها ما ان وصلت
 لأخر درجات السلم لاهثة و سارت تستند عليها حتى وصلت
 بها لحجرتها .. مرت على حجرة الحاج مهران في طريقها
 فتوقفت لحظة تدنى الطرف على مقام حبيبها الذى ما عاد
 يسكنه

همست لزهرة بشجن :- لساته عاصم بيبيت في أوضة
 الحاج ..؟! ..

أومأت زهرة إيجاباً .. و همست بدورها و قلبها يئن حزناً
 على حال زوجها و حبيبها:- هنسب عاصم كده يا خالتي
 ..؟! .. انا خايفة عليه من الكتمة و القهرة اللى ملياه دى ..
 ربت الحاجة فضيلة على كفها مطمئنة و قد وصلت لباب
 حجرتها و همست في هدوء مؤكدة :- متجلجيش .. عاصم
 ولدى شديد ..

أومات زهرة برأسها إيجابا على الرغم من عدم اقتناعها و
قبلت رأس خالتها و تركتها لتعود لصغارها ..
عادت لحجرتها أخيرا تحاول الحصول على قدر من النوم و
الراحة بعد عناء الأيام الماضية .. لكن من أين تأتي الراحة
...؟!...

وهي تراه لا ينعم بها .. من أين يأتي النوم...؟!... و قلقها
على حاله يضج مضجعا..
تقلبت على فراشها لكن هيهات ان يزور النوم جفونها ..
ثلاث ليال وهو بعيد .. ثلاث ليال بلا نوم .. ثلاث ليال
ممزوجة بالأرق و القلق..

هي لم تعد تحتمل .. ظلت بعيدة تحترم حزنه و قررت ان
تتركه يتصرف كما يحلو له مراعية لظروفه النفسية الصعبة
.. لكنها لن تظل بعيدة للأبد .. لن تتركه وحيدا غارق في
ألمه .. فليكن ما يكون .. هكذا هتفت و هي تندفع من
فراشها و تخرج من غرفتها في هدوء وحرص تتسلل لغرفة
الحاج مهران و تفتح الباب في حذر و تدلف للداخل و تغلق
الباب خلفها ..

رأته على ضوء خافت صادر من باب الحمام الجانبي على
اطراف الغرفة كان دوما ما يتركه الحاج مهران رحمه الله
مضاءً ..

كان يتكوم كجنين على اطراف الفراش يحتضن في تشبث
وسادة كان دوما ما يرتكن عليها ابیه عند جلوسه في
ساعات استيقاظه..

دمعت عيناها لمرآه بهذا الشكل .. تحركت في بطء حتى
أصبحت على الجانب الاخر من الفراش و ما ان وضعت
جسدها عليه حتى اصدر صريرا فتنبه عاصم لكنه لم يحرك
ساكنا بل همس بحسم :- روى يا زهرة من هنا .. انا زين

لم تجبه بل اقتربت اكثر حتى أصبحت تلتصق بظهره الذي
يوليه أياها ووضعت كفها على ذراعه هامسة بأسمه بنبرة
مستجدية رغبة في الاطمئنان عليه :- عااصم ..؟!..
همس من جديد بحسم اقل :- انا زين .. روحى الله يخليك ..
جذبت ذراعه ليواجهها فلم يعترض و استدار بكليته اليها
فتشجعت و جذبت برفق الوسادة من بين ذراعيه ووضعتها
جانبا .. و أخيرا ضمت رأسه لصدرها و همست :- ابكى يا
عاصم .. ابكى ..
تنهد بعمق وهمس بين أحضانها :- انى شديد يا زهرة ..
انى شديد ..
احنت رأسها لتقبل هامته التي بين ذراعيها في حنو و بدأت
تهدهده في وداعة لتستشعر شهقاته التي يحاول كتمانها في
أحضانها لتعصره الى صدرها اكثر و تحيطه بذراعيها كأنما
بفعلتها تطرد اشباح الحزن بعيدا .. بكت تشاطره ألمه الذى
تستشعره يلهب صدرها و يعذب روحها ..
لا تعلم كم ظلا على حالهما .. لكن كل ما تعرفه انه غفا
أخيرا كالطفل بين ذراعيها ..

الفصل الخامس

جلست بخيئة في استكانة تمسك بصينية عليها بعض
 الحبوب تنظفها و تخلصها من شوائبها و كسبانة بجوارها
 تطعم حمزة الذى بدأ النوم
 يداعب جفونه فيدعك احدى عينيه بظاهر كفه و يتشاءب في
 نعاس واضح .. ضحكت بخيئة لمظهره الناعس فتركت
 صينية الحبوب جانبا و تناولت حمزة تهدده وقد لاحظت
 شرود كسبانة على غير المعتاد فهمست متسائلة :- مالك يا
 بنتى!! شكك مش بعادة .. في حاجة شغلاكى ..؟!..
 تنهدت كسبانة في سأم : لااه مفيش يا خالتى.. بس انت
 عارفة ان امى و اخوالى مجاطعنى من يوم اللى حصل
 بسبب سليم .. و جال انى لطخت سمعتهم في الوحل .. يعنى
 انى لو مطاوعتش سليم كان هايعمل فيهم و يسوى و احنا
 غلابة و ملناش حد يا خالتى .. كنت هجوله لااه اذاي ..؟!..
 و احنا ملناش حد يجف لسليم بعد موت ابويا .. و الله يا
 خالتى لولا عاصم بيه و سى زكريا لكانوا جتلونى من زمن
 ... و اهى امى چايبة لى عريس من طرف خلانى .. و يا
 اوافج عليه ليجطعونى العمر كله..
 سألت بخيئة في فضول :- و انت رأيك ايه يا بنتى ..؟!..
 هاتجبلى العريس اللى چييبينه ده !!..
 اجابت كسبانة :- و الله يا خالتى ما عارفة اجبل و لا لاه ..
 خايفة يعمل لى البحر طحينة و يجولى هراعيك انت و ولدك
 و بعد الجواز يجولى اديه لأمك تربيه و انا مجردش ابعد
 عن ولدى و لا ساعة واحدة و امى معدتش جادرة على تعب
 العيال .. كفاية عليها اخواتى اللى لسه صغار .. و لو
 رفضت .. امى هتجاطعنى تانى .. معرفاش اعمل ايه و
 اسوى كيف ..?!..
 ربتت بخيئة على كتفها متعاطفة و هي تهمس في محاولة

لطمأنتها :- متجلجيش يا بتى .. ليها رب اسمه الكريم ..
تتعدل بإذنه .. سببها على الله ..
أومات كسبانه برأسها موافقة ونظرت لحمزة الذى راح في
سبات عميق منذ زمن لتحمله من بين ذراعى بخيته
متوجهة به لغرفتها و
في منتصف طريقها استدارات تسأل بخيته :- هو سى زكريا
متصلش يا خالتى ...؟! .. بجاله فترة غايب .. ده الحاج
مهران اديله كام يوم متوفى و هو ميعرفش ...!!!
هتفت بخيته متتهدة :- الغايب حچته معاه يا بتى ..
تابعت خطواتها هاتفة :- صدجتى يا خالتى .. الغايب حچته
معاه .. و هو حچته شديدة .. عريس ماشاء الله .. ربنا
يهنيه ..
دخلت كسبانه الغرفة لتتطلع بخيته للباب المفتوح حيث
غابت و هي تتحسر في سرها .. خسارة يا بتى .. و ألف
خسارة .. بس النصيب بجى ..

تسللت زهرة بحذر من جانب عاصم الذى غاب في سبات
عميق و اندفعت لـحجرة اطفالها عندما تناهى لمسامعها
صوتها يشق صمت الليل ببكائهما .. ظلت بقربهما حتى
غابت هي أيضا في النوم ولم تستوعب أين هي بالضبط
حتى فتحت عيونها تستطلع ما حولها لتجد اطفالها على
حالهما .. كانت سندس مستيقظة تلهو بصوتها المحبب بينما
مهران لا زال يغط في نومه ..
تسللت زهرة من جديد بغية التأكد ان عاصم لا زال نائما و لم
يستيقظ بعد .. انه بحاجة للراحة و النوم بعد ثلاث ليال من
الحزن و الأرق لم يذق فيهما للراحة سبيل ..
هبطت الدرج في تكاسل فهي بدورها لم تنعم بالراحة لكن ما
يعنيها ان عاصم بخير ..

دخلت المطبخ تعد فطورا شهيا تقدمه له ما ان يستيقظ ..
 حملت صينية الطعام و صعدت بها لحجرة ابيه حيث ينام ..
 ببطء شديد فتحت الباب .. كانت في سبيلها لإغلاقه من جديد
 عندما اعتقدت انه لايزل نائماً لكنه هتف بها دون ان يوجه
 بصره للباب :- انى فوجت يا زهرة تعالى ..
 دخلت بحملها ووضعت على الطرف الاخر من الفراش
 عندما استدار لها بكليته :- صباح الخير ..
 ابتسمت في حنو :- صباح النور .. احلى فطور لعيونك ..
 هتف رافضا :- ماليش نفس يا زهرة.
 استدارت زهرة لتجلس قبالة هامسة وهى تضع كفها على
 جانب وجهه الذى تناولت لحيته بشكل واضح :- مينفحش
 كده يا عاصم.. انت مدقتش الزاد و منزلش جوفك الا المية

..
 جذبت الصينية و مدت كفها تستقطع لقيمة تضعها بفمه
 ليعترضها هو بكفه هامساً :- و الله ما جادر .. حاسس ان
 جوفى كنه چمر ..

دمعت عيناها وهى تهمس :- و الله ما يرضى حد اللى
 بتعمله ده و لا عمى الله يرحمه يرضى بكده ..
 تنهد عاصم في شجن عند ذكر ابيه و اشفاقا على حالها
 الملتاع مد كفها في هدوء و تناول كوب اللبن من على
 الصينية و بدأ في شربه ببطء مما دفعها لتمسح دموعها و
 تبتسم مشجعة و هى تضع اللقيمة التي لاتزل في كفها في
 فمه ..

تناول ما استطاع بفضل تشجيعها .. و ابتسمت وهى ترفع
 صينية الطعام من أمامه و تضعها في احد جوانب الغرفة ..
 وما ان هم بالنهوض
 حتى هتفت مازحة :- على فين ؟!..
 و اندفعت تجلسه مرة أخرى على اطراف الفراش هامسة :-
 عيالك نفسهم يشفوك ..

همس في محبة :- وحشوني بجد هاتيهم ..
اشارت لذقنه النامية هاتفة :- بدقنك دى ...؟! لا .. لازم
نتظبط الأول..

و أخرجت من خلف ظهرها عدة الحلاقة .. وهى تهتف في
مرح :- اسمح لى اشلفطك بقى ..
اتسعت ابتسامته وهتف :- شلفطى ذى ما انت عايزة .. بس
اياك وشنبى ده انى بربى فيه من عمرك ..
انفجرت ضاحكة :- ليه هو انت شنبك طلع و انت عندك سبع
سنين !؟

ابتسم لمزاحها مؤكدا :- ااه .. سلو عيلتنا .. رجالة من
يومنا .. اعترضى لو تجدرى ..
بدأت في وضع منشفة حول رقبتة و وزعت معجون
الحلاقة على ذقنه و وجنتيه و بدأت في استخدام الشفرة في
حذر هامسة بمحبة مازحة :- انا أقول اللى انا عيزاه دلوقتى
لأن رقبة حضرتك تحت ايدى .. اعترض انت بقى ...؟!
همس بعشق و امتنان و عيونه تأسر عيونها :- زهرة ...؟! ..
تسلميلى ..

كان يعلم انها تفعل المستحيل لتخرجه من حالة الحزن التي
تسيطر عليه على الرغم من حزنها الذى لا يقل شدة لانها
ليست فقط حزينة على وفاة ابيه لكن حزنها مضاعفا بسبب
حاله التي لن يخرجها منها الا هي .. و لقد نجحت الى حد
كبير ..

دمعت عيناها لكلمته رغم بساطتها و انحنت تقبل جبينه في
سعادة .. ليهتف هو في مزاح :- خلصى بجى و انجزى ..
تاريك حلاج غشيم..

انفجرت ضاحكة :- بقى كده ...!! ماشى .. مسحت ما تبقى
من معجون الحلاقة عن وجهه لتهتف في مرح :- نعيما يا
فندم .. اول مرة بس مجانا .. بعد كده الدفع مقدماً ..

همس مشاكساً :- جال مجدماً .. انت اخرك بيضتين و
جرجوشة (عيش ناشف) زى الحلاجين اللى كانوا على
الجسر زمان ..

انفجرت ضاحكة :- دى اخترتها .. على العموم انا خدت
اجرتى خلاص ..

نظر اليها فأستطردت :- كفاية عليا ضحكك اللى رجعت تنور
وشك تانى يا عاصم .. ربنا ما يغيبها ابدًا ..
جذبها اليه يضمها في عشق و يطبع على جبينها قبلة طويلة
أودعها كل محبته و امتنائه ..

خرج نبيل من احد المحلات التجارية يتنهد في تعب واضح
هاتفاً :- كفاية كده يا ندى .. مبقتش قاالدر خلاص.
هتفت ندى حانقة :- كفاية ايه ...؟! .. هو احنا لحقنا .. لسه
بدرى ..

هتف نبيل معترضاً :- ايه .. لسه بدرى ...؟! .. طب امشى
قدامى .. ده احنا لفينا فوق ال خمسين محل لحد دلوقتى ..
يا بنتى انت رايحة بالاريس يعنى ارض الحب .. هالا الحب
.. و رفع يده متضرعاً للسماء مازحاً .. يا رب تفهم ..
قهقهت وهى تجذبه من كفه المعلقة :- لا .. مش فاهمة ..
اللى فهماه دلوقتى حاجة واحدة .. لسه مخلصتش شرا كل
اللى انا عوزاه ..

أشار نبيل الى الطريق أمامها
هاتفاً :- حاضر يا فندم .. بس ممكن اكل .. عادى بنى ادم
و لازم ياخذ طاقة عشان يقدر على الأشغال الشاقة دى ..
أكدت ضاحكة :- اذا كان على الاكل .. مالشى .. و انا اللى
عزماك كمان .

قال نبيل مدعياً الفرحة :- لا .. روحى يا شيخه ربنا يعمر
بيتك ..

.....

جلسا أخيرا على احدى طاولات مطعم راق و هو يتنهد في راحة :- أخيرا .. مش مصدق نفسى .. هو ده بقى اللى بيسموه شوبنج ..؟! ..

ابتسمت ندى :- ايوووه حضرتك .. استطرد :- و المفروض انه متعة و كده .. أمال العقاب يبقى ايه ...؟! ..

أكدت ندى متذمرة :- حد يقول على الشوبنج عقاب .. ده اكبر متعة ف الدنيا ..

اقترب نبيل منها مشاكساً :- معلومة خاطئة و وجب عليا التصحيح من فضلك ..

همست باسمه :- تصحيح ايه ...!!! ..

همس بعشق :- اكبر متعة في الدنيا .. هي القرب منك .. ثم زفر حانقاً فجأة .. هو احنا امتى هانكتب الكتاب؟! ..

انفجرت ضاحكة لتحوله المفاجئ .. وهتفت مؤكدة :- ما انت عارف يا نبيل .. ماما ..

قاطعها بغیظ :- ايوه عارف .. ماما عايضة كتب الكتاب قبل الفرح بيوم .. و طبعا عمى كتر خيريه واقف في صفها كائى مش بن عمك من أساسه و بتعامل ذى الغريب ..

همست متتهدة في محاولة لإمتصاص غضبه المتصاعد من ذاك الموضوع الذى لطالما كان موضع لمناقشاتهما المحتدة و لعلمها انه على حق في مطلبه :- معلش يا نبيل .. عشان خاطرى .. انت عارف بابا بيحاول يريح ماما بالذات الفترة الأخيرة لما عرف بتعب قلبها .. كفاية عليها احساسها

بالزعل انى هسافر و اسبها كمان كام شهر ..

تنهد نبيل متفهماً :- خلاص .. حصل خير .. بس القصد يا

ندى انى احس انى خارج معاكى و انت مراتى و بكلمك براحتى و بزورك في البيت براحتى .. مش مجرد خطيب و خطيبة .. على العموم .. اهى هانت .. كام شهر و نكتب

الكتاب و ساعتها يمكن اخطفك و يشوفوا مين بقى اللى
يحضر لهم الفرح ...؟!..
علت ضحكاتها على كلماته المتوعة الممزوجة بالمزاح..
لينظر هو لضحكاتها الندية فيهمس بغيط :- منك لله يا طنط
هتلىر ..

سألته في تعجب :- بتقول حاجة ..؟!..
أكد مازحاً :- لا خالص .. بدعى من كل قلبى لعمى و طنط
.. ربنا يكرمهم ..
نظرت اليه نظرة كلها ريبة .. ليستطرد مؤكداً :- اكيد طبعا ..
مش جابوكى ليا ..
لتبتسم في خجل مصدقة ادعاءه ...

نادت نعمة بصوت عال :- يا للاه الغدا يا حاج وهيب ..
نهض الحاج وهيب جاذباً خلفه زكريا مشجعاً :- يا اللاه يا
زكريا يا بنى .. و لا هاتعمل فيها مكسوف .. ده انت خلاص
بقيت واحد مننا ..
ابتسم زكريا لبدور وهو يجلس للطبيلة وقد مرت أمامه و
هي تساعد نعمة في جلب باقى الصحن ..
تسأل الحاج وهيب :- بص بقى يا زكريا يا بنى .. النهاردة
ايه في أيام ربنا ..؟!..
أكد زكريا :- الجمعة يا حاج..
استطرد الحاج وهيب :- تمام .. يبقى الجمعة من كل أسبوع
هنستاك انت ومراتك على الغدا ..
اعترض زكريا :- بس يا حاج..
قاطع الحاج وهيب :- مفيش بس .. جرى ايه يا زكريا ..
هو انا مليش حق في مضايقة بنتى و جوزها يوم في
الأسبوع و لا ايه ..؟!..
أكد زكريا :- لاه .. حچك يا حاج .. هو حد يجدر يجول غير
كده ..

هتف الحاج وهيب :- خلاص .. يبقى هنستناكم كل جمعة
بأذن الله ..

هتف زكريا :- تعيش يا حاج و يجعله عامر دايم بحس
صحابه ..

امن الجميع خلف زكريا .. و ظلت الابتسامة على وجه بدور
في سعادة لاقتراح ابيها و سعادتها الكبرى جاءت من
موافقة زكريا ..

انتهى الطعام .. و توجه زكريا و الحاج وهيب للصالحون
تاركى النسوة يجهزن الشاي بينما تحدث الحاج وهيب بنبرة
هادئة :- بص يا زكريا يا بنى .. انت عارف ان مغديش
غير بدور .. هي اللى طلعت بيها من الدنيا .. و كل همى هو
سعادتها و راحتها .. و الحمد لله ربنا كرمها بيك .. و بقيت
في معزتها بالظبط و ربنا العالم ..

هتف زكريا :- صادق يا حاج ..

استطرد الحاج وهيب :- عشان كده يا بنى .. انا هطلب منك
طلب و يا ريت متردنيش ..

هتف زكريا بصدق :- على رجبتي يا حاج وهيب ..
ربت الحاج وهيب على كتف زكريا ممنا ثم هتف :- الشقة
اللى قدامنا على طول دى شقة ام بدور .. لما اتجوزت نعمة
محببتش تدخل على شقة المرحومة و جبتها الشقة دى و من
يومها و هي مقفولة بعفشها .. يا ريت انت وبدور تنزلوا
فيها بدل الاوضة الضيقة اللى فوق .. اهو توسعوا على
نفسكم شوية ..

صمت زكريا للحظات و لم يعقب على الرغم من شعوره
بالضيق .. و تمالك نفسه أخيرا و قال في هدوء :- يا حاج
وهيب .. طلبك على عيني و راسي .. بس معلىش .. اعفيني

.....

انا عايش في المكان اللى أجدر ادفع أجرة و اللى مرتى
لازماً تلازمنى فيه .. و يوم ما اجدر ادفع ايجار الشجة .. انا
اللى هتلاجبنى بطلبها منك يا حاج ..

صمت الحاج وهيب للحظات و قد ادرك ان زكريا لن يغير
رأيه مهما حدث .. و ان رأسه الصعيدية اليابسة لن
تترشح عن موقفها لذا تنهد في قبول هاتفاً :- خلاص يابنى
اللى يريحك .. لله الامر من قبل و من بعد...

انهى زكريا الشاي و استأذن في عجالة لتلحقه بدور
مسرعة لتجده يهبط الدرج لخارج البيت فتهتف في تساؤل
:- هو انت مش طالع تستريح يا سى زكريا ...؟!..
هتف في اختصار :- لااه ..

هتفت مستفسرة وهى تندفع خلفه :- او مال رايح على فين
...؟!..

كانت وصلت لمدخل البيت راكضة ليستدير لها في سرعة
هاتفاً بحنق :- مبحبش اللى يجولى رايح فين و جاى منين
.. انا اروح مطرح ما انى عاوز في الوجت اللى انى عاوزه
.. محدش شريكى ..

طأطأت رأسها في استكانة و ما ان انهى كلماته الجافة حتى
رفعتها تتطلع اليه و هي تومئ بالإيجاب ثم تندفع للأعلى
صاعدة الدرج في عجالة حتى لا تخزلها دموعها و تنحدر
أمامه .. وهى لا تدرك جريرتها ..

هتف حسام مشفقاً :- مش كفايكي كده يا سهام .. عيونك
دبلوا من البكا .. و الله الحاج مهران الله يرحمه ما يرضى
باللى بتعمليه ده ..

هتفت من بين شهقاتها :- مش بخطر ي يا حسام .. و الله ما
جادرة .

.....

جلس بالقرب منها يحاوط كتفيها بذراعه محاولا تهدئتها :-
استهدى بالله .. و جومى اغسلى وشك .. و ادعيله بالرحمة
هو ده اللى محتاجه الحاج دلوجت .. الدعا مش البكا ..
و بعدين مش صعبان عليك باسل اللى مهملاه طايح في الدار
مرمى على كل يد شوية و محروم منك .. طب مصعبش
عليك أبو باسل و هو مش عارف ياكل لجمة طايبة
(جميلة) من يد غير يدك ..

انحنى يلثم جبينها و اذ فجأة تهب رائحة كريهة على غير
انتظار .. فينتفض حسام مشمئزاً :- واه .. ايه الريحه
العفشة دى ..؟! ..

لتنفجر سهام مقهقهة و هي تشير الى الأسفل تحت اقدام
حسام حيث ظهر باسل فجأة من تحت الفراش و على ما
يبدو .. فابى عن باسل لم يدخر جهدا في تلويث حفاضه
والذى نهض وابتسامه بريئة على شفثيه يترنح في مشيته
من ثقل حفاضه الزاخر مما دفع حسام ليصرخ هاتفاً عندما
اقترب باسل منه :- لاه .. و ينهض مندفعاً خارج الغرفة
تاركا سهام غارقة في ضحكاتهما على مظهر كل منهما و
خاصة اندفاع حسام خارج الغرفة و باسل يترنح في عدوه
خلفه بحفاضه معتقدا انها لعبة و ان ابيه يلهو معه و باسل
يحاول ان يمسك به ..

سار زكريا متوجها صوب مقهى المعلم خميس و جالت
عيناه في ارجاء الحارة التي يشملها الهدوء النسبى في مثل
تلك الساعة من بعد ظهيرة يوم الجمعة .. وقعت عيناه على
رجل يجلس في سكينة خلف طاولة خشبية موضوع عليها
عدة بطيخات ويضلل عليهم بقطعة عريضة من الخيش
المندى بالماء مرفوع على عدة أعمدة خشبية رفيعة بالكاد
تحمل تلك القطعة الندية من الخيش المهلهل و التي يحتمى
بها بقرب بطيخاته من حرارة الشمس و لهيبها .. و بدأ

ينادى بصوت جهورى لا يتسق ابدا مع مظهر الرجل
 الجسدي الذى يشبه احد أعواد البوص ..
 حاد زكريا عن الرجل بعينه موجهها ناظريه صوب المقهى
 الذى اصبح قاب قوسين او ادنى فاذا به يسمع عقيرة الرجل
 ترتفع بالصياح .. ليعود زكريا ادراجه ينظر ما الامر .. فاذا
 به احد رجال السمرى يتطفل على الرجل و يحاول الحصول
 على احدى البطيخات هبة بلا ثمن .. ليصرخ الرجل مستغيثا
 من السمرى و رجاله ..
 اندفع زكريا حيث الرجل الضعيف المقاوم لبطش رجل
 السمرى ليقف بينهما محاولا الزود عنه ..
 هتف زكريا في نبرة مهددة لرجل السمرى :- عايز البطيخة
 تدفع تمنها هي مش تكية ..
 دفع حينش رجل السمرى زكريا في كتفه هاتفاً بصوت
 جهورى :- و انت ايه دخلك .. بايع و شارى .. مدخل نفسك
 بينهم ليه يا سبع البرمبة...!!!؟..
 هتف زكريا مزمجرأ :- لما تبجى شارى بالأدب و الأصول
 نبجى نبيعولك .. غير كده شطبنا .. و لما الراحل الطيب ده
 .. و اشار زكريا لبائع البطيخ العم طابع
 مستطردأ .. يأذن لك تدفع تمنها و تتكل بالمعروف ..
 هتف حينش بصوت أجش مهددا :- و ان معملتش كده ..
 هاتعملى ايه يا حيلتها ...!!!؟..
 اندفع زكريا باتجاه الرجل في
 ثورة :- هنادبك زى ما أدبنا معلمك جبل سابج ..
 ظهر المعلم خميس فجأة و خلفه رجاله ليصرخ بصوت
 جهورى ليتوقف العراك قبل ان يبدأ :- اياك يا حينش .. لو
 ايدك اتمدت على زكريا هاتنقطع .. زكريا يتعد من رجالتى ..
 انا عارف انه يقدر يقوم بعشرة من عينتك بس ما يرضنيش
 يوسخ ايده ..

وتوجه لذكريا بالحديث :- عندى انا دى يا زكريا .. غلطة و
مش هتتكرر تانى ..
و ادار رأسه باتجاه حينش متسائلا :- و لا ايه يا حينش ..
!؟

زمجر حينش في غضب مكبوت و عيون حمراء .. ضاغطا
على كفيه المضمومتين في حنق وهو ينظر لذكريا نظرات
تكاد تقتله .. و فجأة اندفع من امام الجميع مبتعداً ..
هتف المعلم خميس ساخراً :- على فين !!؟ .. طب و البطيخة
.. تعال خدها انا عازمك عليها انت ومعلمك .. اهو تطروا
على قلبكم في الحر ده .

انفجر الجميع مقهقهين لسخرية المعلم خميس اللول على
حينش الذراع اليمنى للسمرى ..
ليخرج طابع بائع البطيخ من خلف نصبته مجرجرا قدمه
المصابة خلفه محاولا الوصول لموقع زكريا وسط الجمع ..
حتى ما وصله
استند على ذراع زكريا الذى تلقفه في سرعة هاتفاً :- على
مهلك يا عم .

ابتسم طابع في ضعف :- طابع .. اسمى طابع يا بنى ..
وخزة نكأت قلب زكريا للحظات من لفظة ابنى التي خرجت
خالصة المحبة تحمل فخرا و اعتزازا حلم بهما زكريا طوال
عمره ..

ابتسم زكريا في مودة :- على مهلك يا عم طابع .. ربنا يديك
الصحة ..

أسنده زكريا حتى عاد لمجلسه خلف نصبه البطيخ و ربت
على كتفه في حنو :- اى حد يضايحك يا عم طابع .. نادم و
جول يا زكريا .. هتلاجينى جمبك طوالى اخذ لك حجك
منيه ..

ابتسم طايح :- تسلم لى .. بس خد بالك من نفسك .. سمرى
نابه ازرق و مش هيسكت .. و ابتسم في حسرة مستطردا ..
اسألنى انا ..

..جلس المعلم خميس ينفس دخان نرجيلته على احدى
كراسي مقهاه الجانبية متطلعاً من مكانه لطايح و زكريا .. و
الذى يراه الان متوجها صوبه ..

جلس زكريا متتهدا في ضيق ليربت المعلم خميس على كتفه
في فخر :- وحش بصحيح!!! بس خايف عليك يا صاحبي ..
هتف زكريا :- هو انت هتجول نفس جولة عم طايح ..؟؟!

اوأ المعلم خميس و دخان نرجيلته الذى يعبق الجو
برائحته المميزة يحجب رؤية ملامح وجهه للحظات قبل أن
يهمس متحسرا :- طايح عنده حق .. لانه عارف مين هو
السمرى .. طايح اللى انت شايفه دلوقتى ده .. الأعرج اللى
مش قادر حتى يدافع عن نفسه كان يقفل حارة ذى حارتنا
دى .. بس القوى في اللى أقوى منه .. و ..

قاطعه زكريا مستفسراً في ضيق :- انت عايز تجول يا معلم
خميس ان طايح ده بجى أعرج بسبب السمرى!.

اوأ المعلم خميس مؤكدا :- ايوه .. طايح ده كان راجل
حقانى ذيك كده .. بس ايه فائدة الحق من غير قوة تحميه ..
هتف زكريا :- و انت كنت فين يا معلم خميس من سمرى و
رجالته و الراجل بيتبهدل كده!؟

تنهد المعلم خميس هاتفاً :- يا صاحبي السمرى ده تعبنا
لدغته و القبر .. تعرف لو بيعمل اللى بيعمله في عز النهار
كنت تلاقى اللى بيقف له و انا اولهم .. لكن ده يعمل العملة
في الدرا من غير ما حد يدري و كلنا بنبقى عارفين اللى
عمل كده مين ..بس اثبت ..

ساعتها لا مين شاف و لا مين درى .. و الخوف بيخرس
الكل ..

عشان كده يا صعيدى بقولك خد بالك .. سمرى غاطس عن
الحارة بقاله كام يوم .. و ده ميطنش .. و خصوصى انه
مقربلكش من يوم اللى حصل مع جماعتك .. غيبته دى وراها
مصيبة .. مش هيظهر الا لما ريحيتها تفوح .. ربنا يستر ..
تهد زكريا و هو يرتشف من كوب الشاي الذى وضعه صبي
المقهى على طاولتهما و عيونه كلها تركز على ذاك الرجل
الطيب المدعو عم طايح ..

هم زكريا بالرحيل مستأذنا المعلم خميس الذى حاول ان
يبقيه معه لكنه تعطل برغبته في الراحة من اجل العمل لليوم
التالى ..

خطوات و سمع زكريا العم طايح يناديه فاتجه صوبه :- خير
يا عم طايح .. ؟!! ..

جذب طايح احدى بطيخاته و شقها بسكينه المميزة التي لا
تغادر كفه مقدمها لزكريا الذى هتف :- وااه .. ليه بس كده يا
راجل يا طيب!! .. ؟

هتف طايح نافيا ما جال بخاطر زكريا :- لا يا بنى .. أوعى
تفهم انها رد لمعروفك معايا .. ابدأ لا سمح الله .. دى هدية
.. و النبى قبل الهدية يا زكريا يا بنى ..

ابتسم زكريا في مودة :- هدية مجبولة يا عم طايح .. تسلم

..
و مد زكريا يده ليحمل البطيخة متوجها الى داره حيث تلك
التي تركها تدارى دمعها عن عينيه ..

وصل لأعتاب السطح و ما ان دلف للداخل حتى رآها تقف
مستندة بمرفقيها على السور تتطلع الى الحارة من عليائها
و لم تفتن لوجوده بعد .. يبدو انها نظرت للتوفهى لم تره
يدخل من باب البيت او حتى تلمحه عندما اقترب .. او انها
قد رآته بالفعل لكنها تتصنع العكس تماما كنوع من أنواع
إظهار الحنق و الضيق ..

تتحنح بصوت مسموع حتى تنتبه .. بالفعل استدارت في
بطء لمكان وقوفه و تقدمت منه تحمل عنه البطيخة التي
يحملها لكنه ابعدا عنها لانها اثقل من ان تحملها بمفردها
فاتجه بها لداخل الغرفة ليضعها جانبا وهتف أمرا :- جطعى
البطيخة نصين و انزلى بنص لبیت ابوكى و تعالى حضريلنا
العشا بالنص التانى .. على بال ما أغير و اصلى العشا .
لم تتفوه بحرف واحد بل نفذت في التو و لم ترفع حتى
عيونها لملاقاة نظراته التي تتفحصها ...
فعلت كما امر و أعدت العشاء و جلست تنتظر ان يفرغ من
صلاته ..

جلس في هدوء و لا يعرف لما أصبحت عادة ان يرفع كفه
اليها ليطعمها أولى اللقيمات لكنها نحت رأسها عن كفه
جانبا ..

توقفت يده معلقة في اتجاه فمها .. وهتف في ضيق متعجبا
:- بجى أنتِ اللى زعلانة كمان ؟!..
دمعت عيناها :- انا مش زعلانة انك زعقت فيا يا سى زكريا
و سمعتنى كلام ضايقتى .. انا اللى زعلنى بجد انى مش
عارفة انا عملت ايه لكل

ده ؟!..

هتف في حنق :- مش عارفة ؟!.. اذا كان انتِ اللى جايلة
لأبوك .. و انتِ اللى طلبتى منيه يكلمنى عشان عارفة انى
مبجدرش ارفض له طلبه ..بس دى بالذات لااااه ..
نظرت اليه بنظرات متعجبة لا تع على ماذا يتكلم لتهمس :-
انا مش عارفة انت بتتكلم عن ايه يا سى زكريا .. ؟!..و
رحمة امى ما كلمت ابويا و لا طلبت منه حاجة ..

هتف زكريا منتفضاً من مكانه في غضب عماه عن ادراك
الصدق في حديثها :- اهااا چبتي المفيد .. امك .. و شجة
امك ..الى ابوك عايزنا ننزل نعيش فيها و نسيب الاوضة..
.....

نهضت بدورها تقف أمامه وهو يهمس جازاً على اسنانه :-
اذا كان اوضتى و عيشتى مش على هواك يا بت الناس ..
جبلى ليه بيها من الأول .. انا مغشتكش و لا جلت هعيشك
في جصور و لا ..

وضعت كفها على شفتيه معترضه على استطراده بكلمات
تؤلم قلبها بقدر ألم كرامته الذى تستشعره فى كل حرف
ينطق به ..

همست و دموعها تغطى وجنتيها :- سى زكريا ...؟؟!.. و
غلاوتك عندى .. و اللى جمعنا من غير ميعاد وجعل لى
نصيب فيك و ف قلبك .. انا ما قلت لأبويا كلمة عن شقة
امى .. عارف ليه ...!!..!!.. عشان انا راضية .. راضية ابقى
معاك في اى مكان .. و بحمده و بشكر فضله انه جمعنى
بيك .. ابويا قال كده من عشمه و عشان يريحنى ..
ميعرفش ان راحتى معاك فين ما تكون .. متقلقش يا سى
زكريا .. كرامتك متصانة و هيبتك محفوظة ..
و اندفعت من أمامه لداخل الحجرة تسبقها شهقاتها المتعالية
و التي كتمتها طويلا ..

وقف زكريا بلا حراك .. يشعر انه تسرع في اتهامها بما
ظنه .. شعر بالندم يتخلله و يعربد بكل خلية من خلاياه و
هو يقف كالمسمار لا يأتي بأى رد فعل ..
أخيرا تحرك في ضيق باتجاه سور السطح يستند عليه
متنهدا في ألم و يضربه بقبضته في ضيق حقيقى منع صدره
من إنقراط أنفاسه بشكل طبيعى .. استغفر الله .. و استدار
عائدا للحجرة التي غابت فيها .. ظل منها ليحدها تجلس
على طرف فراشهما الضيق يهتز كتفاها دلالة على انها
لاتزل منخرطة في بكائها .. تنهد مقتربا منها و انحنى اليها
يقبل هامتها فهدأت شهقاتها و بدأت في مسح عيونها مد
كفه اليها يلتقط كفها و يجذبها لأحضانه ويحيطها بذراعيه
في شوق ..

لحظات مرت و هي تتهد بين ذراعيه و أخيرا همس
مشاغبا :- احنا مش هنتعشوا ..؟!..
رفعت نظراتها لتتطلع اليه بإبتسامة موافقة بإيماءة من
رأسها :- و ماله نتعشوا ..
ضم كفها و جذبها خلفه حيث الطبلية المنصوبة على السطح
بطعام العشاء الذي لم يمس .. جلسا متقابلين رفرف اللقمة
الأولى كالعادة لفمها فألتهمتها في سرعة مما فجر
ضحاتهما...

أنصت زكريا لصوت الرنين المتواصل في تلك الكابينة
التليفونية التي يقف فيها منتظرا امه ترفع السماعة على
الطرف الاخر ..
همس بضيق :- خير .. خبر ايه ياما .. بجالى مرتين اتصل و
محدث يرد .. ليه تجلجيني بس ..؟!..
كاد ان يضع السماعة في يأس من ان ترد إحداهن .. امه او
كسبانة زوجة أخيه ..الى ان جاءه صوت كسبانة أخيرا و
هي تلتقط أنفاسها لاهثة :- ألو .. ألووو ..
أعاد السماعة مرة أخرى على أذنه متتهدا في راحة :- ألو
.. كيفك يا مرت اخوى .. ايه عاملة ..؟!.. و كيفه حمزة
..؟!.. تمام ..
هتفت كسبانة في فرحة :- الحمد لله .. كلنا بخير يا سى
زكريا ..
هتف زكريا مستفسراً :- اومال وينها امى !! طلبتكم
مرتتين جبل سابج محدش كان بيرد .. هي زينة يا مرت
اخوى ..؟!..
أكدت كسبانة في عجالة :- و الله خالتى بخير متجلجش ..
بس .. اصل احنا كنا ..

كان صوتها مترددا لا تعلم هل تخبره بنبا وفاة الحج مهران
ام لا ...؟! ..

استرعى التوتر و القلق البادى في نبرة صوت كسبانة
انتباهه و اثار قلقه في المقابل ليهتف في نفاذ
صبر :- خبر ايه ...؟! .. ايه في يا مرت اخوى جولى و
ريحى بالى !؟

هتفت و ما بيدها حيلة :- اصل الحاج مهران تعيش انت من
شهر و زيادة .. و خالتى بخيتة بتروح السرايا كل فترة اهو
تاخذ بحس الحاجة فضيلة .

صمت و طال صمته حتى ظنت انه أغلق الهاتف و خاصة
عندما هتفت باسمه عدة مرات دون إجابة و أخيرا أجاب
بصوت متحشرج :- طب اجفلى يا مرت اخوى دلوجت و
هبحى أكلكم تانى ..

أغلق الهاتف بيد مرتعشة و خرج يسير باتجاه بيت الحاج
وهيب في ألية و كل ما يجول بخاطره و يرتسم امام ناظره
هو ذاك اليوم الذى استدعاه فيه الحاج مهران لغرفته بعد
كشف عاصم لهويته الحقيقية امام جميع الهوارية .. كان
ذاك اليوم هو يوم تحول حقيقى في علاقته بعمة مهران
الذى دوما كان يعيش في برجه العال خاصة بعد مرضه و لم
يكن يراه الا فيما ندر .. يومها رأى عمة الذى تمنى ان
يعيش في كنفه العمر بطوله ..

ظل يتذكر الحوار بينهما طوال الطريق ليعود بالذاكرة لتلك
اللحظة التي ارتسمت امام ناظره طوال مشواره ..
هتف الحاج مهران بصوت يملؤه المودة و المحبة الخالصة
:- جرب يا زكريا ..

سار زكريا باتجاه فراش عمة ووقف عندما وصل لحافته ..
أشار الحاج مهران لعاصم بطرف خفى ليغادر الغرفة فأطاع
عاصم سريعا و ابتسامة تعلو شفثيه وهو يغلق الباب خلفه

..

أشار الحاج مهران للفراغ المقابل له على الفراش رابتاً
عليه بكفه :- اجعد هنا يا زكريا..
نظر زكريا للمكان المشار اليه من الفراش غير مصدق انه
سيكون بهذا القرب من الحاج مهران بذات نفسه .. عمه
الذى لم يجرؤ على الاقتراب منه طيلة حياته .. سيكون منه
بهذا القرب الحميمي ..
أمره الحاج مهران بنبرة هادئة و كأنه يدرك ما يعتمل بنفسه
:- اجعد يا ولدى ..

كانت كلمة ولدى تلك هي دوما كلمة السر لديك حصون
الثبات داخل زكريا ليجلس في التو و هو يتجنب التطلع
لعيني عمه النافذة النظرة حتى أعماق نفسه ..
ربت الحاج مهران على كف زكريا القريبة من كفه
فتطلع زكريا الى تلك الكف الحانية و نفسه تمور بالعديد من
المشاعر لم يستطع ان يضعها كلها حيّز التنفيذ الا واحدا
غلبه لينحنى فيلثم كف عمه المتغضنة و هو يحبس دموعا
تمنعه رجولته و ادعاءه الثبات الإذعان لها حتى تتسدل في
حرية ..

لم يجذب الحاج مهران كفه من بين كفى زكريا و لكنه رفع
كفه الاخرى ليربت على رأس زكريا المنحن في حنو هامساً
:- سامحنى يا زكريا .. سامحنى يا ولدى ..
رفع زكريا رأسه مقابلاً نظرات عمه المحملة بالندم و
الإحساس العميق بالذنب هاتفاً في ذهول:- واه يا حاج
مهران .. أسامحك!..؟؟..

ابتسم الحاج مهران هاتفاً بنبرة مازحة:- جولى يا عمى ..انا
اخو ابوك يا واد ...

ابتسم زكريا بالمقابل ليستطرد الحاج مهران و سعاله يقاطع
كلماته في بعض الأحيان :- ايوه تسامحنى يا زكريا ..
عشان كنت عارف ان حجك تتربى وسط الهوارية واحد

منهم لكنى سكت و كتمت الحج ده .. بس غصب عنى يا
ولدى

يوم ما امك جابتك و هملتك أمانة عندى .. ابوك معترفش
بيك لكن انى كنت متوكد انك ولده ..

جلت استنى لما يشد عودك و ساعتها اجدر اجف جدام
الهورية كلاتهم بالورج اللى معايا لكن المرض رجدنى و
مجدرتش اجف جصادهم و عاصم كان لساته عود أخضر
ميجدرش عليهم و على جبروتهم ..

هتف زكريا :- كل حاجة و ليها أوانها يا عمى .. كل شى
بأوان ..

اوما الحاج مهران :- صدجت يا ولدى .. صدجت .. اهم
حاجة عندى دلوجت انك خدت حبك و الناس كلاتها مش
الهورية بس عرفوا انت مين و تبجى واد مين ..

و ربت على كتف زكريا في فخر :- انت زكريا واد غسان
صادج الهوارى ..

أعاد زكريا رفع كف الحاج مهران ليقبلها في امتنان و محبة

..

ليهمس الحاج مهران :- جوم يا زكريا يا ولدى .. جوم و
ارفع راسك وسط الخلع كلاتها ...

نهض زكريا و انحنى بإتجاه رأس عمه ليقبل هامته في
إجلال و اكبار و يخرج من الغرفة و قد امتلأت نفسه محبة
لهذا الرجل ..

دمعت عيناه و هو يتذكر ذاك الحوار الذى دار بينه و بين
عمه الفقيد الغالى ..

وصل بيت الحاج وهيب ليدخل مترنحا لا يدرى من حاله
شئ .. كان نبأ وفاة عمه مهران قاصما .. أتى على كل ما
لديه من قدرة على التحمل او حتى الادعاء بها ..

لقد مات ابوه الثانى دون ان يودعه .. مات الأول غسان
الهوارى و لم يكن يجرو على إظهار الحزن والألم على

فراق ابيه .. غاب ابوه و ما كان له الحق في ان يقف مع
الرجال ليأخذ بعزائه كولده سليم .. كان يبكى أبيه و يبكى
حاله و سره الذي رحل مع رحيله ..
و الان رحل ابوه الثاني في غيبته و غربته و تلك التوهة
التي فرضها على نفسه ..
رحل عمه الذي لولاه لظل كما كان دوما .. زوزور الذي
تربى في كنف الهوارية و الذي ظل عمره بالكامل لا ينطق
حرفا خوفا من بطشهم ..
رحل عمه و ما كان يقف في ظهر عاصم يعضده و يشد من
اذره و يكون له دوما الأخ الذي تمنى بديلا عن سليم ..
وصل زكريا لغرفته و دفع ببابها ليطلعه محيا بدور الصبح
الذي تغيرت ملامحها فجأة ما ان رآته بهذه الحال ..
هتفت صارخة في لوعة و هي تندفع اليه تسند ذاك الجسد
المترنح :- سى زكريا ...؟! .. مالك يا خويا ..؟! ..
اتكأ عليها حتى وصل لطرف الفراش فألقى بنفسه عليه
هامساً :- متجلجيش .. هنام شوية و هبجى كويس ..
تمدد في وهن .. و راح فجأة في نوم عميق
ظلت هي على حالها لا تدري ما عليها فعله .. ان جسده
يشتعل بالحمى و بدأ يهزى بكلمات غير مفهومة و يهتف
بأسماء أشخاص لا تعرفهم .. كان يهتف باسمها في بعض
الأحيان .. فتنتفض تضمه بذراعيها معتقدة انه استفاق و
يناديه الا انها تكتشف انه لازال غارق في هزيانه ..
اندفعت تهبط الدرج تطرق باب شقة ابيه في لوعة .. فتحت
نعمة في تعجب :- خير يا بدور .. جرى ايه؟!
هتفت بدور و هي تشير للأعلى :- ألحقينى يا نعمة .. سى
زكريا قايد نار فوق و مش عارفة اعمل ايه ..؟! .. صحى
ابويا يتصرف و يجيب حكيم من اى حنة .. الراجل تعبان
قوى ..

هدأتها نعمة :- حاضر هدخل اصحيه اهو .. اهدى بس
تلاقيه وقف في الشمس زيادة حبتين .. انت مش بتقولى
المعلم مرشدى بقى بياخذه معاه في طلعاته على العمارات
الى بيبنيتها .. يبقى اكيد هو كده ذى ما بقولك ..
اندفعت نعمة توقظ الحاج وهيب الذى اندفع بدوره يبحث عن
طبيب في تلك الساعة المتأخرة ..
عادت بدور لحجرتها بجانب زكريا حتى يعود ابوها بالطبيب
.. ظلت بجواره و قد اصبح من شدة الحمى كأنه غارق في
بركة ماء ..

احضرت منشفة نظيفة بللتها بالماء الفاتر و بدأت بالمسح
بها على جبينه و جانبي وجهه الذى خالطت سمرة حمرة
من شدة حرارة جسده
الذى اصبح ينتفض في تلك اللحظة مما دفعها لتحتضن
رأسه في لوعة باكية على حاله التي جاء بها من الخارج ..
انه بالفعل اصبح الذراع اليمنى للحاج مرشدى يأتئنه على
الكثير و يأخذه دوما معه في جولاته حول مواقع البناء
المختلفة .. لكن أي شمس تلك التي تؤثر فيه بهذا الشكل!؟..
فعلى حد علمها الشمس في الصعيد حارقة كأنها فوق
الرؤوس

و هو تربى هناك و نشأ حيث لهيب الشمس في أشهر
الصيف امر اعتيادى كالتنفس ..
اخرجها نداء ابوها من شرودها وخواطرها لتندفع تفتح باب
الحجرة على مصرعيه ليدخل الطبيب و الحاج وهيب معه و
تنتحى هي خارج الغرفة تقف على أعتابها في انتظار الفرج
من الله تفرك كفها في توتر حتى انتهى الطبيب من فحصه
لزكريا ..

تحدث الطبيب بلهجة مطمئنة :- متقلقوش .. حاجة بسيطة
.. الأهم الاعتناء بمواعيد الدوا و الغذاء ..

أومات بدور برأسها إيجابا و تبع الحاج وهيب الطبيب و
 غادر مؤكدا انه سيبتاع الدواء و يعود سريعا ..
 دخلت بدور تجلس على الأرض بجوار زكريا المسجي على
 الفراش .. لازالت تتأكله الحمى و لازال هزياته في ذروته
 وكذلك نداءاته لا تنقطع .. استمرت في ترطيب جبينه و
 وجهه بمنشفتها المنده حتى تنخفض الحرارة و تدعه
 الحمى ينام في سلام دون مزيد من تلك التأوهات التي
 يطلقها فتخلع قلبها من منبته هلعا على حاله ..
 عاد من جديد لنداءاته و زاد فضولها لتعلم من هؤلاء الذين
 يحتلون عقله و باله حتى يهزى بهم ..
 من عاصم ..؟!..
 من هو الحاج مهران ..؟!..
 والاهم .. من هي سهاام ..؟!..

هتفت الحاجة فضيلة في سهام الشاردة حتى انها لم تنتبه
 لابنها الذى يناديها في إصرار :- سهاام ..؟!.. ولدك بينادم
 عليكى .. ايه مسمعاش دى كله ..؟!..
 انتفضت سهام من شرودها هاتفة :- ايه .. خير.. ايه فيه يا
 باسل ..؟!.. روح ألعب في الجنية ياللاه ..
 جذبته جدته لأحضانها هاتفة :- تعال يا ولدى .. سييك من
 أمك دى.. اللى ما عارفة مالها من ساعة ما چت ؟!..
 هتفت سهام بحنق :- هيكون مالى ياما ..؟!.. ما أنا زينة
 اهاا ..

هتفت الحاجة فضيلة و هي تحتضن باسل تهدده حتى ينام
 :- سهاام .. ايه في ..؟!.. انت متخاجة مع جوزك و لا ايه
 ..؟!..

هتفت سهام :- لاه ياما .. مش متخاجين بس .. أصل أنا
 كنت عند الداكتورة..

هتفت فضيلة في جزع :- داكورة.؟! ليه!?!
 هتفت سهام مؤكدة :- متخافيشى.. أنى بخير.. بس الحكاية
 انى جلجت على حالى جلجت اروح اطمئن ..
 سألت فضيلة مستفسرة :- تطمنى على ايه بالظبط ؟!..
 همست سهام :- اطمئن على الحمل .. أنا ..
 هتفت أمها في فرحة :- أنتِ حامل يا سهام .. يا..
 قاطعتها سهام في ضيق :- لاااه .. مش حامل .. ياريت ..
 أنا رحت عشان اعرف ليه محصلش حمل لحد دلوقت ..
 أهو باسل داخل على التلت سنين و نفسى أنى و حسام
 نجيب له اخ أو أخت .. اديك شايفة ياما متعلج كيف بولاد
 عاصم .. ده اليوم اللى مبجيش فيه هنا السرايا ببهدلنى
 هناك بكا و نواح عشان ياجى .. و اهااا على يدك كان
 خارب الدنيا لما لجى ولاد خاله نايمين و زهرة معاهم فوج

..
 سألت فضيلة في قلق :- طب و الداكتورة جالت لك ايه
 ..؟!..

أكدت سهام :- جالت لى كله تمام و متجلجيش مسألة وجت
 مش اكرر و اسلمها لله ..
 هتفت فضيلة :- و نعم بالله .. صح .. سلموها لله ..
 رددت سهام بتضرع :- الامر لله .. يااارب

ثلاث ليال مرت .. يستفيق زكريا لبعض الوقت و يعاود
 الغوص في الحمى و الهزيان من جديد .. و بدور جالسة
 على ارض الغرفة بجوار فراشه لا تغادر موضعها ابدا تمده
 ببعض الماء عندما يهتف بطلبه ما بين نومه و صحوه ..
 تحاول قدر استطاعتها إطعامه لكنه يرفض و يعاود النوم من
 جديد و كأنه مهربه من امر ما لا تدركه ..
 استيقظ زكريا يتلفت حوله و كأنه عائد من ارض بعيدة بعد
 غربة طويلة و أخيرا وقعت عيناه على بدور التي كانت

رأسها تتكى على مرفقها المسند على حافة الفراش بجوار
كتفه...

كانت نائمة في موضعها جالسة و لم تتمدد حتى .. نظر اليها
باشفاق على حالها و هي في هذا الوضع لأجله .. وضع كفه
على رأسها يملس شعرها فأنتفضت في ذعر هاتفة باسمه
:- سى زكريا ...؟!..

تنبعت لإفاقته فابتسمت في سعادة مندفة لإحتضان رأسه
بين ذراعيها هاتفة :- حمد الله على السلامة .. كده كنت
هتموتنى من خوفى عليك..

ربت زكريا على ذراعها المحيطة به في محبة هامساً :- بعد
الشر عنك ..

قبلت رأسه و تركته مندفة تشعل الموقد و تدفع على احد
عيونه المشتعلة بقدر به بعض الحساء المعد مسبقا استعدادا
لإفاقته ..

وضعت صحن الحساء على حجرها و اعتدل هو قليلا حتى
يستطيع تناول طعامه .. بدأت تطعمه في حبور لشفاءه
مشاكسة :- عارف انت بقالك كام ليلة راقد ..؟!..

رفع رأسه بنظرات متسائلة لتستطرد هي :- تلت ليالى
بحالهم و انت محموم و على حال لا تسر عدو ولا حبيب ..
اندesh مكررا :- تلت ليالى ..؟!.. طب و الشغل و الحاج
مرشدى ..؟!..

أكدت هي :- اظمن .. بعت يسأل عليك ابويا و عرف انك
تعبان و راقد .. قاله لما يقوم بالسلامة يبقى يرجع الشغل ..
ربنا يبارك له..

همس زكريا :- و يبارك للحاج و هيب تعبناه معانا و كلفناه
اكيد ..

هتفت بدور بابتسامة :- تعبك راحة يا سى زكريا .. المهم
انك قمت لنا بالسلامة ..

انتهى زكريا من تناول الطعام و نهض من فراشه ليشعر
ببعض الدوار لرقدته الطويلة ..
هتفت بدور بلوعة :- هتقوم ليه ..؟!.. خليك مرتاح و انا
اجيب لك اللى انت عاوزه لحد عندك ..
ابتسم زكريا و اتكى عليها مطمئناً :- انا بجيت زين
متجلبيش .. انا عايز اجعد بره شوية ..
أحاطت بدور جذعه بذراعها و هي تقول :- من عنيا ..
أخرجك بره بس أخاف تستهوى يا سى زكريا ..
ابتسم زكريا و نظر اليها من عليائه :- لاه متخفيش .. مش
هستهوى ..
اجلسته على الأريكة الملاصقة لباب الغرفة و امعانا في
الحفاظ على شفائه المستجد وضعت شالها على كتفه تدثره
به ..
امسك بأحدى كفيها يرفعه ليلثمه في محبة خالصة هامساً
في امتنان :- ربنا يخليك ليا .. انى مش عارف من غيرك
كنت هعمل ايه..؟!
هتفت مشاكسة :- كنت هتعمل ايه يعنى ..؟!.. كنت زمانك
قاعد مرتاح كافى خيرك شرك من الحكايات اللى جرتها
عليك البت بدور دى ..
انفجر زكريا ضاحكاً .. و مال هامساً بالقرب من اذنها :-
البت بدور دى ..اللى هي البت الجمر بت الحاج وهيب
..؟!..
كان دورها لتتعالى قهقهاتها :- قمر ايه بس..!!؟ أمر بالستر
..
ابتسم جاذباً أياها لإحضانه مدثرها معه تحت شالها هامساً
:- شكلك عتغيرى منيها .. دى بدر البدور ..
استكانت في احضانه تتلمس دفء الأمان الذى تحيا بأنفاسه
.. و لم تجده الا وهى بين ذراعيه.. مد كفه بطول ظهرها
يمسده في رفق .. كان يعلم انها نامت الثلاث ليال الماضية

تحت أقدامه مستنده برأسها على طرف الفراش و لم تتمدد
بجواره لضيقه و لتدعه له ينام فيه دون مشاركته له.. ثلاث
ليال كانت بالتأكيد مرهقة لها جدا و رغم ذلك ما تزمريت او
اشتكت بل قابلته بكل فرح حين استيقاظه و كأنه ما نام
مغيبا ثلاث ليال ذاقت هي فيهم وحدها مرارة الخوف و
تجرعت القلق و الهم على حاله ..

تأوهت بلطف عندما مست اطراف أصابعه موضع الألم في
ظهرها فانحنى يقبل هامتها التي تلامس ذقنه و همس في
عشق :- بدور...!!.. تنبهت و رفعت ناظرها ملبية ..
فاستطرد في محبة .. جهزى حالك عشان ننزلوا الشجة اللى
تحت ..

نظرت اليه في دهشة هاتفة :- شقة ايه يا سى زكريا ..؟!..
رد مبتسما :- شجة أمك يا بدور ..؟!.. نصفها و روجيها و
ننجل فيها باذن الله ..

انتفضت في فرح غير مصدقة :- صحيح يا سى زكريا
...!!..؟..

اوما براسه مؤكدا :- ايووه .. شدى حيلك و ربنا يعينا على
إيجارها .. انت مش لساتك شايلة نجوط الحاج مرشدى اللى
عطتهولك ؟!

أكدت في سرعة :- اه .. لسه معايا ..
هتف :- طب زين .. و أعادها لإحضانه من جديد هامساً
بمزاح:- المهم بدر الدور تكون مبسوطه و تفضل تحبنى
ذى البسبوسة...

قهقهت وهى تذرع رأسها بإحضانه اكثر :- مبسوطه دى
كلمة قليلة عليا قووى يا سى زكريا ..وعلى فكرة بقى .. و
عهد الله بحبك اكثر من البسبوسة بكثير ..

ضحك زكريا هاتفاً :- و الله و ايامك هتيجى ملزجة كيف
العسل يا زكريا

ضحكت وهى تتعلق برقيته تذيقه حلاوة الشهد...

الفصل السادس

رن جرس الهاتف في غرفة مكتب عاصم عدة مرات و لم
يُجب احدهم و لكن لحسن الحظ دخل عاصم الغرفة لأداء
بعض الاعمال ليلحق بالهاتف قبل ان ينقطع رنينه هاتفا في
لهفة لمعرفة كنه المتصل لان رنين الهاتف دال على ان
المكالمة من محافظة أخرى و ليست مكالمة محلية :-
الووو..

صوت صمت وتتهد على الطرف الاخر و اخيراً هتف
المتصل:- البقاء لله يا عاصم..
جلس عاصم على كرسى مكتبه يلتقط الصوت في شك هاتفا
:- سبحان من له الدوام .. بس مين ..؟!.. و صمت للحظات
هاتفا بلهفة :- زكريا!!..؟!..

رد صاحب الصوت بنبرة متحشجة :- آه يا واد عمى ..
زكريا .. زكريا اللى عينه منك في الأرض و مش عارف
يجول ايه و لا يسوى
كيف ..؟!..وجت ما كان لازماً يبجى في ضهرك كان لساته
تايه عن الدنيا .. تايه حتى عن حاله يا واد ابوى ..
هتف عاصم متنهداً :- عارف يا زكريا .. عارف .. بس
متحملش روحك أكثر من طاجتها .. مش ناوى تجولى فينك
..؟!..و منتش ناوى ترجع برضك ..؟!..
هتف زكريا :- ارجع فين يا عاصم!!!!.. معدش ينفع ..مش
هاينفع ارجع الا لما ألاجى روحى .. و بعدين أنى اتجوزت

..
هتف عاصم :- اتجوزت ..؟!.. اتجوزت مين؟!..
قال زكريا :- اتجوزت بت صاحب البيت اللى سكنت فيه ..
راجل طيب و بته عايزة تعيش.. أهو تعينى على حالى ..
.....

أكد عاصم :- خير ما فعلت .. ربنا يجمعنا بكم على خير
وتاجونا عن جريب ..
هتف زكريا في شوق غير راغب في إنهاء الحوار مع بن
عمه و صديقه الوحيد :- و انت يا عاصم .. كيفك؟! ..
أحوالك عال ..؟! ..
أكد عاصم :- الحمد لله يا زكريا .. ربنا رزجنى بواد و بت ..
مهران و سندس .. عمرهم ست شهور تجربيا ..
هتف زكريا مهلا :- الله اكبر .. ربنا يبارك لك فيهم و
يجعلهم من الصالحين يا رب ..
هتف عاصم :- ياارب ..
عم الصمت قليلا ليهتف زكريا مودعاً :- اشوفك على خير يا
واد عمى .. مش هوصيك على امى و مرت اخوى وولده ..
عارف ان حملك زاد يا عاصم .. بس انت كدها .. سامحنى
يا واد عمى .. مش بيدى غربتى و لا بيدى رجوعى ..
هتف عاصم في نبرة تحمل الكثير من الحزن على حال
زكريا :- ربنا يعينك يا زكريا .. ربنا يعينك يا واد عمى على
حالك ..
همس زكريا في استكانة :- أمين ..
و أغلق كل منهما الهاتف لكن الحوار لم يتوقف فكلهما أخذ
يجادل نفسه و يعنفها من اجل الآخر .. عاصم يؤنب نفسه
من اجل بن عمه و غربته اللى فرضها على نفسه و عدم
قدرته على إثثائه عن الرحيل بعيدا عنهم في ذاك التيه الذى
لا يعلم متى سينتهى و هل له نهاية من الأساس ..
كذلك زكريا ظل يوبخ نفسه على ابتعاده عن عاصم .. بن
العم و الصديق الذى ما حظى بمثل له طوال حياته .. الذى
رد له الحق الضائع .. كان الأولى البقاء بقربه و تدعيمه و
مساندته لا الهروب من البلدة بما و من فيها من اجل إثبات
الذات و البحث عن الهوية في البعد عنها ..
كلاهما كان تائه .. لكن لكل تيه مبرراته ..

ناداها زكريا مؤكدا على مجيئه من عمله هاتفاً بإسمها وهو
يجلس يلتقط أنفاسه على الأريكة الملاصقة للغرفة :- بدور
.. يا بدور ..

ردت من داخل الغرفة :- نعم يا سى زكريا .. انا جاية اهو..
طلت من الحجرة هاتفه في حبور :- حمدالله على السلامة يا
عيون بدور.

ابتسم في وجهها لتكمل :- انا بحضر الغدا اللي بقا عشا ده
عشان اتأخرت قووى النهاردة..

دخلت تتابع قدر على النار ليدخل خلفها مجهدا يلقي بجسده
المنهك على الفراش هاتفاً :- معلى .. اعمل ايه؟! الحاج
مرشدى بعد لف طول النهار على العمائر و احوالها ..
رجعنا المحل نراجع كام طلبية ف اتأخرنا.

نهض متكاسلا يخلع جلبابه ملقياً أياه جانباً و يرتدى اخر
منزلى .. و يسبقها للخارج لتتبعه واضعه صحنون الطعام
على الطبلية ..

جلسا يتناولوا الطعام في هدوء .. و ما ان انتهى حتى عاد
لأريكته يجلس على احد أطرافها مستنشقا بعض من الهواء
النقى الخال من ذرات الرمال و مواد البناء المعبق بها جو
المواقع التي يرتادها مع الحاج مرشدى ..

جلست بدور و هي تحمل صينية الشاي لتضعها على الأريكة
بينهما و تجهز له كوبه الذى لا يستطيعه الا من صنع يديها

..
ارتشف عدة رشقات و تنهد في راحة مما جعل بدور تتشجع
هاتفه :- ألا مقلتلش يا سى زكريا .. مين عاصم و الحاج
مهران دوول!!؟..

ارتجفت يد زكريا الممسكة بكوب الشاي و رغم محاولته
السيطرة على ثباته و الذى نجح فيه لحد كبير الا ان بدور
لاحظت تلك الاهتزازة اللحظية التي انتهت سريعا .. لم

يعقب.. فأستطردت :- اصلك أيام تعبك الله لا يعيدها ..كنت و
انت محموم قاعد تخترف بأسماء منهم عاصم و تقوله
سامحنى .. و بعدها الحاج مهران ده و برضك تقوله
سامحنى .. يسمحوك على ايه ..؟!..

كانت ملامح زكريا مبهمة بالنسبة لها لم تعرف هل ما تخبره
به يغضبه ام لا يمثل بالنسبة له فارقا .. هي كل ما لاحظته
تلك الاهتزازة التي تؤكد ان الامر يعنيه لحد كبير..

همس زكريا :- دوول اكثر ناس عزاز على جلبى يا بدور ..
اكثر ناس لما كان المفروض ابجى وسطيههم و جت ما
احتاجونى كنت انى بعيد جووى عنيهم .. تايه و لسه مش
عارف لى بر .. و لا لاجيلى مرسى ..

وضع زكريا كوبه و نهض متوجها للسور مستندا عليه
محاوولا الا ينكئ جروح لم تتدمل بعد .. لكن يبدو ان بدور قد
سيطر عليها الفصول بشكل كلى و لن تتركه لحاله ..
و كان على حق حينما تبعته لتجاوره في وقفته هامسة :-
طب و مين سهام دى..؟!..

لاحظت منه نظرة الي بدور أيقن من خلالها أسباب سؤالها ..
ابتسم في تفهم قائلا :- دى بت عمى يا بدور .. تربية يدي
من وهى بت تلت سنين .. الحاجة فضيلة أمها و ام عاصم ..
ومرت عمى الحاج مهران .. مكنتش بتستأمن حد عليها
غيرى .. و ابتسم متذكراً و مكررا كلمات الحاجة فضيلة
:- "خلى بالك منها يا زرزور .. او عالها يا زرزور .."...

هتفت بدور متسائلة في تعجب :- زرزور ..؟!..
او ما زكريا بالإيجاب هامساً :- دى حكاية طويلة جووى يا
بدور .. حكاية بطول عمرى كله .. هبجى احكيها لك بعدين ..
هتفت بدور و نبرة الغيرة تطل جلية من كل حرف من
حروف تساؤلها :- و حلوة على كده سهام دى ..؟!..
رفع زكريا عضديه من على السور و احتضن وجهها بكفيه
هامساً :- زينة لصحابها يا بدور.. هتكلم عن واحدة بجت

في عصمة راجل .. انى اللى تهمنى دلوجت هي مرتى ..
اللى مشيفش حد في جمالها ..

هتفت في سعادة :- صحيح يا سى زكريا ..؟!..

أكد مبتسما :- صحيح يا بدور .. انى بحمد ربنا انه هداكى
ليا .. انى معرفش كيف كانت هتعدى عليا الأيام دى و أنت
مش جارى ..؟!..

ابتسمت و دمعت عيناها و ما ان همت بالرد عليه حتى علت
أصوات زغاريد صادحة من مكان ما على اطراف الحارة ..
هتفت في سعادة :- شايف الفال الحلو يا سى زكريا ..؟!..

اندفعت تحاول بقامتها الضئيلة التطلع من سور السطح
العريض إلى الحارة راغبة في معرفة اخر الاخبار و من أين
تأتى تلك الزغاريد المجلجلة بالفرحة ..؟!..

شهقت في صدمة عندما وجدت نفسها مرفوعة بعض الشئ
عن الأرض لتستطيل قامتها فتصبح قادرة على متابعة ما
يحدث بالأسفل ..

هتفت و هي تدير رأسها لزكريا الذى وجدته يحملها من
خصرها الذى كبله بذراعيه :- انت بتعمل ايه يا سى زكريا
..؟!..

ابتسم مشاكساً :- بنفرچوكى على اللى بيحصل تحت .. و
مش ببلاش على فكرة .. الحساب يجمع ..

انفجرت ضاحكة و اعادت رأسها في سعادة تتابع ما يدور
من حوار بين جارتين جذبهما صوت الزغاريد المتعالية و
التي لم تنقطع ..

لتدرك من خلال حوارهما أسباب تلك الفرحة
لتستدير مرة أخرى لزكريا هاتفة بملامح متبدلة :- نزلنى يا
سى زكريا ..

ابعدا زكريا عن السور لكنه ظل محتفظ بها بين ذراعيه
لتستدير له و ملامحها تشى بخبر ليس سارا على ما يبدو ..

سأل في فضول :- خير يا بدور .. مين اللى اتجوز و لا نجح
و لا الزغاريد دى سببها ايه ...؟!..

هتفت دون موارد و هي تلتصق به محتمة :- ده السمرى
...؟!..

هتف زكريا حانقاً :- ماله البعيد .. جُطع و جُطعت سيرته
...؟!..

أكملت مرتعشة وهي تتذكر حالها يوم ان حاول ارغامها
على الزواج به :- انكتب كتابه على البت صباح بنت الحاج
مرعى صاحب البيت اللى جنب قهوة المعلم خميس ..
صمت زكريا و لم يعقب مما شجع بدور على الاستطراد
قائلة :- بس غريبة .. البت صباح دى كانت متقال عليها
من ..

قاطعها زكريا مؤنبا :- خلاص يا بدور بلاه الكلام في سيرة
الناس .. دى بجت في عصمة راجل تانى و ربنا يعينها عليه

ارتجفت وهي بين ذراعيه تحتمى بهما هامسة :- صدقت يا
سى زكريا .. ربنا يعينها على ما بلاها ..
شعر زكريا بأرتجافاتها فسأل بقلق :- ايه في يا بدور ..
...؟!.. بردتى و لا ايه ...؟!.. مالك بترجفى كده ...؟!..
تمسكت به هامسة :- ابدأ مفيش يا سى زكريا .. بس كل اما
أفكر انى كان ممكن ابقى مكان البت صباح جسمى كله
بيتنفض ..

صمتت و رفعت رأسها هامسة :- اكيد انا عملت حاجة حلوة
قوووى في حياتى عشان ربنا يرزقنى بيك ساعتها .. مش
عارفة اشكر ربنا عليك اذاي ...؟!.. و لا عارفة أرد لك
المعروف ده اذاي ...؟!..

سأل زكريا متصنعا الجدية :- صليتي العشا !

أكدت بإيماءة من رأسها و هي تقسم واضعة سبابتها على شفتيها :- اه و الله يا سى زكريا .. ده انا من ساعة ما عرفتك ما فوتش فرض..

ابتسم رغما عنه و جذبها من كفها باتجاه حجرتهما لتصرخ هي متسائلة :- خبر ايه يا سى زكريا !!! غمز لها بأحدى عينيه عابثاً:- هجولك كيف تردى المعروف

انفجرت ضاحكة و هي تتبعه متعلقة بذراعه هاتفة في مشاكسة :- و الله ما عارفة أودى جمالك دى كلها فين يا سى زكريا؟!..

دخلت سمية تشهق باكية في لوعة لسراى عمها هاتفة في نفاذ صبر :- وينه واد عمى يشوف لى صرفة مع واد محروس ده ..؟!..

انتفض عاصم من مجلسه بقرب أمه الحاجة فضيلة عندما طالعه سمية مندفعة لداخل السراى بهذا المظهر الباكي و بيدها ولدها الأكبر ماهر و بطنها ممتدة أمامها بحمل جديد.. هتف عاصم في قلق :- ايه في يا سمية ..؟!.. تعالى اجعدى بس ..خير ..

سحبت الحاجة فضيلة ماهر لأحضانها مشفقة عليه من عنف أمه الذى جاءت به تلك المسافة من بيتها حتى السراى لاهثا خلفها ..

هتفت تندب حظها و هي تجلس في بطء متأوهة بسبب بطنها المنتفخ الذى ينبئ بقرب الولادة :- آه يا واد عمى .. تعبت خلاص معدتش جادة شوف لى صرفة مع عدلى .. و مع أمه .. أنا بت غسان الهوارى يُحصل فيا كده ..؟!.. معايرة باخوى سليم طول الليل و النهار و ان المفروض

احمد ربنا انه اتجدم لى وانا ليا اخ هربان من عملة مهبية
وهيبجى سوابج و رد سچون .. و اخر المتمة يضربنى..
شهقت الحاجة فضيلة .. و زمجر عاصم هاتفا:- كيف
يضربك يعنى...؟!.. هي سايبه!؟..

لكن عاصم تمهل قليلا قبل حكمه متسائلا :- بس يعنى ..
أنتِ عملتى ايه عشان توصليه لكده حاكم انى عارفك...؟!..
أكدت في عجالة :- معملتش حاجة يا واد عمى .. هو اللى
في الروحة و الجاية لازماً يضايجنى عشان خاطر أمه
تتبسط .. ما أنى بجيت سلوتهم .. خلاااص معدتش جادرة
.. أنا لا طيجه و لا طايجه عشته .. أنى عايزة ا..
هتف عاصم مقاطعا لها هادرا في غضب :- أنتِ بتجولى ايه
...؟!.. يعنى ايه مش طيجه و مش عيزاه...؟!.. مش بخطر
.. ولدك ده مين يربيه و اللى چاى كمان .. فوجى لحالك و
أنا هكلمه .. و ربنا يجدم اللى فيه الخير ..

نكست سمية رأسها في استكانة بعد غضبة عاصم و لم تجب
على كلامه الأخير الا بإيماءة من رأسها توافقه و بكت في
صمت ..

تنهد في إشفاق على حالها فهو يعلم تماما من هي أم عدلى
و كيف تُسير عدلى بإشارة من إبهامها و لا تطيق ان يرفض
لها طلبا لكن في المقابل هو يدرك أيضا من هي سمية ابنة
عمه و انها ليست هينة على ايه حال و بالتأكيد هي لها
القسم الأكبر من الاستقرار و الذى حمل عدلى ليتناول
عليها بالضرب و خاصة و هي بتلك الحالة و على وشك
وضع طفله الثانى ..

نهض عاصم هاتفا في تأكيد :- اطمنى .. كله هاييجى تمام يا
سمية خليكى معانا انت و ولدك أتعدوا و هدى حالك و ربنا
يجيب الخير باذنه .. سلام عليكم ..

نهض عاصم مغادرا و همست هي وراءه :- تسلم يا واد

عمى ..

هنا هتفت الحاجة فضيلة مؤنبة :- لما أنت مش عارفة
تاخدى حج و لا باطل من عدلى واد محروس و أمه ..
رايحة تجيبى عيال تانية منيه يا خايبة ..؟!..
هتفت سمية في حلق :- اعمل ايه يا مرت عمى .. أمى
جالت لى اربطيه بالعيال يعمل لك حساب جصاد أمه..
قهقهت فضيلة هاتفة :- يخيبكم نسوان ناجصة عجل .. عيال
ايه اللى تربطه .. طب كانت أمك ربطت ابوك بخلفتكم الشينة
.. جال اربطيه بالعيال!!!.. كانت نفعت نفسها ..
صمتت سمية و لم تعقب لتشفق فضيلة على حالها لترت
على كتفها هاتفة بنبرة تحمل رغبة حقيقية في نصحتها :-
اسمعى يا سمية .. انت كيف سهام بتي .. و اللى هجولهلوك
ده .. جولته لسهام جبل سابج .. مفيش حاجة تربط الراجل
لمرة (امراة) الا جليه .. لكن جولت عيال تربط راجل لمرة
مش طايحها و الله و لو جابت منيه ميت عيل .. ما هيربطوه
.. اربطى چوزك بالطاعة و المحبة يا بتي تلاجيه خاتم ف
صباeck .. سمعانى يا بت رتيبة ..
اومات سمية برأسها في تأكيد و فضيلة تنظر اليها متمنية
ان تكون سمعت ووعت كلماتها بالفعل ..

كان اليوم الأول لهم في شقة أمها التي قرر تأجيرها على
الرغم من تأثير ذلك على ميزانيته المحدودة لكنه أشفق على
حالتها عندما رآها تنام ليالى مرضه بالقرب من فراشه
الضييق تاركة له أياه .. قرر ان يمنحها بعض من براح و
سعة بديلا عن تلك الغرفة التي بالكاد تحتل شخص واحد
بداخلها...

لقد أكدت عليه بدور ان لا يعود للحجرة عند عودته من
عمله و انها تنتظره في شقتها بعد ان انتهت من تجهيزها
كما يجب ..

وصل بالفعل لباب الشقة و ادخل المفتاح في بابها الخشبي
ذو الصلقتين مما دفعه ليمسك احداها و يدفع الأخرى للداخل
حتى يفتح الباب بسهولة ..

دفع الباب ينظر حوله في استحسان و ينادى باسمها :-

بدور .. يا بدور ..

لم ترد .. تراها أين ذهبت ...؟؟!.. ربما هي بالأعلى نسيت
شيء ما بالغرفة فصعدت لإحضاره .. كان في سبيله للباب
مرة أخرى

و فجأة قفزت هي من خلفه صارخة في شقاوة :- عليك

واحد يا سى زكريا ..

انفجر ضاحكاً و هو يتلففها بين ذراعيه و هتف بها :- واحد

ايه بس اللي عليا ...؟! ده العفاريت تخاف منى و تجرى ..

نظرت اليه في غيظ و قد ايقنت صدق ما يدعيه عندما لم

ينتفض فزعا عندما فاجأته :- طب كده .. يعنى ايه ...؟! ..

مبتركبش الهوا يا سى زكريا .. و انا اللي قلت هخضه بقى

واعمله مفاجأة ذى الأفلام ...؟؟!..

علت قهقهاته هاتفاً :- بزمك في صعيدى يركب الهوا .. ليه

!.. صعيدى ورج ..

ضمها اليه اكثر وهو يهمس في اذنيها :- اومال لو سمعتى

الى كنت عسمعه و انا نايم في إسطبلات الخيل ...؟؟!.. و لا

ندهتك النداهة على شط الثرعة و عرفتى تنفدى بجلدك

منيتها .. و لا ..

وضعت كفها على فمه تسكته متعلقة به في رعب :- خلاص

و النبى يا سى زكريا .. حرمت .. ده انا اللي اترعبت ..

تعالت ضحكاته من جديد و أخيرا ابعدا عنه قليلا ليطالع

مظهرها الجديد على ناظريه ..

كانت تبدو في أروع صورة بذاك القميص الحريري الأحمر

الذى يبرز قدها المياس

و يجعلها كتلة من فتنة لا تقاوم ..

شعرت بحرارة نظراته المسلطة عليها فتوهجت وجنتيها
خجلاً .. و خاصة عندما همس مبهورا :- ايه الجمال ده يا
بدور !!؟..

همست في خجل :- عجبك يا سى زكريا !!؟
و طأطأت رأسها هامسة :- ده جابتهولى نعمة..
و قبل ان تسمع اعتراضه هتفت مسرعة :- هي قالت لى
انى عروسة و الجواز جه على السريع و متجهزتش ذى
بقية العرايس يا سى زكريا .. و لولا كده مكنتش قبلت .. و
الله العظيم ده اللى حصل ..

ربت على كتفها يهدئ من روعها :- تماالم .. و ماله ..
حجك برضك .. عروسة و لازماً تفرحى ..
واتسعت ابتسامته و زادت مشاكسة وهو يهمس وهو
يجذبها لأحضانه :- بس و الله كتر خيرها الست نعمة .. و
انت احلى عروسة يا جمر ..
تملصت من بين ذراعيه في شقاوة و اندفعت باتجاه حجرة
نومهما الجديدة و التي لم يراها بعد هاتفة :- تعال شوف و
قولى رأيك ..

فتحت باب الغرفة على مصرعيه ليتوجه زكريا اليها في
ترقب و ما ان طالع الغرفة حتى هتف في انبهار :- وااه يا
بدور .. ده انت خلتيها و لا الجصر ..
و كان على حق .. فلقد تبدلت الغرفة تماما بعد ان زينت
انحاءها بما توفر لديها من ستائر وازهار صناعية و فرشت
على السرير شرشيف حريرى كان المفضل لأمها و ظلت
هي محتفظة به حتى جاءت اللحظة الأنسب لتضعه مرة
أخرى على فراشها ..

كانت غرفة مريحة للنفس .. هي المكان الأمثل ليستلقى فيه
صانعا عالم لنفسه بعيد عن صخب العالم المحيط .. هي تلك
الملاذ الذى سيلجأ اليه دوما ليحتفى فيه بين أحضان تلك

الرائعة هناك من ذكريات جارحة و دنيا يصعب التكيف مع
تقلباتها العوجاء ..

ابتسم في سعادة و استدار مسرعا ليغلق باب الغرفة و يعاود
النظر اليها بنظرات عابثة و هو يقترب منها في تحفز حتى
اختطفها بين ذراعيه من جديد ..

همست في خجل :- عجبك الشقة يا سى زكريا ...؟؟!
أوما في تأكيد هامساً بدوره و هو يبحث عن عمق عينيها
يتطلع الى تلك الروح الشفافة التي ما خلقت الا لتهدد نفسه
الجريحة :- عجبتي جووى .. و اللى عاجبنى اكثر صاحبة
الشقة ..

رفعت رأسها هاتفة بسذاجة :- أمى!
لم يستطع زكريا تمالك نفسه لينفجر في قهقهات متتابعة
أورثته دمعا مترقرا في حدقتيه ..
جلس على اطراف الفراش يتنهد بعد تلك النوبة من الضحك
ليهتف

ساعلا :- ايوه امك يا بدور .. الله يرحمها .. خلفت اكثر
واحدة غشيمة في الدنيا كلها ..
كانت تقف كالتلميذ البليد تعلو التكشيرة ملامحها الطفولية و
هي لا تعرف ماذا فعلت ليسخر منها .. جذبها اليه لتسقط بين
ذراعيه فيتلقفها هامساً في عشق :- بس بتها الغشيمة دى
هي في كفة و الدنيا كلها في كفة ..
كانت كلماته كافية و كفيلة تماما ليتبدل مزاجها للنقيض
وهى تبتسم في سعادة مطوقة عنقه بذراعيها ..

هتف سعيد مندفعاً خلف عاصم الذى توقف ليرى ما يريد
غفيره هاتفا :- خير يا سعيد .. ايه فى ..؟!..
هتف سعيد محرجا :- مَعَلش يا عاصم بيه!!! بس هو
طلب خصوصى

هتف عاصم وهو يضع كفه في جيب جلبابه:- ايه يا سعيد
..عايز فلوس !؟

رفض سعيد مؤكدا :- لاااه يا عاصم بيه .. خيرك مغرجنا ..
بس يعنى .. انى كنت عايز استأذنك فى حاجة كده..
هتف عاصم بنزق :- ما تنطج يا سعيد نشفت ريجى .. ايه
فى ..؟!..

استشعر سعيد نفاذ صبر عاصم فهتف فى عجالة:- اصلك
انى نويت اتجوز يا عاصم بيه و كنت بستأذنك فى الأوضة
بتاعت سى زكريا اللى فى الچنينة ..؟!..
صمت عاصم للحظة و اخيراً هتف مقهقها :- عايز تتجوز
يا سعيد ..؟!..

هتف سعيد مؤكدا :- ده بعد إذن چنابك ..
ليربت عاصم على كتفه مشجعا :- و ماله .. اتجوز و اتبسط
.. و الأوضة بتاعتك من دلوجت و لو عايز تبنى چنبها
أوضة تانية أو حتى توسعها .. و ماله .. اطلب اللى انت
عاوزه .. واعتبره نجوطك يا عريس ..
هتف سعيد فى فرحة :- تسلم يا عاصم بيه .. ربنا يخليك
لىنا ..

هتف عاصم ضاحكا :- وااه .. كل ده عشان الأوضة و لا
عشان الجواز يا فجرى ..؟!..

هتف سعيد ضاحكا :- التنين يا بيه ..
قهقهه عاصم هاتفا :- ماالشى يا حزين .. و نجيت العروسة
.. و لالسه ..؟!..

أكد سعيد منتشيا :- نجيتها .. نچاة بت عم عمران البجال
اللى على اول البلد ..

ربت عاصم على كتفه من جديد :- تماام .. عم عمران
راچل طيب .. و بته زينة .. ألف مبروك يا سعيد .. ربنا
يتم بخير و اى حاجة تعوزها اطلبها و ميهمكش..
.....

هتف سعيد ممتناً :- ربنا يبارك لنا فى عمرك يا عاصم بيه
 .. و انى اهاا مش عفوت البوابة واصل .. بدل ما انى كنت
 رايح چاى على دارنا فى اخر البلد هيبجى بينى و بين
 الأوضة اللى هبيت فيها خطوتين..
 قهقه عاصم هاتفاً فى عبث :- برضك مش هتفوت البوابة ..
 !؟.. دى العروسة هتتسيك بوابة السرايا و صاحبها كمان ..
 نكس سعيد رأسه فى احراج يرتسم على وجهه ابتسامة
 خجلى .. ليربت عاصم على كتفه فى قوة هاتفاً فى مرح :-
 و ماله .. اتچوز و اتهنى يا واد .. حرج ابو البوابة ..
 و قهقه فى سعادة و سعيد منتشياً لموافقة سيده على ما كان
 يتمناه منذ رحيل زكريا عن السراى ..

وصل لمدخل الحارة المعتمة الساكنة تماماً فى مثل تلك
 الساعة المتأخرة من الليل .. كان مرهقا بحق فالיום كان
 شاقاً و طويلاً بشكل غير مسبوق و قد ظل مع الحاج
 مرشدى لتلك الساعة حتى انهى العمل و رحل كل منهما ..
 خطواته كانت بطيئة رتيبة .. تعكس مدى تعبته و رغبته
 الملحة فى الراحة لساعات طويلة ..
 بالكاد وصل ساحبا قدميه حتى مشارف مقهى الحاج خميس
 اللول و كل ما يدور بخلد مدى القلق الذى يعترى بدور
 لتأخره لتلك الساعة .. فهو كان يتأخر فى بعض الأحيان ..
 لكن لم يتأخر ابداً لمثل ذاك الوقت ..
 توقف فجأة عندما لاحظ حركة غير اعتيادية فى مثل ذاك
 التوقيت امام مقهى المعلم خميس..
 تنحى جانباً فى بطء و اختبئ فى سلاسة حتى لا يشعر أحداً
 بوجوده ..

هتف في نفسه :- " دوول رچالة السمرى .. بيعملوا ايه هنا .. و خصوصى جنب جهوة المعلم خميس ..؟! .."

رأى على ضوء مصباح احد أعمدة الإنارة الخافتة .. رجال السمرى يخرجون من احد الأركان المظلمة يحملون بعض الزجاجات البلاستيكية و التي على ما يبدو تحمل مادة حارقة بدأوا بنشرها و رشها في الأركان الثلاثة للمقهى .. هنا لم يستطع الوقوف متفرجا فاندفع من ركنه الذى كان يختبئ فيه صارخاً بصوت كالرعد :- انت بتعمل ايه منك ليه!!؟! .. كانت صرخته مباغته لهم بالفعل فلقد فرائشان هاربين بينما الثالث تشجع ليهاجمه و اشتبك بالفعل مع زكريا و دارت بينهما معركة طاحنة جعلت زكريا يندفع لينزع سكين العم طابع المغروسة ببطن احدى البطيخات مهددا بها الخصم الذى يصارعه و لكن على حين غرة ظهر احد الرجلين الفارين من خلف زكريا و باغته بضربة قوية من عصاه على رأسه مما دفع زكريا ليترنح متأوها وممسكاً برأسه المصاب تحت عمامته البيضاء التي بدأ الدم يصبغها بلون احمر قان ..

اندفع رجال السمرى هاربين عندما بدأت أصوات الشجار ترتفع و تجذب المصلين الذين بدأوا يفدون لصلاة الفجر في الجامع الكبير على مدخل الحارة و لكن في غمرة الاحداث ظهر ظل ما تقدم بجوار جسد زكريا المصاب و المطروح ارضا ليلتقط سكين العم طابع ..

بدأ المصلون القادمين من قلب الحارة يمرون بشارد العم طابع و مقهى المعلم خميس ليلتفت احدهم صارخاً في الظلام لرؤية جسد زكريا مخرج في دمائه و مقهى المعلم خميس الذى

أضرم فيه النار و التي ألقيت شرارتها من قبل نفس الشبح الذى حمل سكين العم طابع و اختفى..

صرخت بدور عندما رأت من شرفة شقتها زكريا يسنده
رجال من الحارة حتى يدخل بيت الحاج وهيب .. فتحت
الباب و اندفعت على صرخاتها نعمة و الحاج وهيب الذى
كان يتحضر للنزول لفتح بقالته ..
ما ان رآها زكريا و هي تقف على عتاب الشقة حتى هتف
فيها بكل ما استطاع من قوة :- خشى جوه ..
اندفعت للداخل مرغمة تتدارى عن اعين الرجال الذين كانوا
برفقة زكريا يساعدونه على الصعود للشقة بعد عودته من
المستوصف الطبي في اخر الشارع الرئيسى و رأسه تلفه
الضمادات الطبية اثر الجرح الذى تعرض له من جراء ما
حدث امام مقهى المعلم خميس ..
هتف زكريا للرجال شاكرا وهو يستند على باب شقته :-
تسلموا يا رچالة ربنا يخليكم ..
رد الرجال السلام و بدأوا في الرحيل و ما ان اختفوا على
الدرج حتى اسند الحاج وهيب زكريا لداخل شقته و تبعته
نعمة تسأل بفضول عما حدث .
ما ان جلس زكريا على الأريكة القريبة من الباب حتى أعقبه
الحاج وهيب و نعمة بالجلوس و ظهرت بدور مسرعة من
الداخل ما ان ايقنت رحيل الرجال و قد هتفت في لوعة :-
خير يا سى زكريا .. ايه اللى حصل!!!! ..
قال زكريا بلهجة واهنة :- ابدأ .. اتأخرت امبارح في الشغل
مع الحج مرشدى لجرب الفجر و انى داخل الحارة لجيت
تلاتة من رچالة السمرى عايزين يولعوا في جهوة المعلم
خميس ..

صرخت نعمة و بدور في صوت واحد :- يا مصيبتى ..
و أكملت بدور :- ده كان الحارة كلها ولعت ..

رد زكريا :- ما انى لما وجفت لهم خدونى على خوانة و
واحد منيهم ضربنى على راسى .. و الحمد لله چت سليمة ..
و الجهوة اهى لحجوها و خصوصى ان صبى المعلم خميس
كان لساته جافلها على روحه جوه و نايم .. كان هيروح
فيها الواد الغلبان .. الحمد لله ..

هتف الجميع :- الحمد لله ..

هتف الحاج وهيب :- بس خلى بالك على نفسك يا زكريا...
انت كل شوية ربنا يوقفك في طريق السمرى عشان توقف
له مصيبة من مصايبه اللى بيعملها .. و هو مش هايست
على كده كثير .. ربنا يسترها..

هتف زكريا في صوت واهن :- ربك الحافظ يا حاج .. هي
بتاجى معايا كده .. لا انا جاصده و لا يهمنى ف حاجة ..
ربنا يكفيننا شره ..

هتف الحاج وهيب :- امين يا بنى ..
و نهض و تبعته نعمة للعودة لشقتهم و قبل ان يغادر هتف
الحاج وهيب :- لو عوزتوا حاجة نادوا و احنا معاكم .. ربنا
يشفيك يا زكريا ..

هتف زكريا :- تسلم يا حاج و تعيش.
أغلقت بدور باب شقتها خلف ابيها و زوجته و استدارت
عائدة لزكريا .. تناولت كفه تجذبه في صمت حتى ينهض
لتسندته حتى يتمدد على فراشه .. شملهما الصمت حتى
سحبت الغطاء على جسده المسجى على الفراش ..
همت بالرحيل ليمسك هو كفه لتستدير له و عيونها تملأها
نظرات مضطربة و خائفة ..

همس زكريا :-مالك يا بدور .. ايه فيه !؟..
همست مجيبة :- مفيش يا سى زكريا .. قلبى مقبوض ..
هموت من خوفى عليك و كلام ابويا رعبنى اكر ..
ابتسم محاولا بث الطمأنينة في
نفسها :- متخفيش .. عمر الشجى بجى ..

ثم أشار للجانب الاخر من الفراش قائلا :- ياللاه تعالى
اجعدي چارى لحد لما انعس..
استدارت و اتخذت مكانها بجواره ليمد كفه محتضناً كفها
ليلثمه ثم يرفعه واضعا أياه على جبينه المعصوب.. و لم
تمر دقائق حتى كان يغط في نوم عميق..
رفعت كفها عن جبينه ببطء و تنهدت في قلق...انسحبت
من الغرفة في هدوء تعد له ما تستطع ويجود به مطبخها
ليتناوله عند استيقاظه استغرقها الوقت في الاعداد و
التجهيز حتى سمعته ينادى من الداخل طالبا لكوب من الماء
ناولته إياه و قد تناهى لمسامعها عدة طرقات متتابعة تُقرع
على باب الشقة لتندفع بدور تفتح و هي تحكم وضع غطاء
رأسها حول رقبتها و ما ان اشرعت الباب حتى هتف المعلم
خميس منكس الرأس :- سلام عليكم يا ست بدور .. زكريا
صاحي!!؟..لو مش صاحى .. اجيله وقت تانى اظمن عليه..
أكدت بدور :- اه يا معلم .. هو صاحى ..اتفضل..
واشارت الى حجرة النوم مستطردة:- بس هو مريح شوية
..الخبطة اللى على دماغه عملاله صداع بعيد عنك..
ما ان هم المعلم خميس بالإتجاه للغرفة هاتفاً في استئذان :-
يا رب .. يا ساتر..
حتى وجد زكريا يقف على عتاب الغرفة يخرج له .. اندفع
المعلم خميس تجاهه مسندا أياه حتى الأريكة
هاتفاً في عتاب :- ايه اللى قومك بس من فرشتك ما انا كنت
داخل لك!!؟..
ربت زكريا على فخذيه ممتناً:-الجومة ليك يا معلم خميس..
تتحنح خميس :- و الله انا ما عارف أرد لك جميلك اللى
عملته ده اذاي؟!
هتف زكريا عاتبا :- جَميل ايه بس يا معلم!!؟.. مفيش بناتنا
الكلام ده .. المهم جولى..صبيك اللى كان جوه الجهوة
بخير...!!؟..

أكد خميس :- اه الحمد لله .. لولاك لكانت القهوة دى كوم
تراب .. و الواد ده راح فيها .. تسلم يا صعيدى .. القهوة دى
كل راس مالى ..

و تقولى مش جميل ...؟!.. ده انت لحقت رقبتي .. و شوف
كام بيت كان هايتقطع عيشهم لو القهوة دى حصلها حاجة
...؟!..

أكد زكريا :- متجلش كده .. ده لولا ربنا .. انى مكنتش الا
سبب و ربنا بعتنى في الوجت المناسب .. كلنا أسباب يا
راجل يا طيب ..

نهض المعلم خميس هاتفاً بنبرة ممتة :- انا هقوم دلوقتى
عشان اسيبك تستريح و أمانة عليك لو احتجتوا اى حاجة ..
نادى علي اى عيل في الحارة ينادينى او ينادى حد من
صبيانى هنكون عندك في ساعتها ..

هتف زكريا :- تسلم يا معلم .. كلك واجب ..
خرج المعلم خميس وهو يقسم على زكريا الا ينهض خلفه
مودعاً و يعود ليرتاح في حجرته من جديد ..

عادت بدور من الداخل بعد ان تأكدت من رحيل المعلم
خميس انحنت تقبل رأس زكريا هامسة :- ترجع أوضة
النوم يا سى زكريا...؟!..

جذبها من يدها لتندفع جالسة بالقرب منه على الأريكة
هامساً في غيظ :- و لما أنت واعية انها أوضة النوم ..
مدخلة لى الراجل فيها ليه...؟!..

همست محاولة تبرير فعلتها :- مكنتش عيزاك تقوم من
مكانك و انت لسه تعبان وتجيئه ..

هتف محاولاً السيطرة على ألم

رأسه :- أجي ان شالله زاحف و لا تدخلنى راجل غريب
أوضة نومك .. أفرض كنت حاطة حاجة ليكى كده و لا
سايبة حاجة ليك هنا و لا هنا يبجي ايه الحال وجتها ...?!..

صمتت و لم تعقب بعد ان أجمها بحجته بينما استطرد هو
هاتفاً :- جومى جيبيلى دوا راسى ..وجعها بيزيد ..
انتفضت في عجالة تحضر له قرص الدواء المسكن لألم
رأسه .. قذفه في جوفه برشفة ماء و نهض متوجها للغرفة
دون ان ينتبه اليها..

وقفت لا تدري ما عليها فعله .. هي لم يخطر على بالها ما
ذكره للتو .. لكن على قدر حنقها من غضبه و ثورته
المحكومة بمرضه .. على قدر فرحتها الطاغية بغيرته عليها
.. انه يغار.. و كم أسعدها ذلك حد الإبتسام ببلاهة و التوجه
خلفه تتأكد انه على ما يرام و ان الدواء قد بدأ مفعوله و
سكن من ألم رأسه المصابة و لو قليلا ..
فتحت الباب في حذر و دلفت للغرفة على اطراف أصابعها
لعله راح في النوم و هي لا تريد ان تقلق منامه ..
اقتربت تلقى عليه الغطاء المنحسر

عن جسده و تستدير حول الفراش لتجلس على الجانب
الاخر تجاوره متطلعة لملامحه الخشنة المتجهمة .. انه لا
يتجهم بهذا الشكل وهو نائم!؟.. دوما ما كانت ملامحه
مستكيئة و وديعة وهو يغط في نومه.. لطالما راقبته و
حفظت ملامحه عن ظهر قلب .. نقشتها على جدار الروح ..
و كأنها ما رأت من الرجال غيره و لا اقترنت قبله .. هو
رجلها الأول و الأخير ..قبله ما كان رجال .. و بعده ما
عادت ترى إله يستحق لقب رجل و عن جدارة .. انتهى
عصر الرجال عندما دخل لحياتها ليصبح هو الملك الأوحد
لتلك المملكة التي ما عادت تعنى لها شيء و ما عادت تحمل
الا مدلول واحد هو .. زكريا ..

تنهدت في هيام وهي تسند ذقنها على باطن كفها و هي
غارقة في تأمل ملامحه التي بدأت تستكين و تعود لطبيعتها
.. و بعد ان كان حاجباه المقوسان على شكل هلالين أشد
نقوسا ..بدأ كل منهما يرتخي لتختفى تلك التكشيرة التي

كانت تكلل مفرق حاجبيه .. و يفتح عيونه في بضع متطلع
الى تلك الهائمة فيه..

ابتسم رغما عنه عندما طالعه ملامح وجه بدور و لم
يستطع ان يستمر في تزميره منها..

دوما كانت قادرة على جلب الضحكة الى شفثيه و العفو و
اللين لقلبه .. فمهما ارتكبت من أخطاء .. هي .. و ستظل
هي .. مصدر سعادته .. و منبت سروره ..

هتف لها ساخراً وهو يراها تحمق فيه بهذا الشكل :- خدتى
الصورة و لا لسه!؟..

انتفضت من شرودها و اتسعت ابتسامتها متسائلة :- لسه
زعلان منى يا سى زكريا!؟..

همس مشاكساً :- جربى ..

اقتربت ليهمس في عشق :- حد يزعل من روحه .. يا
غشيمة ..

دمعت عيناها وهى تتمدد تريح رأسها على صدره و هي
تبتهل الى الله الا يحرمها من هذا الرجل الذى تعشقه اكثر
من روحها ذاتها.

انتفض كل من زكريا و بدور من فراشهما صباح احد الأيام
لتندفع بدور و لاتزل غمامة النوم تؤثر على استيعابها نحو
باب شقتها .. لتفتح نعمة باب شقتها في نفس اللحظة و
ملامح الفرع مرسومة على ملامحهما..

هتفت بدور في دعر :- ايه الصوت و الصرخ ده .. هو في
ايه على الصبح كده!؟..

ردت نعمة :- و النبى ما انا عارفة .. ربنا يسترها ..

عادت كل منهما لداخل شقتها تحاول معرفة ما يحدث من
خلال متابعة ما يجرى من شرفات المنزل ..

سألت زكريا في فضول عندما وجدته يدخل من الشرفة لتوه
:- خير يا سى زكريا ...؟!..

شرد زكريا هاتفاً :- و الله ما عارف يا بدور ان كان خير و
لا شر ..

هتفت و الفضول يقتلها :- ليه !!.. في ايه في الحارة ...؟!..
و الصوت ده كله ليه ...؟!..

نظر زكريا اليها في قلق هاتفاً :- السمرى اتجتل ..
لتهتف هي صارخة :- ايه ...؟!.. أتقتل ...؟!.. انت متأكد يا

سى

زكريا ...؟!..

قال زكريا :- و الله ده اللى بيحولوه في الحارة.. الله يرحمه
بجى ..

هتفت متسائلة في فضول :- مين اللى عملها؟!.. مسكوه
...؟!..

هتف زكريا :- مسكوا مين يا بدور.. دوول لسه عارفين انه
مجتول ساعة ما سمعتى الصراخ .. ايه ...؟!.. الجاتل

هايجد چاره مستنى الحكومة تجبض عليه ...؟!..
دق باب الشقة بطرقات متتابعة قلقة مما دفع زكريا ليشير
اليها لتستتر و يفتح الباب ليجد المعلم خميس هاتفاً قبل حتى
إلقاء السلام :- شفت اللى حصل يا زكريا ...؟!.. السمرى
أتقتل امبارح بالليل ..

هز زكريا رأسه مؤكدا :- اه .. الله يرحمه .. انا جمت على
صوت الصراخ ..

هتف المعلم خميس ناصحا :- زكريا .. بقولك ايه ...!!!..
قال زكريا :- خير يا معلم؟!..

هتف المعلم خميس :- انا قلبى مش مطمئن .. بص .. من
الاخر كده انت لازم تختفى لك شوية لحد لما الليلة دى
تنتهى ..

تعجب زكريا :- ليه ...؟!.. انا مليش صالح بالحكاية دى ..

هتف المعلم خميس بنفاذ صبر :- اسمع بقى يا أخى .. انت
هتكون واحد من المشتبه فيهم اكيد لأنك اكثر واحد عمل
معاه مشاكل و قلق.. و الكل هایشهد بكده .. و ده مش في
صالحك .. الحكومة على وصول .. أنجز و ابعد ..
هتف زكريا برفض :- انا معملتش حاجة عشان اهرب ذى
المجرمين .. انا هجعد لا رايح و لا چاى و اللى عنده حاجة
يثبتها..

اندفعت بدور في تلك اللحظة من خلف باب الغرفة الذى
كانت تسترق السمع من خلفه هاتفه في لوعة :- خلينا
نمشى يا سى زكريا .. نروح مطرح ما نروح .. بس
صرخ زكريا مقاطعا توسلاتها أمرا :- خُشى جوه ..
انتبهت لغلطتها الفادحة و حمدت الله انها كانت تضع عليها
غطاء رأسها و شالها على كتفها و اللذان وضعتهما عندما
كانت تهم بالخروج للشرفة لتستطلع الأخبار..
تتحنح المعلم خميس محرجا :- طب انزل انا للقهوة و انا
تحت امرك يا زكريا و فكر بسرعة في اللى قلت لك عليه .. و
لو غيرت رأيك .. أبعت لى .. و انا معاك ..
خرج المعلم خميس ليكون خروجه إيذانا بغضب هادر منه
حيث اندفع تجاهها يمسك بذراعها يهزها بعنف هاتفاً :- انتِ

قاطعته و الدموع تندفع من عينيها :- انا خايفة عليك ..
مش هقدر استحمل يخدوك قصاد عيني و انا عارفة انك
برئ ..

رغم غضبه الهادر لمخالفاتها أوامره و اندفاعها امام المعلم
خميس بهذا الشكل الا انه كان يقدر قلقها و ذعرها بعد
سماعها ما قاله خميس لتوه ..

جذبها لإحضانه لتنفجر في نوبة من البكاء العاصف ..
اعتصرها بين ذراعيه هامساً في محاولة لطمأنتها :-
متخفيش .. انا معملتش حاجة .. و ربك هو المطلع ..

كان يطمئنها و لكن سمة قلق يتسلل الان الى أعماقه و
يحتلها كبقعة حبر تنتشر على صفحة بيضاء و خاصة عندما
تعالّت أبواق سيارات الشرطة تنعق عند مدخل الحارة ..

وقف كل من وكيل النيابة و الضابط المكلف علي رأس جثة
السمري و التي كانت ملقاة على بطنها و قد طُغت عدة
طغعات من الخلف اندفع على اثرها القتل ساقطا على
مجموعة من الارجليات و كؤوس الشراب و التي كانت تُعلن
ان هذا المكان ما هو الا وكر كان يمارس فيه السمري و
رجالها ما يحلو لهم من أنواع الفحش و الرذيلة ..
هتف وكيل النيابة مؤكدا :- واضح ان القاتل انتظر لما القتل
يعمل دماغ ثقيلة من السم اللى كانوا يبشربوه ده عشان
مبيقاش عنده قدرة يقاومه ..

أكد الضابط :- الواضح كده يا فندم ..
سأل وكيل النيابة و هو يجول بنظراته في المكان الذى اكتظ
برجال المعمل الجنائى المختصين بجمع الأدلة و رفع
البصمات :- اخبار التحريات ايه يا حضرة الظابط ..؟! ..
هتف الضابط :- التحريات السريعة اللى عملتها قبل وصول
حضرتك بتأكد ان المجنى عليه كان ليه أعداء كتير و مكش
محبوب في وسط الحارة .. بس من اكثر المشتبهين فيهم
واد صعيدى لسه جاى الحارة من سنة كده .. عمل اكثر من
خناقة مع السمري و كانت في الأساس بسبب واحدة تبقى
مرات الواد ده دلوقتى ..

همهم وكيل النيابة :- طب هاتولى الواد ده ..
اوما الضابط إيجابا ومع انصرافه اندفع احد رجال المعمل
الجنائى بكيس بلاستيكي محكم الغلق في اتجاه وكيل النيابة
هاتفاً :- وجدنا سلاح الجريمة يا فندم ..

برقت عينا وكيل النيابة في حبور و هو ينظر الى تلك الأداة
الحادة الملوثة بدماء المجنى عليه .. كانت سكين قاطع
مقبضه معقوف بشكل مميز ..و التي لم تكن الا سكين العم
طايح ..بائع البطيخ

هتفت بدور في لوعة :- عشان خاطرى يا سى زكريا اسمع
كلام المعلم خميس و اهرب من هنا ..
و أمسكت بعضده متوسلة و الدموع تغرق وجهها :- طب
بلاش عشان خاطرى .. عشان خاطر امك الغلابة اللي
مستحيلة غربتك عنها و بتستنى تسمع صوتك عشان تظمن
عليك .. حرام عليك يا سى زكريا تسمع عنك مصيبة ذى دى

..

هتف زكريا :- بس انى معملتش مصايب ..ربنا عالم انى
برئ من التهمة دى ..
هتفت بدور مصررة :- ربنا عالم .. لكن الحكومة لالا.. مش
هيسيبوك .. انت اللي قصادهم .. و كمان مستنيهم لحد لما
بيجوا يخدوك .. و حلنى بقى اما يثبتوا انك مش اللي عملها

..

هتف زكريا في حنق :- لو هربت يبجى بثبت التهمة على
نفسى ..ما هو طالما برئ اهرب ليه ..؟!..
هتفت بدور في المقابل :- لو مهربتش هيثبتوها عليك يا
سى زكريا و هاترجع تقول يا ريت اللي جرى ما كان ..
تتهد زكريا في ضيق و شيء في صدره يخبره انها على
حق تماما في كل حرف .. و تنبه عندما هتفت من جديد :-
هو انت هتختفى العمر كله يعنى .. لا .. هم يومين بس
تدارى فيهم لحد ما الحكومة تمسك اللي عملها ساعتها لما
تظهر محدش يبقى ليه عندك حاجة .. قلت ايه ..؟!..
.....

أنهت كلامها و هي تربت على كتفه في تشجيع و قد لاقت
كلماتها الأخيرة صدى مرحب بعقله جعله يتنهد من جديد و
أخيرا ينهض متأهبا .. لتسأله هاتفة :- على فين؟! ..
رايح للمعلم خميس مطرح ما اتفجنا نتجابل لو غيرت رأيي
.. و على جوك .. هم بس يعرفوا مين اللي عملها هبجي
انى في السليم و ارجع رافع راسي و محدش ليه عندي
حاجة .

هللت بدور :- ايوه كده .. هو ده الكلام يا سى زكريا ..
متنزلش من الحارة .. اطلع السطح و عدى الكام سطح دول
لحد سطح بيت المعلم خميس و اخرج من الباب الورانى
لبيته اللي يخرجك على الحارة اللي ورانا ..
هز رأسه موافقا و نظر اليها متأثرا :- يعز على افوتك
لحالك و انا معرفش هرجع ميتا ..
تمالكت نفسها حتى لا تحمله همها و همست :- متقلقش عليا
يا سى زكريا .. انا معايا ابويا و نعمة .. ربنا معاك .. و خد
بالك على نفسك ..

هم بفتح الباب ليندفع للسطح منفاذا لما اتفقا عليه .. لكنها
هتفت في لوعة باكية :- سى زكريا ..؟! .. و اندفعت نحوه
ما ان استدار ملبياً نداءها لتلتقطها احضانه تبكى بحسرة و
حزن لا يوصف على فراقه ..

اعتصرها بعشق بين ذراعيه و قبل جبينها هامساً بنبرة
متحشجة :- مكتوب عليا يا بدور افارج كل اللي بعزهم في
حياتى .. بس فراجك انت غير .. ده انت اللي كنت مهونة
علي..

قبل جبينها من جديد .. و تنهد وهو يبعتها قصرا عن
احضانه رغما عنه و عنها..

اندفع يصعد الدرج الى السطح و ما ان وصل لأعتابه حتى
ألقت خلفه ينظر اليها وهي تقف على مدخل شقتها تتطلع

اليه مودعة بدموع حارقة تلهب وجنتيها و أخيرا هتفت قبل
ان يتوارى عن أنظارها :- سى زكريا ... لا اله الا الله..
ليهتف مجيباً :- سيدنا محمد رسول الله ..
ثم يندفع لداخل السطح ليبدأ رحلة جديدة لا يعلم الى أين
ستأخذه ..

كان زكريا يهم بفتح باب شقته استعداداً للذهاب لعمله و ما
ان انفرج الباب حتى ظهر أمامه عدد من العساكر يتبعهم
ضابط هتف ما ان راه بلهجة أمرة :- انت زكريا الهوارى
؟؟!

أكد زكريا في ثبات على الرغم من القلق الذى يتأكله :- ايوه
يا بيه .. خير ...؟!..
لم يعبء الضابط بإجابة سؤال زكريا و إنما امر عساكره في
صوت حازم :- هاتووه..

اندفع العساكر لتنفيذ الامر لتندفع بدور من الداخل و نعمة
من الجانب الاخر و التي خرجت ما ان سمعت تلك الجلبة
على الباب

لتصرخ بدور بحرقة :- ليه ...؟!.. سى زكريا معملش
حاجة.. وخدينه ليه ...؟!..
انتفضت بدور مستيقظة من ذاك الكابوس الذى يلازمها في

نومها المحموم منذ اللحظة التي جاء فيها الضابط و
عساكره لباب شقتها بحثا و تنقيبا عن زكريا في البيت
بأكمله بعد رحيله .. ولم يتركوا شبرا واحدا يحتمل وجوده
فيه دون تفتيش ..

اندفعت نعمة تحتضن بدور و تعطى لها كوب من الماء
..شربت بدور عدة رشقات بعد إصرار من نعمة و انفجرت
بأكية فجأة في أحضانها و قد ظهر الحاج وهيب على

اعتاب حجرة بدور في شقته بعد ان اصر على عدم تركها و
 حيدة في شقتها و هتف عندما رأى بدور تبكى
 بحرقة :- متقلقيش يا بنتى .. و الله هايخرج منها .. هو برئ
 ومعملش حاجة ..
 هتفت بدور في لوعة و هي تترك أحضان نعمة مندفة
 باتجاه
 ابيها :- اه و النبي يابا .. ده زكريا بن ناس ملوش في
 الكلام ده .. ده من عيلة كبيرة قوى في الصعيد ..
 هتف ابوها متسائلا :- هو حكى لك!؟
 هتفت هي متسائلة بدورها :- لهو انت كنت تعرف يابا
 ...؟!..
 هتف ابوها متعجباً منها :- طبعا عارف هو انا كنت هجوزه
 بنتى من غير ما اعرف اصله و فصله و اسأل عليه كمان ..
 هو فعلا بن ناس يا بنتى .. و ميعملش العملة السودا دى ..
 ربنا يسترها و يخرج منها على خير ..
 واندفع الحاج وهيب للخارج ليستطلع الاخبار و هي تؤمن
 من خلفه ...

الفصل السابع

انتفض زكريا في مكانه الذي لم يبرحه منذ اكثر من نصف
ساعة عندما هتف المعلم خميس باسمه متوجها اليه بكليته
:- معلم خميس !! ده انى جلت انك مش چاى ..
هتف المعلم خميس لاهتاً :- لااا.. مش چاى اذاي ..؟!.. بس
انت عارف كله دلوقت محطوط تحت عين الحكومة
فماصدقت عرفت أنفد و أجيلك .. بص و ركز معايا بسرعة
عشان مفيش وقت .. انت لازم تسيب القاهرة النهاردة من
غير تأخير ..
هتف زكريا مستكرا :- هروح فين يا معلم!؟!.. ده انا جلت
هتلاجيلي اى مطرح ادارى فيه يومين لحد لما الموال ده
يخلص ..
هز المعلم خميس رأسه رافضا :- يا ريت كان ينفع .. انا
معرفش حد ثقة هنا استأمنه عليك لكن اسكندرية ..
هتف زكريا بتعجب :- اسكندرية ..؟!
أكد المعلم خميس :- ايوه .. هتسافر اسكندرية عند ناس
معرفة كلمتهم عنك .. و متقلقش كل حاجة مترتبة هناك ..
الواد غندور هيظهرلك في اى لحظة انا مرسية على الدور
كله هيستناك في الموقف هناك .. اول ما يشوفك هيقولك تبع
المعلم خميس المرسى ..
قبل ان يتساعل زكريا أكد خميس هازا رأسه :- ده اسمى
الحقيقى و اللى معروف بيه هناك في اسكندرية .. اللول ده
شهرتى هنا .. بص انت بس سلم الواد غندور نفسك و
متقلقش .. ده تربيتى ..
هز زكريا رأسه موافقا ثم أخيرا هتف في امتنان :- انى مش
عارف أتشكر لك اذاي يا معلم ..؟!.. انى..

هتف المعلم خميس متأثراً :- انت بن حلال يا زكريا و يعلم
ربنا انا بعزك ذى اخويا و اكثر..خلى بالك على نفسك يا
صعيدى .. و اهل بيت الحاج وهيب في عنايا متقلقش ..
مد زكريا كفه مودعاً و ابتسامة امتنان ترسم على شفتيه
الا ان المعلم خميس جذبه ليعانقه عناقا حارا رابتاً على كتفه
في تشجيع هامساً:- هتهون يا صعيدى .. و هتخلص على
خير و هاترجع و نحكى عنها و نضحك..
أكد زكريا متأثراً :- هتهون عشان فيها ناس طيبين ذيك يا
معلم .. ربنا يبارك لك ..

اندفع المعلم خميس مبتعداً في تأثر هاتفاً :- انا اتأخرت
قوى .. لازم امشى .. خلى بالك على نفسك و أوعى تتصل
بحد هنا .. أوعى يا زكريا .. ف حفظ الله ..
و لوح مودعاً منصرفاً على عجالة و سار زكريا في اتجاه
موقف السيارات المتوجهة للإسكندرية .. لكن غصة في
حلقه و انقباض بصدرة دفعة دفعا لإحدى كبائن الهاتف
لتنقر أصابعه رقم يحفظه عن ظهر قلب فقد تكون تلك المرة
الأخيرة التي يستمع فيها لصوتها قبل ان يندفع لوجهته و
ينقطع عن كل من يعرفهم ..
انتظر الرد في وجل لتهتف امه في لهفة :- ولدى ..؟!..
زكريا!! ..

دمعت عيناه مع ازدياد الغصة بحلقه هاتفاً في صوت يحاول
السيطرة على نبراته :- كيفك ياما ..؟!..
هتفت الام الذى ألتقطت بحسها و غريزتها التي لا تخطئ
خطب ما في نبرات صوت وحيدها :- انا زينة يا ولدى طول
ما انت زين و طيب .. ايه فيك يا زكريا ..؟!..
حاول الإبتسام هاتفاً بعكس ما يعتل به صدره:- ذى الفل يا
حاجة .. بس ادعيلى...
همست الأم و قلقها في ازدياد :- دعيالك يا زكريا .. ربنا
يحفظك و يريح بالك يا رب ..

هتف زكريا بزفرة قوية من صدر يحترق :- يا ارب ..

دوت سرينة عربية الشرطة لتقف امام السرائ ليهب عاصم
متعجباً :- ايه فيه ..؟!.. ايه اللي بيچرى بره ..؟!..
اندفع سعيد في عجالة هاتفاً ما ان طالعه عاصم متسائلاً :-
عاصم بيه؟! الحكومة بره وعندها اذن بتفتيش السرايا ..
هتف عاصم مندفعاً لباب السرائ الخارجي :-ليه ..؟!.. ايه
چرى ..؟!.. تفتيش ليه يا حضرة الضابط ..؟!..
هتف الضابط بلهجة رسمية :- احنا معانا اذن من النيابة
بالتفتيش يا عاصم بيه و كمان طلبينك معانا ..؟!..
هتف عاصم متعجباً :- انى تحت امركم .. بس لما اعرف ايه
في الأول يا حضرة الضابط ..؟!..
نظر الضابط لبعض الأوراق هاتفاً :- المفروض الكلام ده
تعرفه لما تيجى معايا يا عاصم بيه ..بس انا هقولك .. ابن
عمك ..

قاطععه عاصم هاتفاً :- لجيتوا سليم؟!..
هز الضابط رأسه رافضاً :- لا يا عاصم بيه .. كلامى على
زكريا الهوارى ..
هتف عاصم مذهولاً :- زكريا ..!!!.. زكريا واد عمى ..!!!..
ليه عايزينه .. ده..
كان دور الضابط ليقاطع عاصم هاتفاً في نفاذ صبر :- عاصم
بيه .. !! زكريا بن عمك متهم في جريمة قتل و مطلوب
ضبطه و إحضاره و في مصر قالبين عليه الدنيا ..
هتف عاصم مصدوما :- جتل ..؟!.. زكريا يجتل ..!!!.. لااه
.. اكيد في حاجة غلط يا حضرة الضابط ..
هتف الضابط :- و الله ده اللي عندى يا عاصم بيه ..
تسمحلنا بتفتيش السرايا و كمان تفتيش بيت زكريا ..

تهكم عاصم :- و يعنى فكرك هيكون موجود فيهم يا حضرة
الضابط .. اكيد لاه..

اوما الضابط متفهما :- دى إجراءات و تعليمات بنفذا ..
اتفضل ادخل و وسع لنا الطريق عشان نقوم بشغلنا.
زفر عاصم في ضيق :- اتفضل يا حضرة الضابط شوف
شغلك .. و انى هبلغ الحريم فوج...
اندفعت العساكر بأمر الضابط في كل صوب و اتجاه تبحث
عن طريدها و توجه عاصم بدوره للدور العلوى للسراى
ليجمع النساء معا خارج الغرف في احد الأركان بعيدا عن
مسار العساكر الذين جابوا السراى من شرقها لغربها ..
همست زهرة مذعورة :- في ايه يا عاصم .. ايه اللى بيجرى
...؟!..

همس عاصم :- بدين اجولك ...?!..
حمد الله سرا ان الحاجة فضيلة لم تكن بالسراى في تلك
اللحظة .. فقد ذهبت كعادتها لزيارة بعض الأقارب.
اندفع لحجرتة بعد ان تأكد ان العساكر عادوا للطابق السفلى
و وضع عمامته و عباءته السوداء و امسك بعصاه
الابنوسية و اندفع للأسفل ليصطحب الضابط الى بيت زكريا

همست زهرة خلفه في قلق قبل ان يصل للدرج :- طب ..
هو خير يا عاصم ...?!..
أكد متعجلا :- اه .. خير بإذن الله ..
و لكنها ادركت .. ان الامر ابعد ما يكون عن الخير .. و ان
هناك حدث جلل اثار قلق عاصم بهذا الشكل ..

هتف غندور مرحبا بزكريا :- اتفضل يا زكريا .. بيتك و
مطرحك ..

دلف زكريا لشقة واسعة قديمة التأسيس كتب على بابها
"بانسيون السعادة" ..

ادار زكريا ناظريه في المكان لتظهر فجأة من الرواق امرأة
في النص الأول من العقد الخامس هاتفة في ترحيب شديد :-
اهلا .. اهلا بريحة الحبايب .. اتفضل يا سى زكريا .. اتفضل
.. مش زكريا برضة ؟؟! ..

أوما زكريا برأسه مؤكدا وهو يغض بصره في تأدب كعادته
مرحباً بعد ان عرفه عليها غندور :- اهلا بيك يا ست تهانى

وقفت خلف طاولة الإستقبال و فتحت دفترها العريض هاتفة
:- بطاقتك و بيانتك يا سى زكريا .. ؟؟؟! ..

هم زكريا بتقديم هويته الشخصية لها الا ان غندور هتف في
حنق و هو يجذب هوية زكريا الشخصية من كفه الممدود
بها لتهانى :- جرى ايه انت وهى ..؟! .. البطاقة دى هاتفضل
معايا .. و انت يا تهانى البيانات دى بعدين نتفاهم فيها ..
لاكت تهانى علكتها في بطء و هي تنظر لزكريا نظرة شاملة
و أخيرا هتفت :- هي الحكاية فيها إن بقى...؟! .. طيب و ماله

وتنهدت مستطرده مغلقة دفترها :- طالما من طرف المعلم
خميس يبقى استبيننا .. نحطه في عينا من جوة ..

هتف غندور مؤكدا :- الراجل أمانة عندك يا تهانى .. كل
طلباته أوامر لحد لما نظبط له اموره ..

و توجه لزكريا متحدثا :- وماتخرجش من هنا الا معايا و
بمعرفتى .. تمام يا صعيدى ؟!

هز زكريا رأسه موافقا :- تمااام .. بس ده كله بكام ؟!
الحساب يعنى...؟! ..

ابتسم غندور هاتفاً و هو يربت على كتف زكريا :- الحساب
ادفع مقدم يا زكريا .. المعلم خميس دفعه و قالى ده دين

قديم لك عنده و هو ببسده .. يعنى دى حاجة بينكم مليش فيها ..

اوما زكريا رأسه موافقا و هو بيتسم ممتنا للمعلم خميس الذى أنقذه من مأذق كبير فما لديه لا يكفى بقاءه في مكان كهذا و طعامه لأكثر من ثلاث ليال ..

اندفعت تهانى هاتفة في زكريا :- اتفضل يا سى زكريا .. افرجك اوضتك و اهو تراح شوية قبل حصة الغدا .. سار زكريا خلفها غاضا بصره على طول الرواق الممتد على جانبيه العديد من الأبواب المغلقة و التي لا يعلم هل هي حجرات فارغة ام يقطنها إناس كل منهم يملك حكاية ما دفعته ليستتر خلف باب منهم عن اعين البشر .. فتحت تهانى باب احدى الغرف و دخلت تشير بيدها للغرفة في فخر :- احسن أوضة عندى .. هسيبك تستريح و اى حاجة تحتاجها بس قول يا تهانى هتلاقيها عندك .. ابتسم زكريا شاكرا :- ربنا يخليكى يا ست تهانى .. تسلمى.. خرجت تهانى وهى تنظر لزكريا بنظرة متفحصة تتساءل متعجبة :-

" ماذا فعل يا ترى ذاك الرجل الذى لا يكاد يرفع أنظاره عن الأرض حياءً .. ؟!!.."

تنهد زكريا بعد رحيل تهانى و تمدد على فراشه يسترجع كل ما حدث و صورة واحدة ترتسم امام ناظريه تجعله يلعن الظروف التي فرقتهما .. بدور .. لكم يحتاجها .. يشتاقتها .. فوجودها جواره في حد ذاته يخفف عنه الكثير مما يعانى .. نظرتها اليه تزيح عن كاهله هما لا يطيقه .. و تفرش له بابتسامتها و نظراتها الصافية طريقا معبدا من الفرح الخالص .. لكم يشتاقتها .. ؟!!..

هتفت بخيئة في هلع :- ايه في يا عاصم يا ولدى ..؟!..
الحكومة چاية عندينا ليه ..؟!..
طمأنها عاصم :- متجلجيش يا خالة ..الحكومة بتفتش على
سليم .. دوول حتى فتشوا السرايا..
هتفت كسبانة مستنكرة :- طب و هو انتوا مالكم و مال سليم
.. هتداروه عن الحكومة!!؟.. متچيش .. ده انتوا اللي
طلبينه يا عاصم بيه و مُصلحتكم من مُصلحة الحكومة!!؟..
تنهد عاصم و قد أيقن ان محاولته في مداراة الحقيقة عن
الخالة بخيئة ستصبح امرا صعبا في وجود كسبانة التي
تدقق في كل كبيرة و صغيرة ..
أنقذه هتاف احد العساكر للضابط بعد ان تم التفتيش :-
ملجيناش حد يا فندم..
او ما الضابط لعساكره مشيرا لهم بالإنصراف و تبعه عاصم
في هدوء..
تنهدت بخيئة و هي تشعر ان سمة امر ما غامض يحدث و
لا علم لها به و ان ما يجرى لا علاقة له بسليم و هروبه و
رغبة الشرطة في الإمساك به .. انقبض صدرها فهتفت في
تضرع :- الستر من عندك يا رب ..
بينما اندفعت كسبانة خلف عاصم تتوسّله :- عاصم بيه
..؟!.. حضرتك و انى نعرف ان اللي بيحصل ده ملوش
صالح بسليم .. جلى رب يريح جلك .. سى زكريا بخير
..؟!..
ارتفعت نظرات عاصم التي يغضها ارضا و قال في هدوء :-
ايووه الموضوع مع زكريا .. زكريا متهم في جريمة جتل
في مصر و الحكومة بتفتش عنيه ..
ضربت صدرها بكفها هاتفة :- يا واجعة مربربة .. بس سى
زكريا ميعملهاش ..
انت تصدج يا عاصم بيه ..؟!..
.....

هز عاصم رأسه نافيا و أخيرا استأذن منها مسرعا ليلحق
بالضابط لاستكمال الإجراءات و همس قبل ان يغادر :- اياك
الحاجة بخيئة توعى باللى بيحصل .. انى جلت لك عشان
تبجى عارفة و تدارى الحكاية عنيا لحد ما نشوف
هاثخلص على ايه ..

هزت رأسها متفهمة و عيونها يحتبس فيهما دموع قهر و
لوعة ..

و لم يكن يدرك كلاهما ان بخيئة سمعت كل ما دار بينهما
من حديث بشأن وحيدها و الان فقط عرفت لما ذاك القلق
الذى اعتراها عندما استشعرت الحزن يقطر من صوته
يحاول ان يداريه عنها في مكالمته الأخيرة ..

تمسكت بالباب مترنحة و هي لا تدرك ما عليها فعله من
اجل فلذة كبدها .. و أخيرا هتف صوت الامل بداخلها ..
طالما ان الشرطة تبحث عنه فهو لا يزل حرا .. هو بخير..
هو بعيد عن أيديهم ..

هي اعلم بولدها .. هي ادري الناس انه لا يرتكب مثل تلك
الجريمة البشعة .. ليس زكريا .. لذا هي تدرك براءته و ان
الله سينجيهِ و يخفيه عن اعينهم حتى يقضى امرا كان
مفعولا .. سالت الدموع من عينيها هامسة في تضرع :-
احفظه بحفظك يا رب ..

مرت ثلاث ليال على زكريا لم يذق فيهم طعاما للنوم .. و ما
ان يغفل للحظات حتى ينتفض في قوة متصببا عرقا يلتقط
أنفاسه بتلاحق يؤكد على عمق الرعب الذى عايشه في
كابوسه ذاك الذى لم يفارقه منذ جاء الى هنا.
ندرة النوم تهلكه و ما يهلكه اكثر هو تلك المشاهد التي
تترأى له في نعاسه ..

قلقه يتجسد في أمور ترعبه حد

اللا معقول .. فتارة يحلم بأمه و هم يجذبوه من أحضانها
لحبل المشنقة .. و تارة أخرى يسمع صرخات بدور
المستغيثة به و هي تحاول التخلص من ذراعى السمرى
القابضتين عليها و رقبتة تسيل منها الدماء و يضحك بشكل
هستيرى ..

هو يعلم ان كل هذا ما هو الا نزغ من شيطان رجيم يريد
إحزانه لذلك لا يجد ما يدفعه بعيدا الا الصلاة ..
فيتضوء و يصلى لعل صدره المضطرب يهدأ و قلبه الثائر
يستكين و عقله الذى يemor بالأفكار يستقر ... و ساعتها
ينام عدة ساعات قبل ان ينهض من جديد لا يغادر غرفته الا
للضرورة القصوى و هي الوضوء و الحمام غير ذلك هو
قابع فيها يتناول طعامه بين جدرانها و كأنه حبس قبل ان
يرى للسجن أسوارا ..

رفع رأسه للسماء الغائمة الملبدة بالغيوم من خلف زجاج
النافذة المطلة بشكل جانبي على البحر .. ابتسم عندما تذكر
عندما شاهد البحر لأول مرة كيف بدا كالأحمق ..
فلقد هتف في ذهول من روعة ما طالعه و هتف برهبة ..
سبحان الله ..

فأخر ما شاهده في النجع كانت تلك الترع و المصارف
القديمة التي يشق منها قنوات لرى الأرض الزراعية .. و
هناك النيل و الذى يدعونه البحر في النجع حيث كان يتسلل
هاربا مع بعض الأولاد ليتباروا في السباحة في أيام القيظ
الشديد .. او لملئ الجرار لأهاليهم في السابق قبل ان تدخل
صنابير المياه العذبة لقريتهم الصغيرة ..

هتف في تضرع :- يا رب ..

و اسند جبينه على الزجاج البارد لعله يهدئ من حرارة
أفكاره التي تغلى في رأسه كمرجل .. و قلقه على امه و ما
قد يستتبع معرفتها بما يحدث له .. و شوقه لبذور التي لا

يعلم الان كيف حالها .. انه لم يفارقها يوما منذ اراد الله
 جمعهما على ميثاقه و الزواج بها ...
 كانت دوما أمنة بين ذراعيه و كان دوما راضيا بين
 أحضانها الحانية التي عوضته الكثير مما عانى من حرمان
 و قسوة ..
 انه يفتقد لها بشدة .. يفتقد حضورها الأسر المجهض لأحزانه
 و الداعم للفرحة و الموشح بالبهجة .. يحتاجها الان .. في
 تلك اللحظة التي اصبح فيها العالم كله ضده و هي وحدها
 التي باستطاعتها دعمه لأخر نبضة بصدرها في تلك المعركة
 .. يحتاجها حد الوجع .. و يعلم انها بحاجة و تنن لبعاده و
 تصرخ شوقاً لمرآه ... هو يعلم بل على يقين انها كذلك ..
 انه يراها الان بعيني قلبه .. و نور بصيرته ..
 و هتف في نفسه برغبة قاتلة تمزقه لرؤيتها .. ليتها هنا
 ...

هتفت نعمة مشفقة :- يا بدور مش كده .. يابنتى كلى حاجة
 .. الاكل مدخلش جوفك من ليالى ..
 هزت بدور رأسها رفضا في
 وهن :- مليش نفس يا نعمة .. جوفى نار قايدة و مش
 هايرتاح لى بال الا لما اعرف ها يحصل ايه لسى زكريا ..
 ربنت نعمة على كتفها متفهمة :- و الله حاسة بيك بس
 اتعشمى خير .. اهو المعلم خميس و ابوك راحوا يشوفوا
 مع المحامى ايه اللى هيحصل بعد ما طلع .. اللى اسمه ايه
 ده .. اه التقرير بتاع السكينة و البصمات ..
 عشان خاطرى كلى عشان لما سى زكريا يرجع بالسلامة
 يلايكي ذى الوردة المفتحة مش دبلانة كده ..
 همت بدور بالكلام الا ان طرقات الباب قاطعتها لتنتفض هي
 ونعمة من مكانهما تسابقان الريح لفتحه و معرفة الاخبار ..

وصلت نعمة في البداية وفتحت الباب في لهفة ليطل منه
الحاج وهيب منكس الرأس يسنده المعلم خميس وهو ليس
بأقل منه وجوما ..

هتفت بدور متلهفة بأمل و هي تعدل غطاء رأسها عندما
شاهدت المعلم خميس يرافق ابوها :- هااه .. مالكم .. في
ايه .. طمنوني .. براءة مش كده ..؟! .. اصل سى زكريا
ميعملهاش .. والله ما يعملها ..

نظرت لأبيها و صرخت :- قول يابا .. أتكلم .. في ايه ..؟! ..
هز الحاج وهيب رأسه حسرة و ضرب فخذه بكفيه و هتف
بوهن و هو يتوجه لغرفته ساحبا قدماه

سحبا :- اللهم لا اعتراض .. الله الامر من قبل و من بعد ..
توجهت بدور للمعلم خميس :- طب قولى انت يا معلم .. ايه
اللى جرى؟! .. هو عشان سى زكريا هرب يعنى؟! .. طب
يرجع بس يسيبوه ..

قرر المعلم خميس إنهاء حيرتها التي تكاد تقتلها ليهتف في
دفعة واحدة :- لقوا بصمات زكريا على السكين اللى أتقتل
بيها سمرى ..

مرت لحظات من الصمت القاتل بعد شهقة نعمة المصحوبة
بضربة قوية على صدرها ..
و لم يقطع ذاك الصمت الذى امتد .. الا صوت ارتطام بدور
بالأرض ساقطة فاقدة الوعي ..

اندفع عاصم لداخل حجرته في عجالة جعلت زهرة تقفز
مجفلة و تسأل في قلق :- خير يا عاصم .. في ايه ..؟! ..
هتف عاصم امرا في ضيق :- حضرى لى الشنطة بسرعة ..
انى مسافر دلوقت ..
ازداد قلقها لتتهف متسائلة من

جديد :- طب خير يا عاصم .. طمنى .. مسافر ليه ..؟! .. في
حاجة جدت!؟

خرج عاصم و رأسه تقطر ماء يجففها في سرعة و يبدأ في
تبديل ملابسه :- انى مسافر عشان زكريا .. المحامى اللى
بعته يتابع التحجيج بلغنى ان السكين اللى اتجتل بيها الراجل
اللى بيتهموا فيه زكريا طلع عليها بصماته ..

شهقت زهرة في صدمة هاتفة :- بس زكريا ما يعملهاش يا
عاصم ..

أكد عاصم :- ايووه .. ميعملهاش .. و انا تايه عن واد عمى
.. لو سليم كنت جلت يعملها و يعمل اللى أوعر منيها .. لكن
زكريا .. لاااه ..

هتفت زهرة و هي تضع له ملابسه في الحقيبة :- يا ساتر يا
رب .. سيرة سليم ده بتعكننى .. اهو التانى ده كمان هربان ..
و لسه متمسكش ..

أنجز عاصم ارتداء ملابسه و اخرج سلاحه و بعض من
نقود من خزانة الملابس و وضعهم في جيب سترته الداخليه
أسفل جلبابه ..

و أخيرا وضع عمامته و عباءته هاتفاً :- كان نفسى تاجى
معايا .. اهو تزورى الداكتور ناجى .. بس انى مستعجل و
أصلا مش هطول ..

ربتت على كتفه قائلة :- ميهمش يا عاصم .. انا فعلا مش
هاينفع اروح الفترة دى عند بابا .. اولاً لانه مشغول بتحضير
فرح ندى و نبيل

و عشان مسبش خالتى لوحدها .. سافر انت و أرجع بالف
سلامة ..

قبل جبينها على عجالة و تركها مندفعاً للزود عن بن عمه
.. الذى يعتبره اقرب من اخ له ..

انتفضت تهانى من مجلسها عندما انتبهت لظابط وبعض
 العساكر يندفعون لداخل البنسيون ..
 استجمعت رباطة جأشها التي فارقتها للحظات وهتفت
 بترحيب :- اهلا يا باشا شرفتنا ..
 هتف بها الضابط بنزق :- هاتى بطاقات النزلاء الى عندك
 .. انجزى .. و تعالى ورايا خبطى على اوضهم.
 حاولت التلكؤ .. لكن هل هناك من مفر ..؟! .. هي تعلم ذاك
 الضابط جيدا .. لن يترك البنسيون حتى يتأكد من هوية كل
 نزيل و زاد تأكدها و هي تراه يطابق الهويات الشخصية
 التي سلمته أياها بذاك الدفتر العريض الذى تدون فيه كل ما
 يخص نزلائها من معلومات و بيانات ..
 تحركت في آلية تدق الأبواب احدهما تلو الآخر فيخرج
 النزلاء للإجابة على أسئلة الضابط .. و ما ان مرت بحجرة
 زكريا حتى كادت ان تدع كذبا انها خالية ..
 لكن تكبيرة زكريا الواضحة في صلاته لم تدع لها خيارا آخر
 لتفتحها في بطء و دقات قلبها ترتفع للضعف.
 نظر الضابط لذاك الذى يقف بجلبابه الصعدي يوليه ظهره
 راکعا.. اضطر الضابط لينتظر لبضع لحظات حتى ينتهى
 زكريا من صلاته..
 و ما ان سلم السلام الأخير إيدانا بذلك حتى انتفض واقفا و
 قد شعر بوجود اناس غريبة تقف بترقب خلفه...
 هتف في تعجب :- خير يا ست تهانى...؟!..
 لم يكن يعلم ان من يقف على يمينها ذاك هو ضابط ... فلم
 يكن يرتدى حلته الرسمية و الذى سأل زكريا في شك :-
 اسمك ايه ..؟!..
 هم زكريا بالكلام الا ان قاطعته تهانى هاتفة :- كرم
 الصعدي يا باشا .. المعلم كرم عبدالعال الصعدي .. من
 أعيان المنيا ..

نظر الضابط لزكريا في شك ليهتف في تهاني :- فين بطاقتة ده !!؟ و ليه مشفتهاش مع باقى البطايق و لا حتى لقيت اسمه متسجل عندك في الدفتر!؟

أسرعت تهاني متصنعة التيه :- العتب على دماغى يا باشا .. و أخرجت من جيب مئزرها احدى الهويات الشخصية ناولتها الضابط في ثقة مستطردة :- المعلم ادهالى اول ما وصل .. اصله وصل في قطر الفجر اللى جاى من الصعيد .. و كان تعبان دخلته اوضته يستريح و انا سُهى عليا يا باشا و دخلت نمت انا كمان و نسيت اسجل البيانات ..

تطلع الضابط الى البطاقة يقلبها ذات اليمين و ذات الشمال .. و أخيرا أعادها لتهاني و هو يهتف في حنق مندفعاً من الحجرة :- طب متنسش تانى .. و الا هابقى فيها مشكلة المرة الجاية .. سمعانى ..

خرج راحلا و خلفه عساكره لتسقط تهاني على اقرب مقعد منهاره ..

خرج غندور من ذاك الرواق الجانبى القصير الذى ينحرف باتجاه المطبخ .. لتتنفض هي من جديد ليطمئننها هاتفاً :- متخافيش .. ده انا غندور الرايق اللى يفرفش المضايق .. انفجرت ضاحكة لتعليقه و هي تهتف في راحة :- اه و الله يا غندور .. جيت في وقتك .. ده لولا ما رميت في جيبى بطاقة سى زكريا الجديدة وانا ورا الضابط و هو مش واخد باله كنا روحنا في داهية و سى زكريا أولنا ..

ليتنح زكريا قادما من اخر الرواق و ما ان وصل اليهما حتى ألقى السلام لترد تهاني :- اتفضل يا سى زكريا .. و الله ده انت امك داعية لك...

هتف زكريا في تأكيد :- صدجتى يا ست تهاني .. هتف غندور محذرا :- لاا .. من هنا ورايح مفيش زكريا ده .. اللى عايش هنا في اسكندرية اسمه ايه .. كرم عبدالعال الصعيدى .. زكريا ده تنسوه لحد لما نشوف المعلم خميس و

اخر الاخبار الى جاية من مصر .. و قضيتك و صلت فين يا
سى .. كرم .

طأطأ زكريا رأسه متنهذا في

ضيق :- ربنا يجيب الصالح ...

نهضت تهانى تدون بيانات زكريا من بطاقته الجديدة و تعود
بعد لحظات لتسلمها له ..

تناولها زكريا في هدوء ظاهرى و استأذن ليدخل غرفته ..
أغلق عليه بابه و رفع بطاقة الهوية يتطلع اليها في ضيق
.. ذاك الوجه وجهه .. لكنه ليس هو .. الاسم ليس اسمه و
الهوية ليست هويته .. هتف حانقاً في نفسه و قد ود لو
يصرخ بها من اعلى قمة :- مكتوب عليك التوهة عن نفسك
و عن اسمك يا زكريا ..

الاوله زررور .. و معرفلنكش أب يحن عليك و يدك اسمه
.. و الثانية هربان و ما جادر تنطق بلسانك اسمك .. ميتا
ترجع يا زكريا

.. لزكريا .. ميتا ..؟!..

قذف ببطاقة هويته الجديدة بعيدا في غضب هادر .. ووضع
رأسه التي تمور بين كفيه و هو يجلس على طرف فراشه
محاولا ان يهدأ .. لكن هيهات .. وكيف له ذلك بعد كل ما
يحدث ..؟!.. و كيف له ان يهدأ و دواءه ليس في متناول
يده .. دواءه الذى يسكن ألأمه و لو كانت بحجم الكون ..
دواءه المدعو .. بدور ..

خرج الطبيب من الغرفة في هدوء يخط بقلمه أسماء بعض
الادوية و هتف عندما طالعه المعلم خميس و الحاج وهيب
الذى هتف في لهفة :- خير يا دكتور .. طمنا !؟..

هز الطبيب رأسه في ألية وهو يرفعها عن دفتره الطبي
هاتفاً:- خير.. متقلقوش .. شوية ضعف عام و واضح انها
اتعرضت لضغط شديد او اخبار سيئة اثرت عليها ..
وجذب ورقة وصفته الطبية من دفتره منتزعها و قدمها
للمعلم خميس الأقرب له متسائلا :- انا مش قصدى التدخل..
بس مين زكريا اللى المريضة قاعدة تكرر اسمه ده؟!..
صمت الحاج وهيب و لم يعقب الا بهزة رأس متحسرة بينما
أجاب المعلم خميس :- ده جوزها يا دكتور بس مسافر ..
ابتسم الطبيب :- واضح انها متعلقة بيه قوى.. ربنا يجمعهم
على خير ..

هتف الحاج وهيب داعيا :- ياارب ..
بينما اصطحب المعلم خميس الطبيب للخارج..
خرجت نعمة من غرفة بدور هاتفه في زوجها متسائلة :-
هنسيب البت كده يا حاج وهيب؟!..البت هتروح مننا ..
هتف الحاج وهيب بصوت يملؤه العجز :- و انا بأيدي ايه
بس .. بأيدي ايه ...؟!..
اشفقت عليه نعمة فربتت على كتفه في حنو:- ربنا يحلها

من عنده يا حاج .. قول يا رب ..
هتف الحاج وهيب من أعماق قلبه الذى ينن وجعا على حال
ابنته و زوجها بعد ان كان يعتقد ان الدنيا أخيرا ابتسمت لها
و انها تعوضها ذاك الظلم و القهر الذى عاشته مع زوجها
الأول الذى أذاقها العذاب ألوان .. لكن يبدو ان ابنته مكتوب
عليها ذاك العذاب حتى ولو بشكل مختلف .. فصرخ
متضرعا من جديد:- ياارب

دقات على باب شقة الحاج وهيب جعلت نعمة تندفع فاتحة
الباب و هي تعدل من غطاء رأسها بعد ان انفرج الباب قليلا

عن رجل غريب يولى لها ظهره .. لا تعرفه .. فهو ليس
من اهل الحارة و لم تراه من قبل
لكن حدسها اخبرها ان له علاقة ما بذكريا فملاسه تدل
على اصله الصعدي هتفت في وجل :- ايوه .. مين ..؟!..
هتف عاصم وهو يستدير نصف استدارة بجسده :- الحاج
وهيب موجود ...؟!..
.....

أكدت نعمة :- ايوه موجود .. اتفضل.
أغلقت الباب .. لتعاود فتح باب اخر يُدخله على الصالون ..
همهم مستنذنا و دخل .. خرجت هي في عجلة تدعو زوجها
لمقابلة الغريب ..
و ما ان تأكدت ان زوجها دخل له بالفعل حتى اندفعت نحو
بدور

هاتفة :- ألقى يا بدور .. شكل اهل جوزك هلوا بره بعد ما
جالهم خبر.

هتفت بدور بنبرة تائهة :- اهل جوزى مين..؟!..
هزت نعمة كتفيها :- مش عارفة .. بس واحد كده
ميتخيرش عن سى زكريا .. طول بعرض و اخلاق .. بس
عليه هيبة ايه .. الله اكبر ..
همت بدور بالكلام الا ان دخول الحاج وهيب اسكتها ليهمس
هو مؤكدا صدق حدس نعمة :- قومي يا بدور .. بن عم
جوزك بره و عايزك..

نهضت و ارتدت عباؤها و حجابها و دخلت في هدوء ملقية
التحية .. نهض عاصم ما ان طالعه محياها ليهتف :- اهلا
بيك يا ست بدور.. متجلجيش على زكريا .. انا مجوم له
محامى كبير .. و ان شاء الله خير..
و اخرج عاصم من جيب جلبابه النقود التي كانت بحوزته
هاتفاً و هو يضعهم على الطاولة:- اتفضلى دوول ..
.....

نظرت بدور الى النقود نظرات فارغة بينما هتف الحاج
وهيب معترضاً :- ايه ده يا عاصم بيه!؟..بدور في بيت
ابوها و مش محتاجة اى ..

قاطعه عاصم مؤكدا :- عارف يا حاج وهيب انها في بيت
ابوها بيت الكرم و الخير كله و انها مش محتاجة حاجة
طول ما هي معاك .. بس ده حجبها علينا و حج واد عمى
اننا نصون مرته في غيبته .. و اقسم بالله يا حاج الفلوس
دى من ماله .. يعنى حجبها .. و لو هي حابة تاجى معاى
البلد تستنى رجعتة .. تاجى و نشلوها فوج روسنا معززة
مكرمة .. و لو عايزة تجعد معاك هنا ..برضك تحت امرها...
هتف الحاج وهيب في راحة :- عداك العيب يا عاصم بيه ..
بن أصول صحيح ..

هتف عاصم :- عشت يا حاج..
ثم اخرج ورقة من حافظته مدها للحاج وهيب مؤكدا :- دى
نمر تليفوناتى كلها .. لو احتجت اى حاجة او جد اى خبر
في موضوع واد عمى .. هتلاجبنى هنا عندكم في ساعتها ..
و أخيرا نهض عاصم للمغادرة
هاتفاً :- يا دوب ألحج انى طريجى ..
هتف الحاج وهيب :- ما لسه بدرى يا عاصم بيه ..
ملحقتش تقعد و لا عملنا معاك الواجب!؟..
هتف عاصم و هو يتجه للدرج
هابطاً :- معلىش مرة تانية .. و اى حاجة انى موجود كنى
زكريا بالظبط...

هز الحاج وهيب راسه موافقا :- شرفتنا يا عاصم بيه ..
هتف عاصم و قد وصل لأخر درجات السلم :- الشرف لينا يا
راجل يا طيب .. سلام عليكم ..
عاد الحاج وهيب لشقته و ما ان طالعه نعمة حتى هتفت في
فخر :- بجد نسب يشرف ..ولاد أصول صحيح .. واحد غيره

كان قال وانا مالى .. لكن ده جه و سأل و اطمن عليها كمان

..

همست بدور في نبرة ملؤها حزن العالم :- قلت لكم ان سى
زكريا بن ناس و اصل و ميعملش العملة السوداء اللى
تهمينه بيها دى ..

ربنا يفك ضيفتك يا سى زكريا ..

اندفعت نعمة تحتضنها في جذع بعد ان انفجرت بدور في
نوبة من البكاء الهستيري على زوجها و قره عينها الذى
غاب عن عينيها و تتمنى لو تقايض سنين العمر مقابل
التطلع الى محياه من جديد

هتف زكريا في غندور :- غندور عايز اشتغل ..

هتف غندور :- تشتغل ..؟! .. استنى بس نشوف حالك

هترسى على ايه ..

هتف زكريا حانقاً :- لاه .. مصبرش .. انا مش متعود على

الخانجة دى .. و كمان كده كتير .. تجلت على المعلم خميس

.. جاعد بلا شغلة و لا مشغلة غير الاكل و النومه .. انى

هنزل اشتغل و لو حُصل ايه ..

هتف غندور :- طب بس اهدى يا عم الصعيدى .. و اللى انت

عاوزه هعملهولك .. ادينى بس يومين كده ادور لك على

شغلانة تمشى بيها حالك .. لحد ما نشوف المعلم خميس

هيقول ايه ..

هتف زكريا ممتنا :- تسلم يا غندور .. انا لو مشتغلنش

هتجنن و انا جاعد لحالى طول النهار و معرفش الحالة ايه

في مصر و لا ايه اللى بيحصل .. و الاتصالات المعلم خميس

مانعها و لولا ان في حد من طرفك بينزل مصر كل اسبوع

مكناش عرفنا ايه اللى بيچرى هناك .. ربنا يعديها على خير

..

ربت غندور على كتفه :- هتخلص على خير يا صاحبي ..
متقلقش .. كل تأخيرة و فيها خيرة و اهو البطاقة الجديدة
الى عملناها هاتفرق معاك كتير .. و هتسهل لنا أمور ياما..
نهض غندور يتأهب للرحيل هاتفاً :- انا همشى دلوقتي و
هغيب لى يومين كده و لو في جديد وصلني هتلاقيني عندك
.. و انت لو عايز تنزل اهو تغير جو شوية .. انزل .. بس
بطاقتك معاك و متبعدهش عن هنا .. استبيننا (اتفقتنا)..
هتف زكريا في راحة :- استبيننا .. و متجلجش.. لو نزلت
مش هبعد .. هروح فين يعنى .. اخرتي الجعدة على البحر

..
اتسعت ابتسامة غندور هاتفاً :- عجبك البحر يا صعيدي ..
طبعا معندكوش زيه في بلدكم..
هتف زكريا مازحاً و متصنعا الغضب من تلميح غندور الذي
اعتقد انه يذكره بردة فعله الأولى عندما رأى البحر .. رفع
كفه المضمومة امام وجهه ملوحا بها :- اه يا خفيف
معندناش .. بس عندينا حاجة تانية تحب تجربها ..؟!..
اندفع غندور خارجا يهتف بنبرة مازحة :- و على ايه يا
بلدينا .. الطيب احسن ..
ابتسم زكريا و كانت المرة الأولى التي يبتسم فيها منذ
وطأت قدماه ارض الإسكندرية..

خرج عاصم من عند الحاج وهيب يشعر ببعض الراحة فهو
على الأقل قابل اهل بيت زكريا و اطمئن انهم بخير و ترك
لهم ما يحفظهم من شر الحاجة .. توقف عند قهوة المعلم
خميس و جلس يتمنى كوب من الشاي يخفف من ألم رأسه
التي تمرور بالأفكار منذ و طأت قدماه القاهرة و خاصة بعد
مقابلة المحام الذي و للأسف أكد على ضعف موقف زكريا

بالقضية خاصة بعد ظهور الدليل الأخير الخاص ببصمات
 زكريا على أداة الجريمة ..
 تهدد في ضيق وهو يصفق بكفيه مستدعيا صبي المقهى
 لجلب الشاي فاستدعى نداءه المعلم خميس الذى نهض
 مستفسراً عن ذاك الصعدي الغريب الذى يجلس على احدى
 طاولات مقهاه النائية قليلا عن مرآه.
 تقدم في حذر هاتفاً في تساؤل :- مرحب يا بلدينا .. الأخ
 غريب مش من هنا ...؟!..
 أكد عاصم :- اه .. من الصعيد ..
 مد المعلم خميس كفه لتحية عاصم هاتفاً :- احسن ناس .. و
 منين في الصعيد ...؟!..
 أكد عاصم :- من جنا (قنا) ..
 برقت عينا المعلم خميس ليهتف معرفاً نفسه :- اهلا بأهل
 الصعيد و ناسه .. محسوبك المعلم خميس اللول صاحب
 القهوة ..
 ارتشف عاصم بعضاً من كوبه رشفة واحدة و هو يهتف :-
 مرحب يا معلم .. وانى عاصم الهوارى ..
 تأكد الان لخميس ان من يجالسه الان هو احد أقارب زكريا
 فهتف
 متحسراً :- و الله كان في واحد في الحارة هنا اسمه زكريا
 الهوارى بس ايه راجل مجدع بصحيح ..
 هتف عاصم في دهشة :- انت تعرفه!!!..
 هتف خميس :- و مين ميصرفهوش .. كان راجل حقانى و
 مداين الناس كلها بأخلاقه ..ربنا يمسيه بالخير و يرده سالم
 ..
 همس عاصم لخميس :- انت تعرف طريقه يا معلم ...؟!..
 هتف خميس متعجباً :- انا ...؟!.. و انا هعرف منين ...؟!..
 الى اعرفه انه هربان و طالما ممسكتهوش الحكومة يبقى
 خير ..

طلب عاصم قلم وورقة و كتب عليهم ارقام تليفوناته و
 قدمها للمعلم خميس هاتفاً :- دى ارقامى يا معلم خميس لو
 عرفت او سمعت حاجة عن زكريا يا ريت تبلغنى ..
 أكد المعلم خميس بصوت عال الغرض منه إسماع بعض
 العيون التي ترسلها الشرطة للتنصت و الاتيان بالاخبار عن
 اى امر
 يجد:- طبعا .. اكيد يا عاصم بيه ... اى حاجة جديدة
 هتوصلنى هبلغك طوالى ..
 نهض عاصم راحلا و هو يشعر بعجز لم يشعر به من قبل ..
 عجز عن مساعدة بن عمه الذى يكن له مشاعر اخوة
 صادقة ..

مرت عدة أشهر منذ عمل زكريا في الميناء بناء على
 توصية غندور و اخذ ينقل بعض البضائع الخفيفة هنا وهناك
 على تلك العربة الحديدية ذات العجلات و التي كان يدفعها
 محملة بما كانت تجود به بعض المراكب او السفن .. ليذهب
 بها لأصحابها ..
 جاءتته الأخبار من القاهرة و علم بان بصماته كانت على
 سكين طابع وسيلة مقتل السمرى .. كانت ليال قاسية تلك التي
 مضاهها بعد معرفته
 و قد أيقن ان التهمة أصبحت ملتصقة به كالغراء و انه بهذا
 الشكل اصبح مطارذ بشكل فعلى .. و انه سيُصبح كرم و
 سيظل كرم ..
 و عليه ان ينسى زكريا و اسمه و سيرته و كل ما يتعلق به
 ... لكن بعد عدة أيام من اليأس و الأحباط عاد له الامل من
 جديد في رحمة ربه و عفوه .. و تيقن ان الفرج قريب
 طال او قصر الوقت .. فالفرج قريب...

كان يومه ينتهى مع اخر طلبية يوصلها و يعود لبنسيون
تهانى يتناول طعامه و يعود من جديد لينزل عابرا الطريق
ليتخذ مجلسه امام البحر يحدثه بالساعات و يرى وجهه بدور
و ابتسامتها التي يفتقدها حد اللانهاية بين أمواجه ووجها
الصباح يلوح له عبر الأفق ..
ثم يعود لي طرح نفسه على فراشه و يروح في سبات عميق

و اليوم لم يكن استثناءً .. فها هو يجلس على الشاطئ
الرملى يولى ظهره للعالم و يتطلع لعالمه الذى ينسجه بين
طيات البحر و أمواجه الثائرة تارة و الوديعه تارة أخرى ..
انتفض عندما تناهى لمسامعه تلك الهمهمات الخائفة و
صوت الأئين الذى يصله من احد الجوانب ..
نهض في اضطراب ينفض جلبابه و يتطلع حوله في ترقب و
أخيرا رآها .. تقف مذعورة تضع كفاها على اذنيها في هلع
و تنتفض في رعب .. لمح على بعد خطوات منها ثلاث
شباب اندفعوا هاربين و زادوا من سرعة خطواتهم حتى
أضحت عدواً عندما ادركوا ان زكريا يقترب للذود عن الفتاة
التي كانوا يحاولون مضايقتها ..

اقترب زكريا من الفتاة المذعورة في إشفاق وهتف عاليا
حتى تسمعه لأنها كانت تصم آذانها بكفيها عن اى كائن و
كذلك بسبب صوت الأمواج العال في تلك اللحظة :- انت
كويسة ..؟! .. حد من الشباب دوول ضايحك! ..?
لم ترد الفتاة و كأنها لم تسمعه و لا تراه من الأساس بل
ظلت على انتفاضتها و ذعرها و آذانها التي تصمها بكفيها

تلفت زكريا حوله من جديد.. فكر في الإستعانة باحدى
النساء لعلها تفهم ما يحدث مع تلك الفتاة و التي لا يطاوعه
قلبه لتركها بتلك الحالة ..

عاد ليهتف من جديد بالقرب منها :- طب جولى بيتك فين
وانا اوصلك لو خايفة ...؟!..

دقائق مرت و الفتاة على حالها و أخيرا بدأت ارتجافاتها
تهداً و تزيح كفيها عن مسامعها و ترفع رأسها رويدا ..
رويدا ..

لتلقى بنظرات دامعة لوجه زكريا القلق..تتهد زكريا في
راحة .. و هتف عارضا عليها:- تحبى اوصلك لو لساتك
خايفة الشباب دوول يرجعوا تانى ...؟!..

هزت رأسها رافضة و اشارت لسيارة كانت تقبع بالقرب ..
غادرت في هدوء .. و ظل زكريا يتابعها من حين لآخر بعد
ان عاد لموضعه الأول وما ان تأكد انها ركبت سيارتها و
رحلت ..

حتى عاد من جديد لعالمه بين الأمواج ووجه بدور الذى
يطالعه مبتسما ينير الأفق الحالك الظلمة
في تلك اللحظة ..

تساءلت نعمة في حزن :- و بعدين يا معلم خميس ..؟!..
قدمت له الشاي و هو ينتظر الحاج وهيب في الصالون
ليتباحثوا فيما يجب فعله بعد ان تم الحكم على زكريا غيابيا
بالسجن المؤبد لخمسمة و عشرين عاما ..

استطردت وهى تجلس متحسرة تعدل حجابها على رأسها :-
هنسيب بدور كده ..؟!.. ده من ساعة ما عرفت و هي
مبتنطقش .. دى بتموت بالراحة ..و ابوها الغلبان مش
عارف يعمل لها ايه ..حتى هو صحته اتاخرت من قهرته
عليها ..

تتهد المعلم خميس دون ان يعقب و تناول رشفة من كوب
الشاي و أخيرا هتف في حماسة لفكرة مجنونة راودته :-
انت منين يا ست نعمة ..؟!.. مش من طنطا برضة...؟!..

أكدت نعمة بإيماءة من رأسها :- اه يا خويا من طنطا .. ليه
..؟؟..

هتف المعلم خميس باسم :- مدد يا سيد يا بدوى .. هو مش
مولد السيد البدوى قرب !؟..

أكدت من جديد في تعجب :- اه يا معلم .. ليه!؟؟.. نفسك في
شوية حُمص و مشبك من هناك ...؟!..

اتسعت ابتسامته :- اه يا ريت .. و انتِ اللي هتجبيهلى
بنفسك ..

هتفت في دهشة :- انا ...؟!.. ده انا بقالى زمن مرحتش
طنطا و لا زرت اخواتى ..

أكد المعلم خميس :- يبقى واجب تروحي تزورهم قريب ..
قريب قوى ..

تعجبت مما يقول و همت بالإستفسار الا ان دخول المعلم
وهيب قطع عليها استرسالها نهضت مستئذنة لتركهما و
تتوجه لمصاحبة بدور الذى ما عاد يؤنسها الا جلوسها
بالقرب من تلك النافذة المظلة على مدخل الحارة يحدها
الامل بظهور زكريا

حتى ولو حلما و في أحضانها يقبع ذاك الجلباب الذى تركه
زكريا خلفه محمل برائحته التي تحييها و كانت السبب
الوحيد في بقاء روحها منتشية مليئة بأمل اللقاء الذى
تنتظره

و لم تمل من الإنتظار ..

دخل عاصم السرائى في وجوم لم يكن من عادته الا اذا كان
هناك ما يسوء .. انقبض قلب زهرة لمرآه بهذا الشكل حتى
الحاجة فضيلة

استشعرت ان وراء تجهم ولدها خبر قاصم للظهر .. لم
تجرو زهرة على سؤاله و هو يجلس متنهدا في ضيق بينما
هتفت الحاجة فضيلة من مجلسها المفضل في صحن
السراى :- خير يا عاصم .. ايه فيه!؟

وضع عاصم راسه بين كفيه زافرا في ضيق و أخيرا هتف و
هو يمرر أصابعه بشكل مضطرب بين خصلات شعره :-
زكريا .. أتحكم في جضيته النهاردة .. تأبيدة يا حاجة ..
شهقات الصدمة ارتفعت من صدر كل من زهرة و الحاجة
فضيلة ليستطرد عاصم في غضب مكتوم جازا على اسنانه
:- أجول لأمه ايه!؟ .. اجولها ولدك راح .. مكنش بكفاية
التوهة اللي كانت مكتوبة عليه جبل سابج عشان دلوجت
تبجي توهة إجبارى .. !!؟ ..

هتفت الحاجة فضيلة في إشفاق :- حجة يا عاصم ده أمه
تروح فيها .. دى عايشة بس عشان توعاله راجع لداره ..
هتف عاصم متحسرا ضاربا كفت بكف :- ليه بس كده يا
زكريا .. ليه يا واد عمى .. !!؟؟ .. ما كنت جاعد وسطينا و
جلنا بلاها الروحة و البعاد .. أدى اللي كسبناه .. روحة بلا
رجعة ...

ربتت زهرة على كتف عاصم الذى كان يستشيط غضبا يكاد
يحرق كل من يقترب منه لتهمس في خوف عليه :- اهدى
يا عاصم .. ربنا مش هيسيبي .. ربك عادل .. و اكيد مسير
الحقيقة تبان و عن قريب باذن الله ..

هتف عاصم زافرا في محاولة منه لتهدئة نفسه :- و نعم
بالله .. صدجتى .. ربنا جادر ينجيه من الهم ده .. و يرحم
امه اللي ملهاش غيره ..

جاءت سندس في تلك اللحظة تجرى مندفعة لأحضان ابيها
ليتلقف أياها بين ذراعيه مقبلاً وجنتيها الشهيتان في محبة ..
همست زهرة في دلال بالقرب من مسامعه محاولة إخراجها
من

حزنه :- على فكرة .. انا كده هغير.. و غيره زهرة وحشة

..

همس عاصم محاولا الابتسام لمجاراتها :- اللى تأمر بيه
زهرة كله ماالشي ..

همست من جديد مشاغبة :- البوسة لسندس بعشرة لأم
سندس ..

رد مشاكساً :- عشرة بس ...!!! طب لاحجى انتِ لو چدعة

..

كادت تنفجر ضاحكة لولا انها انتبهت لوجود خالتها فكتمت
ضحكاتها و هي تنظر اليه في محبة و قد شعرت بالرضا
لأنها استطاعت و لو قليلا إخراجة من تلك الحالة التي كانت
تتلبسه بسبب زكريا ...

دخل زكريا بنسيون تهانى كعاداته كل ليلة قبيل العشاء بقليل
لتفاجئه تهانى هاتفة :- سى كرم .. فى ورقة سبهاك غندور
.. جه بعد ما انت نزلت بشوية و قالى اديهالك ..

اختطف زكريا الورقة من يدها مندفعاً الى حجرته ليفضها
في لهفة فهو يعلم ان بها اخبار جلسة النطق بالحكم في
قضيته ..

جرت عيناه على السطور و من شدة توتره أعاد قراءتها
عدة مرات حتى استوعب أخيراً ما كان بها من أخبار زادت
من همه ..

ذهب الأمل الأخير في النجاة بغير رجعة ..

أصبح التيه إجبارياً .. و الوجع إجبارياً ..

و العذاب الذى يخالطه اعتيادياً كالماء و الهواء ..

أطبق لى الورقة بغضب في كفه و اعتصرها كما يعتصر
الألم قلبه .. و ألقاها بطول ذراعه و هو يسقط على ركبتيه
في يأس ..

.....

وضع رأسه بين كفيه .. و لم يستطع ان ينطق .. لم تكن
هناك كلمات تعبر عما يجول ب صدره و يرتع بقلبه و يتأكل
فكره من الالم و عذابات .. و فجأة وجد نفسه بلا وعى منه
يردد دعاء كان دوما ما يردده عندما كانت تضيق به نفسه و
لا يجد ملجأ الا الى الله .. دعاء ردهه النبي عليه الصلاة و
السلام يوم خروجه من الطائف مخذولا من أهلها ..
" اللهم إيك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على
النّاس، يا أرحم الرّاحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت
ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدوّ ملكته
أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي
أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات،
وصلح عليه أمر الدّنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو
يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتّى ترضى، ولا حول ولا قوّة
إلا بك".

ما ان انتهى من دعائه حتى سألت دموعه انهارا..
وفي خصم تلك المشاعر التي احتلته لم يدرك ان باب غرفته
قد دق مرة و لم يسمعه لينفرج الان قليلا و يدخل احدهم
للغرفة ثم يغلق من جديد ..سمع همسا مرتجفا يهتف بأسمه
فرفع رأسه يتطلع أمامه في تعجب و أنتفض عندما لامس
كتفه كفا ووضعت عليه هاتفة بأسمه من جديد في نبرة اكثر
ارتعاشاً.. استدار ليواجهها و قد فغر فاه و جحظت عيناه
لمراها و قد غطي الدمع وجنتيها ..
همست من جديد شاهقة :- سى زكريا .. انا هنا .. انا بدور

و انحنت تجلس قبالتة و تمد كفيها تحتضن وجهه بلامحه
المشدوهة .. متطلعة الى تفاصيل ذاك الوجه التي كانت تظن
انها ستموت شوقاً اليها ..

استفاق أخيرا من صدمته على لمساتها الحانية ليجذبها
شاهقا الى احضانه يعتصرها بين ذراعيه ..هامساً بأسمها

في شوق و مرددا أياه في تكرار محموم كأنه لا يصدق انها
هاهنا ..

أبعدها قليلا عن احضانه ليتفحص ملامحها التي أفتقد لها حد
الجنون .. يستعيد من جديد روعة تلك الملامح التي أورثته
السهد ليال طويلة .. و راففته دوما في جولاته على الشاطئ
.. و عاتبته بتكشيرة طفولية لعدم اهتمامه بصحته في

غيابها و واسته دائما و ابدا في حزنه و همه ..
لكم يعشق تلك المرأة و روحها التي تسكنه كروحه ..
همست تخرجه من شروده فيها :- متزعش يا سى زكريا ..
ربك موجود و قادر يظهر الحق .. بعد يوم .. بعد سنة ..
المهم انك بخير ومعيا ..

هتف زكريا و هو يتطلع لعمق عينيها:- المهم انك مصدجة
يا بدور انى برئ ..؟! ..

هتفت في تأكيد :- طبعا يا سى زكريا .. ده لو الدنيا كلها
قالت انك تعملها انا مصدقش .. اذاي أصدقهم .. و اكذب
روحي ..؟! .. اكذب عنيا ..؟! .. و اصدق ان الرجل اللي
عاشرته و مشفتوش فوت فرض ربه و خلانى انا مفتهوش
مممكن يعمل كده .. اكذب الرجل اللي عينه مكنتش بتترفع
عن الأرض و اللي مشفتش منه غير

الخير و اللي عيني مشفتش في الرجالة قبله و لا بعده ..
الراجل اللي قلبى اتخطف اول ما شفته ..
اكذب ده كله .. و اصدق الناس و كلامها ..؟! ..

تطلع اليها في عشق و احتضن وجهها بين كفيه و قبل
جبينها في شوق طاغ و أخيرا جذبها من جديد لأحضانه
متنهذا في راحة فما عاد الان شيئا يعنيه من امر الدنيا .. و
قد جاءت اليه .. من تغنيه عن الدنيا و من فيها ..

الفصل الثامن

هتفت نعمة في سعادة وهى تسأل المعلم خميس ربما للمرة العاشرة على التوالي :- بس اتأكدت يا معلم انها وصلت لسى زكريا و انهم بخير!!! ..

هم المعلم خميس بالرد عليها الا ان الحاج وهيب قاطعه هاتفاً في

فرحة :- ما قالك انها وصلت لجوزها و كله تمام .. وتوجه الحاج وهيب لخميس

ممتنا :- مش عارفين نتشكر لك اذاي يا معلم ...؟! .. الى عملته ده جميل في رقبتي ..

هتف خميس لانما :- العفو يا حاج .. ده انا برد شوية من جمایل زكريا عليا و على ناس كثير في الحارة .. ربنا يردده سالم بإذن الله ..

أمنت نعمة و الحاج وهيب على دعائه و قد هتف الأخير باسم :- بس فكرة ان نعمة تروح لأهلها طنطا و معاها بدور دى جامدة قووى يا معلم خميس .. لولاها مكنتش بدور حصلت جوزها .. و فكرة انها تتوه من نعمة في مولد السيد البدوى و رجالتك يوصلوها لزكريا .. و الله عفارم عليك يا معلم .. ربنا يبارك لك ..

تنهد خميس هاتفاً :- و الله يا حاج ربنا الى ألهم بيها .. مكنش ينفع غير كده .. هو هناك و هى هنا من شهور و انا عارف انهم هايقووا بعض وخصوصى بعد الحكم ما صدر على زكريا ..

و تنهد من جديد هامساً :- الراجل من غير ست بت حلال توقف في ضهره بتضيق بيه الدنيا ..

نظر كل من الحاج وهيب و نعمة احدهما للآخر في تفهم ..
 فقد أدركا ان المعلم خميس يقصد بكلماته الأخيرة زوجته
 الراحلة التي توفيت منذ فترة ليست بالطويلة .. قبل مجئ
 زكريا للحارة بأشهر تقريبا .. و ها هو الان وحيدا مع
 اطفاله الذين تتولى رعايتهم امه ..
 هتف الحاج وهيب ليخرج خميس من صمته و حزنه :-
 تعيش و تفتكر يا معلم .. ربنا يرحمها .. و بيعت لك بت
 الحلال اللي تريح بالك ..
 نهض المعلم خميس مبدلا نبرة صوته الحزينة بأخرى
 يملؤها الفرح وهو يهتف استعداداً للرحيل :- المهم دلوقتي
 انهم مع بعض .. ربنا يهنيهم و يريح بالهم .. و عقبال ما
 يرجعوا الحارة رافعين راسهم باذن الله .. أقول انا سلام
 عليكم بقى .. و ادينى طمنتكم عليهم و اى حاجة تحبوا
 توصلوهم انا في الخدمة ..
 هتف الحاج وهيب ممتنا :- ربنا يبارك فيك يا معلم .. و الله
 لو اخ ما كان عمل اللي عملته مع زكريا .. ربنا يديك على
 قد نيتك الطيبة دى ..
 ربت المعلم خميس على كتف الحاج وهيب في محبة :-
 تسلم و تعيش يا حاج ..
 و رحل بعد ان نشر الفرحة في بيت الحاج وهيب من جديد
 ..

سارا على الرمال في سعادة و التي تدفعها بدور بقدمها
 كطفلة صغيرة مشاغبة و يبتسم زكريا لعبثها المحبب كما لو
 كانت ابنته ..

كانت تتعلق بذراعه في محبة و فخر و هي تسير بجواره
على الشاطئ يتسلل اليهما صوت ام كلثوم شادياً من احدى
المقاهي القريبة .. " و ان مر يوم من غير رؤياك ..

ميتحسبش من عمرى .."

لتعيد بدور الكلمات منغمة بصوتها هامسة بها و هي ترفع
نظراتها لذكرى الذى ابتسم في سعادة وهو ينظر لكفيها
المتعلقتين بعضده هاتفاً في مزاح :- ايه يا بدور .. متعلجة
بيا ليه كده .. مش ههرب منك ..

هتفت في شك :- لاا يا سى زكريا .. انا خيفة عليك من
البنات الحلوين دوول اللى كل ما ننزل نتمشى الأقيهم ..
خيفة واحدة فيهم

تخطفك منى ..

انفجر زكريا ضاحكاً :- انا محدش يجدر يخطبنى منك يا
بدور .. و بعدين انا مالى و مال الحريم ..كفاية انت معايا
بكل حريم الدنيا..

انتفخت أوداج بدور في سعادة منتشية لإطرائه هامسة :-
صحيح يا سى زكريا .. ؟!!..

هز رأسه مؤكدا وهاتفا في

تساؤل :- هو انت لسه متعرفيش يا بدور انا بعزك كد ايه
..؟!..

تعلقت بعضده اكثر وهى تهتف :- عارفة يا سى زكريا ..
بس برضة خيفة ..

و اقتربت لتقبل عضده في الخفاء و كأنها تخبئ رأسها فيه
.. شعر زكريا بقبيلتها الدافئة عبر قماش قميصه لينظر اليها
من عليائه و ابتسامة مشاكسة تكلل شفثيه و همس :-

بتعملى ايه يا بدور ..؟!..

رفعت نظراتها العاشقة لتتلاقى بنظراته المتيمة بها و
بأفعالها العفوية التي تدفعه ليعشقها فوق العشق :- ابدأ يا
سى زكريا .. بحبك بزيادة شوية بس من غير ما حد يدري ..

انفجر ضاحكاً لتعليقها و أخيرا همس مشاكساً أياها :- طب
ايه رأيك نرجع البنسيون و تحبى فيا بزيادة ذى ما انت
عايزة ..؟! ..

احمرت وجنتاها خجلاً و سارا باتجاه البنسيون وهى تخبئ
وجهها من جديد في عضده الذى تتعلق به و كأنه القشة
التي يتعلق بها غريق في وسط موج عاتٍ..

دخلت سهام للسراى فى سعادة و قد تركت باسل يلهو مع
أبناء خاله مهران و سندس فى الحديقة بالخارج...
بحثت بناظريها عن أمها لتطالعها تجلس فى سكينة تتمتم
ببعض الأذكار و التسبيح محركا احجار مسبحتها فى خشوع

..

اقتربت منها تقبل هامتها هامسة :- كيفك ياما !؟..
ابتسمت الحاجة فضيلة فى سعادة لمرآى ابنتها :- سهام
!!.. كيفك يا بتى ..زينة ..؟!..
هتفت سهام :- الحمد لله .. كله تمام .
استشفت الحاجة فضيلة بفراستها محيا سهام السعيد فهتفت
فى

فضول :- بس جوليلى ..؟!..
خير ..؟!..
ضحكت سهام :- واه ياما .. مفيش حاجة تتخبى عليك ..
صُح مبسوطة.. أصلك لسه چاية من عند الداكتورة و
بشرتنى .. انى حامل ياما ..

احتضنتها الحاجة فضيلة فى سعادة مكبرة ..
لتدخل زهرة هاتفه بمرح :- لاا انا كده هغير بجد .. ايه
الأحضان دى كلها ..؟!..
هتفت الحاجة فضيلة بفرحة :- اصلك سهام حبلى..

.....

هتفت زهرة و هي تنهض تحتضن سهام بدورها :- الف
مبررووك .. عقبال ما تقوميلنا بالسلامة ...

هتفت سهام :- و انت يا زهرة مش هتحصليني ..؟!..
قهقهت زهرة هاتفة :- لاا .. اخوك عاصم مش بيفكر
يكررها تانى .. اتعقد من بعد ما تعبت فى ولادة سندس و
مهران ..

هتفت الحاجة فضيلة :- عنديه حج يا بتى .. ما انت ولادتك
كانت واعرة .. الداكتور جال كنى اسمها ايه ..?!..
ابتسمت زهرة مجيبة :- قيصرية يا خالتى .. اسمها قيصرية

..
أكدت الحاجة فضيلة :- ايووه .. هى دى .. ده احنا اترچفنا
يوميها ...

دخل عاصم فى تلك اللحظة لينضم لمجلسهن و ما ان جلس
حتى أعلمته الحاجة فضيلة بنأ حمل سهام ليهتف فى مرح
:- ألف مبرووك .. و الله و التهامية هيزيدوا واحد ..
انفجرت سهام ضاحكة فى سعادة هاتفة :- الله يبارك فيك
ياخوى تسلم .. شدوا حيلكم و حصلونا ..

قهقه عاصم لمزاح اخته التي انحنت على أمها تستشيرها
فى بعض الأمور فمالت عليه زهرة مشاكسة فى همس :- و
انت يا عاصم مش عايز تزود الهوارية واحد...?!..
استدار اليها مبتسما :- لاه .. كفاية الحمل اللى فات .. تسع
شهور عذاب وولادة واعرة .. ربنا يخليلنا مهران و سندس

..
همست تشاكسه من جديد :- معقوول .. الغول اللى بيتكلم
ده ..!..؟

همس فى عشق :- اه .. هو يا زهرة .. بس ده من خوفه
عليك .. على كد ما نفسى أجيب منيك عيال يسدوا عين
الشمس .. على كد ما خوفى عليكى مخلينى أفكر ميت مرة
جبل ما نفكروا نجيب عيال تانى ..

تطلعت اليه في عشق و قلبها يذوب لكلماته الدافئة و لولا
وجود اخته و أمه .. لكانت ألفت بروحها بين ذراعيه و لكن
عوضا عن ذلك همست في وله :- بحبك ..

تململ زكريا في منامه قلقل لا يطل النوم جفونه .. لم يكن
بإمكانه التقلب في ذاك الفراش الضيق حتى لا يوقظ بدور
ظنا منه انها نائمة حتى اثبتت العكس هاتفة :- مالك يا سى
زكريا .. فيك ايه ..؟!..

همس زكريا متعجبا :- انت لساتك صاحبة !؟..
أومات برأيها إجابا و هي تنهض مستندة على مرفقها
موجهة نظراتها لوجهه المحبب الى روحها :- صاحبة و
حاسة بيك و انت قلقلان مش عارفة ليه ..؟!.. أوعى يكون في
حاجة حصلت مع نعمة و لا ابويا من ورا مجيتى هنا ..؟!..
ربت على رأسها مطمئنا :- لاه متخافيش .. محصلش حاجة
الحمد لله...

وجذب رأسها لتستقر على صدره فتتوسده و هي على يقين
ان شيء ما يحزنه و لا يريد الإفصاح عنه او ربما لا
يستطيع .. لكن هي التي لم تستطع ان تصمت و تتركه بهذه
الحالة فهمست و هي تحيط جذعه بذراعها :- طب فيك ايه
..؟!..

همس دون موارد :- جلجان على امى يا بدور .. مش
عارف ايه احوالها .. و لا عاملة ايه بعد ما عرفت اللى
جرى معاي ..؟!..

و لا حتى جادر اكلمها و اسمع صوتها و اخليها تظمن على
..شوفى بجالى كد ايه هنا من ساعة اللى حُصل لا كلمتها و
لا طمنتها ..

رفعت رأسها من على صدره و ربتت بكفها على جانب
وجهه و تطلعت اليه بنظرات كلها عشق و مؤازرة .. تعلم
بفطرتها ان إفصاحه لها عن مشاعره و مكونات نفسه ليس
بالأمر العسير على رجل مثله .. انحنت لتقبل جبينه
و أخيرا جذبت رأسه بين ذراعيها ليستكين في أحضانها
متنهذا في راحة ..
أخذت تهدده كما تهدد طفلا في المهد حتى علا غطيظه و
راح في سبات عميق ..
طوقته اليها اكثر و قبلت هامته و راحت هي الأخرى في
دنيا الأحلام .

رن جرس الهاتف فأندفعت كسبانة مدعية الفرحه هاتفه قبل
ان تصل الى موضعه:- يمكن يكون سى زكريا .!
هتفت بخيئة مؤكدة :- لاااه مش زكريا ..
نظرت اليها كسبانة بتعجب وهي ترد على الهاتف .. كانت
زهرة تتصل للإطمئنان على أحوالهن .. وهل هناك ما يلزم
ليقدمه عاصم.. بعد ما كان من امر زكريا و خاصة مع عدم
علم بخيئة بذلك او اعتقادهم انها لا تعلم من امر ولدها
شيء ..

أنهت كسبانة مكالمتها مع زهرة و اتجهت حيث تجلس
بخيئة واجمة لتجلس بجوارها تطيب خاطرها فهي تعلم انها
حزينة لأجل عدم اتصال زكريا منذ فترة طويلة .. ربتت على
كتفها في شفقة هامسة:- اكيد يا خالتي حاجة مهمة هي اللى
منعت سى زكريا من انه يتصل بيك ..
هزت بخيئة رأسها موافقة كسبانة الرأي هاتفه في حسرة :-
معلوم يا بتى .. وهو في اكثر من المصيبة اللى هو فيها
تخليه ميكلمش امه!!؟....

هتفت كسبانة مدعية الدهشة :- مصيبة !!؟.. مصيبة ايه
كف الله الشر .. ليه بتجولى كده يا خالة ...؟!
ربتت بخيطة على فخذها مطمئنة :- انا عرفت كل حاجة يا
بتى .. كله مجدر و مكتوب ..
هتفت كسبانة بدهشة حقيقية هذه المرة :- كل حاجة ...؟!
كل حاجة اذاي ...؟!!..

سردت لها بخيطة انها علمت بالأمر أولا عندما جاءت
الشرطة لتفتيش البيت و حديث كسبانة مع عاصم و ثانيا
عندما وجدت كسبانة تبكى خلسة عندما جاءها خبر الحكم
على زكريا و استطاعت ان تستشف من حديثها مع زهرة
في الهاتف ما أكد لها صدق حدسها ..
بكت و بكت .. ثم صلت و دعت بقلب ام مكلومة على فلذة
كبدها و الذى فرقته الظروف عنها قديما .. و ها هي
الظروف تفرقتهما من جديد .. اما من نهاية لهذا الفراق
الاجبارى الاختياري ...؟!!..

انتهت بخيطة من سردها لتشهق كسبانة باكية في لوعة :-
بس سى زكريا برئ .. وربنا هينجيه باذن الله..

احتضنتها بخيطة في حنان

امومى :- باذن الله يابتنى .. باذن الله .. هجول ايه بس ..
اللهم لا اعتراض .. كله بأمرك يا رب ..

و بدأت في البكاء وهى تتمتم ببعض من الأدعية ليحفظ لها
الله ولدها .. و تقر برويته عيناها التى بدأ يذبل نورهما من
كثرة بكائها عليه دون ان يدري مخلوق .. لكن يكفيها ادراك
الخالق ..

دخل زكريا البنسيون مجهدا بعد يوم شاق في العمل بالميناء
و ما ان وضع قدمه على أولى درجات السلم المؤدية للطابق
الثالث حيث بنسيون السعادة حيث يقطن حتى استقبلت انفه

رائحة لا يخطئها .. لكنه كذب نفسه و أوزع ذلك لإشتهائه
طعام امه و كل ما تصنعه امه..

انه يشتهي مرآى امه نفسها حتى ولو للحظات..
صعد يحاول ألا يمنى نفسه بما لا يستطيع ان يطاله .. و دخل
البنسيون ملقياً التحية على الجالسين في تلك الردهة
الواسعة في المدخل قبل ان يدلف الى الرواق الطويل حيث
حجرتة القابعة في اخره ..

فتح الباب لتفاجئه بدور بوثة شقية هاتفة في مرح من
خلف الباب الذى أغلقه لتوه :- تعال بسرعة يا سى زكريا ..
اتأخرت النهاردة و انا مستنيك من بدرى ..

كان ينظر الان لصحون من الطعام موضوعة على الأرض
مغطاه في انتظاره.. فجذبت هي كفه لتجلسه ارضا و تجلس
جواره رافعة الغطاء عن الصحون ليهتف في فرحة طفل
يجلس امام أصناف متعددة من الحلوى :- ايه ده يا بدور
...؟!.. ويكة (بامية خضراء).. و فراخ..

جبتهم منين دوول ...؟!..

هتفت في فخر :- جبتهم ده ايه ..؟!.. عملتهم ..
و مدت كفها تنتزع قطعة من الخبز تضعها في البامية و
ترفعها لفمه ليتذوقها في حبور و هو يهمهم في استمتاع
جعلها تتفجر ضاحكة

لتهتف متسائلة :- عجبك ..؟!..

ليهتف في استحسان :- مفيش أحلى من كده ..
ثم هتف مازحاً و هو يراها ترفع لقمة أخرى لفمه :- بس
عنك انتِ بجى .. سبيني اشوف شغلى ..

قهقهت وهي تراه يلتهم الطبق إلتهاما و ما ان اشبع شوقه
.. حتى رفع رأسه اليها فوجدها تتطلع اليه في محبة و
ابتسامة دافئة تكلل شفتيها الشهيتين .. ليسأل مستفسراً :-
بس عرفتى كيف تعملى الويكة ...?!..

هتفت هي بلهجة كمن قام بمغامرة شيقة يحكى كل تفاصيلها
:- سألت ست تهانى تعرف تعمل أكالات صعيدى .. قالت لى
لا .. بس عرفتى على جارة ليها هنا في العمارة جوزها
صعيدى قالت لى دى اكثر اكله بيحبها الصعايدة و عرفتى
اعملها اذاي؟! .. مكديتش خبر و نزلت عملتها لك ..
نظر اليها في عشق ممزوج بامتنان لتهمس منكسة الرأس
خجلى من نظراته العاشقة :- معلىش هي يمكن مش دى
بتاعت الحاجة بخيتة .. بس على قدى بقى ..
همس وهو يجذب كفها ليقبل باطنه :- ما هي عشان على
كدك يا بدور طلعت اجمل ويكة دجتها في حياتى .. انت
غالية و جدرك على..

جذبت كفها من كفه بخجل هاتفة وهى تناوله قطعة من اللحم
:- طب كل قبل الاكل ما يبرد..

اوما برأسه موافقا و بدأ في تناول الطعام بشهية كبيرة و
كأنما قد حُرم الطعام لسنوات فهى لم تره يأكل بتلك الشهية
منذ زواجهما و لكم كانت سعيدة بذلك فهى استطاعت الى حد
كبير تهدئة حنينه القاتل لأمه و لدياره...

فمنذ اخبرها بشوقه اليها منذ عدة أيام و هي تفكر في
طريقة ما تجعله يشعر انه بجوارها .. قريب منها .. و هداها
تفكيرها لهذه الطريقة..

تمدد بعد ان انهى طعامه و أدى صلاة المغرب .. لتتمدد
جواره تحاول التأقلم على هذا الفراش الضيق الذى بالكاد
يكفيهما حتى انها تندرت هاتفة ذات مرة بأن قدمى زكريا
دوما خارجه .. لكنها لم تنتبه لضيق الفراش الفعلى فحاولت
الاستدارة في أريحية لتشهق وهى في سبيلها للسقوط
ليجذبها زكريا في اللحظة الأخيرة قبل ان تسقط على ظهرها
و هو يكتم ضحكاته فهتف هي مبررة بغيط :- بتضحك عليا
يا سى زكريا .. طب ما هو السرير ضيق ..

جذبها لأحضانه مشاكساً :- هو فى احلى من السرير الضيغ
...؟!... يا غشيمة ..

انفجرت ضاحكة على تلميحہ الفاضح و هو يضمها اليه
لتهتف ساخرة :- اللى يشوف سى زكريا اللى كان مبيرفحش
عينه من الأرض يجى يشوفه دلوقتى ..

قهقه زكريا :- انكرى ..
هتفت ضاحكة :- لا مبكرش .. ده انا حتى بسأل نفسى ..
ده مبصش عليكى و لا مرة يبجى خدك علي ايه .. عميانى
...؟!...

انفجر زكريا ضاحكاً و هو يومئ برأسه :- مين جال كده
...؟!... لاه بصيت ..

شهقت و ابتسامة تعلو شفيتها ليستكمل هو معترفا :-
بصيت لما خلاص عرفت انك هتبجى حلالى ..
همست فى دلال :- و لما بصيت بقى شوفت ايه ..؟!
همس وهو يتطلع اليها فى عشق :- شفت جدامى جمر الله
اكبر .. وجلت لنفسى واه يا واد يا زكريا ده انت فايتك
كتيبيير جووى ..

قهقهاتها صدحت كموسيقى تراقص عليها قلبه و ألقت
برأسها على صدره ليستطرد هامساً :- جلت لنفسى الجمال
ده كله هايبجى بتاعك .. و جلبى رفر من طلتك بس اومال
لو ..

صمت فرفعت نظراتها متسائلة بفضول :- اومال لو ايه
...؟!...

همس مشاكساً :- جربى و انا اجولك.
لم تستطع الا الإلتصاق بصدره وهى تقهقه هاتفة :- يا
اسرارك يا سى زكريا ..!!

دخل عاصم غرفته ليجد زهرة تعدحقيب سفرها واطفالها

.. فبعد يومين بالضبط زفاف
 نبيل و ندى اختها .. اقترب منها فى وجل
 هامسا بالقرب من مسامعها :-
 خلاص.. هتسافروا و تفتونى ..
 نظرت اليه زهرة هامسة :- ايه يا عاصم .. انت
 مش جاي معانا و لا غيرت رأيك
 هتف مؤكدا :- لاه چاى .. بس
 هوصلك وارجع عشان امى متجدش لحالها ما انت
 عارفة سهام و جوزها رايعين الفرحو مش جاعدين عشان
 حتى اظمن ان سهام ممكن تجعد معاها
 .. و هرد يوم الفرح احضر معاك و نرجعوا سوا
 همست زهرة :- بس ده تعب عليك يا عاصم هتف :-
 طب هعمل ايه ..؟!.. هسيب امى لحالها و لا اسيبكم انتم ترچ
 عوا لحالكم !؟.
 همست فى قلة حيلة :- عندك حق ..
 أنا لومش معايا الولاد كنت رجعت
 بالعربية ومكنش فى لزوم تيجى
 تاخذني ..
 اقترب منها ضاماً ظهرها لصدره
 هامسا: كيف يعنى ..؟!.. حتى ولو كنت لحالك كنت
 هاجى اخذك برضك .. انت الغالية يا زهرة و غلاوة العيال چا
 ية من
 غلاوة أمهم ..
 استدارت لتصبح بين ذراعيه هامسة
 بمشاكسة:- أنا بقول نفضى الشنط دى و بلاها سفر ..!!!
 قهقهه فى سعادة و هو يضمها اليه
 اكثر هاتفا :وااه.. انت عايزة تعميلنا موال مع الداكتورناچى
 و مرته .. ده يمكن يفتكروا انى مانعك تروحي
 فرح اختك ذى ما هى و أمها

محضروش فرحنا ..
 هزت رأسها و هى تعلم انه قد اصاب لحد كبير فى ظنه خاص
 ة فيما يخص منيرة أم ندى فبالتأكيد لن تسلم من لسانها ..
 اخرجها من شرودها ليهمس فى نبرة جزلة :-
 شفتى الفستان الجديد اللى جبتھولك عشان
 تحضرى بيه الفرع .. ؟!! ..
 وفتح احدى ضلف خزانة الملابس
 ليطلعها فستان باللون الأزرق
 الغامق .. ضحكت فى
 بادئ الامر فماذا تتوقع ان يحضر
 عاصم غير ألوان غامقة جداا
 كالعادة وخاصة اذا ما كانت ستظهر بها امام الرجال .. اخر
 جت الفستان
 من غلافه البلاستيكي الشفاف و
 شهقت فى انبهار ..
 كان اكثر من رائع .. دوما ما كان
 ذوقه يلائم ذوقها و يلاقى استحسانها ..
 همست بسعادة :- ده حلو قوووى يا عاصم .. تسلم إيدك ..
 ابتسم فى حبور :-
 عجبك صُح .. ؟!! ... لو مش عجبك نغيروه ..
 رفضت مؤكدة :- بالعكس ده حلو
 قوى .. ده انت وفرت عليا موضوع النزول
 عشان اجيب حاجة مناسبة لما أوصل القاهرة و خاصة
 انى هنشعل مع ندى و كمان الولاد .. تسلم لى مجيبك يا حبيب
 بى ..
 همس مشاكسا :- كده .. شكر حاف .. ده انت
 بجيتى بخيلة على فكرة ... ؟!! ..
 اقتربت منه فى شقاوة لترتفع حتى
 تطال خده لتقبّله فشاكسها بدوره

رافعا نفسه بعيدا عن
قدرتها على الوصول اليه .. قهقهت فالتقطها بين ذراعيه ي
قتص من بخلها كيفما شاء ..

اندفعت بدور بإتجاه البحر ضاحكة كطفلة صغيرة يتبعها
زكريا و نظراته مسلطة عليها تارة و تجول حوله تارة
أخرى تتأكد من خلو المكان من الناس ..
وقفت عندما لامست اطراف اقدامها الموج القادم نحوها
لتنقهز الى الخلف لتصطدم بزكريا فتنتفض لحظيا ثم تهدأ و
تبدأ ابتسامتها في الظهور على وجهها من جديد عندما
ادركت ان من يكون خلفها هو زكريا
همست برغبة طفلة :- والنبي يا سى زكريا نفسى انزل
البحر .. عشان خاطرى..
هتف زكريا مزمجرا :- تنزلى البحر كيف يعنى ..؟!..
هاتنزلى بعبايتك و ترجعى تطلعى والعباية ظاهرة جسمك
جدام الناس..
صمتت عندما ادركت صحة ما يدعيه و لم تعقب لكنه هتف
محاولا إخراجها من صمتها:- بس ممكن تنزلى رچلك
عالدى يعنى .. اهو تلعبى في المية .. يرضيك كده!..
عادت ابتسامتها تقفز على شفثيها من جديد و هي تندفع
بإتجاه البحر تضع أقدامها في مياهه المالحة و تقفز بشقاوة
كلما دفعها الموج الذى يأتي مندفعا ليعانق اقدامها .. رفعت
بعض من الماء تدفعه في وجه زكريا لينتفض جافلا للحظة
ثم يبتسم لمزاحها الطفولى الذى لا يمله ..
سألته بصوت مرتفع حتى يصل لمسامعه بين هدير الأمواج
:- بتعرف تعوم يا سى زكريا..؟!..
أكد بإيماءة من رأسه و هتف

مازحاً :- اه بعرف أعم .. و بعرف اخرج الناس كمان..
 تحبى تجربى !؟
 هتفت في عشق :- اغرق اكثر من كده .. ده انا غرقانة
 لشوشتى يا سى زكريا .. و النعمة اكثر من كده يبقى افتري
 ..
 قهقه زكريا لتعليقها على وصف مشاعرها تجاهه ..
 ليتساءل في دهشة :- انت بتجيبى الكلام ده منين يا بت
 الحاج وهيب ...؟!..
 انفجرت بدور ضاحكة و هي تستعير كلمته المعهودة
 لمغازلتها :- قرب و انا اقولك ..
 ارتفعت قهقهات زكريا و هو يجذبها لتخرج من البحر ليسير
 بجوارها شابكا كفه بكفها ..

اوصلها عاصم لباب بيت ابيها
 الدكتور ناجى و الذى هلل فرحا ما
 ان طالع محياهم على الباب فتلك هى المرة الاولى التى
 تزورهم فيها ابنته الكبرى منذ تزوجت فى
 النجع ..

كانت سعادته ظاهرة جليلة و هو
 يستقبل زهرة بين ذراعيه و يهيم
 عشقا بأطفالها مهران و سندس
 استأذن عاصم بعد الغذاء ليلحق
 بالطائرة العائدة..

خرجت معه تودعه حتى الباب
 ليهمس لها :- خلى بالك على حالك .. و انتبهى للعيال .. و
 أنا يوم الفرح هتلاجبنى عندك ..

اومات برأسها ايجابا و هي تتمنى لو يبقى
معها لكن ما باليد حيلة ..
همست :-

خلى بالك انت على نفسك و على خالتى .. و متأخرش علي
نا ..

ابتسم مؤكداً بإيماءة من رأسه ليخرج مودعا
لتهتف فى وجل :- لا إله الا الله ..
ليرد :- سيدنا محمد رسول الله ..

و يرحل مسرعا فهي المرة الاولى التى يبتعد كل
منهما عن الآخر اياما فمئذ تزوجها و ما عاد له
القدرة على فراقها و ما عادت هي
تفضل الابتعاد عنه ..

عادت للمجلس فى غرفة الصالون
حيث كانت ندى تحمل سندس و

الدكتور ناجى يحمل مهران فى سعادة بالغة بينما
مطت منيرة شفقتها فى ازدراء هاتفة :- الولاد الحمد لله
طالعين شبهك يا زهرة .. مش طالعين لحد فيهم..
هتفت زهرة و لم يخفى عليها المعنالمبطن فى كلامها و امت
عاضة وجه

ابيها لكنها اثرت السلامة و ردت فى محاولة لتخفيف حدة
كلمات منيرة الجارحة هاتفة :- آه فعلا يا
طنط ..

سندس شبهى قوى .. لكن الصراحة مهران
واخذ من عاصم و عمى مهران الله يرحمه ..هتفت منيرة م
ن جديد بنفس الامتعاض :- بس دى اسامى يا
زهرة ...؟!.. ملقتوش اوحش من
كده ...؟!.. اسماء قديمة قوى ..
مهران وسندس ..!!..صعب خالص على أطفال الصراحة ..
ازدرد الدكتور ناجى ريقه فى

محاولة منه لكبح جماح حنقه وخاصة بسبب
مرض منيرة و قلبها العليل و ما قد يحدث اذا ما اغضبها في
ظل

ظروف الزفاف ..

لكن من هتف في سعادة مجيبا كان
ندى :- ليه يا ماما دى اسماء لذيذة
قووى .. كفاية انها

هى و جوزها اختاروها و عجباهم .. طب ده أنا و نبيل مذ
تارين اسماء .. مش هتشوفى
وشنا تانى بسببها ..

انفجر الجميع ضاحكين و لطفت
دعابات ندى من كلمات و تلميحات
منيرة الغير لائقة بالمرءة...

هتفت تهانى و هي تميل على اذن بدور :- يابت .. و النعمة
انا قلبى اتفتح لك من يوم ما شفتك داخلة عليا تايهة كده و
عينك بت دور على سى زكريا وسط اللى كانوا قاعدين على
الكراسى دى ..

هتفت بدور بدورها :- و الله القلوب عند بعضها يا ست
تهانى .. انا برضك ربنا عوضنى عن نعمة بيبك ..
استطردت تهانى هامسة :- ما هو عشان كده بكرر تانى
الى قلتهاولك قبل كده .. يا بت جوزك صعيدى يعنى يحب
العزوة و اللمة ..

و انت بتقولى ملكيش في الخلفة .. لازم تعملى حاجة ..
هتفت بدور بنبرة تدل على قلة حيلتها:- اعمل ايه يعنى ..
يا ست تهانى ده امر الله و مليش يد فيه ..

هتفت تهانى بالاحاح :- لا .. ليك .. لما تبقى قاعدة كده و
متشوفلكيش حل عند دكتور شاطر يعالجك يبقى ليك يد ..
قاعدة تندي حظك و بس .. و انا قلت لك اللى فيها .. في
دكتور ايه بقى مقلكيش على شطارته و في العمارة اللى
جنبنا على قمة الشارع يعنى مش هنروح بعيد ..

هتفت بدور :- طب هقول لسى زكريا ..
انتفضت تهانى :- مينفعش يا خايبه .. هتروحي تقوليله
هنروح لدكتور عشان انت لو مش واخد بالك من موضوع
الخلفة ده انبهك ليه و اخلى عندك امل فيه ..
هتفت بدور في حيرة :- آمال أعمل ايه طيب!!؟.. اروح من
غير ما أقوله .. ده كان يدبحنى و ملحقش أفكر حتى في
العيال و مجايهم ..

تنهدت تهانى بنفاد صبر :- يا بنتى و مين هيقوله .. احنا
هنروح الصبح و نرجع قبل ما هو يرجع .. و لا من شاف و
لا من درى .. و نشوف الدكتور بس هيقول ايه ..
همست بدور ساهمة :- هيقول ايه يعنى .. هيقول اللى ربنا
كتبه عليا .. انا قعدت مع جوزى الأولانى خمس سنين و
ربنا ما أردش

و اهو داخلة مع سى زكريا على السنتين وشوية جواز
وربنا برضة ما أردش .. هعترض على حكمه .. الحمد لله
على كل حال .. و فضيها سيرة يا ست تهانى .. اللى رايده
ربنا يكون ..

زفرت تهانى و لم تعقب على ما قالتة بدور

تم عقد قران نبيل و ندى فى احد
المساجد القريبة قبل الزفاف بيوم
واحد كما أصرت منيرة .. و بدأت التحضيرات للزفاف ..
سبق الجميع الى القاعة و انتظرت
هى مجئ عاصم ..

أرتدت ذاك الفستان الذى أهدها إياها
 كان تحفة فنية و كأنه صنع لأجلها
 خصيصا..
 اضافت هى بعض الحلى و حجاب فضى رقيق لتصبح فاتنة .
 اكملت .
 ارتداء ملابسها بعد ان
 أنهكها كل من مهران و سندس فى
 ارتداء ملابسهما .. حمدت الله إنهما
 خلدا للنوم قليلا
 حتى تستطيع الاعتناء بنفسها ..
 اخيراً انجزت المهمة و ها هو عاصم يدق باب شقة ابيها ..
 فتحت الباب فى سعادة ليقف هو
 مبهورا فى صدمة ..
 اندفع للداخل لتراجع هى بشكل
 تلقائي للخلف مفسحة له الطريق ..
 نظر لها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها
 و هى كذلك كانت مبهورة .. فعاصم الذى تراه أمامها الان
 ليس عاصم الهوارى .. الذى تكسوه
 الهيبة بجلبابه و عباءته و عمامته .. بل انه رجل اخر لا يقل
 عنه وسامة
 و لكن وسامة عصرية متمثلة فى تلك الحلة باللون الأسود و
 رابطة عنق بلون قرمزي فوق قميص ابيض
 ناصع يعاكس تماما سمرته المحببة ..
 هتف هو فى عدم تصديق :- هو ده
 الفستان اللى جبتهولك ..؟!..
 أكدت بكل ثقة :- ايوه يا عاصم .. هو نفس الفستان ..
 أمسك كفها ليديرها فى دهشة
 ممزوجة بإعجاب يطل من نظراته
 :- بس أنا چايبة أوسع من مجاسك

شوية .. ده كنه متفصل عليكى ..
 ابتسمت و قد احمرت وجناتها خجلا هامسة فى دلال :-
 عاصم .. أنا زدت شوية بعد الولادة يا حبيبى ..
 ابتسم عابثا وهو يقترب منها :- لسه جمر ..
 ابتسمت فى سعادة هاتفة :- عاصم
 هنتأخر كده .. مش ياللاه بينا ..
 هتف فى ضيق :- كيف هتخرجى
 بالفستان ده ...! مفيش غيره طيب ..
 عبست فى ضيق فهو يعلم تماما انها لا تملك
 حاليا غير هذا الفستان الذى
 أهداها إياه .. و ليس من الجائز أو
 المفترض ألا تحضر زفاف اختها ..
 زفر فى ضيق هاتفا :- امرى لله .. بس بجولك أيه .. مفيش
 اى حاجة تحطيهها على الفستان ..
 تداريه شوية ...؟! ..
 تذكرت ان ندى تملك شالا فضيا يصلح ليستخدم مع فستانها
 لتدفع للغرفة باحثة عنه تتمنى ان تكون ندى قد تركته
 ضمن ملابسها القديمة .. وجدته بالفعل لتتنفس الصعداء و
 تضعه و هى تخرج لعاصم الذى تنهد فى قلة حيلة هاتفا و
 هو يرى ذاك الشال يزيد الفستان و صاحبه فتنة :- اعملى
 حسابك مفيش جومة من چارى ..
 هتفضلى چاعدة طول الفرچ ..
 ماالشى ...؟! ..
 همست فى عجالة :- حاضر يا
 عاصم .. ماالشى .. بس ياللاه ..
 ابتسم فى مشاكسة و هو يحمل
 مهران هامسا :- بعد كده مفيش فساتين
 هشتريها الامعاك .. عشان تجسيها
 جدامى ..

انفجرت ضاحكة على مشاكسته و
غيرته المفضوحة ..
و كان عند كلمته فما جعلها تنهض
من جواره قط
جمعتها طاولة واحدة مع حسام و سهام والحاج
قدرى.. فحمدت الله على ذلك فقد كانت افعاله رهيبة
دفعت الضحكات لشفتيها ..فقد كان يقف على
الطاولة كحارسها الأمين ..
ما ان اقترب المصور بكاميراته حتى زجره
ليبتعد .. ما ان يقترب
أى من الرجال ليلقى التحية حتى
يزمجر فى
غضب و خاصة ذاك الذى هتف
باسمها في سعادة :- زهرة ...؟!..
مش معقول ازيك ...؟!.. مد كفه
ليلتقط كفها و هى غير مدركة ما
عليها فعله ليندفع عاصم واضعا كفه فى كف ذاك السمج بدلا
من كف زوجته والتي كانت تمسك
ضحكاتها بالكاد عندما طالعتها
الصدمة على وجه رؤوف ..
الذى نظر فى تعجب حوله ثم شعر
ان هناك تهديد ما و هو ينظر لملامح عاصم التي تخبره ما
قد يحدث له اذا فكر فى الإقتراب مرة
أخرى ففضل الابتعاد فى سلام ..
تحدث عاصم جازا على اسنانه :-
مين الأخ البارد ده ...؟!..
ردت من بين ضحكاتها :- ده بن
خالتى..
هتف مزمجراً :- واد مين ...?!..

و انت ليك واد خالة غيرى ..؟!..
 شعرت بالتهديد فهمست توضح
 الامر :- ده يعتبر بن خالتى ..
 ده بن أخت طنط منيرة ..
 همس فى حلق :- طب ماشى ..
 خلى واد خالتك ده يجرب من هنا و
 يشوف هيحصل له
 آيه .. جال واد خالتى جال ..؟!..
 زمبلك اللعبة الخربان ..
 انفجرت زهرة ضاحكة تحاول مداراة
 ضحكاتها قدر استطاعتها عن اعين
 الناس .. و نظرت تتطلع حولها
 تطمئن ان رؤوف بعيدا بما يكفى عن عاصم حتى لا تُرتكب
 جريمة هاهنا

اندفع غندور باتجاه المكان الذى يعمل به زكريا ليهتف ما
 ان
 طالعه :- كرم يا صعيدى ..
 تنبه زكريا لمن ينادى باسمه الجديد و الذى اصبح معروف
 به بين عمال الميناء ..
 انتفض زكريا قلقا فهي المرة الأولى التي يزوره فيها غندور
 في محل عمله .. لابد ان هناك حدث جلل أتى به لهما و
 خاصة ان هناك اتفاق ضمنى بينهما بعدم جواز الإشارة
 لمعرفة احدهما الاخر تحسباً لأى ظروف..
 وصل غندور حيث قابله زكريا متعجباً ليهتف في قلق :-
 خير يا غندور .. مش بعادة ..؟!..

التقط غندور أنفاسه اللاهثة :- معلى يا صعيدى بس تهانى
كلمتى و قالت لى اجيبك من تحت الأرض .. اصل الست
حرمكم ..

هتف زكريا مذعورا على غير عادته ناطقا باسمها في لوعة
:- ما لها بدور؟! .. انطج ..

لم ينتظر زكريا رد غندور بل ترك كل ما يحمل على عربته
و اندفع خارج الميناء ..

قابل غندور احد زملاء زكريا ليوصيه ببضاعته قبل ان يترك
الميناء مغادراً خلف زكريا الذى سابق الريح مندفعاً

لبنسيون تهانى

حيث ترقد بدور التي لا يعرف حتى هذه اللحظة ما بها ..

افتتح العروسان ندى و نبيل البوفيه و بدأ معازيم الفرع في
الإلتهاء بالطعام ليتهف نبيل في عبث لعروسه :- بقولك ايه
.. ما تيجى نسيبلهم الفرع ده و نطلع اوضتنا .. و لا من
شاف و لا من درى ...؟! ..

هتفت ندى مازحة :- يا سلاام .. أكيد بتهزر صح ..؟! ..
جذبها من كفها هامساً :- لا .. مبهررش .. تعالى .. الباب
الخلفى للقاعة اهو .. نطلع و مع السلامة على كده ..
انفجرت ندى ضاحكة على جنون زوجها هاتفة و هي تجذب
كفها من يده :- كفاية جنان بقى يا نبيل .. انت عايز الناس
تقول علينا ايه..؟! ..

هتف في نبرة صريحة :- و لا حاجة ... محدش هياخد باله
أصلا .. هم ملهيين في الأكل .. ياللاه بينا ..
و جذب كفها من جديد لتتهف في توسل :- طب يزفونا
لأوضتنا يا نبيل .. طب بلاش للاوضة لحد الاسانسير..؟! ..
طب ..

هنا قاطعتهما أمها منيرة هاتفة في استهجان:- في ايه يا
 نبيل .. رايعين فين؟!..
 هتف نبيل و هو ينظر لندى التي كانت تكتم ضحكاتها على
 منظره العابس :- أبدا يا طنط مفيش .. كنت بس عايز أكل
 ندى في موضوع مهم.
 جزت منيرة على أسنانها هاتفة
 بغيط :- موضوع مهم؟!..
 طيب عدوا قدامى شوفوا الناس
 اللى خلصت أكل دى و بيسألوا العريس و العروسة راحوا
 فين؟!..
 عيب قووى اللى بتعمله ده يا نبيل ..
 كظم نبيل غيظه و خاصة عندما لاحظ نظرات ندى المتوسلة
 فزفر في ضيق و هو يتبع منيرة وندى متعلقة بذراعه
 ..لتهمس هي بالقرب من
 أذنه بأمتنان:- متشكرة قووى يا نبيل انك مشدتش مع ماما
 ..
 وابتسمت بشقاوة مستطردة :-على العموم كله بحسابه ..
 هتف نبيل و هو ينظر اليها في مرح مناديا منيرة و التي لم
 تسمعه لحسن الحظ لتهتف ندى و هي غارقة في ضحكاتها
 :- بتعمل ايه يا مجنون .. بتنادى ماما ليه؟!..
 قهقهه مشاكسا :- طالما كله بحسابه .. هنادي طنط عشان
 الحساب يتقل ..
 انفجرت ضاحكة غير قادرة على مجارة جنونه ...

دخل زكريا البنسيون و هو يلتقط أنفاسه حتى وصل لغرفته
 مدفوعا بقوة قلقه و توتره وما ان هم بالولوج لداخل الغرفة
 المغلقة حتى فُتح بابها و خرجت الست تهانى يتبعها شخص
 ما يبدو من هيئته انه طبيب ..

اضطربت نظراته و التي وقعت على عيني تهاني الباكية
ليهم متسائلا عما يحدث لكن تهاني قاطعته هامسة بنبرة
باكية :- ادخل لها يا سى زكريا..

دخل مندفعاً لتغلق الباب خلفه و تصطحب الطبيب المغادر ..
انتبه زكريا على تلك المسجاة على الفراش يعلو جزعها
قليلاً لتستند بظهرها على وسادة صغيرة خلفها و عيونها
شاخصة بنظرات مصدومة على الجدار المقابل حتى انها لم
تنتبه لدخول زكريا المندفع ..

تقدم اليها و مر من أمامها لعلها تنتبه لكن لا فائدة النظرات
المسمرة لم تتغير .. اقترب و جلس بجوارها و رفع كفها
بين كفيه هامساً باسمها .. تنهد في راحة عندما استجابت
لنداءه

و توجهت أنظارها تجاهه .. و كيف لا تستجيب و هو ينطق
اسمها بمثل هذا الخوف و القلق ..؟!؟..
جذبت كفها من بين كفيه و رفعت ذراعها مشيرة للباب حيث
رحلت تهاني و الطبيب منذ لحظات و همست بصدمة :-
شفت الراجل اللى كان هنا قال ايه يا سى زكريا ..؟!..
ربت زكريا و قلقة يزداد هامساً :- ايه ..؟!.. جال ايه ..يا
روح زكريا!!!

اشارت لنفسها هامسة بتردد:- انا .. انا .. حامل ..
و انفجرت بشكل مفاجئ في البكاء مرعدة بشهقات متقطعة
.. انا حامل يا سى زكريا .. تصدق ..؟!..
كانت صدمته لا تقل عن صدمتها .. فقد تسمر مدهوشاً

بدوره ينظر اليها بعدم تصديق و اخيراً جذبها لأحضانه
يعتصرها في محبة و يربت على شعرها و يقبل وجهها في
سعادة كالمحموم .. سكنت رأسها في صدره للحظات و هو
يلتقط أنفاسه هامساً بالحمد و الشكر لله .. مرت عدة دقائق
حتى هدأت نفسه و

رفع رأسها عن صدره و احتضن وجهها بين كفيه المرتعشة
في عدم تصديق :- ايوه مصدج يا بدور .. مصدج ..
هاتبجي ام .. ربنا لما راد محدش عطل مشيئته .. الحمد ليك
و الشكر يا رب ..

قبل جبينها في سعادة و عاد ليدفن وجهها المحبب لروحه
بين احضانه من جديد و يأسر خصرها بذراعيه مهدها
أيها في حنو حتى راحت في نوم عميق أتى سريعا بعد ذاك
الكم من البكاء و النحيب ..

ليدثرها زكريا جيدا و يخرج ليقابل تهاني التي كانت تجلس
كعادتھا خلف طاولة الاستقبال و ما ان لمحتة قادما حتى
هتفت في سعادة :- الف مبروك يا سى كرم يتربى في عزك
ان شاء الله ..

هتف زكريا شاردا :-الله يبارك فيك يا ست تهاني .. الداكتور
جال ايه بالظبط ...؟؟!..

هتفت تهاني بدهشة باسم بدور المتفق على استخدامه امام
الناس :- هي رحاب مقلتلکش...؟؟!

أكد زكريا :- لاااه .. جالت .. بس أنى عايز اسمع منك ..
يمكن يكون جال حاجة معرفهاش ..

قالت تهاني :- و الله يا سى كرم قال العادى ..تتغذى كويس
و ترتاح و تبقى تروح لدكتور عشان تتابع معاه الحمل ..
بس كده ..

تنهد زكريا واقفا ليعود ادراجه للغرفة حيث ترقد بدور في
وداعة على الفراش ليجلس بجوارها يتفرس في ملامحها
الندية و دموعها الجافة على خديها .. انحنى ليقبل هامتها
في حنو و ينهض متوجها للنافذة التي كانت دوما سلوته
الوحيدة عندما كان حبيس تلك الغرفة عندما قدم للأسكندرية

..

راحت نظراته تغرق في عمق البحر و هو يفكر هامساً
لنفسه :- چه يا زكريا الخبر اللى كنت مستنيه و نفسك فيه

من يوم ما جابلتها .. و حتى بعد ما جالت لك انها ملهاش
 في الخلفة كان عشمك بربنا كبير و اهو ماخيبيش ظنك يا
 هواري .. بس چه الخبر و على كد فرحتي على كد خوفي ..
 اللي چاي ده كان واد و لا بت .. هاياجي باسم مين ..؟! ..
 شهادة ميلاده هاتنكتب باسم مين يا زكريا ..؟! .. امه هتكون
 مين ..؟! .. بدور وهيب و لا رحاب محروس .. و انت يا
 زكريا ابوه .. هايهون عليك تجيده باسم غير اسمك و تنسب
 ولدك لراجل غيرك حتى و لو بالاسم بس .. هاترضاهها يا
 زكريا .. هتعيشه نفس عذابك الجديد .. عذابك و جهرتك
 اللي كانوا سبب في توهتك اللي ما عارف ليها نهاية .. واه
 يا زكريا .. الحمل تجل و انا مش جادر اجول اه .. و استدار
 متطلعاً لبدور مستطرداً .. بس لازماً تستحمل عشان خاطر
 الغلابنة دي اللي فانت ناسها و أهلها حتى اسمها و چات
 تلاجي چارك الدنيا اللي بتحلم بيها ..

ابتسم عندما سمع همهماتنا الناعسة ليغلق ستارة النافذة و
 يتحرك في حذر حتى لا يوقظها و يدفع نفسه بجوارها داخل
 الفراش

في حرص .. التقط كفها و وضعها تحت خده و أغمض
 عينيه بعد ان نهل من ملامحها المستكينة ما يكفيه .. ليسبح
 في دنيا الأحلام ..

ضحكت بدور عندما ربت زكريا على بطنها المنتفخ في
 سعادة و أخيراً اخرج من خلف ظهره لفة صغيرة جعلت
 عيونها تشرق فرحاً قبل حتى ان تفتحها فقد استنتجت ما
 تحوى و خاصة ان الحمل جعل حاسة الشم عندها فائقة لذا
 هتفت في سعادة :- بسبوسة ..؟! ..

اوماً زكريا برأسه موافقاً و هو

يقول :- جلت أجيبها و امرى لله ما انى مش عارف لسه
 بتحبيبها و لاه مش طيجاها ...؟!...
 ابتسمت في امتنان :- لا .. الا البسبوسة هفضل احبها على
 طول .. بس كنت بتكسف اطلبها منك يا سى زكريا .. اصل
 الحال مش ولا بد يعنى ..
 اقترب منها ناظراً الى عمق عينيها الصافية و همس لها في
 عتاب :- ليه كده يا بدور .. ليه يبجى نفسك في حاجة و
 متجوليش ..؟!..
 طأطأت رأسها في خجل و إحساس الذنب يكتسحها لأنها
 أخبرته :- اصل يا سى زكريا.. يعنى .. كنت بخاف اتقل
 عليك ..
 ضمها اليه هامساً :- طب و هو انى كنت بشتغل ليه
 شغلنتين في اليوم؟!.. مش عشان اكفيكى و اكفى الى
 چاى..
 طأطأت هامتها و هي تضم شفتيها و شعورها بالذنب
 يغطيها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها .. و لم تعقب
 مما دفعه ليرفع ذقنها ليواجه عينيها هامساً بلهجة مازحة
 :- و بعدين ايه اللى هايحصل بجى لو البسبوسة طلعت للواد
 .. هايبجى ايه الحال ...؟!..
 شهقت بصدمة مما دفعه للضحك هاتفاً مطمئناً لها :- روى
 كلى البسبوسة ياللاه .. و متعمليش كده تانى .. لما يكون
 نفسك في حاجة تجولى طوالى .. تماالم ..
 هتفت و هي تلتهم البسبوسة في
 شهية :- تمام يا سى زكريا ..

اندفع غندور باتجاه مكان عمل زكريا في الميناء و ما ان
 راه زكريا حتى انتفض فالمره الماضية كانت بسبب تعب
 بدور ما الذى يمكن ان يكون قد حدث دفعه للمجئ ..

وصل زكريا اليه مسرعاً في قلق فطمأنه غندور هاتفاً:-
 متقلقش .. جواب من المعلم خميس...
 زفر زكريا في راحة و اخذ الخطاب و ربت على كتف غندور
 شاكرًا فتركه مستندنا ورحل..
 لينتحي زكريا جانباً و يفض الخطاب في لهفة تجرى عيناه
 على السطور لعله يستشف منها حال الحارة و ما يحدث في
 القاهرة و يمكن ان يساعده في حل لغز قضيته .. لكن جاءت
 السطور لتزيده حملاً على حمله..
 فيها هو يتلقى نبأ وفاة الحاج وهيب ليتمزق قلبه حزناً و
 غضباً و قهراً و تفيض روحه اشفاقاً على تلك التي تنتظره
 في غرفتهما لا تعلم من امر أهلها شيئاً غير ما ينقله هو
 اليها..
 لكن كيف يخبرها ..؟!.. كيف يقول لها ان ابيها قد رحل دون
 ان تودعه!؟!.. دون ان تنعم بقربه تلك الشهور الأخيرة في
 حياته قبل رحيله الأبدى ..؟!..
 كيف يمكن ان يكون رسول الحزن لقلبها و هي في تلك
 الحالة؟!..؟!.. فحملها ضعيف و الطبيب أكد على الراحة و
 عدم الأتيان بمجهود و البعد عن كل الأخبار او الأحداث
 الحزينة و التي تمثل ضغطاً على أعصابها..
 أنجز عمله بسرعة شديدة يدفعه حزنه على الحاج وهيب
 لمزيد من العمل لعله يُطفئ ذاك الجمر المشتعل في أعماق
 قلبه ..و يهدئ و لو قليلاً من ثورته على تلك الأوضاع التي
 فرضت على بدور و عليه فراق الأحبة قسراً..
 دخل حجرته في البنسيون ليجدها تتمدد على الفراش تملس
 على بطنها البارز قليلاً في فخر و سعادة و ما ان طالعتة
 حتى نهضت في خفة تستقبله جاذبة أياه للطعام المعد سلفاً
 في انتظاره كما تعود ..اوماً موافقاً و لم ينبس بحرف و لكنه
 فجأة جذبها بين ذراعيه رابتاً على ظهرها و مقبلاً هامتها
 في محبة لتهمس هي بشقاوة :- الاكل هايبرد يا سى زكريا..

لم يعبء لإعتراضها و ضمها اليه اكثر كأنما يشعر بذنوب
رهيب على كونه السبب في البعد عن ابيها و في أحضانه
فقط يمكنه التكفير عن ذاك الذنب بأشعارها بالأمان ..
استسلمت هي لتموء كقطة بين ذراعيه ..
و فجأة و كما هو الحال دائما تبدل الوضع ليصبح هو
المتكوم بين ذراعيها يهرب من نفسه في أحضانه لتهمس
هي تستشف ما به دون ان يتكلم :- مالك يا سى
زكريا...؟!.. في حاجة مزعلاك ..؟!.. طب قول لبدور .. هو
احنا لينا مين غير بعض..هاترمى زعلك و ضيقك فين ان
مكنش في حضن بدر البدور ...!!!?
قبلت رأسه ليرفع نظراته اليها متصنع الجدية:- ابدأ يا بدور
.. شوية عوكسات في المينا و مشاكل في الشغل الجديد ..
متجلجيش انتِ بس .. كله هاييجى تمام ..
و حول نبرة صوته للمرح رغما عنه و هو يربت على بطنها
في معزة :- ركزى انتِ بس مع الواد عتريس ..
هتفت معترضة :- ايه .. عتريس ..!
هتف معترضاً بدوره :- اه .. مش عجبك و لا ايه ...?!..
خلاص .. سبع الليل .. حلو ده!..
انفجرت ضاحكة :- سبع مين ..؟!.. لا يا سى زكريا انا
مش عايزة ابنى يتعقد من أولها .. انا هسميه اسم كده حلو و
يبقى زى ابوه كده راجل و سيد الرجالة ..
ابتسم زكريا لها هاتفاً :- هتسميه ايه يا بدر البدور ...?!..
همست في سعادة :- حازم .. هسميه حازم يا سى زكريا ايه
رايك ...!!!..
هتف زكريا متصنعاً الضيق :- و اشمعنى الاسم ده يعنى
...?!..
هتفت مسرعة تبرر :- عشان امى الله يرحمها كان نفسها
تسمينى حازم لما عرفت انها حامل فيا .. و لما جيت بت
سمتنى بدور..

لانت اسارير زكريا و هتف في عبث وهو يقترب منها
 مشاغبا :- احلى بدور في الدنيا كلها .. جال حازم جال ..
 الجمال ده كله و يبجي حازم!!!
 انفجرت بدور ضاحكة ليضمها اليه مشاكساً أياها هامساً :-
 بس ممكن يبجي ام حازم ..
 لتطرب هي للقب الجديد فتطوقه بذراعيها.

جذبه من ذراعه تمده على الفراش مشفقة عليه من ثقل
 العمل في مكانين منفصلين من اجل توفير ما يلزمها و يلزم
 صغيرهما القادم ..

مالت عليه لتمسك أكتافه المرهقة و التي تنن المأ لتلك
 الأحمال التي يظل ينقلها طوال النهار و كذا ما بعد العصر
 في عمله الآخر..

هتف زكريا و هو يوليها ظهره الذي أخذت تضغط على
 فقراته في احتراف يزيل الوجع في لحظات :- انت مش
 متابعة الحمل مع داكثورة المستشفى اللى جنبينا المفروض
 النهاردة يا بدور ...؟!..

هتفت :- لا يا سى زكريا.. كمان يومين .. هي قالت لى كده
 في اخر زيارة .. انى دخلت التاسع و لازم اروح لها كل
 أسبوع ..

قال مؤكدا :- طب ابجي فكرينى عشان اروح معاك يومها و
 اضبط مواعيد الشغل ..

هتفت معترضة:- ما انا هروح مع ست تهانى و كفاياك انت
 تعب الشغل..

هتف معترضاً بدوره :- لاه .. هروح معاك .. المرتين اللى
 فاتوا راحت معاك الست تهانى كتر خيرها عشان كنت جديد
 في الشغلانة و محبتش اخذ إجازات من أولها ده انا ما
 صدجت ما لجيت شغلانة .. لكن دلوقت ممكن عادى ..

صاحب المحل اظمن لى الحمد لله و بيسيب المحل كله تحت
يدى ..

هتفت بنبرة مرهقة :- و مين يعرفك و ميرتحش معاك يا
سى زكريا و يسلم رقبتة كلها ليك مش بس حنة محل
...؟!...

استدار زكريا ليواجهها بعد كلماتها التي تقطر محبة ليجذبها
بلطف لأحضانها .. لكنه يستشعر توجعها الذى تحاول إخفائه
عنه .. رفع رأسها لينظر لملامحها المتألّمة في صمت و
أخيرا هتف في لوعة :- بدور .. انت شكلك تعبان جووى ..
انتفض يرتدى جلبابه على عجلة لتهتف هي جازة على
أسنانها ألماً محاولة طمأنته :- متخفش يا سى زكريا .. دى
مغصة كده و هتروح .. لسه بدرى ..

هتف معترضاً و هو يتجه للباب مناديا تهانى :- لاااه ملساش
.. انت في شهرك .. و شكلك ميظمنش .. نروحوا للداكتورة
و هي تظمننا ..

اندفعت أهة ألم غصب عنها رغم محاولتها كتمانها فاندفع
مذعوراً باتجاهها .. لتهتف هي و الألم اصبح غير قابل
للإحتمال :- ألحقنى يا سى زكريا .. ألحقنى ..

الفصل التاسع

انتفض زكريا على صوت باب غرفة العمليات يُفتح لتطل منه بدور على سرير مدولب مدفوعة خارج الغرفة و بيد احدى الممرضات لفافة صغيرة تحمل فيها طفلها حازم .. دفعته الممرضة بين ذراعي زكريا منتظرة ما يجود به عليها فرحة بقدوم المولود لكنه كان في عالم اخر.. فعيونه تلحق بدور و الى أين يتجه سريرها حتى انه لم ينتبه لكلام الممرضة و لا حتى ألقى نظرة واحدة على ذاك الضيف الجديد الذى أتى للعالم بعد سنوات من الإنتظار و الأمل .. سار يتبع بدور و أوقف السرير ينظر اليها في اضطراب رغبة في التأكد انها بخير .. نادى باسمها .. لتفتح جفونها المذابلة في إرهاب تبتسم في إعياء هامسة :- انا كويسة يا سى زكريا .. انا تمام ..

زفر في راحة و اندفع بها الممرضون لداخل القسم النسائى و الذى يُمنع على الرجال التواجد بداخله .. فحملت تهانى حازم من بين يدي زكريا و توجهت به لداخل القسم مؤكدة لزكريا انها ستعتنى بهما :- انا هبيت معاها جوه و هخلى بالى من حازم متقلقش ..

شكرها زكريا ممتناً هاتفاً :- تشكرى يا ست تهانى .. و انا هجعد هنا مش هتحرك .. لو عوزتوا حاجة انى موجود .. أومأت برأسها و دخلت القسم بجوار بدورو الذى كان عبارة عن عنبر ملئ بالأسرة البيضاء التي تكتظ بالمريضات و ذويهن من النساء أيضا ..

هتفت زهرة متصنعة الحنق و هي تخلص ولدها مهران البالغ من العمر عامين من بين كفى باسل الذى يبلغ ضعف عمره تقريبا :- تعالى بقى يا سهام .. شوفى صرفة في ابنك ده ..

قهقهت سهام ببطنها المنتفخ أمامها هاتفة :- ماله ولدى ..
!!؟..راجل و سيد الرجالة ..

هتفت زهرة من جديد و هي تحمل مهران الباكي بين
ذراعيها :- يعنى مش شيفاه و شايقة عمايله .. ميحلالوش
الضرب الا في مهران .. لكن سندس .. شغال لها حارس
خصوصى .. ده حتى محرم مهران يقرب منها ..
قهقهت سهام من جديد :- طب و اعمله ايه طيب .. ولدى
بتاع حريم ..بس يمكن ربنا يهديه بعد ما ياچيله اخ و لا
أخت ..اهو يدور الضرب فيه و يحل عن مهران ...
قهقهت زهرة :- يا مسهل .. أو يمكن العكس .. اللى جاى
يخلص حق مهران من ابنك ..
اومات سهام برأسها إيجابا هاتفة :- على جوك .. يوضع
سره في اضعف خلجه ..

هتفت زهرة و هي تعاود النظر لسندس و باسل و اللذان
يلعبان بانسجام عجيب .. و باسل يتبعها في كل خطواتها
حتى انها اندفعت خارج الحجرة التي كانوا يتجمعون بها في
الأعلى امام التلفاز ليخرج وراءها تابعا لها كظلها ..
على عكس المعتاد كانت تلك الشرفة البعيدة في اخر الرواق
مفتوحة لتدخل بعض من نسمات الهواء في هذا الجو الشديد
الحرارة...

كانت دوما ما تجذب هذه الشرفة فضول مهران و سندس لذا
كانت زهرة حريصة على اغلاقها دوما ..

ما ان رأت سندس شرفتها التي يدفعها الفضول لدخولها
مفتوحة حتى اندفعت اليها في سعادة .. كانت شرفة واسعة
لا يوجد فيها اى نوع من المقاعد أو الطاولات نظرا لعدم
استخدامها من الأساس و لكن كان السبب الأساسى لإغلاق
زهرة لها هو ذاك الفراغ الواسع الموجود بين سور الشرفة
و قاعدته

كانت تلك الفجوة يمكن ان تمرر طفلا متوسط الحجم و كان المنظر مغريا من الأعلى لتندفع سندس في شغف لإستطلاعها من خلال تلك الفجوة .. مدت رأسها الصغير و بدأت في دفع جسدها من خلالها حتى اضحى جسدها كله تقريبا في الخارج و ما ان كانت على وشك السقوط حتى اندفع تجاهها باسل يمسك بطرف حذاءها و يتشبث بقدمها الصغيرة بين كفيه الصغيرين محاولا جذبها للداخل مرة أخرى ..

صرخ باسل بإسمها عدة مرات .. و لكن للأسف لم تصل صرخاته لزهرة أو سهام اللتان اندمجتا في الحديث دون وعى بغياب سندس و باسل المريب بجانب صوت التلغاز المرتفع على اغان للأطفال حجبت عنهما نداءات باسل الملتاعة .. لكن من ادرك تلك الصرخات كان عاصم الذي كان يدخل من باب السرائ متوجها لداخلها فالتقطت أذنه صراخ ابن اخته بإسم ابنته بهذا الشكل المذعور ليلتفت حوله مستكشفا من أين تأتي تلك النداءات حتى تنبه اخيراً لمصدرها بالأعلى .. شهق في زعر عندما رأى جسد ابنته متدل بهذا الشكل ليصرخ هاتفا مستدعيا سعيد الذي حضر شاهقا بدوره عندما لمح سندس على هذا الوضع.. صرخ فيه عاصم أمرا :- تعال اوجف مكاني عشان لو حصل حاجة لا قدر الله تستلجاها .. و انا هطلع ألحجها من فوج .. اندفع عاصم لداخل السرائ في جنون ملقيا عصاه و عباءته خلفه و مندفعاً للطابق الثاني حيث الشرفة والتي وصلها اخيراً وهو يندفع بطول الردهة مارا بالحجرة التي تجمع سهام و زهرة .. و اللتان انتفضتا ما لمحا عاصم يندفع بهذا الشكل لوجهة غير معلومة بالنسبة لهما و خاصة مع ادراكهما المتأخر لغياب سندس و مهران .. لحقنا به ..

ليصل هو و يرى باسل يبكي ممسكا بقدم سندس و معظم
جسدها متدلى من ذاك الفراغ و قد بدأت تشعر بالتهديد
فأخذت بالبكاء هي الأخرى .

كادت زهرة تفقد وعيها ذعرا على طفلتها و كذلك سهام
التي استندت على الحائط تستمد منه القوة حتى لا تسقط
بحملها الذى كانت تنوء بثقله قدميها خاصة في تلك اللحظة

..

استطاع عاصم جذب جسد سندس ببطء و اخراجها من ذاك
الفراغ في سُرور الشرفة و اخيراً ضمها لصدره و هو يحاول
ان يهدئ من روعها و خاصة مع ارتفاع وتيرة بكائها..
سقطت زهرة على ركبتيها في إعياء بعد ان تأكدت ان ابنتها
بخير .. و التي تركت أحضان ابيها مندفعة لتلقى بنفسها
بين ذراعى أمها تكمل بكاءها .. تلقتها زهرة بين ذراعيها
تضمها بقوة لا تصدق ان ابنتها نجت من موت محقق ..
نهض باسل و هو ينتحب مندفع لأمه متعلقا بعباءتها مداريا
وجهه الباكي بين طياتها ليجذبه عاصم اليه رابتا على ظهره
مقبلا إياه حتى كف عن البكاء و بدأ يستعيد هدوءه ..
نهض عاصم في هدوء مخيف ينظر لزهرة و سهام بغضب
مكبوت لو انفجر لأحرق الأخضر و اليابس و اخيراً تركهما
و اندفع لحجرتة و أغلق بابها خلفه في شكل عاصف تاركا
كلتاهما تزدرد ريقها في صعوبة من جراء نظراته .. و
تنتفض من جراء إغلاقه الباب بهذا الشكل ..

هتفت تهانى و هي تشير لذكريا ليأتى في سرعة .. اقترب
ذكريا بسرعة هاتفاً في قلق :- خير يا ست تهانى ...؟!..
أكدت في همس :- تعال .. بدور عيزاك ضرورى ..
هم بأن يسألها كيف يتسنى له الدخول فقاطعتة هامسة :-
متقلقش .. انا ظبطت الممرضة المسؤولة عن العنبر

بقرشين .. خش بسرعة و أنجز .. هي في اخر سرير في
الأوضة على الشمال .. و انا هقف هنا اتابع اللى جاى
لحسن الدكتور يجى على فجأة ..
أكد زكريا و اندفع مطأطئ الرأس .. يغض بصره حتى وصل
لفراش بدور التي اندفع اليه في لهفة يطوق كفها الممدودة
اليه بين كفيه ..
هتف في لهفة مجيبا نداءها:- نعم يا بدور .. انت
كويسة!؟؟..
أومات مؤكدة في وهن :- الحمد لله يا سى زكريا ..
و نظرت لولدها المسجى بجوارها على الفراش يغط في نوم
عميق .. لتهمس بفرحة تحاول ان تدارى بها ذاك التعب
الذى يعتريها:- شفت حازم يا سى زكريا .. نسخة منك ..
ابتسم زكريا و القلق يتأكله على محياها الشاحب ليهمس
ناهضاً:- انى هبعت لك الداكتور يشوفك..
تمسكت اكثر بكفه هاتفة :- لاا .. خليك معايا يا سى زكريا
الشوية دوول .. متبعدهش..
انحنى زكريا ملثما جبينها و هو يحاول السيطرة على بريق
عينيه الذى يظهر تأثره بمرآها الشاحب ..
لتستطرد هي في عفوية :- مش انا شفت ابويا يا سى زكريا
...!!؟؟..
انتفض زكريا في ذعر حقيقى عندما ذكرت بدور ابيها الحاج
وهيب رحمة الله عليه و لجمت الصدمة لسانه لتكمل في
تعب متنهدة تلتقط
أنفاسها :- شفته و انا بولد .. رحت من التعب شوية كده
محستش بروحى .. لقيته جاى و نفسه يشوفنى .. و خدنى
في حضنه .. نفسى اشوفه قووى يا سى زكريا .. وحشنى
بجد .
هتف زكريا في عجالة :- و لا يتوحشك اليوم يا بدور ..

هتفت فى عدم فهم لتلك الكلمة التي يقولها الصعايدة عادة
عند ذكر وحشة الحى للمتوفى درأً للفأل السيئ :- يعنى ايه
..؟!..

هتف :- يعنى انت لازماً الداكتور يشوفك دلوجت .. و حالا
عشان يطمنى عليك..

هتفت وهى تحسه على الاقتراب منها جالسا على حافة
فراشها :- قرب يا سى زكريا ..

و ابتسمت محاولة مشاكسته :- عايزة اقولك سر ..
جلس على طرف الفراش مقربا رأسه من وجهها لتهمس
في عشق :- انا بحبك قووى يا سى زكريا .. خدنى في
حضنك و متفتيش ..

لم يستطع زكريا ان يرفض طلبها و هي على هذه الحالة
ليرفع الجزء الأعلى من جسدها عن الفراش يضمها لصدرة
و هو يتنهد في

اضطراب و يلف ذراعيه حولها و كأنه يحاول ان يتشرب
وهنها و وجعها بين أضلعه ليبعده عنها ..

همست بالقرب من مسامعه :- هاتنسانى يا سى زكريا ..
افتكرنى .. افكر بدور ..الى محبتش حد في الدنيا قدك ..
ارتجف زكريا لكلماتها يبعدها قليلا عن صدره ناظراً لعينيها
ليرى نظرات زابلة لم يعهدا على محياها .. وضع كفه على
الفراش يحاول إرجاعها لوضعها الأول و الإسراع بمناداة
الطبيب لتنزلق كفه على لزوجة ما على الشرشيف ليرفع
كفه فاغرا فاه لمرأى الدماء تغرقه ليتنبه لتلك البقعة
الضخمة حول بدور ..

و قد حجبها الغطاء عن ناظريه ..انها تنزف و لا احد يدرى

تركها مندفعاً خارج الغبر كالمجنون ينادى على الأطباء
ليأتى احدهم لإنقاذها ..

اضطرب المشفى لصرخاته .. و بالفعل جاء الطبيب ليؤكد
ضرورة نقل بدور لغرفة العمليات من جديد لوقف ذاك
النزيف الدامى .

خرجت على نفس السرير الذى دخلت عليه للعنبر منذ
ساعات قليلة .. و هي في طريقها لغرفة العمليات هتفت
بأقصى صوت استطاعت إخراجها تجاه زكريا الذى كان
يجرى بجوار فراشها المدولب :- خلى بالك على حازم يا
سى زكريا ..

و انغلق الباب خلفها ليترك وحيدا يموت ألف مرة خوفا و
هلعاً عليها .. ليمر الوقت كحد سكين يقطع من صبره و
جلده .. و اخيراً

خرج الطبيب من غرفة العمليات منكس الرأس هاتفاً في
حزن :- البقاء لله .. حاولنا نعمل اللى علينا بس دى إرادة
ربنا .. شدوا حيلكم..

انفجرت تهانى شاهقة في بكاء مرير و هي تحتضن حازم
بين ذراعيها و بكى غندور بدموع صامتة .. اما هو زكريا
.. فلم يبكى .. كيف يبكى..؟! .. و يبكى من ...؟! .. يبكيها ام
يبكى حاله ..؟! .. فهو قد مات معها .. فاضت روحه مع
روحها .. الان هو يقف بلا روح .. تمثال شمعى لا حياة فيه
.. تحرك بآلية باتجاه غرفة العمليات ينظر للجسد المسجى
من خلف زجاج الحجرة ثم يدفع الباب ليدخل لا يعرف كيف
طاوخته قدماه حتى وصل الى الفراش و رفع الشرشيف
الأبيض الذى يغطى الوجه الطاهر الذى عشقه دوما .. ربت
على خدها و هو يناديها .. لعلها تسمع .. لعلها تستجيب ..
فهى ما تجاهلت نداءً له قط و دوما كانت ملبية قبل حتى ان
يُكمل همسه بإسمها ..

لم لا تطيع الان ..؟! .. لما لا تلبي كما عودته دوما ..؟! ..
رفعها اليه يضمها و يعتصرها بين ذراعيه يتمنى لو يعطيها
من روحه و يقتسم معها دقائق قلبه ..

دخل اليه غندور يحاول ان يهدئ من روعه هاتفاً في تجلد
 :- وحد الله يا سى كرم .. البقاء لله .. كلنا لها ..
 و ربت على كتف زكريا .. لكنه لم يستجيب ..
 هتف غندور باكيا :- اذكر الله ..
 كررها ثانية صارخاً :- اذكر الله يا سى زكريا .. اذكر الله ..
 تنبه زكريا فأعاد جسد بدور لموضعه الأول ممدداً على
 الفراش يغطى وجهها ببطئ و هو يهتف بلسان متلجلج :- لا
 إله الا الله .. انا لله و انا اليه راجعون .. انا لله و انا اليه
 راجعون .. انا لله و انا اليه راجعون ...
 جذبه غندور بعيداً عن الجسد المسجى بضع خطوات لكن
 زكريا عاد اليها من جديد رافعا غطاء وجهها ليقبل جبينها
 القبله الأخيرة ..
 و أعاد الغطاء على وجهها من جديد ليتبع غندور لكتابة
 اعلان الوفاة .. و تصریح الدفن ..
 و ما ان سأل الطبيب عن اسم المتوفية حتى قاطع زكريا
 غندور الذى هم بذكر اسمها المستعار الذى كانت معروفة به
 منذ أتت للأسكندرية متخفية و هتف بحزم :- اسمها .. بدور
 وهيب محمد ..
 ليفغر غندور فيه و ينظر الى زكريا في صدمة ...

ثلاث ليال لم يخاطبها بحرف .. لم ينظر اليها حتى .. هذا
 كثير .. هي تعلم انها مخطئة و انها اهملت في رعاية
 سندس .. لكن هذا عقاب اكثر من موجه .. و لم يسبق لها
 ان جربت مرارته .. فهما أبداً لم يفترقا عن بعضهما بهذا
 الشكل على الرغم انهما يعيشا في نفس المكان و بيتا
 ليلتهما في نفس الغرفة لكنه لا ينطق بحرف و لا يوجه لها
 حديثاً و لا حتى يرد على اى من استفساراتها التي تتحجج

بمعرفة إجابتها فقط لتتجاذب معه أطراف الحديث ليعود
 لطبيعته من جديد ..
 لم يعد لديها القدرة لإحتمال هجره اكثر من هذا .. و لا قبل
 لها لتحمل مثل هذا العذاب ..
 نهضت عندما شعرت به ينهض من جوارها متوجها للحمام
 .. اندفعت لمشغل الأغاني و ما ان شعرت بقرب خروجه
 حتى ضغطت على زر التشغيل ليصدح صوت شادية
 متأسفا:-
 معلى النوبة دى عشان خاطري
 معلى .. و سامحنى
 النوبة دى .. عشان خاطري ..
 سامحنى ...

لا ينكر انه تفاجأ بصوت الأغنية الصادرة من جهاز
 التسجيل عندما خرج متجهما من الحمام و على الرغم من
 انه بدأ يستشعر اللين تجاهها داخليا الا انه لم يظهر ذلك
 على قسماات وجهه التي ظلت على نفس حالتها من التجم

..
 اندفع يلتقط جلبابه من المشجب لتسرع هي بإحضاره و
 مساعدته في ارتدائه و هي تنظر اليه في شوق كاد يدفعه
 ليأخذها بين ذراعيه و خاصة و الأغنية تشدو في عتاب :-
 من امتى بخاصمك من امتى
 ده اليوم في خصامك بسنين ..

ارتدى ملابسه و جلس يرتدى حذاءه و اخيراً توجه للمرأة
 يضع عمامته و عباءته و هو يراقبها محاولاً وأد ابتسامة
 تحاول القفز على شفتيه و هو يراها تدور حوله في الغرفة
 محاولة استرضاءه قدر استطاعتها ..

اقتربت منه لتضم ظهره اليها ليتصلب في محاولة للسيطرة
 على اختلاجة قلبه لقربها القاهر ..
 همست في شوق باسمه :- عاصم ..
 لتستطرد في نبرة معاتبة :- مش كفاية كده ..!
 استدار ليواجهها واضعا كفيه على عضديها هامسا بعث
 مماثل :- أنت عارفة يا زهرة لولا ستر ربنا ووجود الواد
 باسل ماسك في رچل بتك كان ممكن ايه اللي يحصل ..!
 كان انتفضت .. ووضعت كفها على فمه تمنعه من الإسترسال ..
 شعر هو بارتجافة جسدها تحت كفيه و اخيراً اندفعت الدموع
 من عينيها هاتفة في ذعر :- متفكرنيش يا عاصم .. انا من
 ساعة اللي حصل و انا مش بنام كل ما اتخيل ايه اللي كان
 ممكن يحصل ساعتها ..
 و شهقت في لوعة فطوقها بذراعيه مشفقا عليها لانما نفسه
 لقسوته عليها الأيام الماضية و خاصة عندما ادرك قدر
 تعذيب الذات و لوم النفس الذي عاشته ...
 قبل جبينها في محبة هامسا :- الحمد لله .. حُصل خير .. و
 العيال كبروا و بجت حركتهم كتيّرة و مش هاتجدرى عليهم
 لوحذك .. البت ابتهاج أخت سعيد مش كانت بتاجي أوجات
 تساعدك .. انا هخليها تاجي كل يوم ..
 رفعت رأسها تطالع عينيه التي اشتاقت لنظراتهما هامسة :-
 يعنى خلاص مش زعلان منى ..؟! ..
 همس لها مشاكسا و متغنيا بكلمات الاغنية :- من امتي
 بخاصمك من امتي ..؟! .. ده اليوم في خصامك بسنين ..
 ابتسمت في سعادة هاتفة :- لا ده انت كنت مركز بقى ..؟! ..
 قهقه هاتفا :- فكريني أزعل كثير طالما في كل مرة
 هتصلحيني كده ..
 انفجرت ضاحكة و هي تخبئ وجهها في احضانه منتشية ...

لم يستطع احد ان يثنيه عن عزمه في اصطحاب جسد بدور الى مثواه الأخير و دفنها بجوار والدها الحاج وهيب .. فلم تفلح توسلات تهانى و لا تحذيرات غندور من عواقب تسرعه و دفعه لتعديل رأيه و ظهر تمسكه بكل ما أنتواه مدى صلابه رأسه الصعدي..حتى انه كتب شهادة وفاتها باسمها الحقيقي لا بذاك الأسم المستعار الذى كانت معروفة به في الأسكندرية ..

و أخيرا انصاع غندور لمشيئته فجهز سيارة لنقل زكريا و طفله و الجثمان للقاهرة حتى تُدفن بجوار ابيها .. فيما اعتبره زكريا وصيتها الأخيرة غير عابئ بالمخاطر التي تحيق به جراء قراره الصارم ..

وصلت السيارة حيث المدافن و كان في استقبالها بعض من رجال و نساء الحارة منهم نعمة بعباءتها السوداء و دموعها الذابله من البكاء كمدا على الأب و ابنته الشابة التي لحقت به و التي كانت تعتبرها اخت لها .. و أيضا المعلم خميس اللول الذى ما ان رأى السيارة تقترب حتى اندفع حيث توقفت يفتح الباب يتلقف الطفل من بين يدي زكريا دافعا به لنعمة التي تلتفت به بدورها كقطعة غالية لا تقدر بثمن تدسه بين ذراعيها و تضمه لصدرها في لوعة..

و أخيرا جذب المعلم خميس زكريا من مقعده هاتفاً به ينبهه و يخرج به من صدمته التي لم يستفق منها بعد:- وحد الله يا زكريا..

اوماً زكريا برأسه في تأكيد و هو يهمس بأن لا اله الا الله .. و يخرج من السيارة محاولا التماسك قدر استطاعته وهو يتوجه لمكان الصندوق الخشبي الذى يحمل جثمانها الطاهر..توجه عدد من الرجال من بينهم عم طابع باع البطيخ و صبي المعلم خميس و غيرهم لحمل الجثمان و ما

ان تقدموا عدة خطوات من بوابة المدفن حتى ظهرت سرينة
سيارة الشرطة تنعق في رتابة ..

خرج الضابط مسرعا من السيارة الميرى التي توقفت
بالقرب من مكان وقفة الرجال حاملى النعش و الذى كان
يتقدمهم زكريا واقفا في لامبالاة بوجهه جليدي لا يحمل اى
رد فعل يذكر و كأن الامر لا يعنيه ..

اندفع المعلم خميس من موضعه أسفل النعش متوجها ناحية
الضابط و همس بالقرب منه :- يا باشا الموت ليه حرمة ..
و الراجل بيدفن مراته .. يعنى الرحمة حلوة ..

هتف الضابط :- الله يرحمها .. بس انا بنفذ الحكم الصادر ..
هتف المعلم خميس :- و احنا معترضناش يا باشا .. ده
شغلك .. بس الراجل يدفن مراته و ياخذ عزائها تحت عنيكم
و يبقى تحت امركم بعد كده ..

تنهد الضابط بعدم اقتناع لكن مع الجو العام الذى عمه الأنين
الصادر من جهة النساء و الصمت المطبق من جهة الرجال
وافق الضابط بإيماءة من رأسه جعلت خميس يهتف له
شاكرا و يعود لموضعه الأول حاملا النعش و الضابط يشير
لرجاله يمنا و يسارا ليطوقوا المكان خشية هروب زكريا
مرة أخرى ..

تمت صلاة الجنازة على روحها و فُتح النعش الذى يحمل
جثمانها .. صرخ زكريا في الرجال الذين تطوعوا لحملها
لمثواها الأخير

اشفاقا عليه .. تراجع الجميع لصراخه فما كان له ان يدع
رجلا يمس جسدها الطاهر او يحملها حتى ولو جثة بلا روح

رفع جثمانها و نزل به حيث مثواها الأخير في ثبات لا
يصدق ..

حتى ان بعض الرجال بكوا لصلابته التي كانت مجرد صلابه
خارجية .. فمن منهم لم يفقد عزيزا كانت صدمته الأولى
لفقده جعلته في مثل حالة زكريا من الذهول و التيه..
حتى يستفيق على انهار من الدموع بعد بعض الوقت عندما
يبدأ استشعار مرارة الفقد و ألمه..
هبط زكريا تلك السلام التي توصله لغرف الدفن ليدخل
احداها المخصصة للنساء و ينحنى واضعا أياها و يهم
بالنهوض ليغادر لكن قدماه لا تطاوعه و مرأى جسدها
يخبره انها غادرت بغير رجعة .. غادرت و لن ينعم بقربها
و حنانها مرة أخرى ..
و أخيرا طفقت الدموع من عينيه بشهقات لإرادية تجرح
صدره وهى تصعد بلهيب حارق...
و لم ينتبه الا و صوت ينادى بإسمه دافعا أياه لينهض في
تثاقل صاعداً تاركا روحه و قد غادرته للأبد .. هامسا في
لوعة :- مع السلامة يا روح زكريا ..

وقف زكريا في مقدمة ذاك الصوان الذى شغل عرض الحارة
كله امام بيت الحاج وهيب رحمه الله يتلقى العزاء في
زوجته الراحلة بيد تمتد بألية و عين تائهة النظرة و قلب
فارغ و روح ما عادت تسكنه .. فقد تركها هناك حيث وارى
جسدها الطاهر ..
مرت ساعات وفى فيها ضابط تنفيذ الأحكام فيها بوعده و ها
هو يتقلب في توتر على كرسيه و ينظر الى ساعته في
ضيق ..
و أخيرا و بعد ان فاض به الكيل نهض ليحيط بزكريا هو
ورجاله ليعلو نحيب النسوة من الشرفات و النوافذ و هن
يتابعن الحدث الجلل

و تندفع نعمة هاتفة في زكريا قبل ان يغيب عن ناظريها :-
سى زكريا ..

ألتفت لها و قد تنبه لوجود ولده بين ذراعيها تقدم في بضع
باتجاهه و أخذه بين ذراعيه فربما تكون تلك المرة الأخيرة
ضمه اليه يتلمس فيه رائحة امه الغالية و يستودعه الله و
هو يضعه بين ذراعى نعمة من جديد هامساً :- اسمه حازم
.. الغالية اختارت هوله .. خلى بالك منه يا ست نعمة و عزيزه
زي ما كنت بتعزى امه و چده .. هو أمانة في رجبتك لحد لما
ربنا يأذن لى بالفرچ من عنده ..

هتفت بصوت متحشرج اجهدده البكاء و النحيب :- في عيني
يا سى زكريا .. ده من ريحة الغاليين .. متحملش هم و ربك
هيهونها...

جذبه العساكر ليدفعوا به للصندوق الخلفى لسيارة الشرطة
و المعلم خميس خلفه هاتفاً :- هاجيلك الصبح و معايا اكبر
محامى .. ربنا معاك ..

اوما زكريا و لم ينطق بحرف .. فماذا عليه ان يقول ..؟!..
و لمن ..؟! فهو فوض أمره لله .. و من كانت يبثها نجواه و
شكواه و تهون عليه ظلم العالم و سواده قد رحلت مخلقة
وراءها جسد بلا روح يدعى زكريا الهوارى..

صرخت بخيئة في دعر منتفضة من نومها :- ولدى .. زكريا
ولدى .. اطلجوه .. همלוه لحاله ..

انتفضت كسبانة بدورها على تلك الصرخات التي وصل
صداها لغرفتها وحمزة الملاصقة لغرفة بخيئة .. لتنهض
مهرولة اليها هاتفة في لوعة :- خبر ايه يا خالتي ..؟!..
خير ان شاء الله ..؟!..

مدت كسبانة كفها بكوب الماء من الطاولة القريبة باتجاه
بخيئة لتشرب منه لعلها تهدأ من ذاك الكابوس الذى يلزمها
من ليلتين تقريبا ..

تنهدت بخيئة بعد عدة رشقات و هي تعتذر لكسبانة :-
جلجتك يا بتى زى كل ليلة ..

همست كسبانة :- و لا جلع و لا حاجة يا خالتى .. انى كنت
فايجة مع حمزة .. مغلبنى و مرضيش ينام ..

طل حمزة من خلف الباب الموارب قليلا برأسه مما دفع
بخيئة للإبتسام و هي تشير اليه بالأقتراب ليتقدم اليها
مسرعا لتتلقفه كسبانة بين ذراعيها و تضعه في أحضان
بخيئة لعلها تلتهى به عن حلمها المتكرر عن زكريا .. لكن
كسبانة نفسها يقتلها الفضول لتعلم ماهية ذاك الحلم ..
فهتف :- ألا يا خالتى .. فيه ايه المنام اللى عتشفويه بجالك
ليلتين و يجومك من نومتك كده ...؟! ..

تنهدت بخيئة في حزن :- زكريا يا بتى .. زكريا في ضيعة
كبيرة .. انى حاسة ..

تنهدت كسبانة :- سى زكريا بجاله اكر من سنتين متصلش
و لا سمعنا صوته يا خالتى .. ده معناته انه بخير .. مش
عاصم بيه جالنا كده ...؟! .. حتى راح زار اهل بيته و جال
لمرته تاجى تجعد معانا لحد ما ربنا يفرجها عليه .. و اهى
من ساعتها لا سألت و لا جالت انتوا فيين ...؟! ..

تنهدت بخيئة :- كل واحد و حچته معاه يا بتى .. محدش
عارف هي ايه حالها .. ربنا يفرجها على الكل ..
زفرت كسبانة بضيق و هتفت :- ياارب .. يسهلها على
عبيده ..

ثم نهضت حاملة حمزة من بين ذراعى بخيئة و قد راح في
نوم عميق هاتفة محاولة إخراجها من حزنها :- انت
بتعمليله ايه الواد ده عشان ينام .. ده انا بجالى ساعتين

بنيم فيه و مفيشى فايذة ياجى دجتين بين دراعاتك يا خالتى
 ينام .. و الله منتش هينة يا بخيته ..
 ابتسمت بخيته في شجن .. لتربت كسبانة على كتفها في
 مودة و تنحنى تقبل هامتها هامسة :- نامى يا خالتى .. و
 بإذن الله هنسمع اخبار زينة عن سى زكريا ..
 تمددت بخيته على فراشها و جذبت على نفسها الغطاء
 لترحل كسبانة بعد ان أطفأت نور الحجرة تاركة بخيته تتذكر
 كيف رأت زكريا مقيدا بسلاسل من حديد من أطرافه يجذبها
 أشخاص مجهولين لا تعرفهم و هو يحاول المقاومة و لم
 شتات نفسه لكن لا فائدة ترجى فتنهض هاتفة بإسمه
 مذعورة ..

وصلت عربية الترحيلات امام السجن لينزل منها المرحلون
 و منهم زكريا الذى نظر لبوابة السجن الخشبية الضخمة و
 التي تتفرج للداخل عبر باب خشبى مستطيل الشكل بالكاد
 يُمكن شخص بالغ من المرور عبره و التي تطلوها عبارة ..
 السجن تهذيب و إصلاح .. هل هو فعلا يحتاج لذاك التهذيب
 و تحتاج نفسه لهذا الإصلاح ..؟! ..
 دخل عبر تلك البوابة الصغيرة التي أنحنى قليلا بهامته
 ليعبرها .. سلم كل ما له علاقة بعالمه الخارجى و استلم
 بدلة السجن الزرقاء ..
 مر بكم من الخطوات و الإجراءات كان يؤديها و هو أشبه
 بالغافل عما يجرى حوله ..
 كان ينفذ الأوامر الملقاة له بألية عجيبة حتى وجد نفسه
 ملقى في احد العنابر بصحبة الصول جابر كما سمعهم
 ينادونه .. أشار جابر على أحد الأسرة هاتفاً :- ده سريرك يا
 زكريا ..

توجه اليه زكريا في صمت يضع عليه تلك البطانية الحقيرة
التي سلموه أياها .. كان سريريه هو السرير الأسفل من
ضمن سرير بطابقين كما باقى أسرة العنبر ..

حل الصمت على العنبر ككل حتى رحل الصول جابر .. و ما
ان أغلق الباب .. حتى سادت الهمهمات و الهمسات على
ذلك الذى دخل بصحبة الصول جابر و لم ينبس بحرف واحد
بل تمدد على فراشه مغمض العينين لا يبالي بما حوله او
بمن حوله حتى انه نسي اهم القواعد الواجب اتباعها و هي
التعريف عن نفسه و تقديم فروض الولاء و الطاعة لسيد
العنبر و مساعديه .. و الذى تقدم منه احدهم هاتفاً بصوت
جهورى :- احنا هنعذرك عشان متعرفش الأصول .. بس لو
متعرفاش .. نعرفهاك ..

فتح زكريا عينيه عندما تناهى لمسامعه ذاك الصوت القبيح
متسائلا بتعجب :- انت بتكلمنى انى؟! ..

هتف صاحب الصوت الجهورى المدعو سلومة :- ايه ده
..؟!.. الجدع طلع صعيدى .. طب ده المفروض بتفهم
الأصول و عارف ان كل مكان و له ريسه و لا ايه ..؟!..
هتف زكريا في ضيق :- يعنى عايز ايه من الاخرانى
مطيحش روى؟! ..

جذب سلومة زكريا من كتف قميصه هاتفاً :- لما تكلمنى
تقوم تقف و تتكلم بأدب .. و لو متربتش و اتعلمت الأدب
احنا نعلمهولك ..

دفع زكريا يد سلومة من على كتفه في حنق و لم يبادلها أي
رد بل تجاهله تماما و عاد من جديد ليتمدد على فراشه و
الذى قبل ان يمسه كان سلومة دافعا أياه من فوقه ليقع
زكريا من الجانب الاخر وسط الهرج و المرج الذى بدأ
يسود داخل العنبر و ضحكات المساجين المتهممة على
سقوطه ..

نهض زكريا في هدوء مخيف و استدار باتجاه سلومة و ما
ان اقترب منه حتى همس و هو يجذب رأس سلومة بكفه
من خلف عنقه لينطح بها جبينه :- الأدب .. ده اخر حاجة
تعرفها يا خفيف عشان تعلمهالى ..

صرخ سلومة متأوها و هي يضع كفيه على جبهته بعد ان
نال صدمة قوية من تلك الراس الصعيدية اليابسة..
دفع زكريا بسلومة بعيدا عن فراشه و عاد ليتدد عليه من
جديد وسط تلك الصرخات المشجعة و التهليل طلباً للمزيد
من الشجار لكن كل ذلك انتهى في لحظة ما ان أشار احد
المساجين والذي ما كان الا الذراع الأخرى لكبير الغنبر و
من يأتمر بأمره الجميع والذي كان يتابع تلك المسرحية التي
دفع سلومة لتمثيلها على زكريا كما يفعل مع كل مسجون
جديد حتى يستشف مدى قوته و مدى إمكانية السيطرة عليه
و تطويعه في خدمة طلباته ..

نهض المعلم سيد كبير الغنبر متجها نحو سرير زكريا و
الجميع صامتا في ترقب لما سيسفر عنه اللقاء ..
هتف المعلم سيد وهو يقف في مواجهة سرير زكريا :-
مرحب بيك يا زكريا في عنبر المعلم سيد ..
فتح زكريا عينيه من جديد ليطلعه جسد ضخم و وجه اسمر
بشارب رفيع لا يتفق إطلاقا و ذاك الوجه او تلك البنية ..
هتف حمادة الذراع اليمنى للمعلم سيد معرفا آياه لزكريا :-
ده المعلم سيد .. كبير الغنبر و اللى كلنا هنا تحت طوعه و
عائشين من خيره..

نهض زكريا من فراشه هاتفاً :- اهلا يا معلم سيد ..
سأل المعلم سيد في فضول :- هو انت هنا بتهمة ايه يا
زكريا ...؟! ..

هتف زكريا في عجالة :- جتل يا معلم سيد .. تأبيدة ..
هتف المعلم سيد مهلاً :- الله اكبر .. تعجبني يا صعيدى ..
اكيد تار ..

هتف زكريا نافيا :- لا ااه يا معلم ..
و نظر لسلومة الذى كان لايزل يتأوه متألماً و استطرد في
ضيق :- ده واحد كان شايف حاله و حب يعلمنى الأدب ..
فجلنا نربوه ..
فهقه المعلم سيد منتشياً و هو يربت على كتف زكريا :-
عفارم عليك يا صعيدى .. دمك حامى صحيح .. تعجبني ..
و نهض هاتفاً في صبيانه :- العنبر غداه النهاردة على
حسابى حلاوة تشريف زكريا ..
ابتسم زكريا هاتفاً :- يا معلم هو الحلاوة دى بتبجى للدخول
و لا للخروج بالسلامة ...؟!..
انفجر المعلم سيد مقهقهها وهاتفاً :- الأثنين يا صعيدى ..
خلى المساجين تفرح ..
ابتسم زكريا و هو يرى الجميع يحييه ويهتل في سعادة .. و
لما لا ...؟!.. فهو تميمه سعدهم و التي هبطت عليهم وجعلت
المعلم سيد كبير عنبرهم وجود عليهم بخيراته ..
تناول المساجين طعامهم في عنبر المعلم سيد حتى امتلأت
بطونهم و حتى الصولات و الشاويشية طالهم من النعيم
جانب .. فالمعلم سيد كعاداته لا ينساهم فهو معروف بكرمه
الواسع ... و لما لا ...؟!.. و هو يعد واحد من اكبر مستوردي
اللحم المجدد و المصنع ..
كان في الأصل مجرد جزار .. لكن من جراء الصفقات
المشبوهة اصبح من اكبر تجار اللحوم .. و ما أتى به
للسجن الا احدى تلك الصفقات التي أحكت الشرطة فيها
الأدلة التي تدينه هذه المرة فلم يستطع الإفلات و دفع احد
من رجاله لحمل القضية برمتها كعاداته في كل قضية سابقة
..
هتف المعلم سيد وهو يربت على كتف زكريا هاتفاً :- استنى
بقى لما نتسلطن ..

اخرج من جيبه علبة من السجائر دفع بإحداها لذكريا الذي
فكر ان يرفض بأدب .. لكنه تناول من العلبة سجارة متظاهرا
بأنه سيدخلها فيما بعد ووضعها في جيب سترته ..

ليهتف المعلم سيد :- هو فين الواد سنجا !!!..
هتف صوت جهورى لشاب في أواخر العشرينات تقريبا من
احد الأركان رافعا كفه مؤكدا مكانه :- انى هنا يا معلم ..
أمره المعلم سيد :- قوم يا واد سمعنا حاجة من اللى بتقرفنا
بيهم .. نوح يا خويا نوح ..

انفجر الجميع ضاحكين ليهتف سنجا في ضيق و بلهجة
صعيدية لا يخالجه الشك دفعت زكريا للانتباه للشاب الأسمر
متوسط الطول الذى برز من بين المساجين :- بجى كده يا
معلم .. غنايا بجى نواح .. !!؟..

هتف المعلم سيد من بين قهقهاته :- خلاص ياخوى هاتعمل
لنا فيها فنان .. غنى من سكات و حاجة فرايحي عشان
الراجل اللى لسه مشرفنا جديد ده .. مش عايزين نسود
عيشته من أولها ..

هتف زكريا للشاب الواقف فى ضيق محاولا جبر خاطره :-
غنى اللى انت عاوزه يا سنجا .. انى راضى ..
انفجرت اسارير سنجا و بدأ يشدو في سعادة و بصوت
ساحر:-

فى دايرة الرحلة طرج بينا تخلّا
آه يا حبيب عمري وصحبتي وجمري
عيون مره تباعد ..خطاوي مره تعاند
حنين جوانا يحكي..
وشوج جوانا يبكي
والدمع ساچية كبت
فى دايرة الرحلة طرق بينا تخلّا

ليه يا سنين العمر ترضي لنا بالمر
ده لولا فينا صبر لهان علينا العمر
فى دايرة الرحلة ايامنا على المولى
رحلة يا رحلة يا صعبة يا سهلة
رحالة خطوتنا فى دايرة الرحلة
فى دايرة الرحلة طرج بينا تخلّا

المساجين بما فيهم المعلم سيد كانوا يضحكون على حركات
سنجاً التي كان يقلد فيها ذاك المغنى الأسمر المشهور
صاحب الاغنية و لم ينتبه احدهم ان تلك الكلمات التي يغنيها
سنجاً بذاك الصوت الساحر تنكأ جراح حية بقلب زكريا
وروحه ..

ساد الصمت للحظات بعد ان انهى سنجاً شذوه و توجهت كل
الأنظار بإتجاه زكريا في انتظار تقييمه لصوت مطربهم ..
تمالك زكريا شتات نفسه و دفن أحزانه كما اعتاد دوما في
أعماق روحه و بصوت مصطنع يغلب عليه نبرة المزاح
هتف في سنجاً :- و الله المعلم سيد عنده حج .. جلبت علينا
المواجه يا فجرى ..

انفجر الجميع مقهقهين .. و انقلب المعلم سيد على ظهره
من شدة قهقهاته و هو يرى زمجرة سنجاً المعترضة .. و
يربت على كتف زكريا في حبور ...

تسلل ذاك الظل القاتم لداخل الدار على الرغم من وجود
الخفيرين اللذين وضعهما عاصم لحماية دار زكريا ..
و تسحب حتى وصل لحجرة كسبانة في هدوء ليقترّب من
فراشها وهو يتطلع لجسدها المسجى على الفراش في رغبة
هامسا في نفسه :- لساتها حلوة بت الكلاف ..

اقترب من وجهها يتطلع لملامحها الناعسة التي بدأ يتذكرها
بعد تلك السنوات لتنتفض هي عندما شعرت بأنفاسه الحارة
تضرب عنقها هاتفة و هي تضم غطاء الفراش لجسدها في
ذعر :- مين ..؟! انت مين ..؟!؟

همس و هو يقترب منها :- لحجتي تنسيني .. نسيتي أبو
ولدك يا كسبانة!؟..

هتفت في ذعر وهو يرفع اللثام عن وجهه لتظهر ملامحه
التي تبغضها فتتهف شاهقة بإسمه :- سليم ..!!!
انكشيت من جديد لطرف الفراش غير مصدقة انه هنا بعد
كل تلك السنوات .. بعد ان ظنت انها تخلصت منه و من كل
ما يذكرها به .. لكن هاهو يظهر من جديد ليحيي كل تلك
الكوابيس و العذابات التي
رأتها بالقرب منه ..

نظر اليها متفرسا فيها من رأسها حتى اخمص قدميها
ليزداد اقترابا منها متمتما بصوت تملؤه الرغبة :- لساك
زى ما انت .. متغيرتيش .. كنى فتك عشية ..
و دفع كفيه ليقبضا على كتفيها البضتين الا انها كانت
الأسرع حيث اندفعت للجهة الأخرى من الفراش هاربة
منه .. لكنه لحقها ليمسك بذراعها واضعا كفه على فمها
كاتما صرخاتها التي ما ان همت بإخراجها حتى كانت كفه
هي الأسبق لإسكاتها

..،قطجذبها من جديد دافعا إياها على الفراش في قسوة
هامسا بصوت يشبه الفحيح :- انت لساتك مرتى .. و لا
نسيتى .. يعنى حجي فيك هخده.. بخطرك أو بالغصب ..
متفرجش معاى.. و انت خابرة كلامى زين .. و لا نسيتى
..؟!..

تذكرت كيف كان يعاملها منذ اللحظة الأولى لزواجهما والذي
قبلت به غصبا لتخلص نفسها و أهلها من بطشه و جبروته
..و تقطعت أنفاسها في ذعر وهى تتذكر كيف كانت تتوسل

اليه ألا يقربها الا ان تمنعها كان يشعل نار رغبته اكثر
لينتهكها في وحشية ثم يلقي بها خارج فراشه كخرقة بالية

بدأت ترتجف و هو ينحني على وجهها يقترب منها ليلثمها
و اخيراً تأتي رحمة الله من السماء في صرخة عاصم
الهادرة التي دفعت به بعيداً عنها لتجذب هي غطاء الفراش
حول جسدها و تتراجع لأحد أركان الغرفة تنتفض غير
مصدقة انها نجت من بين يديه يكاد دوار رأسها يفقدها
وعياها و شعورها القاتل بالغيثان يسيطر عليها بشكل غير
طبيعي ..

اندفع عاصم لسليم الذي ارتجف من طلته فقد كان الغول
على حق في تلك اللحظة..
قبض عاصم على مقدمة جلاباب سليم في غضب صارخا فيه
وهو يهزه أمراً:- طلجها .. أرمى اليمين عليها دلوجت ..
لم يكن سليم بقادر حتى على الاعتراض امام مظهر عاصم و
غضبه الهادر لذا هتف متوجها بأنظاره نحو كسبانة التي
لازالت على ارتجافاتها في ركن الغرفة :- انت طالج ..

هتف عاصم دون ان يستدير
لكسبانة :- سبينا دلوجت لحالنا يا أم حمزة و روحى لولدك..
اندفعت كسبانة لخارج الغرفة مسرعة في اتجاه غرفة بخيته
و التي لحسن الحظ أصرت الليلة الماضية على نوم حمزة
بجوارها ..

ما ان خرجت كسبانة و أغلقت الباب خلفها حتى بدأ عاصم
في جذب مقدمة جلاباب سليم في غضب كبير كان هادر عاود
إطلاق حممه هاتفا :- اسوى ايه فيك اكثر من رميك بره
النجع كيف الكلب الأجرى ..؟! .. اجتلك و اخلص منك و
أعير بيك العمر كله و انت متستاهاش ..؟! .. اسوى فيك ايه
...؟! .. جولى...

استأذن عاصم مغادرا لتندفع كسبانة تحتمى بذراعى بخيئة
تشهق باكية بعد كل تلك الأحداث التي مرت بها الليلة
..لتربت بخيئة على رأسها تطيب خاطرها هاتفة :- أحمدي
ربك يا بتي .. لولا ولدك بكى و جمت اجيب له يشرب
مكنتش سمعت سليم وهو عندك .. الحمد لله ..
جذبت كسبانة طفلها لأحضانها من بين ذراعى بخيئة تضمه
في امتنان و هي لا تصدق انها تخلصت من الكابوس
المسمى سليم .. و أصبحت أخيراً حرة ..

كانت فترة الراحة فخرج الجميع الى فناء السجن مدفوعا
برغبة في الحصول على بعض الهواء النقي و الشمس
الدافئة بعيد عن جو العنبر الخانق ..
سار زكريا وحيدا مبتعداً عن تجمعات المساجين المعتادة او
حتى جلسات المعلم سيد في مكانه المعتاد و التي غادرها
متسللا راغبا في الوحدة و الإختلاء بنفسه قليلا ..
مر أكثر من شهر على مجيئه الى هنا و لا يعلم متى سيخرج
.. شعر بوحشة عجيبة ..فقد مر ذاك الشهر وهو لم يرى
ملامحها و لا عادت جواره .. شعر بنفس المشاعر الخانقة
التي كانت تعتريه في الإسكندرية قبل قدومها اليه .. لكن
الان .. هو يعلم انها لن تأتى .. يعلم انه حتى ولو خرج من
هنا ..لن يجدها بانتظاره .. لن يستمع الى صوتها يداعب
أذنيه عند الاستيقاظ و لا همماتها بأحضانه في ذاك
الفراش الضيق الذى كان يجمعهما متلاحمين .. انه يفقدها
حد الوجع ..

لو يعلم ان سجنه كل تلك المدة كفيل بإعادتها لحياته من
جديد لهانت عليه أعوام السجن و لياليه الطويلة ثمنا لمطلب
غال كذلك ..

لكن هي رحلت .. غادرت بلا عودة.

تذكر كلماتها الأخيرة و التي همست بها قبل ان تختفى خلف
باب غرفة العمليات توصيه فيها بابنهما حازم ..

دمعت عيناه عندما تذكر ولده الذي لم تستطع تذكر حتى
ملامحه .. فما كان هناك وقت ساعتها ليتملى في وجهه
الصغير ليحفظ تلك الملامح و لا ينساها ..

ربت سنجاً على كتف زكريا مخرجاً أياه من شروده و أفكاره
ليهمس متعاطفاً :- كله هيهون يا زكريا .. سلمها للمولى ..
همس زكريا بصوت متحشرج :- و نعم بالله ..
هتف زكريا محاولاً الخروج من حزنه :- مجلتليش يا سنجاً
انت منين ف الصعيد ..؟

هتف سنجاً بلامبالاة :- من كل البلاد يا هوارى ..
ابتسم زكريا متسائلاً :- كيف يعنى !!

ابتسم سنجاً ابتسامة محرجة هاتفاً :- واحد واد حرام ..
ميعرفش ابوه .. و امه كانت غازية في الموالد .. هيبجي
منين يعنى ..؟!.. البلد اللى فيها رزجك او حبيبك .. هي بلدك
يا هوارى ..

ربت زكريا على كتفه و هو يشعر بألم سنجاً و يستشعر
بعضه .. فقد عاش زمن طويل من عمره لا يعرف له أبا و
حتى عندما علم لم يجرؤ على البوح بإسمه او حتى وضع
اسمه العريق خلف اسمه المتواضع فهو بن بخيتة تلك الفتاة
الفقيرة ابنة مراكبي المعديّة كيف يمكن ان يقترن اسم ولدها
باسم سليل اكبر العائلات ..

هتف زكريا باسمأ :- بس انت حسك (صوتك) حلو جووى
.. و لا عبدالحليم في زمانه ..

انفجر سنجاً مهلاً في فرحة :- واه يا واد عمى .. الغندليب
نوبة واحدة!!..؟.. ربنا يجبر بخاطرك يا زكريا .. ليستطرد
بعد لحظات من الصمت مغيراً الموضوع هاتفاً :- بس
معجول يا زكريا تهمتك الجتل .. انا مصدجش .. يعنى انى
اعملها لكن انت لااه ..

ابتسم زكريا متسائلا :- يعنى انت على كده جتلت ..؟! ..
أكد سنجاً بنبرة معتزة :- إيووہ .. جتلت چوز أمى المفترى
.. جتلت و انا بدافع عنى و عنيتها و هو الى بداها .. روت
جايب رجبته .. كنت ههمله إياك لما يجتلنا وهو كان شارب
و شادد حيله علينا .. و اهاا .. خدت فيه سبع سنين الى ما
يسوى ده عدى منهم أربع سنين تجربيا ..
و ربنا يسهل علينا الباجى ..
ربت زكريا على كتفه في تعاطف هامساً بنبرة متضرعة :-
يااارب ..

سافر عاصم للقاهرة مدفوعاً بإتصال المعلم خميس و الذى
اخبره بكل ما حدث مع زكريا
من وفاة زوجته و ظهوره لدفنها و قبض الشرطة عليه
لينفذ الحكم الذى صدر ضده غيابيا .. أكد عاصم رغبته في
زيارة بن عمه و اصطحاب ولده حازم معه للبلد ليكون تحت
رعاية ام زكريا ..
لم يستطع المعلم خميس إثناءه عن القدوم و ها هو يهل
بطلته المميزة يقترب من مقهى المعلم خميس و الذى رحب
به هاتفياً :- مرحب بابن عم الغالى .. ازيك يا عاصم
بيه...؟! ..

هتف عاصم وهو يجلس على احد المقاعد يلتقط أنفاسه
متعجلاً المعلم خميس :- الحمد لله يا معلم خميس .. بخير
بس هم يا معلم .. عايز اروح أزور زكريا .. و تعالى معايا
عشان اخذ ولده .. احنا أولى بيه و بربايته .
هتف خميس و هو يشير لصبية بجلب الشاي :- اهدى بس و
خد نفسك يا عاصم بيه .. انا المحامى جالى من كام يوم و
هو الى جاب لى الجواب ده من زكريا و طلب فيه ابلغك بكل
الى حصل .. بس هو ليه عندك طلبين ..

هتف عاصم مقاطعا :- طب ما انى واخذ إذن بالزيارة و
هشوفه و يجولى اللى هو رايده لو كان لبن العصفور
هچبهوله ..

هتف المعلم خميس محرجا :- ما هو ده طلبه الأول ..؟! ..
تعجب عاصم مستفسراً :- طلب ايه !؟
تتحنح خميس محرجا :- الزيارة .. مش عايزك تزوره ..
صعبان عليه نفسه و حاله .. و مش عايزك تشوفه في
الموقف ده ..

صمت عاصم للحظات و لم يعقب ليستطرد المعلم خميس :-
و الطلب التانى .. حازم ولده .. مش عايز يتربى في البلد ..
عايزه يفضل هنا ..

هنا هتف عاصم حانقاً :- كيف يعنى!؟ .. يعنى نسيب ولدنا
يتربى على يد الأغراب و احنا اهله و عزوته ملناش صالح
و لا عازة!؟ ..

هتف المعلم خميس مهدئا عاصم :- محناش اغراب قووى يا
عاصم بيه .. احنا برضة اهل زكريا و ناسه يوم ما كان
عايش وسطينا هنا ..

تخرج عاصم هاتفا :- انا مجصدش يا معلم انتوا على عينا و
راسنا .. بس برضك .. ده ولدنا ..

هتف المعلم خميس وهو يستحث عاصم على ارتشاف
الشاي :- يا عاصم بيه .. هو مش عايز حازم يتربى في
البلد و يتعير هناك بأبوه اللى خرج من البلد حالف يرجع لها
رافع راسه و في الاخر اتهموه بجريمة معملهاش و يشيله
العار ..

زكريا قالى بالحرف .. قول لعاصم واد عمى لما يجيك ان
زكريا مش عايز ولده يدوق نفس المرار اللى هو داقه
بسبب اسم ابوه ..

تنهد عاصم في ضيق ليستطرد خميس :- معلش يا عاصم
بيه .. ما على الرسول الا البلاغ .. و دى طلباته .. و انت
ادري بزكريا و نشفيه دماغه ..

هز عاصم رأسه موافقا خميس و أشار على المعلم خميس
ليصطحبه حتى نعمة التي أصبحت تقطن بيت الحاج وهيب
وحيدة مع حازم الذى ملأ حياتها بعد ان ظنت انها أصبحت
خاوية لا قيمة لها ..

ليرى عاصم حازم بن زكريا و يترك له ما يكفى ويفيض
من نقود تكفى ليُقدم للطفل افضل رعاية معتصرا قلبه حتى
يستطيع ان يتركه و لا يصطحبه معه للنجع تماشيا مع رغبة
زكريا مؤكدا على المعلم خميس الإتصال به اذا ما جدت اى
اخبار بخصوص زكريا .. مع الحرص على إرسال مبلغ مالى
كل شهر من اجل رعاية حازم ..

الفصل العاشر

انقلب السجن رأساً على عقب و زادت الهمسات و
الهمهمات و ساد جو متلبد بغيوم قاتمة من الصرامة و
الشدة على غير المعتاد..

فهمس زكريا للمعلم سيد متسائلاً :- هو في ايه يا معلم
...؟!...

لكر المعلم زكريا كى يصمت هامساً بحذر :- هقولك بعدين ..
اصبر ..

دخل الضابط المسؤول عن السجن و خلفه المأمور الجديد
الذى جاء للسجن منقولا من حوالى أسبوع ..
بدأت عملية التفتيش عن اى مخالفات و ممنوعات داخل
الغنبر ..

حمل الشاوشية و الصولات ما وجدوه داخل الغنبر من أمور
و أدوات لا تقر لائحة السجن بوجودها داخل الغنابر و تحت
يد المساجين .. و خرجوا ..

تنفس الجميع الصعداء ليهتف المعلم سيد لزكريا :- انت
عارف يا سيدى .. الغربال الجديد له شدة .. و ده المأمور
الجديد .. العميد مختار السداوى .. هيقعد كده يقرفنا تفتيش
و يعمل حبة انضباط لحد ما يفك و ياخذ على الجو.. و
يرتاح و نرتاح احنا كمان ..

اوما زكريا برأسه متفهما و قال :- بس المأمور ده مش زى
اللى جبليه على فكرة ..
هتف المعلم سيد :- و حياتك كلهم بيبقوا كده في الأول .. و
بعدين خلاص ..

اخرج المعلم سيد من جيبه سيجارة دفع بها لزكريا هاتفاً :-
امسك .. عفر(دخن) خلىنا نعدل الدماغ اللى قلبها بسلامته ..
تناول زكريا السيجارة و نهض مغادراً لفراشه ووضعها
جانبا حتى يجود بها على سنجأ الذى يدخن بشراهة و يعتبر
السيجارة هي الهدية الأغلى و الأقرب لقلبه ..

اصر مهران وبكى ليكون له السبق في رؤية السنة الأولى
التي تظهر لتسنيم .. فلطالما دفع به باسل بعيدا عن اخته
الوليدة التي كانت توليها أمه الكثير من العناية و الإهتمام
.. و شعر معها بشعور الأخ الأكبر الذي يجب عليه حماية
اخته الصغرى ..

تحايلت سهام على الأمر و أرسلت باسل ليحضر لها بعض
الأغراض من الداخل لتسمح لمهران برؤية أسنان الصغيرة
النامية و كم اندهش و صفق بكفيه في سعادة و هو يراها
تقترب من وجهه تلامسه بكلتا يديها
منعمة هتافها بحروف غير مفهومة في سعادة جعلته ينفجر
ضاحكا

لتبادله الضحكات في براءة ..

و لكن تظهر سندس في الأفق تحاول الاستحواذ على
الصغيرة بعيدا عن مهران ..

لكن لا يفلح احدهما في جذب انتباهها فقد حاول باسل حملها
فصرخت طالبة البقاء أرضا ليضعها بعد ان سأم من
صرخاتها و زجرته أمه .. و كذلك سأمت سندس من صراخ
الصغيرة فأنصرفت عنها تلهو بعدد من الأساور البلاستيكية
المتعددة الألوان التي احضرها لها ابوها ..

زحفت الصغيرة حتى مهران الذي كان يجلس في نهاية
الرواق يلعب ببعض قطع مكعبة الشكل يحاول ان يبنى بها
بيتا .. أتت اليه فجلست بجانبه و هي تحاول هدم ما يبنيه
و ما ان تفعل حتى تضحك مقهقهة تنير الضحكات وجهها
البض و خاصة عندما يحاول نهرا و الحفاظ على بيته
الوهمي ..

اندفع زكريا كالعادة للوضوء و صلاة العصر و التي تتزامن مع وقت الراحة لكن سنجاً الذي اصبح لا يفارقه تقريبا

أمهله هاتفاً :- زكريا .. على فين ...؟!..

أجاب زكريا :- على الجامع ألحج صلاة العصر ..

همس سنجاً بتوجس :- بلاش يا زكريا ..

هتف زكريا متعجباً :- بلاش ايه يا مخبل .. بلاش نصلوا ..
..؟!..

هتف سنجاً :- لاه .. مش الجصد .. بس بلاش دلوجت ..

يعنى اتأخر شوية كده .. لحد ما العيال أمات دجون دوول

(المتطرفين) يخلصوا و بعدين صلى براحتك..

تعجب زكريا :- ليه ...؟!.. مالنا بيهم!! هم في حالهم و احنا ف حالنا.

أكد سنجاً :- ايووه ما انى عارف .. بس المرة اللي فاتت و

انا مستنيك تخلص صلاة لجيتهم بيتودودوا (يتهامسوا) وهم

بيشاورا عليك .. مخبيش عليك خفت .. جلت ابعذك عنيهم

..

ابتسم زكريا و هو يربت على كتف سنجاً ممتناً :- تسلم يا

صاحبى .. متجلجش .. هم ايه عازتهم لواحد زى حالاتي ..

وهم زكريا بالتوجه للمسجد غير عابئ بتحذيرات سنجاً الذي

هتف رغماً عنه :- طب متروحش .. و لو على صلاة

الجماعة ..

صمت لثوان ثم استطرد متعجلاً مخافة ان يعود في كلمته :-

انى هصلى معاك ..

نظر اليه زكريا في فرحة هاتفاً :- صُح ...؟!.. هتصلى معاي

..؟!..

أوماً سنجاً مؤكداً دون ان يتفوه بحرف مما دفع زكريا للربت

على كتفه في سعادة و هو يقول :- طب خلاص .. هستنى و

نصلوا سوا ..

.....

تهلل وجه سنجاً بالبشر عندما استطاع إقناع زكريا بتأجيل الصلاة قليلاً حتى خروج أصحاب الفكر المتطرف خارج المسجد والذي خاف ان يحتك بهم زكريا فيسببوا له المتاعب ..

ارتجف جسد سنجاً في رهبة و هو يدخل المسجد ربما للمرة الأولى في حياته مصلياً لا من اجل غاية أخرى كالنوم او استخدام الحمام ..

جذبه زكريا من يده كطفلاً مشاكساً يتمنع و لولا وعده لزكريا ما فكر في الإقدام على تلك الخطوة .. هتف سنجاً في وجل و بصوت متقطع :- انى .. انى مش طاهر يا زكريا ..

هتف زكريا :- و لا انى .. تعالى نتوضوا .. تمنع سنجاً من جديد :- مبعرفش .. و الله يا زكريا ما بعرف .. و لا اعرف كيف اركعها حتى ...؟! .. و دمعت عيناه هامساً :- واد الغازية مين هيربيه غير ولاد الليل و الهچامين و جطاعين الطرج .. و رفع رأسه باتجاه زكريا هامساً :- مين من دوول يا زكريا كان ممكن يعرفنى ربنا.؟! ...

ربت زكريا على كتفه مواسيا و همس قائلاً :- و ربنا بعت لك الفرصة اهااا نسبوها و لا نمسك فيها بيدنا و سنانا .. ثم غير زكريا نبرة صوته لنبرة مازحة هاتفاً و هو يدفع رأس سنجاً عاتباً :- و بعدين هو مين اللى هيعلمك دلوجت .. ده انى الشيخ زكريا الهوارى بجلالة جدره .. شيخ بتأبيدة .. عايز ايه تانى يا واد ...?! ..

انفجر سنجاً ضاحكاً و هو يهتف مازحاً مدعياً الإنحاء لتقبيل ظاهر كف زكريا كما يفعل عادة مع زوى المقام العالى من المشايخ :- العفو يا سيدنا .. و احنا كنا نطول .. و اندفع كلاهما لمكان الموضوع ليتلقى سنجاً درسه الأول ..

على الرغم من احتياطات زكريا و سنجاً للابتعاد عن أصحاب الفكر المتطرف الا ان الامر لم يكن بهذه السهولة فمن الواضح انهم عزموا امرهم و استشاروا أميرهم ليندفعوا في خطتهم لإجتذاب زكريا لصفوفهم .. تارة بدعوته للصلاة التي لاحظوا غيابه عنها و أداءها متأخر بعض الشيء مع سنجاً حتى يتجنبهم .. او حتى في أوقات الراحة العادية و التي لا يختلطوا فيها مع احد من خارج جماعتهم .. كانوا يحاولوا فيها بشتى الطرق استمالة زكريا بطيب الكلام و حلو المعاشرة...

لكن زكريا كان دوما لهم بالمرصاد .. لا يريد معاداتهم و لا يريد الانضمام اليهم ..

فهو كل ما كان يرجوه .. ان يُظهر الله براءته ليخرج لإبنه و يربيه كما يجب .. لكن يبدو انهم لهم رأيا اخر .. ففي الصباح سمع الجميع صرخاتهم وهتافهم من خلف أبواب عنابرهم التي خُصصت لهم دون غيرهم .. كانوا يكبرون و يهللون في فرحة .. حتى ان جميع المساجين اندفعوا متزاحمين على أبواب عنابرهم فضولا لمعرفة سر الهتاف والتهلل .

لحظات و اندفع الصول جابر للعنبر ليسأله المعلم سيد في فضول :- هو في ايه يا حضرة الصول .. العيال دى بتهلل كده ليه؟! ..

هتف الصول جابر في ضيق :- هيكون ليه يا معلم سيد ..!!
مجموعة من زميلهم بره السجن قتلوا اثنين ظباط النهاردة

..

هم المعلم سيد بالتعليق الا ان اندفاع الضابط و من خلفه الأمور العميد مختار جعلت الصول جابر ينتفض لأداء التحية العسكرية لتبدأ حملة تفتيشية جديدة ..

انقلب الغنبر كالعادة في كل حملة تفتيش رأسا على عقب ..
و لم تسفر الحملة الا على سيجارة حشيش وجدها احد
العساكر بين طيات فراش زكريا مخبأة بمهارة ..

ليهتف المأمور :- هاتوه ..

ليغيب زكريا بعدها عدة أيام خلف قضبان الحبس الانفرادي
للتأديب ليصله رسالة من خلف بابها مفادها .. "ان لم تكن
معنا .. فأنت علينا .. و اتعظ بما يحدث لك الان .. هذه قرصة
أذن بسيطة .. "

خرج زكريا من حبسه التأديبي ليهل كل أصحابه في غنبر
المعلم سيد .. و يتم الاحتفال كالعادة .. الى ان استدعاه
المأمور من جديد ليتوجس الجميع منتظرين في قلق عودة
زكريا...

دخل زكريا الى مكتب المأمور مصحوبا بأحد الشاوشية الذي
أدى التحية العسكرية و تركه و انصرف .. كان المأمور
متشاغل ببعض الأوراق الهامة أمامه فلم يرفع رأسه حتى
يستطلع وجود زكريا الذي ظل واقفا في انتظار معرفة سبب
الإستدعاء ..

طال الصمت ليقطعه المأمور مختار هاتفاً :- انت ايه علاقتك
بالعيال بتوع الجماعات دوول ..؟! ..

أكد زكريا :- مليش أي صالح بيهم يا بيه !؟

سأل المأمور متخابثاً :- و لا هم حاولوا يضموك ليهم ..؟! ..
صمت زكريا و لم يعقب .. ليستطرد المأمور :- واضح انهم
حاولوا فعلا .. و احنا بقى اللي عايزين يبقى بينك و بينهم
علاقة و تنضم ليهم كمان ..

هتف زكريا و هو يحاول ان يكذب ما جال بخاطره :-

حضرتك جصديك يا بيه .. انى ..

أكد المأمور للأسف ما جال بذهن زكريا و الذي هتف
مستكرا :- يا باشا انى لا عايز اعرفهم و لا يعرفونى .. و
لا يبجى بينى وبينهم اى حاجة و لا حتى انى أكون عين
حضرتك وسطيهم .. لااه .. معملهاش.

صمت المأمور للحظات ليهمس حانقاً من بين اسنانه :-
مش بمزاجك .. انت تنفذ و بس ..

هتف زكريا :- يا باشا انى راجل مليش في المشاكل ووجع
الراس ده .. انا عندى عيل يتيم عايز أربيه .. ايه اللي
يدخلنى انى في المواويل دى؟! ..

انفجر المأمور ضاحكاً ضحكة خشنه ساخرة :- انت عارف
محكوم عليك بأيه ..؟! بتأبيدة .. خمسة و عشرين سنة هنا
مرمى .. ملكش فايده و لا دية .. و تقولى عيل أربيه .. لهو
انت فاكرك انك خارج بكرة ..؟! .. انا لما بعرض عليك انك
تنضم لهم انا كده بعرض عليك فرصة عمرك هنا في السجن
.. تبقى المخبر بتاعنا وسطيهم و يبقى ليك حصانة و حماية
مزدوجة منا عشان تفضل تنقل لنا اخبارهم و منهم طبعاً
لأنك هاتبقى واحد منهم .. يعنى هتعيش هنا في السجن ملك
.. و الكل يعملك ألف حساب ..

هتف زكريا رافضاً :- يا بيه اعفينى انى من الحكاية دى ..
و أوعدك لو عرفت حاجة تضر بالسجن و اللي فيه هاجى
ابلق جنبك .. بس مش عشان اكسب مصلحة .. لااه ..
عشان ده الصبح يا باشا ..

طرق المأمور على سطح مكتبه في حنق بعد ان أيقن ان
زكريا غير قابل للإقناع و هتف صارخاً ينادى احد الشاوشية
ليصطحب زكريا :- خد الحيوان ده أرميه في الزنزانة
الانفرادي أسبوع .. يمكن يغير رأيه.
همس زكريا متمتما :- لله الامر من قبل و من بعد ..

قضى زكريا الأسبوع الإنفرادى في الزنزانة وحيدا .. كان
المأمور يعتقد انه يعاقب زكريا بذاك الحبس الذى يدفع فيه
وحيدا بالأيام و لم يكن يدرك ان الوحدة بعد وفاة بدور هي
مطلبه الوحيد.. فقد كان يزوره طيفها دوما يحدثه و يستمد
منها القوة ليستمر..

كان يؤدى فروضه و ينتظرها .. كان طيفها هو سلواه في
عتمة الزنزانة الضيقة..

خرج أخيرا بعد انقضاء الأسبوع متوقعا ان المأمور قد
أخرجه من حساباته هو وتلك الجماعة التي تهدده.. لكن
هيهات .. فما ان خرج و ألتف حوله زملاؤه حتى جاءت
الأوامر يوميا بأداء المزيد من الأعمال الشاقة ما بين تنظيف
الحمامات تارة .. و المساعدة في اعمال المطبخ تارة .. ظنا
من المأمور ان تلك الأعمال المرهقة و المقرزة قد تدفع
زكريا ليغير رأيه و يأتيه زاحفا طالبا بنفسه أداء المهمة
التي كلفه بها و دون امتيازات حتى
فقط إعفاهه من تلك المهام ..

لكن ما حدث كان العكس تماما .. فكان زكريا يؤدى الأعمال
طائعا لا يتزمر و لا يشكو وهو يؤكد لنفسه انها اهون كثيرا
من الأزعان لمطالب المأمور ..

جاءه سنجاً في وسط احدى تلك المهام التي يكلف بها زيادة
عن كل المساجين ليقف مترددا .. فيلاحظه زكريا و الذى
استطاع استقراء القلق البادى على محياه :- خير يا سنجاً
..! جول وراك ايه ..!..

همس سنجاً بالقرب من مسامع زكريا :- ورايا مصيبة كَبيرة

ترك زكريا تلك الفرشة التي كان يدعك بها أرضية الحمام
ليقف منتفضاً :- خير .. مصيبة ايه اللى عملتها ..!..

همس سنجاً متلفتاً حوله :- وطي صوتك يا زكريا .. و
بعدين المصيبة لسه متعلمتش .. المصيبة لسه هاتوجع و
ربنا يسترها ..

جز زكريا على اسناته هامساً في حنق :- يا واد ما تنطج ..
ايه في !!؟

همس سنجاً :- الجماعة أياها مش ناوية تجيبها البر ..
استفسر زكريا :- كيف يعنى !!؟..

همس سنجاً و هو يجذب زكريا خارج الحمامات ما ان دخل
بعض المساجين :- تعالى بره و انا اجولك سمعتهم بيحولوا
ايه..

ابلق سنجاً زكريا بكل ما يعرفه ليهتف زكريا صارخاً في
سنجاً :- يا دى المصيبة .. و مسمعتهمش بيحولوا هايعملوا
الوجعة السوداء دى ميتا .. !!؟..

أكد سنجاً بإيماءة سريعة من رأسه :- ااه .. جالوا في
حصة الراحة ..

هتف زكريا صارخاً :- يا مخبل .. و احنا في حصة ايه
دلوجت ..!!؟... ما الراحة بدأت من ساعة ما دخلت عليّ
تبلغنى يا فجرى ..

و اندفع زكريا راكضاً باتجاه الفناء الذى يملؤه المساجين و
استطاع ان يميز بينهم بسهولة أعضاء الجماعة بزيهم
الأبيض ..

و استطاع أيضاً ان تلتقط عيناه مكان المأمور الذى خرج
للمرور و التفتيش كالعادة ..

لمع شيء ما في عيون زكريا عندما اندفع محاولاً اجتياز
تلك الحلقة التي كونها أعضاء الجماعة بالإتفاق بينهم في
سرعة خاطفة خلف المأمور الذى سبقه ضابط السجن لأداء
بعض المهام التي كلفه بها و لم يعد يحيطه اى غطاء امنى

تم الأمر كله في لحظة ليُسمع دوى طلقات مختلطا بصفير
العساكر و الشاوشية و تنقلب حصاة الراحة الى هرج و
مرج بين صفوف المساجين .. و كل ما استطاع المساجين
تمييزه هو دفع العساكر بهم لداخل الغابر
للسيطرة على الموقف مع سقوط زكريا بين يدي المأمور
مضرج بدمائه بعد ان تلقى عنه تلك الطعنة النافذة من سلاح
ابيض حمله احد أعضاء الجماعة محاولا اغتيال المأمور..
الوحيد من بين المساجين الذي استطاع الوصول لزكريا لأنه
كان في اثره من الأساس هو سنجاً الذي هتف به زكريا
بوهن :- ولدى .. رجعوه النجع .. امى تربيته ..
و اسودت الدنيا امام عيني زكريا ولم يسمع صرخات سنجاً
الذي كان ينادى باسمه في لوعة ..

نظر زكريا حوله في ذاك الظلام الدامس الذي بدأت تعتاده
عيناه فلم يجد حوله ما يستدل به أين يمكن ان يكون .. لكن
فجأة ظهرت أمامه .. انها هي .. بدور ..
تقف على الجانب الاخر في اشراقة بددت تلك الظلمة الحالكة
التي تحيط به كما هي عاداتها دوما ...
هتف زكريا في شوق عندما طالعه محياها :- بدورر ..
اتوحشتك جوى ..
هتفت بدورها و ابتسامة تكسو وجهها الصبوح :- و انت
كمان .. وحشتنى قووى يا سى زكريا ..
اقترب في لهفة ليضمها بين ذراعيه و يُطفئ شوق شهور
مضت غابت فيها عنه روحه بغيابها .. لكنها هتفت تستمهلها
:- خليك عندك يا سى زكريا..
توقف بغتة متعجباً :- ليه يا بدور !؟

قال بلهجة معاتبة :- ايه يا سى زكريا .. انت نسيت وعدك ليا .. نسيت وصيتى ليك ...؟!..

شمله الصمت للحظات و لم ينطق لتستطرد:- حازم يا سى زكريا .. هتفوته لمين ...؟!.. مش وعدتني تخلى بالك منه ...؟!.. ارجع له يا سى زكريا .. ارجع له لو لسه بتعز بدور .. خليك معاه و خليه راجل قد الدنيا ميتخيرش عن ابوه .. و لوحت بكفها و غابت فجأة مرة أخرى في طيات ذاك الظلام الذى كان يحيطهما ليصرخ هو مناديا باسمها في ترديد محموم لعلها تستجيب و تعود مرة أخرى .. و فجأة بدأت الظلمة تنقشع رويدا رويدا.. فتح زكريا عيونه في وهن متطلعا حوله في تيه و لم يتناهى لمسامعه الا صوت رجولى لشخص يرتدى الأبيض يهتف باسمه ...و أخيرا اتضحت الصورة كاملة عندما ظهر العميد مختار في مجال رؤية زكريا هاتفاً باسمه هو الآخر ..

ليستفيق زكريا نوبة واحدة و يتذكر كل ما حدث ...حاول ان ينهض في تناقل الا ان الطبيب حذره :- لاا .. أوعى تتحرك .. ده احنا ما صدقنا انك فوقت .. ايه ده ..انت كنت فين يا بنى...؟!..

ابتسم العميد مختار و كانت المرة الأولى التي يراه فيها زكريا يبتسم و هتف مازحاً :- يعنى يا دكتور معرفتش كان فين بعد ده كله ..؟!..

كان مع بدور اللى بقاله تلت أيام مبينطقش إلا اسمها .. قهقهه طبيب السجن بدوره .. و لم يلتفت زكريا لمزاحهما بقدر ما لفت انتباهه الفترة التي غاب فيها عن الوعي هاتفاً بصوت متحشرج واهن :- انا بجالى تلت أيام غااايب...؟!.. هز كلاهما رأسه مؤكدا .. حاول ان زكريا الحركة من جديد لكن ألم كتفه اليمنى الذى استشعره عند التحرك جعله يعدل عن المحاولة...

نهض مختار يستعد للرحيل هاتفاً :- طب انا ماشى .. مش
عشان قلبان الراس .. لكن عشان انت ترتاح و بكرة باذن
الله هكون عندك .. انا موسى الدكتور عليك .. ولو عوزت
اي حاجة اطلبها .. سلام عليكم ..
و اختفى العميد مختار المأمور سريعا خلف باب قريب ليترك
زكريا وحيدا محاولا إستعادة حوار ه مع بدور .. و الذى لم
يتذكر منه الا وجهها الصبوح و اسم .. هو ما اصبحت
يربطهما الان .. حازم ..

توطدت العلاقة بين العميد مختار مأمور السجن و زكريا
بسرعة كبيرة .. فبعد ان سمع المأمور قصة زكريا و إنقاذه
لحياته من موت محقق اصبحت على يقين مطلق ببراءة زكريا
من تهمة قتل السمرى .. لكن ما الذى يمكن فعله لزكريا
وخاصة بعد تأكيد الحكم بالمؤبد في النقض و الإستئناف
وها هو زكريا اصبحت مسجون بشكل مؤبد و رسمي ..
اصبح تحت وصايته و لا يمكن ان يقدم له الا حسن
المعاملة ..

دخل زكريا مكتب المأمور بعد استدعائه أياه ليدخل زكريا و
يشير عليه مختار بالجلوس هاتفاً في تعجل :- بقولك ايه يا
زكريا .. انت واخذ شهادات ايه ...؟! ..
ابتسم زكريا مازحاً :- الشهادات دى اخر حاجة ممكن تكون
معاي يا باشا ... ده انى شهادة ميلادى مكنتش شفتها حتى

ثم سخر هاتفاً :- يا باشا واحد مكنش يجدر يجول على اسم
ابوه .. كان هايعرف يدخل مدارس و لا يعتبها حتى برجله
...؟! ..

هتف المأمور متعجباً :- بس انت بتعرف تقرا و تكتب يا
زكريا ...؟! ..

أكد زكريا :- صُح يا باشا .. اهي دى واحدة من الحسنات
الى عملتها فيا امي .. لما كنت هربان مع امي وچدى بره
النجع .. دخلتني الكُتاب .. و جعدت فيه لحد ما رجعت بن
اتناشر سنة لأهل ابويا بعد موت چدى أبو امي .. حفظت فيه
قرآن .. و اتعلمت الجراية و الكتابة ..
لكن شهادات .. مكنش ينفع .. ده اني مكنش ليا بطاچه
شخصية الا لما واد عمى ربنا يمسيه بالخير هو اللي
عملهالى بعد ما اعترفوا بيا ..
تنهد مختار هاتفاً :- ده انت حكايتك حكاية .. بس بقولك ايه
.. انت لازم يكون معاك شهادة ..
قهقه زكريا :- اعمل بيها ايه يا باشا!؟.. هو انا ضامن اخرج
من هنا من الأساس ..
أكد زكريا :- هاتخرج يا زكريا .. خبر ايه !؟ ده انت اللي
قايل لى بعضمة لسانك انك متأكد من كرم ربنا و انك
هاتخرج عشان انت برئ و عشان ابنك اللي مستنيك تربيته
..صح و لا ايه ...؟!..
همس زكريا متنهدا :- و نعم بالله يا باشا ..
هتف مختار في حماسة :- بص بقى .. انا هقدم لك على
محو الأمية عشان تاخذ شهادتها و تعرف تكمل و اجيب لك
الكتب و هعرفك على كذا مسجون كده هيفيدوك جامد في
المذاكرة .. و الباقي بقى عليك ..
هااا .. قلت ايه ...؟!..
ابتسم زكريا في سعادة :- جلّت لا اله الا الله .. موافج طبعاً
حد يرفض طلب العلم ..
هتف مختار منتشياً :- اتفقنا يا صعيدى ..
و انفجر ضاحكاً و هو يمازح زكريا هاتفاً :- و الله لأفضل
وراك يا زكريا لحد ما تبقي دكتور ..

هتف زكريا مازحاً و هو يغادر في سعادة :- اتفقنا يا باشا..
هو انى اجدر اكسر أوامر الحَكومة .. و الله و هاتبجى
داكتور يا زكريا
..ليعاود العميد مختار قهقهاته ..

هتف عاصم و هو يهبط الدرج :- يا ام سعيد !؟.. ظهرت
المرأة في ثوان ملبية :- نعم يا عاصم بيه ..!؟..
سال عاصم :- حضرتوا الزيارة اللى بنبعثوها لزكريا كل
أسبوع ..!؟..
أكدت المرأة :- أُمال ايه يا عاصم بيه .. اساسى .. ده انى
ونجاة مرت ولدى واجفين نحضروها من الفجر..
ابتسم عاصم :- تسلمى يا ام سعيد ..
وصل عند مجلس الحاجة فضيلة و التي كانت تتناول فنجان
قهوتها في استمتاع لينحنى يقبل جبينها هاتفاً في محبة :-
صباح الخير يا حاجة .. برضك بتشربى جهوة و الداكتور
محرج عليكى عشان ضغطك ميعلاشى..
ابتسمت الحاجة فضيلة :- صباح السعادة يا نور عينى
..جولى بجى مين بياخد على كلام الدكاترة .. !!! متكليشى
.. متشربيشى..

يعنى كلنا و شربنا طول عمرنا هاجوا يحرموا الأكل و
الشرب دلوجت و احنا خلاص بناخد نفسنا من الدنيا ..
هتف عاصم بضيق :- وااه يا حاجة .. ليه السيرة دى ع
الصبح .. ربنا يبارك لنا ف عمرك ..
ابتسمت فضيلة لخوف ولدها عليها و هتفت متسائلة :- هي
زهرة لساتها نايمة ..!؟..
أكد عاصم :- اه .. العيال طلّعوا عينها عشية .. و راس كل
واحد فيهم انشف من الحجر و مرضيش ينام ..
انفجرت الحاجة فضيلة ضاحكة :- مش جيبينه من بره ..
عنلوم عليهم ليه ..!؟..
.....

شاركها عاصم قهقهاتها و استرعى انتباهه زهرة التي تهم
بنزول الدرج و هي تحمل اطفالها .. اندفع يصعد الدرج
ليقابلها في منتصف المسافة حاملا عنها سندس هامساً في
مشاكسة :- اتوحشتك ..

نظرت اليه نظرة معاتبة و هي
تهمس :- اه صحيح .. بأمانة ما قلت لك هنيئ الولاد و
أجيك .. طلعت عيني معاهم و في الآخر ادخل ألاكيك
بتشخر و ف سابع نومة ..
امسك ضحكاته و هو على وشك الوصول لمجلس امه
هامساً :- هعوضك ..

هتفت زهرة تتصنع انها لم تسمع وعده عندما وصلت
لمجلس خالتها :- صباح الخير يا خالتي ..
هتفت فضيلة :- صباح الخير يا عيون خالتك .. ايه ..؟! ..
عذبوك العيال دوول .. عاصم جالى ..؟! ..
تنهدت زهرة :- اه و الله .. دماغهم مصفحة و مفيش نوم
خالص ..

انفجرت فضيلة ضاحكة :- دماغهم مصفحة زى ابوهم ..
همست زهرة بنبرة ساخرة بجوار اذن عاصم :- يا ريتهم
زى ابوهم .. كانوا ناموا و سابونى .. زى كل مرة اروح
انيمهم فيها ..

امسك ضحكاته و هو يقذف سندس للهواء متلاعبا بها و
معها .. و نظر الى زهرة نظرة جانبية فهو يعلم انها على
حق .. فمنذ ولادة توأمهما و هي تشغل معهما و هو مع
ازدياد الأشغال هنا وهناك يصل للسراي و هو في قمة
الإرهاق غير قادر على البقاء معها كما السابق و التمتع
بصحبتها ..

ترك سندس من يديه ارضا و التي تزمزت بدورها لأن ابوها
كف عن لهوه معها حمل مهران مداعبا لينال نصيبه من

مداعبات ابيه .. دقائق و اندفع ناهضاً في تعجل :- انا جايم
اتسبح و اروح اشوف حالى ..

هتفت امه :- ايه .. مش هاتفطر !!؟

رد عاصم :- حضروا الفطور على بال ما انزل .. ثم هتف
وقد وصل لأعلى الدرج :- زهررة .. تعالى اكويلى چلبيتى
الى هرخچ بيها ..

هتفت فضيلة :- جومى يا بتى ورا چوزك .. و العيال معايا
متجلجيش عليهم ..

أومات موافقة و صعدت الدرج خلف عاصم و ما ان همت
بفتح الباب حتى فُتح فجأة لتجذبها كفه للداخل ويغلق الباب
خلفها ..

اخذا بين ذراعيه هامساً بمشاكسة :- مش جلت هعوضك
.. و انا بحب اخلص ديونى اول بأول و ميبجاش ليا دين
على حد ..

انفجرت ضاحكة :- يا أبو مهران يا حقانى..
شاركها ضحكاتها و هو يأسرها بين ذراعيه

صرخ سنجاً مهلاً و هو يحتضن زكريا في سعادة :- الف
مبرووك يا هوارى .. و الله و خدت محو الأمية و بجيت من
بتوع الشهادات ..

انفجر زكريا مقهقها :- واه .. شهادات مرة واحدة .. دى
محو الأمية يا فجرى اومال لو خدت الى بيحولوا عليها دى
..ال.. داكطوراه عاتعمل ايه ..؟!..

قهقه سنجاً :- المهم انك نچحت و لازماً نهيص النهاردة .. و
المعلم سيد ما هيصدق ..

هتف زكريا :- خليها على المرة دى .. انا چيالى الزيارة
الى بتاچينى من البلد كل سبوع ..

هتف سنجاً مهلاً من جديد :- الله اكبر.. يبجى ظفر(لحوم)
للصبح يا هوارى ..

قهقهه زكريا و هو يربت على كتفه دافعا اياه في محبة :-
ايوه يا فجعان .. روح جمع الناس عجبال ما اروح استلم
الزيارة و اچيكم خلى الناس تاكل و تفرح..
اندفع سنجاً كالريح هاتفاً :- هوا .. ده الكل هياكل و يدعيلك

ابتسم زكريا في أعقاب سنجاً وهو يتوجه لمكتب المأمور
محيا ليستلم تلك الزيارة الغذائية التي تأتيه كل أسبوع من
النجع ..

تنهد في شوق الى امه و طعام امه و شكر سرا في امتنان
عاصم بن عمه الذى ما نسيه في مرة قط منذ دخل السجن
منذ اكثر من عامين و لم يخلف موعد إرساله الزيارة في اى
وقت و مهما كانت الظروف ..

صرخات رجت أركان الحارة و هرج و مرج .. هتفت نعمة
متوجسة و هي تندفع للشرفة تستطلع الامر :- سترك يا رب

أوقفت نعمة احدى السيدات القادمة من اتجاه الصرخات
تضرب كف بكف متحسرة لتسألها في فضول :- ايه اللى
جرى يا خالة؟! .. مين اللى بيصرخ كده ..؟! ..
هتفت السيدة المسنة في حزن :- دى البت صباح بت مرعى
.. الواد حينش جوزها رمى عليها مية نار و جرى ..
هتفت نعمة متعجبة :- هم مش كانوا بيقلوا أطلقت منه
..؟! .. عايز منها ايه بقى ..؟! ..

هتفت السيدة :- لا مطلقهاش .. و الظاهر لما عرف ان
مفيش فايده و هي مش عايزة ترجع له .. راح قال يا تبقي
ليا يا متبقاش لغيرى .. حرق وشها منه لله البعيد ..
همت نعمة بالرد لكنها لمحت المعلم خميس يقترب من
منزلها لتشكر السيدة و تدخل لتستقبله على الباب ..

لحظات و ظهر امام عتبه لتبتسم له في سعادة و هو يدخل
متمدداً على الأريكة هاتفاً:- ازيك يا نعمة .. حضرتي الغدا يا
قمر ..

أكدت باسمه :- اه يا معلم هو انا اقدر أتأخر .. عارفة انك
راجع تاكل و تأيل(تنام) شوية قبل ما ترجع القهوة تاني .. ألا
قولى يا معلم .. ايه اللي هببه حينش ده .. صحيح رمى مية
نار على البت صباح ..؟!..

هتف مؤكدا :- يووه .. دى الدنيا كانت والعة قدام بيت
مرعى .. البت كانت خارجة من بيت ابوها راح ده مستنيها
و عمل عملته و طلع يجرى .. والبت اهي ربنا ينجيها
بقي..؟!..

تحسرت نعمة :- ياما حذرناها من الواد حينش ده .. و
ابوها مكنش راضى بيه قبل ما يقول عليها السمرى ..و
برضة رجعت له تاني ..ربنا يسترها على ولاياه...
ساد الصمت للحظات قبل ان ينهض خميس ليبدل ملابسه
ليتوقف أمامها مستفسراً:- امى غديتها ..؟!..و الواد حازم
...؟!..

أكدت من جديد :- أمال يا معلم .. دى اول واحدة بحط لها
تاكل و بأكلها بأيدي كمان ..انا عارفة ان صحتها على قدها
و عشان تاخذ دواها ربنا يشفيها ..وحازم نايم ..يصحى و
أكله...

اقترب منها خميس هامساً :- و الله انت نعمة يا نعمة ..
توردت خجلاً هامسة :- تسلملى يا معلم ربنا يخليك ليا ..
و دفعت به لحجرتها هامسة من جديد عندما بدأ في
مغازلتها :- معلم .. العيال هنا .. ادخل بقى غير هدومك
على بال ما احط الأكل ..

جذبها اليه هامساً من جديد في نبرة مشاغبة قاصدا
تقبيلها:- طب شفطة عناب صغيرة..؟!..

قهقهت هاتفة :- هو في حد بيحلى قبل الأكل يا معلم ..
!!!
 شاركها قهقهاتها و هو يندفع لغرفته لتبديل ملابسه ..

دخل عاصم غرفته ليجدها مظلمة مما يعنى ان زهرة قد
 غطت فى النوم منذ فترة .. ليس من عاداتها ان تنام قبل
 رجوعه للسراى لكن احيانا يغلبها النوم بسبب صراعتها
 اليومي مع سندس و مهران و قد اضحى كلاهما فى الرابعة
 من عمره تقريبا
 تنبه لجسدها الممدد على جانب الفراش الخاص بها دخل
 الحمام يلقي تعب يومه تحت رذاذ المياه ليخرج ليتمدد على
 طرفه من الفراش فى هدوء كى لا يوقظها ..
 لحظات مرت و اخيراً سمع صوتها هامسا :- عاصم .. انت
 صاحى ..؟!
 انتبه لهمسها ليقترب من جانبها محيطا إياها بذراعه هاتفا
 فى شوق :- كنت فاكرك نايمة
 همست نافية :- لا مكنتش نايمة .. بس كنت بفكر ..
 كانت لاتزل توليه ظهرها فأستدارت بجذعها و نظرت اليه
 هامسة :- كنت بفكر فيك ..
 همس بدوره فى سعادة و هو يضمها اليه اكثر :- كيف يعنى
 بتفكرى فيا..؟!
 نظرت الى عمق عينيه هامسة :- كنت بفكر فى رد فعلك ..
 يا ترى هاتعمل ايه ..؟!
 نظر اليها متحيرا :- هعمل ايه فى ايه..؟!
 همست بصوت متردد النبرات :- لما تعرف ان الهوارية
 هيزيدوا واحد ..

.....

هتف فى سعادة مصححا :- لااه .. جصدك التهامية .. ما
امى جالتلى على حمل سهام .. ربنا يجومها بالسلامة ..
هتفت و قد استدارت بكليتها تجاهه و أمسكت بكفه تضعها
على بطنها :- لاا .. الهوارية يا عاصم .. انا كمان حامل ..
و ابتسمت محاولة تلطيف الأجواء بعد تصريحها الذى على
ما يبدو لم يستوعبه عاصم بعد لأنه لم يأتِ بأى رد فعل و
هتفت :- و يمكن يكون أثنين .. الله اعلم ..
لازال الصمت هو رد الفعل الوحيد من جانب عاصم و هو
يضع يده على بطن زهرة و ينظر اليها شاردا
ليهمس اخيراً فى هدوء :- أنت متأكدة ..؟!
اومات برأسها ايجابا لتؤكد انها بالفعل حامل و قد تأكدت من
ذلك ..

همس فى شروء مجددا :- مبرووك ..
و طبع قبلة باهتة على جبينها قبل ان يستدير موليا ظهره
لها متصنعا النعاس ..
ظلت هى على حالها للحظات متعجبة من ردة فعله لا تعرف
ما يجب عليها صنعه فى تلك الحالة .. فدوما كان رد فعل
عاصم صريح وواضح .. اما الرفض التام و توضيح ذلك أو
القبول بالأمر فى سعادة و رضا .. اما رد الفعل المتأرجح
هذا ما بين الرفض و القبول لا تعرف كيف يمكنها التصرف
حياه ..

تمددت بدورها مولية ظهرها تفكر .. و اخيراً انار عقلها
خاطر ما قد يكون هو السبب فى رد فعله العجيب .. و
تساءلت .. هل يمكنه ان يكون معتقدا فى تعمدها الحمل دون
ان تستشيرها؟! ان تستشيرها!

لما لا ..؟! .. و قد يكون هذا السبب هو ما جعله يستقبل
الخبر بهذا البرود الذى لم تعهده من قبله ..
استدارت فى هدوء و هى على يقين انه لم ينم بعد لتقترب
من ظهره هامسة بالقرب من أذنه مؤكدة :- على فكرة يا

عاصم .. الحمل حصل من غير تعمد منى .. انا مكنتش
ممکن اقرر حاجة زى دى من وراك .. و من غير علمك أو
مشورتك .. دى هدية من ربنا .. تصبح على خير.
و ابتعدت مرة اخرى لجانبها من الفراش ليتنهد هو فى
محاولة للراحة و السكينة ..

بالفعل هذا ما جال بخاطره .. هى لم تستشره فى امر كهذا ..
كيف لها ذلك؟! .. لقد اعتقد انها ربما شعرت بالغيرة من
سهام .. كمعظم النساء .. و انها ما ان سمعت نبأ حملها
الثالث حتى أسرع تقلدها رغبة فى الإنجاب الذى كان يعلم
تطلعها اليه فى شوق مرة اخرى .. و تعلم أيضا ممانعته
خوفا و رعبا عليها ..

الان .. هو لا يستطيع الاقتراب منها ليطيب خاطرها لردة
فعله الباردة لانه سيؤكد لها صحة معتقدها الذى همست به
فى أذنه منذ دقائق و فى نفس اللحظة لا يستطيع ان يتركها
تنام هكذا و هى تشعر بالحزن و القهر ..
زفر من جديد و اخيراً نهض من الفراش ينفض جلبابه فى
ضيق تاركا الغرفة بأكملها ..

ظلت تتقلب الليل بطوله على جمر حتى عاد قبيل الفجر
فتصنعت النوم عندما شعرت بدخوله الغرفة ..
اقترب منها فى هدوء و انحنى يقبل جبينها و يملس على
بطنها برفق حتى لا يوقظها .. و اخيراً أستدار ليتمدد
بجوارها و يغط فى نوم عميق لتبتسم هى و تتبعه لدنيا
الأحلام ..

لتنهض على جلبة قادمة من الناحية الخلفية للسرائ و
صوت زغاريد ترتفع هنا و هناك .. أستبشرت خيراً ..
تجهزت لتندفع فى سرعة لترى ما يحدث بالأسفل ..
ما ان طالعتها خالتها حتى هتفت فى سعادة :- الله اكبر ..
ربنا يحرسك يا بتى ..

ابتسمت زهرة و هي تقبل رأسها :- ربنا يخليكى يا خالتى ..
بس خير ايه الدوشة دى و الزغاريد دى كلها على الصبح
...؟!..

ابتسمت الحاجة فضيلة فى سعادة :- يعنى منتيش عارفة
عاصم .. اول ما عرف بحملك جام من الفجر و جهز الدبايح
.. جال لله عشان الغلابة تاكل .. فرحان بحملك .. عجال ما
تجوميلنا انت و سهام بالسلامة ..

همست فى سعادة :- صحيح ...؟!..
اكدت الحاجة فضيلة مقهقهة :- ايووہ .. امال دى كله ليه
...؟!.. عشانى؟!.. عجال ما تجيبوا دسنة...
ابتسمت زهرة هاتفة :- بس هو يرضى .. و يدينى فرصتى

..
قهقهت فضيلة هاتفة :- خايف عليكى يا حبيبتى .. اصلك
أنتِ حملك واعر .. و ولادتك أوعر .. ده يوم مهران و
سندس و الله كان هيمسك السما بيده من جلجه عليك..
ابتسمت زهرة فى سعادة و لم تعقب ليدخل عاصم منتشيا
ينظر اليها فى فرحة و قد ايقنت من نظراته انه يطيب
بخاطرها بعد ما فعله بالأمس
اتسعت ابتسامتها و هي تتطلع اليه مؤكدة انها قبلت منه
اعتذاره العملى كالعادة ..

دخلت نعمة تحمل حازم البالغ من العمر ثلاث سنوات تقريبا
الى حجرة المشفى القابعة بها صباح بعد ان نجت من فعلة
حينش الحقيرة .. ابتسمت عندما طالعها مرأى نعمة وحازم
على ذراعها هاتفة فى سعادة :- اهلا يا نعمة .. و الله فيك
الخير

و جاية تطفى عليا ..
هتفت نعمة و هي تجلس على الكرسي الملاصق للفراش و
تضع حازم على فخذها:- الله .. هو مش احنا جيران وولاد

حتة واحدة و لا ايه ..؟!.. ربنا يشفيك و يجازى اللى كان
السبب ..

بكت صباح في لوعة و هي تحكم غطاء رأسها حول رقبتها
و جانب وجهها المصاب حتى لا يظهر ذاك الجزء المشوه
من رقبتها و أسفل صدغها فعلى الرغم من انها استطاعت
ان تضع حقيبتها في مقابل وجهها تتفادى ما ألقاه حينش
من مادة حارقة بإتجاهها الا انها وصلت لما أسفل اذنها
اليمنى و جانب وجهها و اعلى الرقبة ..

لحظات مضت من الصمت حتى تماكنت صباح نفسها و
نظرت الى حازم هاتفة بصوت متأثر :- هو ده بن بدور
..؟!.. الله أكبر عليه يشبها كثير ..

ابتسمت نعمة و هي تقبل رأس حازم القابعة في وداعة
بأحضانها :- اه .. هو يا حبة عيني .. بن زكريا و بدور الله
يرحمها ..

انفجرت صباح باكية بشكل مباغت جفل منه حازم و تعجبت
له نعمة التي همست بتعاطف :- خلاص بقى يا صباح ..
سلمى امرك لله .. ده ربك قدر و ستر ..

هتفت صباح في لوعة و بنبرة تحمل الكثير من الشعور
بالذنب :- انا السبب ده ذنب و ربنا بيعاقبنى باللى حصل لى
ده .. انا عارفة ..

هتفت نعمة مستفسرة :- ذنب ايه بعد الشر ..؟!.. استهدى بالله
كده ..

استطردت صباح كأنها لم تسمع نعمة و كأنما تلقى بحمل
ظل لسنين جاثم على صدرها :- حينش هو السبب .. منه لله
.. بعد كتب كتابى على السمرى بليلتين .. يوم ما حصلت
الحريقة في قهوة المعلم خميس و لقوا زكريا سايح في دمه
.. لقيت حينش جايلى بيت ابويا و بيديني كيس سلمهولى
بسرعة و قالى ده أمانة عندك لحد ما اطلبه .. طبعا كنت
خايفة حد يشوفنا خدت منه الكيس و وانا بخبيته زى ما

قالى فتحت الكيس اشوف فيه ايه اتسرت و قفلته بسرعة
 .. لقيت سكينه عم طابع بتاع البطيخ ..
 شهقت نعمه و قد استنتجت الباقي و لكنها لم تقاطع صباح
 التي اكملت مأخوذة بالراحة التي غمرتها جراء اعترافها :-
 قبل ما يقتل السمري بكام ساعة .. عدا عليها حينش و خد
 الكيس .. خفت و قلت له هاتعمل بيها ايه السكينه دى
 ...؟!.. قالى انت مش هتكونى لغيرى و لو حصل ايه ...؟!..
 و خد الكيس و اختفى .. و صحينا على الصريخ و خبر
 موت السمري مقتول في شقة الأئس بتاعته..
 بعد فترة كده و لما اطمئن حينش ان زكريا لبس القضية و
 هرب كمان ..ظهر و أتقدم لى .. و اتجوزنا .. و كانوا اسود
 سنتين في حياتى كلها .. و أدى اخرتها ..منه لله ..
 مش هرتاح الا لما اشوفه متعلق ف حبل المشنقة ..
 بكت نعمه بفرحة غير مصدقة
 هاتفه :- انت لازماً تشهدى بالكلام ده عشان زكريا يخرج
 منها .. عشان خاطر ابنه و تكفرى عن اللى عملتيه فيهم ..
 ترددت صباح :- بس انا خايفة يا نعمه .. دوول حتى لسه
 ممسكوش حينش ..
 هتفت نعمه مشجعة :- خايفة من
 ايه ...؟!.. محدش هيعرف الكلام اللى انت قولتيهولى ده ..و
 متعرفيش حد بيه الا لما يمسكوه .. ساعتها تبقى اطمنتى
 انه ميتعرضلكيش تانى
 و تبقى انتقمتى منه على اللى عمله فيك و رجعتى لابن
 بدور حقه بخروج ابوه بالسلامة ..
 هتفت صباح :- طب خلاص .. على قولك استنى لما يتمسك
 عشان اضمن انه ميخرجش منها الا على المشنقة .. بس
 انت أوعى تجيبى سيرة و الكلام يتطور..
 أكدت نعمه بثقة :- و لا هفتح بقى لمخلوق ..
 كلتاها كانت تعتقد ان كلامهما

لا يسمعه احد غيرهما و لم تكن تعي اى منهما ان هناك من
كان يسترق السمع على عتبة باب حجرة صباح دون ان
يلحظه احد..

ترنيمة جنوبية

الحادي عشر

نادت بخيئة بصوت على :- كسبانه .. انت فين يا بت ..؟!..
 اندفعت كسبانه ملبية النداء هاتفة :- انا أهو يا خالتي ..
 خير ..؟!.. احضرك الفطور..
 دعت بخيئة عيونها بألم منذ مرضهما الأخير :- اه ..
 اعمليلى أحلى فطور النهاردة .. انا چعانة جووى ..
 هتفت كسبانه متعجبة :- مش بعادة يا خالتي.. ايه اللي فاتح
 نفسك جووى كده النهاردة ...!!..
 هتفت بخيئة في سعادة :- اصلك شوفته يا بت .. شوفته
 ..؟!..
 سألت كسبانه :- هو مين يا خالتي .؟!
 هتفت بخيئة :- هيكون مين يا مخيلة..! معلوم مين ..
 زكريا ولدى.
 همست كسبانه :- ما هو عادى يا خالتي ما انت ليلاتي
 بتشوفيه و تصحى باكية و هو اللي حُصل لعنيك ده من
 شوية ..؟!..
 أكدت بخيئة :- لااه .. مش زى كل نوبة يا بتى .. النوبة
 دى غير .. زكريا طالع بإذن الله ..
 هتفت كسبانه في سعادة :- سى زكريا راجع على هنا ..؟!..
 هتفت بخيئة :- زكريا مش راجع على هنا تانى يا بتى الا لما
 يلاجى زكريا ..
 تعجبت كسبانه :- ايه الخربطة دى يا خالتي.. مين اللي
 يلاجى مين ..؟!..
 قهقهت بخيئة :- متخديش ف بالك .. اچرى ياللاه .. انا
 چعت ..
 انتفضت كسبانه مسرعة :- اهاا حاضر .. من عنايا ..

تسلل ذلك الظل من احدى العطفات الضيقة بقلب الحارة بتلك
الساعة المتأخرة من الليل بعد ان أغلق المعلم خميس مقهاه
و عم الهدوء ارجاء الحارة الا من نباح بعض الكلاب ..
ظهر حينش في مقابلة ذاك الشبح الذى جاء يعرج على تلك
القدم المصابة مستندا على الحائط خلفه ..
هتف حينش متعجلا :- عايز ايه يا طايح و سر ايه اللى
انكشف ده اللى باعت تقول عليه..؟! ..
هتف طايح في سخرية :- سر سكينتى و موت السمرى ..
أقول كمان .. و لا كفاية كده ..؟! ..
هتف حينش قابضا بكفيه بتلايبب سترة طايح المهترئة :-
قصداك ايه..؟!.. انطق دغرى.
همس طايح :- مراتك .. فتشت السر كله و هتبغ النيابة
عشان تطلع نفسها من القضية و تلبسك البدلة الحمراء .. دى
حالفة لتنتقم منك على اللى عملته فيها .. و تشفى غليلها و
هي شيفاك بتتطوح على حبل المشنقة ..
دفع حينش بطايح في غضب و اضطراب واضح هامساً بغل
:- بت ال.. هي اللى جنت على روحها .. ماالشى يا صباح

..
و عاد ليمسك بعنق طايح الا ان طايح هداه هاتفاً :- انا
راجلك و خدامك .. و لو كنت عايز اسكت بعد ما سمعت اللى
سمعتة منها كنت سكت و مقلتلکش بس قلت لازم اقولك
عشان تخلص منها قبل ما تفتح بقها .. بس انا مش طالب
كتير ..يعنى كلك نظر .. تعويض بسيط عن رجلى اللى
راحت بسببك انت و رجالة السمرى و ساعتها مش
هتلاقينى في الحارة لا انا و لا بنتى ..
دفعه حينش من جديد هاتفاً :- اللى انت عايزه هيجيلك بس
مشفش وشك تانى هنا و الا هتكون محصل السمرى و..
بنتك .. و ابتسم ابتسامة صفراء ممجوجة مستطرداً

هتكون من نصيبى .. سامعنى ..؟!
اوما طايح بالإيجاب دون ان ينطق بحرف واحد و هو يرى
حينش يغادر في سرعة متخفيا قبل ان يبدأ المواظبون على
صلاة الفجر في التوافد ..

تعالت التهتافات و التهليلات داخل عنبر المعلم سيد و الذى
استضاف العديد من المساجين من الغابر الأخرى للإحتفال
بخرج سنجاً .. كان الجميع متجمعين حول تلك الوليمة
التي اصر المعلم سيد كعادته على تحضيرها بمناسبة و
بدون مناسبة بالإشتراك مع زيارة زكريا الأسبوعية الثمينة
التي تأتيه من النجع بشكل منتظم لم يخلف مواعده و التي
دوما ما تكون محملة بما لذ و طاب من المأكولات و
المخبوزات الصعيدية ..

هتف الجميع بعد الإنتهاء من القضاء على الوليمة و
الإسترخاء بإسم سنجاً داعيينه للغناء و التفريح عنهم
بصوته الساحر و خاصة لأنهم سيحرمون منه قريبا جدا ..
وقف سنجاً وسطهم و بدأ التشجيع و التهليل فأبتسم و
حياهم و بدأ يشدو بإستمتاع كعادته :-

جدع بلا چاه مرسى الهموم جلبه
دايما يجول الآه والذنب مش ذنبه
ده انا لو شكيت وبكيت جبل الحديد هيدوب
الأوله غربتي.. والتانية المكتوب
چرحي الجديم يا غريب انا كنت راضي به
چرحي الجديم يا حكيم زود لهاليبه
يا أهل العرب والطرب العدل مين سيده
سيده ويا للعجب وطى وباس ايده

ساد الصمت و سنجاً يغنى و يسحرهم وكان على رؤسهم
الطير .. كان يغنى و كان كل منهم يعتبر ان الكلام موجه له
شخصيا حتى زكريا شعر بمعنى كل كلمة في الاغنية و كأنها
تصف حاله بكل تفاصيله

و دمعت عيناه عندما تذكر بدور .. و أيامه معها و ذكرياته
التي يسكنها و تسكنه ..

و ما ان انتهى سنجاً حتى هتف الجميع منتشين رغبة في
المزيد فظل سنجاً يشدو و يشدو حتى هتف زكريا عند
انتهاء اخر أغانيه :- و الله الواحد فرحان ان انت خارج يا
سنجاً..

هتف سنجاً في سعادة :- تسلم يا صاحبي ..
شاكسه زكريا على مسمع من الجميع مستطرداً :- انت فاكسر
ان انى فرحان عشان انت هتسيب السجن و كده .. لااه ..
عشان احنا هنترحموا من وصلة النكد اللى بتسمعها يا
فجرى..

انفجر الجميع مقهقهين و اولهم المعلم سيد الذى كان هذا
دوما رأيه فيما يغنيه سنجاً ..

هتف سنجاً حانقاً :- بجى كده يا هوارى ..؟!
نهض زكريا متوجها اليه و طوق سنجاً محتضناً أياه في
محبة رابتاً على كتفه في قوة هامساً :- تخرج بالسلامة يا
يونس .. روحة بلا رجعة يا واد عمى ..

نظر سنجاً اليه متعجباً :- يونس ...!! اول مرة تنادينى
باسمى مع انك تعرفه من زمن...؟!..

همس زكريا :- عشان خلاص .. انت خارج .. انسى سنجاً
و أيامه .. و متبجاش غير يونس .. و أوعى تغيب عن
اسمك تانى .. اسمك هو انت يا يونس ..

اوما يونس متفهما ليربت زكريا على كتفه و ينتحى به جانباً
هامساً له :- انت هاتخرج من هنا على النجع ..
هتف يونس متعجباً :- نجع الصالح بلدكم ؟!

اوما زكريا بالايجاب مستطرداً :- ايوه انت مينفعشى ترجع
للى كنت فيه ..بلاها شغل الموالد و البطيخة ..انا بعث
لعاصم واد عمى و جلتله عليك .. و هو عمل اللازم و بنى
لك أوضة چار دارى ..و هيخليك تراعى ارضى و يدك
نصيبك على كد تعبك..

اندفع يونس متأثراً يحاول تقبيل يد زكريا الذى جذبها بعيدا
في ضيق هاتفاً :- واه .. بتعمل ايه يا حزين !!
هتف يونس بصوت متحشرج :- أچولك ايه يا زكريا ..؟؟..
و أرد لك چمايلك دى كلها كيف ..!!!؟.. و الله يا هوارى ..
التلت سنين اللى فاتوا من ساعة ما وعيت لك داخل علينا
العنبر و عرفتك و انا حاسس ان السچن معدش سچن
بوچودك.. هونت عليا كتييير جوووى يا واد عمى ..
ابتسم زكريا في محبة صادقة :- ربنا يهونها علينا كلنا يا
يونس ..

هتف يونس بصدق :- ياارب .. و ألاجيك محصلنى بإذن الله
..
همس زكريا بقلب واجف و روح متضرعة:- ياارب ..

كانت صباح نائمة في سكون على فراشها تغط في نوم
عميق بفعل تلك العقاقير التي تتناولها لتسكن ألمها لذا لم
تتنبه لذاك الشبح الذى تسلل فاتحا باب غرفتها في حذر و
أغلقه خلفه ليقترب منها في حرص شديد متنبها أين يضع
خطواته حتى لا يوقظها فتلك هي الفرصة الوحيدة الباقية له
للخلاص منها قبل ان تتفوه بكلمة واحدة وتضع حبل
المشنقة حول رقبته ..

وصل لفراشها و اقترب من حافته ..أنحنى و هو يتناول من
على طرف الفراش وسادة ليضعها على وجهه صباح بغرض
خنقها و قطع الأنفاس عن رئتيها لترحل في هدوء .. و

بالفعل رفع الوسادة و ما ان هم بوضعها على وجهها حتى
سطع نور الغرفة ووجد نفسه في لحظات محاطا بالعديد من
العساكر و ضباط الشرطة مشهري السلاح في وجهه .. و
عرف انها النهاية و لا سبيل للمقاومة فأنصاع لأوامر
الضابط مستسلما ..

هتفت كسبانة متسائلة في ضيق و هي تضع صينية الطعام
امام

بخيتة :- هو الراحل اللي بره ده هايجد هنا على طول .. صُح
الكلام ده يا خالتي؟! ..

هتفت بخيتة :- جصذك مين .. يونس؟! .. اه هايجد
معانا.. مسمعتيش عاصم بيه و هو بيحول انه من طرف
زكريا و عايزه يراعى ارضه .. ما انت كنت حاضرة و
واعية للحديث .. بس ليه يعنى السؤالات دي ...؟! .. الراحل
من ساعة ما چه و هو زى النسمة مبنسمعلوش حس ..
هتفت كسبانة بغيط :- نسمة ...؟! .. چولى وچع راس .. طول
اليوم غناوى لما خلاص هطفش منيه ..

انفجرت بخيتة ضاحكة :- و الله انت فجرية .. الراحل مش
عاجبك عشان حسه حلو و جاعد يغنى طول اليوم؟! ..
هتفت كسبانة معترضة :- لاه مش بس كده يا خالتي .. انى
كل ما اعرف انه جتال جتلة و رد سچون جتتى بتتلش .. و
احنا اتين ولايا لحالنا .. كمان حمزة أعود عليه جووى و
على طول وياه .. وكل ما ادور عليه ألاجيه عنديه ..
هتفت بخيتة مؤكدة :- طب و هو لو راجل عفش يا كسبانة
يا بتى كان زكريا چابه على هنا و هو واعى لكل اللي
جولتيه ده ...؟! ..

هتفت كسبانة مترددة لا تدرى بما تجيب :- معرفاش بجى يا
خالتي ..

و اندفعت تحضر الطعام لذاك الذى تسمع همهمات غنائه من نافذة مطبخها التي تُفتح على براح الأرض التي يملكها زكريا و الذى يتولى الآن الاشراف عليها يونس.. او سنجاً سابقاً ..

والله .. اجول بوووه ويجولوا الحاجة فضيلة اتجننت؟!.. صرخت الحاجة فضيلة فى أحفادها .. وهم يتقافزون حولها فى مرح وشقاوة .. صرخاتها استدعت ضحكات سهام وزهرة الجالستان أمامها .. غير قدرات على التدخل لإنقاذها من عبث أطفالهما ..

لتعاود الصراخ من جديد .. ولكن فى سهام وزهرة هذه المرة :- كل واحدة تحوش عيالها .. انا مش جادرة عليهم .. ولا كل واحدة فيكم فالحة تخلف بس.. ايه داخلين مسابجة!!..

انفجرت كل من زهرة وسهام ضاحكتين وبطن كل منهما المنتفخة فى شهورها الاخيرة تهتز بشدة .. واعادت الحاجة فضيلة هتافها فى الأطفال :- هات يا واد السبحة .. ابعدى يا بت عن المصلاية.. ثم توجهت بحديثها لزهرة وسهام فى نفاذ صبر :- بالكم؟!.. انا سييهالكم انتوا وعيالكم الجرود دوول وجايمة.. اما أروح اجعد مع الحاج مهران شوية .. بدل جعدتكم اللى تتعب دى .. وحملت مسبحتها ومصحفها وتحركت فى ثقائل بحكم سنها وتوجهت للدرج تعتليه.. ونظرات سهام وزهرة تتبعها.. حتى ما ان ابتعدت سألت سهام فى حزن :- هى لساتها يا

زهرة .. بتجعد فى أوضة ابويا الله يرحمه .. وتكلمه كنه
عايش!!؟..

هزت زهرة رأسها ايجابا وهى

تقول :- أه يا سهام .. احنا على طول مش حابين تفضل
لوحدها.. وبنحاول انا وعاصم نقعد معاها .. بس اديكى
شوفتى .. بتتججج بشقاوة العيال عشان تقعد لوحدها فى
أوضة عمى الله يرحمه برغم ان روحها فيهم.. بس هنعمل
ايه...!!؟.. من يوم ما عمى أتوفى .. وهى مش مصدقة
انه غاب عنها.. ده انا بسمعها بتحكيه كل حاجة بتحصل فى
السرايا كانه سامعها ويبرد عليها ومرة دخلت عليها وهى
على حالتها دى .. زعقت فيا .. وقالت لى .. محدش يخش
عليها هى والحج الا لما يستأذن..

دمعت عينا سهام وهى تهمس :- يا حبيبتي ياما..

طال الصمت حزنا على حال الحاجة فضيلة الا ان هتفت
زهرة محاولة اخراج سهام من حالة حزنها على امها ..
فهمست بصوت يغلفه المرح :- شوفليك حل فى باسل ابنك
ده ..!!؟.. شايفة بيعمل ايه...!!؟..

انتبهت سهام عند ذكر اسم باسل ولدها لتنفجر ضاحكة على
افعال ابنها وهو يهتف فى ابنة خاله سندس صارخا :- تعالى
هنا يا بت يا اللى اسمك اوله ذى آخره انت...

تحركت سندس والتى كانت تشبه زهرة لحد كبير ناحية
باسل الذى يكبرها بحوالى عامين .. لتقول فى براءة .. وهى
تخرج لسانها فى حرف السين .. فيبدو كشاء :- نعم يا باثل..

هتف باسل مغتاظا :- انت هاتعرفى ميتا تنطجى اسمى
صُح!؟..

لتأخذ سندس جانباً وتبكي وحيدة وهنا يتدخل مهران
الصغير مدافعا عن توأمة سندس :- انت بتكلمها كده

ليه؟! عارف يا باسل لو ضايجتها تانى .. هزعلك ..؟!..
لينفجر باسل ضاحكا وهو يقول ساخرا :- طب ابجى ورينى
.. هتزعلى كيف ..؟!..

كانت كل من زهرة وسهام تشهد هذا الحوار .. تداريان
ضحكاتهما .. لتهمس سهام :- ولدى باسل طالع لخاله ..
هوارى أصيل .. ولا حاجة بتهمه ..

لتنفجر زهرة ضاحكة :- انت هتقوليلى..كلهم هوارية
حتى مهران سبحان الله كأنى شايقة فيه عمى .. عقل وقوة
مع بعض ..

هتف مهران مقتربا من امه متسائلا فى حلق :- هى بتك
الهبله دى بتسمع كلام باسل ليه و مبتجلوش لاه..؟!..
طلعة لمين دى!!؟..

لتهتف زهرة ضاحكة :- طالعة لأمها يا حبيبى..

لتقهقه سهام فى المقابل والتي بادرها مهران متسائلا:- هى
فين تسنيم يا عمتى .. مش بتاجى معاكى ليه ..؟!..

لتجيب سهام متحدثة عن طفلتها التى تصغر مهران بحوالى
عامين وهى تنظر لزهرة :- تسنيم روحها فى جدها جدرى
.. مش بتفارجه لا فى صحيان ولا ف نوم .. وهو روحه
فيها .. تجعد تحت رجله تنفذ له طلباته وهو يحفظها قرآن
..سبحان الله ..مش عارفة البت دى چايبة التجوى دى منين
..!!؟..

لتنفجر زهرة ضاحكة بدورها .. لتسألها سهام مستفسرة :-
جوليلى ..مفيش اى اخبار عن ندى ونبي؟! انا بطلت
اسأل حسام من زمن..

لتؤمى زهرة برأسها نفياً :- للأسف يا سهام مفيش.. اهو
شوفى بقالهم أكثر من خمس سنين متجوزين .. وربنا

مأردش بأولاد .. ندى قالت لى فى اخر مكالمة بنا .. انها
رايحة لدكتور جديد .. ويا رب يكون فى ايده الشفا
..دعواتك ..

لتهتف سهام فى صدق :- ياارب
لتستطرد سهام متسائلة :- طب و زكريا ...!!؟.. برضك لسه
مخرجش من السجن ...!!.. ولا بعت لعاصم يشوفه
...!!..ده أمه الحاجة بخيطة تلاجياها هتموت عليه .
هزت زهرة رأسها نفياً وهى تعقب قائلة :- كسبانة
بتقول انه بيكلم أمه على فترات بعيدة .. وأهى البت كسبانة
طلعت جدعة

وبتراعيها و قاعدة مبسوفة معاها هى وابنها.. حد يقول
كده بزمتهك .. زكريا ينسجن و اخوه سليم اللى يستاهل
الشنق مitemسكش لحد دلوقتى!؟..

ما ان همت سهام بإجابة زهرة حتى صمتت فجأة وانتبه
الجميع وقطعا استرسال حديثهما .. وخاصة زهرة التى
ارتسم على وجهها الوجوم عندما دخلت سمية باكية
كعادتها يتبعها طفلاها

صارخة :- وينه وادعمى يشوفلى صرفة مع عدلى بن
محروس..

هتفت سهام فى نبرة من اعتاد على هذا المشهد :- خير يا
سمية .. ايه حصل تانى ...!!؟

صرخت سمية :- خلاص مجدراش استحمله.. لا هو ولا
أمه..الله يرحمك ياما جالتلى بلاش.. وانا اللى ركبت راسى
واتجوزته بن أمه ده.

دخل عاصم فى تلك اللحظة هاتفاً بغضب فى سمية :- كيف
تجولى على جوزك كده .. !!؟.. جوزك سيد الرجالة ..

انتفضت فى صدمة لظهور عاصم المفاجئ لكنها
استطردت باكية:- ماهو يا واد عمى .. أصله عمره ما عمل
لى خاطر .. وعلى طول جال من جيمتى ..

رق عاصم لبكاءها فهتف :- خلاص يا سمية بس انت
برضك راعى انه چوزك وأبو عيالك
هنا هتفت زهرة :- أه .. عاصم .. ألحقنى..

اندفع عاصم باتجاهها هاتفاً :- ايه خير .. نطلع على
المستشفى..

استندت عليه ناهضة :- لا .. عايزة استريح فوق شوية ..
مصمست سمية شفتاها وجذبت اطفالها خارجا وهى تلقى
التحية بحقد .. بينما انفجرت سهام ضاحكة وهى تلقى
التحية هى الأخرى راحلة ترى زهرة تتكى على عاصم فى
دلال و هما يصعدا الدرج.. وفى اعلى الدرج عندما تأكد
عاصم من رحيل اخته وابنة عمه حملها بين
ذراعيه فى سعادة على الرغم من علمه ان زهرة بصحة
جيدة ولا تعاني أية آلام.. سار متخطياً تلك الردهة وهو ينظر
اليها مشاكساً.. وما ان وصل بها امام غرفتهما حتى همس
بإذنها :- انت مش هتبطلى عمايلك دى كل اما تشوفى
سمية ..!؟

هتفت كطفلة مشاغبة :- لا .. مش هبطل ..

انفجر ضاحكا أمرا :- طب .. افتحى الباب..

لتهلل هى كطفلة صغيرة :- لا .. خلينى كده شوية..

فتعالت قهقهاته وهو يقول :- وماله .. خليكى..

لتهمس وهى تتعلق برقبتة وتشبك كفيها خلف عنقه
متصنعة العتاب :- ايه خلاص .. تقلت عليك انا واللى فى
بطنى...؟!..

همس بشوق على مسامعها :- ولو مية سنة يا زهرة ..
مدت كفها لتدير مقبض الباب ونظراتها متعلقة به وهي
تهمس بشوق :- وااه .. بحبك يا واد خالتي ..
لينفجر ضاحكا وهو يدفع الباب بقدمه ليدلفا للغرفة .. فتمد
كفها تغلق الباب.

مر الكثير من الوقت تمنى ان يلح طيفها حتى لكن ضنت
عليه به منذ اخر مره زارته فيها يوم إصابته فداءً للعميد
مختار .. من يومها لم يرها و لا زاره طيفها مما أورثه
الكثير من الحزن و الضيق فزيارتها له حتى وان كانت حلما
تخفف عنه الكثير و تزيح عن كاهله بعض مما يكابد من
مرارة شوقه اليها ..

و اليوم هو الاستثناء فها هي تطل عليه بوجهها الصبوح
هاتفة

بسعادة :- سى زكريا!؟؟..وحشتنى قووى ..
هتف في شوق:- وااه يا بدور مش كد ما اتوحشتك .. غبتى
عليا جووى..

ابتسمت في خجل كعادتها وهمست :- انا جاية أبشرك ..
همس زكريا متسائلا :- طول عمرك وش السعد .. بس
تبشرينى بأيه ..!؟.

هنا اختفت بدور عندما علا صوت مفاتيح ضخمة تفتح باب
العنبر في عجالة ليظهر الصول جابر ذو البطن المنتفخ
هاتفاً في لهفة:- زكريا .. يا زكريا ..

انتفض زكريا من نومه ملتفتا للصول جابر هاتفاً :- خير يا
حضرة الصول!؟..

أجاب جابر :- سيادة المأمور طالبك بسرعة..هم معايا ..

هتف به العميد مختار متأثراً :- وحد الله يا زكريا..ربك عادل
و مطلع ..

هتف زكريا بصوت متحشرج :- و نعم بالله ..و نعم بالله ..
أمره العميد مختار ببهجة :- قوم بقى بلغ زمايلك و احتفلوا
لحد ما نشوف الإجراءات و التنفيذ عشان خروجك..
اوما زكريا إيجابا و نهض مغادراً مكتب المأمور و لكن قبل
ان يحتفل أو حتى يُبلغ أحد من زملائه توجه الى المسجد و
صل عدة ركعات شكراً لله

دخلت زهرة غرفة العمليات فقد حدد لها الطبيب موعد
الولادة و ها قد جاء اليوم الموعود ..انتظر عاصم و الحاجة
فضيلة بالخارج و قد وصل بهما القلق للذروة .. حاول
عاصم السيطرة على أعصابه بلا جدوى لينهض ذارعا
الردهة البعيدة عن مجال نظر أمه ذهابا و ايابا .. يتطلع كل
لحظة لباب غرفة العمليات لربما يخرج الطبيب فيستقبله فى
عجالة ليطمئن عليها ..

ظل على حاله حتى اصطدم فجأة بحسام الذى كان قادما
مسرعا يبلغهما نبأ وصول سهام للمشفى فهتف معلنا :-
اختك يا عاصم بتولد فى الاوضة الثانية ..بلغ الحاجة ..
هتف عاصم مزمجرا :- كملت ..

اندفع يبلغ أمه فى حلق :- سهام بتولد هى الثانية .. حسام
لسه واصل بيها على هنا ..
ردت الحاجة فضيلة فى هدوء

عجيب :- ياللاه على البركة .. خلونا نخلص ..
انفجر عاصم ضاحكا لرد فعل أمه على الرغم من قلقه هاتفا
:- نخلص من ايه بس يا حاجة ..؟! ..

هتفت مؤكدة :- يعنى ولادة تانى و مستشفيات تانى .. اهى
تبجى بچملت .. هم الأثنين سوا و تخلصوا و نطمنوا عليهم
و نخرج بيهم بإذن الله.

ابتسم عاصم لفكر أمه و اخيراً انتفض و غابت الإبتسامة
المؤقتة تلك عن وجهه مندفعاً تجاه باب غرفة العمليات الذى
فُتح ليخرج الطبيب مبتسماً و بجواره الممرضة تحمل طفلاً
هاتفاً :- حمد الله على سلامتها .. والف مبروك ..
سلمت الممرضة عاصم الطفل المدثر هاتفة فى سعادة :-
مبروك .. ولد زى الجمر .. يتربى فى عزكم..
هتف عاصم متسائلاً فى لهفة و هو يلتقط طفله من بين
ذراعيها :- طب و هى .. أمه .. كيفها ...؟!..
أكدت الممرضة بابتسامة :- زى الفل .. هانقلها أوضتها
حالا ..

دفع عاصم بحفنة نقود فى كف الممرضة التى طالعتها
منتشية فى سعادة تهتف بالمباركة من جديد ..
تطلع عاصم للطفل فى سعادة و اخذ يكبر فى أذنيه بهمس و
اخيراً وضعه بين ذراعى أمه التى تطلعت اليه بعيون دامعة
من الفرحة ليهمس عاصم :- ماچد الهوارى يا حاجة فضيلة

..
ضمت الحاجة فضيلة طفل عاصم لصدرها فى سعادة بلغت
الحد و همست :- ربنا يبارك لك فيه و فى ذريتك يا عاصم و
يجعله من الصالحين ياارب .
و استطردت هاتفة بتضرع داعية :- و عجبالك يا سهام يا
بتى..

هتف عاصم :- انا رايج اشوف ايه الأخبار .. و راجع
أكدت الحاجة فضيلة :- ايوه يا ولدى ..طمنى على اختك
لحسن جلبى واكنى عليها ..

عاد عاصم من عند سهام ليؤكد انه مازال أمامها بعض
الوقت كما أقر الطبيب .. خرجت زهرة فى تلك اللحظة على
سريرها المدولب باتجاه الغرفة وما ان استقرت فيها .. حتى
اندفعت الحاجة فضيلة فى إتجاه غرفة سهام التى كانت
صرخاتها المتألمة تشق الأجواء ..

هتف حسام فى قلق :- مبروك ما چالكم يا حاجة .. و
مبروك جومة أم مهران بالسلامة .. عجبال سهام باذن الله

تعالى الصرخات من جديد لتدفع الممرضة بسرير سهام
خارج الغرفة فى إتجاه غرفة العمليات ...
مر الوقت ببطء قاتل ما بين صرخات سهام المدوية التى
كانت ترتفع ما بين دقيقة و اخرى و بين صمت تام استمر
لفترة مقلقة ... أعقبه صرخات من نوع اخر .. صرخات
بكاء طفل اندفع بالفعل يتنفس للمرة الاولى نسيم الحياة..
اندفعت الممرضة باللفافة تحمل الطفل لحسام هاتفة:- الف
مبروك .. عروسة زى الچمر .. تتربى فى عزكم .. و أمها
كويسة الحمد لله .. هتخرج دلوجتى ..
كبر حسام فى سعادة و انتشى و هو يحمل طفلته مكبرا فى
اذنيها كما أكد عليه ابوه الحاج قدرى و اخيراً دفع بها بين
ذراعى جدتها هاتفا فى
فخر :- تسبيح التهامى يا حاجة ..
بكت الحاجة فضيلة من فرحتها وهى تضم حفيدتها لصدرها
فها هى فى يوم واحد تحمل حفيدين جديدين لها .. و يالها
من فرحة كتب لها الله العمر لتعيشها ...

استقبلت الحارة زكريا استقبال الفاتحين و لم يدخر المعلم
خميس جهدا فى نشر خبر خروج زكريا مرفوع الرأس يكلل
تاج البراءة هامته .. حتى ان زكريا تفاجئ بتلك الفرقة
الموسيقية التى استقبلته على باب الحارة جعلت الجميع
يتجمع مباركاً و مهنياً بخروجه سالما .. و النساء تلقى
بزغاريد الفرحة من النوافذ و الشرفات على طول الطريق
حتى بيت المعلم خميس الذى وقفت على أعتابه الخارجية
نعمة و هى تحمل حازم فى سعادة بالغة فى انتظار قدوم ابيه

وقف زكريا و المعلم خميس امام نعمة وهى تحمل حازم و
قد انفض الجمع و ذهب كل حى لحال سبيله ..

تسمرت نظرات زكريا على حازم و نسى تماما ان يلقي
التحية على نعمة التي تحمله و التي دمعت عيناها تأثرا و
هى تدفع بحازم بين ذراعى أبيه ليستقبله ضاماً أياه في
شوق هائل .. ضم ذراعاه حول ولده و اطبقهما عليه في
حنين و حنو .. انه يشبه بدور كثيراً .. انه قطعة منها .. و
كان الله عوضه عنها بطفل يحمل الكثير من ملامحها..

ابتسم زكريا في وجه الطفل المندھش لذاك الرجل الذى
يحملة و بادلله حازم الابتسامة في وداعة جعلت عينا زكريا
تدمع في فرحة لا يمكن وصفها ..

ربت المعلم خميس على ظهر زكريا مشيراً اليه بالصعود
لداره فانتبه زكريا الذى غاب مع حازم عن كل ما و من
يحيط به .. حتى انه انتبه لنعمة التي لم يلق عليها السلام
بعد فهتف محرجاً :- كيفك يا ست نعمة؟! متأخذنيش ..
اتلهيت في..

قاطعته نعمة مقدرة :- الف حمدالله على سلامتک يا سى
زكريا .. ربنا يخليک حازم و تشوفه احسن الناس يا رب ..
هتف زكريا و هو يتطلع لخميس :- و الله انى ما عارف أرد
لكم كيف جمایلکم عليا ..؟!..

هتف خميس معاتباً :- خبر ايه يا صعيدى؟!.. هو في جمایل
بين الأهل برضة.. ياللاه على فوق تاكل لقمة من ايد نعمة
.. وبعدين تروح بيتك .. نعمة خلتيهولك زى الفل ..

هتف زكريا من جديد :- مش بجولك يا معلم مش عارف أرد
جمایلکم عليا كيف ..؟!.. و مبروك على چوازم .. چت
متأخرة .. و ربنا يجمعكم دايماً على خير يا رب ..
هتف كل من نعمة و خميس و كلاهما يتطلع للآخر في
محبة :- أمين ..

استلم زكريا مفتاح بيت الحاج وهيب من نعمة و سار تلك
الخطوات التي تفصله عن بيت المعلم خميس في وجل و هو
يضم حازم الى صدره .. ليوقفه عم طايح بائع البطيخ هاتفا
باسمه محاولا الإسراع قدر استطاعته في سيره بقدمه
العرجاء .. انتظره زكريا حتى وصل إليه ملتقطا أنفاسه في
تلاحق و اخيراً هتف:- حمدالله على السلامة يا زكريا يا بنى
.. عارف انك واخذ على خاطرك منى عشان كتمت الحق و
مشهدتش باللى شوفته و انا نايم في فرشتى يوم ما ضربوك
و حرقوا القهوة .. ودمعت عيناه ليستطرد :- غصب عنى
يابنى .. انا مكنتش خايف على نفسى بس بنتى لو جرى لى
حاجة من رجالة حنيش .. كان هيجرالها ايه من بعدى ..
دى ملهاش غيرى يا زكريا .. خفت و سكت .. و عشت
بعذاب كتمان الحق سنين .. و لما جت الفرصة و سمعت
كلام صباح مع ست نعمة في المستشفى قلت خلاص ربنا
بعت لى الطريقة اللى أساعدك بيها و رحت البوليس و قلت
على اللى سمعته من صباح و شهدت ست نعمة علشان تأكد
كلامى و متقدرش صباح ترجع في كلامها و انا عملت على
حنيش لعبة رسمها البوليس عشان يسمعوا اعترافه و
يجروه لقضاه متلبس عند صباح ف المستشفى ..
تنهد طايح هامسا .. سامحنى يا زكريا .. سامحنى يا بنى ..
تنهد زكريا في استكانة هامسا للعم طايح في راحة :-
مسامحك يا عم طايح .. مسامحك و عارف كيف الخوف
ممکن يخرس الواحد و ميخلهوش ينطج .. مسامحك و ربنا
يخليك بتك .. و تفرح بيها عن جريب ..
ابتسم طايح في سعادة و أوما برأسه في امتنان لزكريا و
رحل ليتركه يدخل بيت الحاج وهيب و الذى ادخل مفتاحه
في موضعه وفتح باب البيت الخارجى ووقف يتطلع حوله و

ينظر الى كل ركن كان له فيه حكاية مع حبيبة روحه و
سارقتها..

وقعت عيناه على ذاك الموضع امام البيت حيث يقف و تذكر
انه ها هنا هتف في سمرى بأنها زوجته عندما رآه يتجراً
عليها و هناك محل البسبوسة التي كانت تعشقها و التي
كانت تشتريها و يتبعها الى المحل ذهاباً و إياباً خوفاً عليها
من سمرى و رجاله ..

تنهد و فتح الباب ليتطلع لتلك الدرجات التي كانت تندفع
منها واليها صعوداً و هبوطاً في صحة و عافية .. تذكر وهو
يخطو على الدرجات الأولى كيف انه نهرها ذات مرة
معتقداً انها متأزمة من عيشتهم المتواضعة معه و تمنى لو
يعود الزمن ليخرس لسانه عنها و لا ينطق الا بكل ما
يسعدها و يجلب الضحكات لا الدمعات لعينيها ..
صعد الدور الأول .. و وصل لشقتهم .. هم بفتح بابها
ليتطلع خلفه لباب شقة حماه الحاج و هيب رحمه الله ..
لتدمع عيناه و هو يرهف السمع كأنه يسمع خطواته
المتمهلة و سعاله شتاءً .. و نداء الست نعمة على بدور
لتحمل النعناع لأبيها .. و صوت بدور و ضحكاتهما و
مشاكساتها لنعمة..

دخل شقتهم و التي لم يمكثا بها طويلاً بعد انتقالهما اليها
بديلاً عن حجرة السطح التي شهدت اجمل لحظاتهم معا ..
وضع زكريا حازم على اول مقعد و هو يسمى الله .. و يرفع
أكفه تالياً الفاتحة على أرواح أصحاب البيت الأعزاء ..
ثم انتبه لحازم الذي كان يتطلع حوله في اهتمام ليهاتفه
وهو يحمله على فخذه سائلاً اياه :- تعرف انا مين يا حازم
...؟!..

اوماً الطفل برأسه مؤكداً وهو يهتف في حماسة :- اه .. انت
سكريب (زكريا) ..

انفجر زكريا مقهقها :- يا واد جول بابا .. و لا ابويا .. و لا
 ابووى حتى .. اى حاجة بس اسمعها منك ..
 هز حازم رأسه رافضا مؤكدا على اصله الصعدي وهو
 يصر برأس يابس على مناداة زكريا باسمه مجردا مما دفع
 زكريا للإستسلام ليضمه ل صدره في شوق و يندفع به
 لجرة النوم ليأخذه في فرحة بين احضانه و يذهب كلاهما
 في نوم عميق

خرجت كسبانة تحمل صينية الطعام
 المجهزة لذاك الذى لا ينفك عن
 الغناء للحظة .. هتفت
 هامسة فى ضيق لنفسها .. أين ذهب حمزة؟! فهو من كان ي
 تعامل معه و يحضر له الطعام
 دوما .. حاولت ان تؤخر احضار
 الطعام حتى يظهر ولدها .. لكن
 تأخره زاد عن المفترض و ليس من اللائق تأخير الطعام ع
 لى الرجل
 حتى ذاك الوقت و هو يعمل طوال
 النهار في
 الارض .. لابد و انه يتضور جوعا فى تلك اللحظة ..
 وصلت على أطراف الارض
 المزروعة التى يفصلها عن بيت
 زكريا خط رفيع من ارض
 طينية منبسطة تقف عليها فى ثبات تحمل
 الصينية العامرة ..
 لم تناديه .. و لكنه ادرك وجودها فى ثوان وانتبه لمحياتها ال
 شامخ هناك
 على أطراف

الارض تحمل ما جادت به يدها من طعام ..
 انه يعترف .. هي طبخة ماهرة .. لم يعد قادراً على تذوق أ
 ي طعام خلاف ما تصنع .. حاول و لم يستطع ..
 اقلقه هذا .. فدوما ما يقلقه التعود .. فهو ولد
 لسيدة مهنتها التنقل في
 بقاع الارض طلبا للرزق .. و هو قد تشرب
 التنقل مع حبيبها و لم يعتد ان يتكيف على
 وضع أو يبقى في مكان .. التعود
 مهلك .. كرمال متحركة اذا ما
 غاصت قدمك فيها ما
 عاد هناك فكاك .. بل انك تظل
 تغوص حد الغرق ...
 تقدم منها يحمل عنها صنيته التي ناءت بحملها
 كل تلك الفترة فحرّكت كفيها لتوازن ثقلها و تشابكت الأكف
 بغير قصد
 ليجد كفيه فوق
 كفيها القابضتين على أطراف
 الصينية ..
 لم تنتفض كما توقع بل وجدها تنظر في عينيه بشكل مباشر
 أفزعه و
 أربكه ... لينتفض هو
 مبعدا كفيه بشكل تلقائي ..
 وضعت الصينية أرضا في هدوء و
 استدارت لتغادر تاركة إياه يتخبط في انفعالاته و
 يسترجع نظراتها النارية .. هل كانت تعتقد انه فعلها متعمدا !!
 ؟.. هل تعتقد ذلك حقا ؟! .. نظراتها تلك تحمل
 اتهاما لا يقبله .. انه لم

يفعل .. و لو فكر ان يفعلها مع نساء الأرض جميعا
 فهي لا .. انها أمانة حملها له صديقه و صاحبه الأوحد بهذه
 الحياة .. هل تظن به
 السوء ...؟!.. هل تعتقد انه فاعلها ...؟!
 اطلق سبأاً في ضيق و غضب
 مكتوم .. و
 نظر لصينية الطعام في حنق بالرغم من
 جوعه القارص الا انه شعر فجأة ان
 رغبته في الطعام قد اختفت .. فعاد
 للعمل من جديد يحاول ان يفرغ
 بضربات فأسه الهادرة شحنة الغضب القاهر
 التي تملكته لظنها السيء به ..

مضت عدة أشهر منذ خروج زكريا من محبسه و عودته
 الحارة و لعمله عند الحاج مرشدى الذى استقبله بفرحة و
 سعادة غامرة..
 فكان زكريا يستيقظ صباحا ليفطر و حازم و يتركه عند بيت
 الحاج خميس ليلهو مع أولاده تحت رعاية نعمة ويندفع
 لعمله حتى المغرب ليعود محملا بالغذاء ليتناوله مع حازم و
 الذى كان يعتبر هذا عشاءً ..
 و ما ان تنتهى صلاة العشاء حتى يندفع كلاهما في أحضان
 الآخر لينام ملأ جفونه..
 جلس زكريا على مقهى المعلم خميس وقد عرج اليه عند
 عودته من عمله يلتقط أنفاسه لينضم اليه خميس ما ان راه
 موصيا بالشاى هاتفاً :- سلام عليكم .. ازيك يا زكريا
 .. اخبارك
 ايه ..؟!..
 هتف زكريا :- الحمد لله يا معلم .. تمام ..

همس خميس متعجباً :- أُمال ليه انا مش حاسس كده...؟!..
في حاجة يا صعيدى .. الشغل عند المعلم مرشدى فيه حاجة
...!!...؟..

هز زكريا رأسه نافيا .. و لم يعقب .. لذا همس خميس من
جديد و قد استطاع ثبر أغوار زكريا :- انت محتاج ست في
حياتك يا زكريا ..

انتفض زكريا هاتفاً :- بعد ام حازم !! ده انى اللى تاعبنى و
مخلينى أفكر ارجع اسكندرية هو ..

صمت و لم يكمل مما دفع خميس ليكمل بدلا منه :- يا زكريا
هنا و هناك .. انت كنت مع أم حازم .. و الذكريات مبهتمتش
يا صاحبي انا عارف وحاسس اللى انت فيه .. انا عشت
نفس الظروف بعد موت الغالية ام العيال .. و قلت زيك
كده.. لكن مقدرتش .. مفيش راجل مننا هيقدر يعيش
وحدانى و خصوصى لو عنده ولاد محتاجين وجود ام معاهم
.. و انا الحمد لله ربى عوضنى بنعمة .. ربنا يعوضك عن
ام حازم

باللى فيه الخير ليك و لأبنك ..

صمت زكريا للحظات و استطرد في عزم:- انا هرچع
اسكندرية يا معلم .. مش جادر افضل هنا .. هرچع و اشوف
حالى هناك .. و ربنا يسهلها ..

هتف خميس :- برضة مصمم على رجوعك إسكندرية ...ده
اخر كلام يا صعيدى ..؟! ما تفكر وتخليك معانا و حازم
يتربى وسطينا مع عيالى ..

هز زكريا رأسه رافضاً :- خلاص يا معلم خميس .. انا
فكرت كتييير .. و الخيرة فيما اختاره الله .. و اهى كلها بلاد
ربنا ..

ربت المعلم خميس على كتفه هاتفاً :- بشوقك يا زكريا ..
ربنا يسهلها لك يا رب ..

نهض زكريا ليخرج على بيت المعلم خميس ليأخذ حازم و
يعودا سويا مثل كل يوم لبيتهما ..و هو لا يعلم هل اتخذ
القرار الصحيح بالرجوع للأسكندرية ام تلك توهة جديدة في
مشواره الذي لا يعلم متى و أين ينتهى به ..

اندفع زكريا لبنيون السعادة والذي كان بالنسبة له اسم
على مسمى .. فقد عاش فيه شهور طويلة من السعادة مع
بدور و فيه سمع خبر حملها بحازم ..
ما ان دلف لبابه المفتوح كالعادة حتى نظرت تهانى للمندفع
للداخل و هو يحمل طفلا صغيرا على كتفه مخفيا ملامحه ..
دارت حول منضدة الإستقبال الطويلة و ما ان طالعها محيا
زكريا و هو يجول بناظريه في ارجاء المكان ليجده كما كان
لم يتغير ..

حتى هتفت في صدمة صارخة :- سى زكرياااا .. مش
معقول ..!!!!

ابتسم زكريا في سعادة هاتفاً وهو ينكس نظراته ارضا
كالعادة :- اه زكريا الهوارى يا ست تهانى .. كيفك و كيف
أحوالك؟! ..ده انا جلت مش هاتفتكرينى ..
هتفت مستنكرة :- برضه انت تتنسى يا سى زكريا انت و
بدور الله يرحمها ..

و مصمست شفتاها تعاطفا و تحسرا و هي تضع كفها على
ذقنها على الفتاة التي ماتت في ريعان شبابها و أخيرا
انتبهت للطفل الذى يحمله زكريا لتهمس في توقع :- هو ده
ابنكم حازم .. صح ..؟! ..

اوما زكريا برأسه مؤكدا لتتطلع اليه تهانى في محبة هاتفة
في حماس :- ده حنة من بدور الله يرحمها .. صحيح اللى
خلف ممتش..

.....

و مدت كفيها لذكريا هامة :- هاته عنك يا سى زكريا .. و
متخفش .. اه انا ربنا مرزقنيش بعيال .. بس اعرف فيهم
يعنى..

ابتسم زكريا و هو يمد لها حازم الذى تملل في نومه
لتضمه الى صدرها في حنان بالغ و هي تشير لذكريا ليتبعها

..
سار زكريا للداخل على طول الرواق حتى هتفت تهانى وهى
تدفع باب الغرفة بسعادة :- اتفضل يا سى زكريا .. الأوضة
بتاعتك .. تصدق .. لسه كان في زبون فيها و مشى من
يومين كأن الأوضة دى بالذات مكتوبالك..

دخل زكريا ونظراته تتسارع على كل ركن فيها كان يحمل
ذكرى لبدور .. حتى انه شعر ان رائحة الغرفة تحمل عبق
أنفاسها ..

وضعت تهانى حازم على الفراش و هتفت في زكريا تخرجه
من

شروده :- هات يا سى زكريا بطاقتك عشان أسجل البيانات

..
اخرج لها زكريا هويته الشخصية مقدما أياها لتتناولها
ناظرة اليها في حبور :- زكريا الهوارى .. أخيرا اسمك
الحقيقى .. الله يرحم كرم الصعيدى .. فالكر ..
ابتسم زكريا :- الا فاكرك .. هو ده يتنسى ..
اومات برأسها و تركته هاتفة و هي تهم بغلق الباب خلفها
:- استريح جنب ابنك لحد الغدا بقى .. حمد الله على السلامة
.. ده غندور هايفرح قوووى لما يشوفك ..

ابتسم زكريا و هو يتذكر ذلك الشاب الاسكندرانى الأسمر
الذى كان بمثابة الملاك الحارس له

دخلت الحاجة فضيلة قاعتها المفضلة صيفا
لتجد مهران يقف فى اعتزاز فوق
احد الأرائك يتجه بوجهه صوب
القبلة .. هاتفا بصوت
جهورى مؤذنا للصلاة ..
هتفت الحاجة فضيلة مقهقهة :-
بتأذن لإيه يا شيخ مهران .. ده حتى
الضهر لسه مچاش وجته!!؟..
تنبه لها مهران هاتفا :- انا بچرب صوتى يا
ستى عشان آذن فى الجامع زى
سيدنا الشيخ عوض ..
هتفت مبتسمة :- و ماله .. هو انت
أجل منيها .. ده انت الشيخ مهران بحاله ..
ابتسم الصبى فى سعادة لفخر جدته .. والتي هتفت به :-
تعال بجى اجرالى على راسى يا سيدنا الشيخ لچل ما وچع
راسى يطيب ..
تمددت الحاجة فضيلة على احد
الأرائك ليتخذ مهران موضعه و
يجلس بالقرب من رأسها و يضع كفه الصغيرة على جبينها
و يبدأ فى
قراءة ما يحفظ من آيات القرآن
الكريم و التى اجتهدت هى و الحاج قدرى ليحفظها مهران .
دخل عاصم فى تلك اللحظة ليجد
مهران يقرأ
القرآن على رأس جدته المنهك فيبتسم بحبور و يجلس مسد
تمعا ..
فتحت الحاجة فضيلة عينيها لتطالع
عاصم
يجلس يتطلع لها ولولده فى سعادة .. ليهتف

ممازحا ولده :- ايه يا شيخ مهران؟!
 بتعمل ايه ...؟!..
 هتف الصبى بتلقائية محبة :- بجرا لستى
 قرآن لجل ما يخف وچع راسها ..
 هي بتجولى يدى فيها الشفا ..
 قهقهه عاصم مؤكدا :- ايوه طبعا ..
 يدك فيها
 الخير كله .. و نظر عاصم لأمه
 نظرة متخابثة ذات معنى هاتفا :- بس ستك هتخف و تبجى
 عال لما تبطل تشرب الجهوة فى
 الدرا و
 تخبيها منى .. صُح يا حاجة ..؟!..
 هتفت الحاجة فضيلة بنبرة لامبالية :- اللى
 يلجى حاجة يبجى يخذها .. أنى
 معرفاش انت بتتكلم عن ايه فى
 الأساس .. اخر كيس بن
 انت خدته .. عايز ايه بجى ..؟!..
 هتف عاصم مؤكدا و هو ينهض
 ليتوجه حيث تتمدد فى استرخاء
 لينحنى يقبل هامتها هاتفا :- عايز
 سلامتك يا حاجة .. و الله ما عايز
 غير سلامتك .. ما هو وچع راسك و الدوخة
 اللى بتاجيلك عشان ضغطك العالى
 اللى
 منتش مرعياه .. عشان خاطري ياما .. خلى
 بالك على حالك ..
 ابتسمت فى رضا تجاه ولدها و
 أومأت برأسها مؤكدة له انها ستبدل قصارى جهدها
 للمحافظة على صحتها التى بدأت

تضعف في

الفترة الاخيرة .. و مدت كفها تبحث عن كف
مهران الصغيرة الشافية لتضعها من جديد على جبينها ..

عاد زكريا لعمله بالميناء بعد توصية من غندور الذي
استقبله في حفاوة و سعادة بالغة..

كان يغادر صباحا تاركا حازم في صحبة تهاني التي
استطاعت كسب ثقته و محبته في وقت قياسى .. و يعود
عند المغرب يتناولوا غداءهما المتأخر لينام حازم بعدها ملأ
جفونه و يعاود زكريا عادته مع البحر و جلوسه على
الشاطئ القريب من البنسيون .. يتطلع للبحر الغامق
الغامض لساعات و يعود من جديد لحجرته محتضناً ولده
بين ذراعيه .. ليذهب من جراء تعب النهار بطوله الى
اعتاب النوم سريعا ..

و في صباح احد الأيام و بينما هو يدفع أمامه تلك العربة
الحديدية ثنائية العجلات و التي يحمل عليها البضائع هنا
وهناك .. هتف به احدهم في دهشة و بصوت عال :- كرم
الصعيدى ...!!..!!..

توقف زكريا عندما سمع اسمه المعروف به في الأسكندرية
و استدار ليطلع صاحب الصوت المألوف له ليهتف بسعادة
عندما طالع صاحبه مندفعاً اليه في شوق :- عم بحر.. انت
فين يا راجل يا طيب ..!!؟ لفيت عليك المينا كلها اول ما چيت
اسكندرية ..

احتضنه بحر في سعادة هاتفاً :- انت اللي رحت فين ..!!؟..
ما بين يوم و ليلة تختفى كده و محدش يعرف عنك حاجة ..
هز زكريا رأسه متفهماً :- مَعلش يا عم بحر.. ظروف ..
حكاية طووويلة .. ابجي احكيها لك بعدين ..

هتف بحر مصرأ:- لاا .. بعدين ايه...!! انت تخلص النقلة
الى في ايدك دى و تيقى معايا ..
هتف زكريا :- على فين ..؟!..
هتف بحر متعجلا أياه :- خلص بس و انت تعرف .. أنجز
ياللاه .. و انا هستناك هنا مش هتعتع من مكانى لحد ما
ترجع ..
ابتسم زكريا و اندفع ينهى عمله ...

دخل يونس غرفته الملاصقة لجدار بيت زكريا مدندنا لحنا
شجيا كعاداته و هو يعد لنفسه
كوب من الشاى .. كان يغير جلبابه بأخر
مريح استعدادا للنوم .. صب الكوب و بدأ فى ارتشافه بإستم
تاع و هو
يجلس على اعتاب
حجرته يتطلع الى السماء الصافية فى تلك
الليلة و الممتلئة بالنجوم على غير
العادة ..
أغمض احدى عينيه و مد راحته
يلتقط احدى
النجمات مطبقا عليها كفه فى سعادة و شعر
ان تلك النجمة العالية هناك و التى لا يطالها
الا فى الخيال كما يفعل الان ليست
الا تلك
الناقمة عليه دوما و التى لم يرى
ابتسامتها فى وجهه و لو لمرة
وحيدة .. هو لا يعرف
متى شعر بميل قلبه تجاهها و لا
برغبته فى

القرب منها ..؟!.. لكن فجأة و بلا
مقدمات

شعر انه يريدھا و يتمناها كما لم
يتمنى امرأة
من قبل ..

شعر ان الاستقرار الذى اعتاده فى
ارض

زكريا جعل منه إنسان جديد .. يونس اخر .. بقلب داجن يس
هل ترويضه و جعله مناخ
صالح للحب ..

و الان هو يحبھا .. رغم كل نفورها و تمنعھا .. يريدھا .. ر
غم نظراتھا
النارية و تصرفاتھا

التى تدل على عدم رغبتها فى
تواجهه .. الا انه يهواھا.. يكاد يجن .. كيف حدث ذلك ..؟!..

هل من الممكن ان نعشق جلدنا ..؟!.. هل
من المنطقى ان نقع فى حب محكوم عليه
مسبقا بالسكتة القلبية ..؟!..

تنهد فى ضيق و نهض يستعد للنوم .. و ما
ان تمدد فى راحة حتى سمع صوتھا .. ظن
انه يهزى .. ألھذه الدرجة تطارده
حتى على

اعتاب نعاسه ..؟!..

لكن مهلا .. الصوت يبدو حقيقيا و
بدأ بالفعل فى الإرتفاع و بدأت
تتضح نبراته ليندفع الى
فأسه و قد استشعر ان فى الأمر
حدث جلل

فقرر ان يكون مستعدا و يلوذ عن

عرض

صاحبه و لو بحياته نفسها ..
تسلل للمطبخ عبر بابيه الذى يُفتح
للخارج

على حجرة الخبيز و هو يحمل فأسه فى وضع التأهب للهجو
م .. بدأ
يقترّب من داخل الدار و وقف تلك
اللحظة يطل على صحنها الذى رأى فى منتصفه كسبانة و ه
ى تقف فى
بسالة

تحمى حمزة ولدها خلف ظهرها امام رجل
متوسط القامة قوى البنية يتلفح بعباءة
سوداء اللون و لا تظهر ملامح وجهه ليونس
من موضعه حيث يقف ..
هتفت كسبانة فى حزم :- مش هتاخذ حمزة
يا سليم .. ده بعينك .. ده ولدى ..
ابوه مات

من زمن و إندفن يوم ما اتبرى منيه و مكنش
معترف بيه .. دلوجت چاى تجول
ولدى وعاوز تخره من حضنى ..
على چتتى جبل ما تمس منيه شعرة ..
هتف سليم فى نزق :-
ولدى وهاخره و اللى فى وسعك اعمليه .. محدش
هاچدر يمنعى ..

هنا تدخل يونس فى ثورة حازما أمره ليظهر فجأة من خلف
سليم الذى
انتفض متراجعا
يحكم لثام وجهه خوفا من التعرف
على

شخصه و قد باغته ظهور يونس بهذا الشكل الغير متوقع :-
 انى اللى هجف لك .. و ابجى
 ورينى هتأخذ حمزة كيف ..؟!..
 انفجر سليم ضاحكا فى خشونة تقطر استهزاءً و اخيراً هتف
 :- مين بجى
 ده يا ست هانم ..؟!.. يا شريفة ..
 هو عادى الرجالة بيخطوا
 الدار بالساهل كده فى نص الليل ..؟!..
 صرخ فيه يونس زاجرا :- اخرس .. دى
 اشرف منك و من عشرة من عينتك .. و لو
 مخرجتش من هنا حلاً .. صدقنى انت اللى هتخرج .. بس
 على نجالة .. انا خريچ سچون .. و چتلت جبل سابج ..
 و ممكن ارجع السجن تانى .. بس
 المرة دى
 هاتبجى فيك .. و هكون مبسوط
 چوووى و
 انى باخد روحك ..
 و رفع يونس فأسه بالفعل فى اتجاه سليم
 الذى هتف فى حنق :- لم نفسك يا
 واد انت ..
 انت متعرفش انت بتكلم مين ..؟!..
 انى سليم غسان الهوارى .. ده انى
 امسحك من
 على وش الدنيا ..
 انفجر يونس ضاحكا :-
 بجد ..؟!.. و الله انت صوت على الفاضى و
 الدليل مچيتك زى
 الحرامية جال عايز تأخذ ولدك .. لو راجل
 صُح مكنتش تعملها و تاجى فى

نصاص
 الليالى لحرمة بجت غريبة عنيك من ساعة
 ما طلجتها و تتهجم على دارها ..
 بجد راجل و سيد الرچالة .. على
 العموم
 انى شيعة لعاصم بيه .. و زمانه
 على وصول
 و إنتوا بجى أهل وولاد عم فى
 بعضيكم و
 شوفوا تحلوها كيف الحكاية دى ..
 اضطرب محيا سليم ما ان جاء يونس على
 ذكر عاصم بن عمه .. ويبدو انه بدأ يفقد
 صوابه بالفعل عندما ابرز طبنجته
 من صدر
 جلبابه موجهها إياها فى وجه يونس
 الذى ما
 اهتز للحظة بل دفع نفسه امام كسبانة وحمزة فى بسالة و
 شهقات كسبانة
 تتعالى فى
 ذعر ...
 كاد ان يتحكم جنون سليم المعتاد
 بأفعاله و
 يضغط على زناد سلاحه لولا ان
 سمع صفيرا مميزا بالخارج ادرك
 من خلاله ان هناك من يقترب و عليه الخروج و الرحيل
 فورا ... و
 بالفعل .. عاود احكام كوفيته حول
 ملامح
 وجهه يداريها و يندفع فى غضب

هادر
للخارج متلفتا حوله فى حذر قبل ان يختفى
تماما خلف الباب ..

تنهدت كسبانة فى عدم تصديق ان
هذا الكابوس انتهى على سلام و
استدارت تجذب

حمزة ولدها لأحضانها وهى تبكى
تعتصره

بين ذراعيها للتأكد انه لازال معها .. و لم
يجرو هذا الوقح المدعو سليم من
انتزاعه من
أحضانها ..

استدارت بعد ان هدأت لتشكر يونس الذى كان على استعداد
للتضحية

بحياته فى سبيل إنقاذ
طفلها من بين يدي ابيه الحقير لكنها لم تجده
فقد شعر بالخرج و هو يراها تقف
هكذا

بملايس نومها الخفيفة فى هذا الجو
الحار و

بكاءها الذى أدمى قلبه على نجاة
ولدها من

بين ذراعى ذاك المتجبر ..
مظهرها الناعم و بكاءها المفطر
للقلب جعل

قلبه يئن ألما و عشقا مما دفعه
لينسحب في

هدوء مبتعدا وهو يشعر بالرضا التام
انه وقف كما يجب لحمايتها وولدها

الثاني عشر

سار زكريا بجوار عم بحر لا يعلم الى أين يتجه و لا الى أين
يأخذه هذا الرجل الذي أنقذه ذات مرة من بين يدي بلطجية
الميناء

و أصبحا من بعدها صحبة لا يمر يوما دون اى يرى عم
بحر و يفطر معه بما كانت تجود به ميزانتيه الضئيلة يومها

..

وصولا لموقع بناء حديث جال فيه زكريا ببصره ليتذكر أيام
قضاها مع الحاج مرشدى في اعمال البناء و المقاولات ..
أخيرا وصلا لعشة صغيرة من الخوص و القش نصب فيها
عم بحر بعض من أدوات صنع الشاي و القهوة و بعض
الأكواب و موقد صغير و عدة كراسى تتوزع هنا وهناك ..
جلس زكريا على احداها هاتفاً :- ايه ده يا عم بحر .. انت
جايبنى المسافة دى كلها عشان نجعد هنا .. طب ما كنا
جعدنا على اى جهوة و السلام !؟

قهقه بحر هاتفاً :- لا يا كرم .. دى العشة بتاعتي ..
هتف زكريا :- بتاعتك ..؟!.. الله اكبر .. ده انت عديت يا
عم بحر على كده و بجيت من ذوى الأملاك!؟
قهقه بحر من جديد :- يحظك يا كرم .. املاك مرة واحدة ..
!!... بس ايه رأيك ..؟!..

و أشار الرجل لعشته بفخر كأنها قصر منيف...
ليهتف زكريا بحماس :- مفيش احسن من كده .. ربنا يبارك
لك فيها ..

قاطعهما احد العمال المشتغلين بموقع البناء الذى تقع العشة
في احد أطرافه طالبا كوبا من الشاي ..

ليندفع بحر مجهزا أياه في سرعة و احترام ليتناوله العامل
و يجلس في أحد الأركان يرتشفه بتلذذ مستمتعاً ..
هتف بحر معاوذاً سؤال زكريا و هو يقدم له كوب من الشاي
تحية له :- مسألتنيش يعنى منين العشة و النصبة و انا كل
اللى كان حيلتى باجور و كبيتين زى ما انت عارف ..
قال زكريا :- ربك رزاج يا عم بحر .. و رزجه واسع .. بس
منين ...؟!.. عشان نريحوك .. و ابتسم زكريا .. مما دفع
الإبتسامات لعم بحر وهو يسرد قصته البسيطة :- بعد انت
ما اختفيت .. اتلم عليا بلطجية المينا تانى .. غلسات و قلة
قيمة زى ما انت عارف .. كنت بروح لعيالى من غير جنيه
في جيبى و أحيانا العدة مسروقة منى كمان .. قعدت ادعى
ربنا و افكرتك و ادعيلك .. و انا جايلى إحساس انك في
كرب كبير بس مش عارف ايه هو .. و طلبت من ربنا يردك
بالسلامة عشان خاطرى و خاطر عيالى .. و اهو ربك
استجاب ليا وردك بس قبلها كان باعت لى راجل محترم
يعرف ربنا.. الحاج مندور الشامى .. صاحب الموقع ده كله
.. راجل معلم كبير في سوق المقاولات .. شاف البلطجية
مرة و هم بيبهدلونى في المينا راح رجالته مبهذلنهم و
خلصنى من أيديهم و بنى لى النصبة دى جنب الموقع
الجديد بتاعه اللى بيبنى فيه العمارات دى و من ساعتها و
انا الدنيا ضحكت لى و بقيت زى ما انت شايف ..
ابتسم زكريا في حبور :- ربنا يوسعها عليك كمان و كمان و
بدل العشة تبجى جهوة كبيرة و بعدين اللى اسمه ايه ده!!
..اه.. كوفى شوب ..
انفجر بحر مقهقها و هو يهتف :- مرة واحدة يا كرم ...!!
طب ده انا مش عارف أنطقها .. املكها ازاي دى ...؟!..
ثم استطرد بحر هاتفاً بجدية هذه المرة:- بقولك ايه يا كرم
...!!!

انتبه زكريا عندما تبدلت نبرة بحر للجدية ليستطرد الأخير
هاتفاً :- انا مش عجباني شغلانة المينا دي اللى لسه شغالها
.. ايه رأيك اكلم لك شعلان ملاحظ الموقع يشغلك مع العمال
هنا دول يوميتهم كويسة .. ايه رأيك ..؟!..
هتف زكريا :- هو ينفع ..؟!.. لو ينفع .. و ليه لا؟!..
نحرب ..
هتف بحر :- على بركة الله .. انا هكلمه و اللى فيه الخير
يقدمه ربنا ..
رفع زكريا كوبه يدفع اخر رشفة فيه الى جوفه قبل ان
يستأذن مغادراً ليعود لولده مبكراً ..

بالفعل ترك زكريا عمله في الميناء و ألتحق بالعمل في
مواقع البناء الخاصة بشركة الحاج مندور الشامى تحت
إشراف شعلان ملاحظ المواقع..
عمل زكريا السابق مع الحاج مرشدى في القاهرة أضاف
لذكرياء الكثير من المعرفة و الدراية بأمور المعمار و أسرار
لذا استطاع بعد عدة ملاحظات ان يكتشف بعض التلاعب في
نسب خلط المواد المستخدمة في البناء مما جعله يتوجس
من شعلان و من ورائه ظل أسابيع يراقب الموقف
ليتأكد كى لا يرمى احد بالباطل حتى جاءت اللحظة الحاسمة
و رأى بأم عينه ما كان يقوم به شعلان من مساومات على
أسعار الخامات و التي هي في الأساس ليست الخامات
المطلوبة او بالأصح ليست هي الخامات التي تستخدم و
يكون جودة البناء بها مطابقاً للمواصفات المطلوبة ..
جلس في عشة العم بحر يطلب الشاي و يتنهد غير قادر
على المداراة أكثر من ذلك ..

سيجن ان لم يخبر احد ما يشيره كيف يتصرف في أمر كهذا
و كيف يمكنه توصيل الأمر لصاحب الشأن حتى يتصرف بما
يراه..

هتف العم بحر و قد استطاع ان يستشف مدى قلق و توتر
زكريا :- خير يا زكريا .. مالك مش على بعضك ليه
!...؟!.. حازم ابنك بخير..!..

كان زكريا قد شرح و حكى للعم بحر حكايته كلها و عرف
كل تفاصيلها ..

هتف زكريا مؤكدا :- ولدى بخير الحمد لله ..و أشار له
زكريا ليقرب و هو يهمس بالقرب منه :-الموضوع يخص
العمائر دى يا عم بحر ..

زم العم بحر ما بين حاجبيه مستفسراً بتعجب:- ماله الموقع
!...?!.. و فيها ايه العمارات .. ما هي زى الفل
اهى ..!...?..

حرك زكريا راسه يمنة و يسارا رافضا وهو يهمس من
جديد :- العمائر دى مش مطابقة لمواصفات البناء يا عم بحر
.. انى كنت شغال في الكار ده جبل سابج و عارف انى بجول
ايه .. في لعب على تجيل من شعلان بيتم في الخامات
بتاعت البناء ..و انى لازماً أوصل الحكاية دى للحاج مندور ..
شهق بحر في صدمة :- الحاج مندور!..؟!.. انت اتجننت يا
زكريا .. هتوصله ازاي ..!..؟!.. ده مش بيحى الا كل فين و فين
.. و بعدين لو شعلان شم خبر .. الله اعلم هايعمل ايه
معاك ..!..?!.. أكتم على الخبر لحد لما نشوف صرفه ..
هتف زكريا :- بس يا عم بحر ..

قاطعه بحر هاتفاً في تحذير :- يا بنى انت عايز تربى ابنك ..
خليك في حالك لحد لما نشوف هايجرى ايه ..

صمت زكريا على مضدد و لم يعقب لكنه اقسم بينه و بين
نفسه انه لن يصمت على ما يحدث من فساد و تلاعب قد

يكلف العديد من الأسر التي ستسكن تلك الشقق مستقبلا
حياتها

وقفت تعد الطعام في المطبخ المطل على الارض و للعجب لم
تسمع صوت ترنيمة و غناه كالعادة .. على الرغم من انها
لم تتم بشكل جيد ليلة أمس بعد ذهاب سليم و احتفاظها
بولدها حمزة بفضل يونس الذي استبسل في الدفاع عنها و
حماية ولدها الا انها شعرت بنشاط عجيب جعلها تنهض
باكرا لتعجن و تصنع خبزا و فطيرا طازجا للفطور و
الغذاء...

أنهت وضع بعض الأربعة في ذاك الفرن الطيني في حجرة
الخبيز و دلفت منها للمطبخ و هي تمسح كفاها المتربين
بالطحين في أطراف جلبابها المنزلي
لتندفع تتحقق من الطعام الذي كان يغلي في تلك القدور على
الموقد في احد جوانب المطبخ ..

و سرح فكرها في ذاك الذي كان على استعداد للموت في
سبيل الدفاع عنها وولدها .. هل ظلمته يوم ان ظنت فيه
السوء ..؟!.. هل اعتقدت حقا انه لمجرد كونه من ارباب
السوابق و خريج من احد السجون انه بلا اخلاق أو ضمير
..؟!..

استعادت كلماته في مواجهة سليم و ابتسمت عندما تذكرت
كيف دافع عنها ساعة لمح سليم عن وجود الرجال في
منزلها ما ان طالع محياه .. لقد نهر سليم .. اخرسه و كاد
يقتله بالفعل ..

هل ظلمته ..؟!.. يبدو انها فعلت .. فما من شخص لا يحمل
شرفا أو مروءة يمكنه ان يقف امام سليم للدفاع عن امرأة ما
رأى منها الا السئ من القول و الفعل و حماية لطفل ليس
طفله ..

و توردت خذاها عندما تذكرت انها بحثت عنه بعد رحيل
سليم و لم تجده و انتبهت انها كانت ترتدى احد قمصاتها
الخفيفة المعدة للنوم لذا فر سريعا ما ان تأكد من رحيل سليم

..

لقد ظلمت ذاك الرجل .. ذاك الذى لا ينفك يشدو بصوته
الشجى و الذى اعتادته يصل لمسامعها طوال الوقت
ابتسمت فى خجل و اعترفت بينها و بين نفسها ان صوته
يصل للقلب بالفعل و يسكن فى العمق ..

لكن أين ذاك الصوت فى تلك اللحظة؟!.. انها لا تسمع
همهمات المعتادة .. رفعت هامتها قليلا تنظر من تلك النافذة
العالية باحثة عنه بعينيها بطول الارض و عرضها فلم تجده
.. شعرت بالقلق لا تعرف لما؟! ..

عادت لغرفة الخبير تطمئن على الأرغفة التى تركتها بداخل
الفرن و اخيراً خرجت من الباب تقف على الحافة الفاصلة
تلقى بنظراتها هنا و هناك لعلها تلمحه مبتعدا لأطراف
الأرض البعيدة حيث لا يمكن لصوته الوصول اليها ..
ازداد قلقها عندما ادركت انه غير موجود بالمرة ..

و ادركت .. بل ايقنت انها ما عادت تشعر بالأمان الا
بوجوده فى الجوار .. حتى و لو لم تعترف بهذا فى البداية
الا انها تستشعر ذلك بشكل أعمق مما كانت تتخيل .. و
خاصة بعد ما حدث البارحة مع سليم .. ظلت مرة أخرى من
النافذة تبحث عن ولدها ربما يعلم أين يمكن ان يكون يونس
فى تلك اللحظة .. لكن حتى حمزة لا تجده بالقرب يلعب مع
الأولاد على الجانب الاخر من الطريق ..

تنهدت .. و ما ان همت بالدخول لتتفقد الطعام حتى لمحته
قادم ..

ما ان اصبح قبالتها حتى ألقى التحية و عيونه لم تُرفع
لمواجهة عيونها ..

لم ترد التحية و لا تعلم ما الذى يدفعها للتعامل معه بهذا
الشكل حيث هتفت فى حنق :- كنت وين ...؟!..
و كيف تهمل الارض و ترمح تشوف مزاجك من غير ما
تجول .. ؟!..
هى ايه ...؟!.. وكالة من غير بواب ..
تنهد فى ضيق لكلماتها و لم يعقب .. ساد الصمت
و اخيراً هتف بهدوء :- انى كنت عند عاصم بيه .. كان
لازما يعرف اللى حصل عشية .. هتفت تستوضح :- و جال
لك ايه ...؟!..
رد فى هدوء :- جال هو هايتصرف .. و نخلو بالننا
عشان سليم ممكن يعيدها .. و هاييبت غفير يجعد على
الناحية الجبلية للدار ..
هتفت دون تفكير :- غفير ليه ...؟!.. ما انت كفاية البركة
فيك ..
رفع رأسه بشكل لا ارادى فى اتجاهها و نظراته مشدوهة
غير مصدقة لما تفوهت به للتو .. ينظر لوجهها الذى
اصطبغ بالأوان الطيف جميعها فى آن واحد لتلك الكلمات
التي اطلقتها دون وعى أو تفكير ..
و اخيراً همس فى حبور :- أنت شايقة انى كفاية يا أم حمزة
.. ؟!..
أرتبكت و تذكرت الطعام الذى تركته على الموقد و خبيزها
الذى من الممكن ان يكون تحول لقطع من الفحم فهتفت فى
عجالة مندفعة للداخل :- العيش زمانه أخرج ..
ابتسم فى سعادة يكاد يقفز فرحاً و نشوة لمجرد كلمات
عفوية خرجت منها تُعلَى من قدره و تضعه فى مكانة خاصة
بالنسبة لها..
خلع جلبابه و خاض الأرض ممسكاً بفأسه و بدأ فى العمل
بهمة لم يعهدها بنفسه من قبل .

مرت الساعة أو ربما اكثر قليلا حتى وجدها تعود فى هدوء
..تنادى على حمزة لكنه لم يبالى ..

اقتربت بصينية الطعام ووضعتها أمامه و أخيراً ظهر حمزة
لينضم اليه جالسا بقربه يتناول طعامه سريعا ليعود للعب من
جديد..

همت بالرحيل عندما هتف بها حمزة :- ما تجدى ياما تكلى
معانا ..

نظر يونس اليها فوجدها تبسم .. ربما للمرة الاولى يجدها
ترسم اى تعبير على وجهها غير تلك التكشيرة التى كانت
تقابله بها دوما..

ابتسامتها غيرتها تماما .. جعلت منها امرأة أخرى.. زاد
وجيب قلبه لمرأى تلك البسمة النادرة على محياها الصبوح
حتى ان كفه ارتعشت و هو يتناول احد الأرغفة الطازجة
ليبدأ فى تناول طعامه .. ولم يع الا وهو يهتف فيها عندما
وجدها تهم فعلا بالجلوس معهما :- لاااه ..

انتفضت متطلعة اليه فى استفسار .. ليكمل و هو يحول
بناظريه عنها و يثبتهما بأعجوبة على وجه حمزة مستطردا
:- ميصحش يا حمزة .. الناس الراحية و الچاية تشوف أمك
جاعة تاكل مع راجل غريب عنيا..

تنبعت انه على حق .. و هم حمزة بالأعراض هاتفا ان
يونس ليس غريبا لكنها قاطعته و هي ترحل هاتفة :- عمك
يونس كلامه صُح... اسمع ليه يا حمزة عشان تعرف كيف
تبجى راجل على حج..

و رحلت مسرعة بعد ان جعلت يونس ينتفض لكلماتها للمرة
الثانية حتى انه رفع نظراته لتتبعها بغير قدرة على جذبها
بعيدا عن تلك المرأة التى كلماتها اى كانت نوعها .. تفعل به
الأفاعيل ..

كلمات قد تدفع به للنار مذنبا أو تورثه الجنة

جز شعلان على اسنانه في غل عندما تنحى به احد العمال
الذى كان دوما يحاول استرضاءه وكسب وده حتى ولو على
حساب بعض من زملائه ليخبره بما سمع من الحوار الذى
دار بين زكريا و بحر منذ قليل و هو يرتشف الشاي في
عشة الأخير بالقرب منهما و استراقه السمع لبعض
حوارهما و هما لا يدركان و هتف بغيط :- طيب يا زكريا ..
لما نشوف اخرتها ايه معاك يا صعيدى .. وورينى هتبلغ
الحاج مندور ازاي؟! ..

ثم عاد يحدث الواشى في حقد
هاتفاً :- شوف بقى .. الواد ده نخلص منه عشان ميقرفناش
.. انا هخطط و انت ورينى همتك في التنفيذ.. ده لو عايز
تكسب رضايا بصحيح..؟! ..

هتف الواشى في تردد:- بس يا ريس شعلان .. انا ..
هتف شعلان مقاطعاً:- انت ايه ..؟! .. شكك هتزعلى منك ..
و أديك شايف انا زعلى وحش ازاي ..؟! ..

اوماً الواشى في إيجاب مضطرب و شعلان يخبره خطته
للخلاص من زكريا .. و ما ان انتهى حتى دفعه بعيدا هاتفاً
به :- ياللاه روح بقى وورينا شطارتك هتنفذ العملية
ازاي ..؟! .. بس بقولك ايه .. قضاء و قدر.. هااا .. مش
عايز دم .. مبحبوش .. بيتعب اعصابى ..

و قهقهه شعلان بصوت جهورى مستفز جعل الواشى يجفل
في زعر وهو يندفع مبتعداً عن ذاك الشيطان و قد ادرك اى
فخ أوقع نفسه فيه بحماقاته و رغبته في التسلق و التملق

..

لم يكن زكريا على علم بأن الحاج مندور يبني فيلته بالقرب
من ذاك التجمع السكنى لتلك العمائر التي يشرف على بنائها
شعلان

حتى تم إرساله لموقعها ليشارك باقى العمال في بنائها ..
دخل الي الموقع وتفقد الخامات و اساسات البناء ليكتشف
ان شعلان لم تطل يده تلك الفيلا و خاصة ان لها مهندس
مخصوص يشرف على بنائها بخلاف مهندسين الموقع الذين
يتعامل معهم شعلان و سمعه ذات مرة يتفق معهم على
مخالفة الخامات للمواصفات بفارق في السعر يُقسم على
الجميع ..

ارتاح قليلا لأنه يشارك في بناء صرح بأسس سليمة و اخذ
يدعو الله ان يستطيع مقابلة الحاج مندور في اقرب فرصة
حتى يبلغه ما اكتشفه من خراب و فساد ..
كان زكريا على الثقالة بالدور الثانى من الفيلا عندما سمع
احد يناديه من الأسفل طالبا أياه في سرعة ..
استجاب زكريا للنداء و هو يرى على البعد سيارة فارهة
تقترب .. كان قد وصل للمنادى و هتف به لاهتاً :- خير ..
ايه في ..؟! ..

وقف الرجل مترددا و أخيرا هتف على عجل :- اه .. انا كنت
نسيت اقولك صحيح .. الرئيس شعلان كان عايز .. عايز ..
و اخذ يدعى النسيان و هو يضرب على جبهته محاولا
التذكر و زكريا يقف في نفاد صبر منتظرا تذكره .. كانت تلك
إشارة من الرجل لصاحبه الذى كان يقف في الأعلى بنفس
الطابق الذى كان به زكريا في الفيلا منذ لحظات يدفع بخبث
و دون ان يستشعره احد لعمود من الخشب ليندفع في اتجاه
زكريا الذى نفذ صبره بالفعل و قرر ترك الرجل و العودة
لموقعه داخل الفيلا ليفاجأ بذاك العمود المنتصب يهوى في
اتجاهه ..

و تلمح عيناه سيدة تترجل من السيارة التي توقفت الآن
بالقرب منه و علم ان تلك السيدة حتما ستصاب بسقوط ذاك
العمود كأصابته و ربما اكثر ..

كانت تفصله خطوات بسيطة عن تلك الفتاة التي توليه
ظهرها تتطلع للموقع المحيط بالفيلا قبل ان تدخلها ... لذا
وجد نفسه دون تفكير يندفع باتجاهها يحيطها بذراعيه
ويحاول ان يشملها بجسده قدر إمكانه حتى لا تصاب بأذى
ليسقط العمود في تلك اللحظة على ظهر و كتف زكريا الذي
تأوه في ألم و هو يرفع رأسه ببطء لتطالعه عينيها الجوزية
و نظراتها المذعورة و يسقط أخيرا في بئر من الظلام و
رأسه قد سقطت في أحضانها...

لا تعرف لما كانت تتحاشاه .. فلم يحدث منذ دفاعه عنها
امام سليم ما يعكر الصفو .. لكنها رغم ذاك تتحاشى الخروج
له حاملة الطعام كعادتها .. كانت تدفع حمزة بالصينية التي
كان ينوء بحملها معظم الوقت ليضعها امام الباب مناديا
يونس لحملها بالنيابة عنه .. و اليوم لم يكن استثناءً
فبالفعل حملت صينية الغذاء حتى باب حجرة الخبز التي
تطل على الأرض و تشترك مع حجرته في نفس الحائط
ليحملها حمزة بضع خطوات و يضعها في تعب مناديا على
يونس الذي لم يرد ..

لم تسمع صوت غناء المعتاد كما تعودت منذ الصباح الباكر
وهو يخرج للأرض و توقعت انه في الجانب المتطرف منها
لذا لا تسمع له حسا .. لكن استمرار حمزة في النداء بلا
طائل جعلها تخرج من خلف باب الحجرة حيث كانت تنتظر

ولدها لتتطلع للأرض تجول بناظريها فى اطرافها لعلها تلمح
طيفه هنا أو هناك .. لكن بلا جدوى ..

اندفع حمزة فى اتجاه غرفته التى لم يكن يدخلها احدهما ..
ليدفع بابها فى هدوء مناديا باسم يونس ليجده بالفعل فى
الداخل لكن ممددا على فراشه

يئن فى ألم و لا يجيب نداءات حمزة المتكررة و الذى شعر
بالخوف فاندفع خارجا يخبر أمه بما رأى من حال يونس
لتندفع بلا وعى لداخل الحجرة لتتطل لوجهه الشاحب ..
ترددت فيما يجب عليها فعله .. هل تبعث لعاصم تخبره .. أم
ماذا ...؟! .. عليها اخباره و عليه التصرف

أرسلت حمزة لعاصم فى السرائى ليبلغه ما يحدث ..
و اقتربت هى تضع كف مترددة على جبين يونس الذى كان
يهزى بكلمات غير مفهومة .. كان جبينه يستعر .. شعرت
بالشفقة تجاهه .. و اندفعت خارج حجرته فى انتظار مجئ
عاصم .. لم يمر الكثير حتى عاد حمزة هاتفًا :- عمى عاصم
مش موجود مسافر بره البلد ..

صمتت لثوان ثم هتفت فيه من
جديد :- طب اچرى على الداكتور و هاته فى يدك و تعالى ..
تعرف ..؟! .. جوله انا عمى يبجى عاصم الهوارى
أكد حمزة :- اه .. اعرف .. و اندفع منفذا مطلب أمه التى
انتظرت مجئ الطبيب بفارغ الصبر .. لا تعرف لما ذاك
القلق الذى يعترىها على يونس .. و تلك المشاعر التى
تتسلل لداخلها تسيطر عليها بشكل غريب .. يوم ان غاب
شعرت بافتقاد الأمان و اليوم تستشعر احساس اخر من
القلق و الخوف من الفقد ..

اصبح يونس .. بوجوده و صوته الدافئ و غناه و كل ما
يخصه يؤثر عليها بشكل ما عجيب لم تستشعره من قبل ..
يوما ما ظنت انها تعشق زكريا لأنها رأت فيه ذاك الرجل
الذى انتظرته طويلا .. الرجل الذى يشعرها بالأمان الذى

افتقدته مع سليم و الذى بالطبع لم يكن هو ذاك الرجل الذى يهبها أمانا حتى ولو زائفا.. الآن مع يونس الأمر مختلف.. مختلف بشكل كلى .. يونس ليس فقط ذاك الرجل الذى تمنته بل انه على العكس تماما مما تمننت .. لكن على الرغم من ذلك وجدت به و معه كل ما كانت تنتظر و تتمنى .. واعترفت لنفسها ان يونس له مكانة فى قلبها الذى اعتقدت انه لن يُفتح لى رجل مهما كان .. يونس وحده هو الذى أشعرها ان هذا القلب لازال موجودا و قادر على النبض و قادر على الحياة من جديد .

انقضت عندما حضر الطبيب ملقيا السلام ..دخل لمعاينة يونس

حيث كانت تقف خارج غرفته .. ليخرج بعد لحظات هاتفا :- طبعا لازم الراحة و الغذاء الكويس بس الأهم من ده كله انه ينتقل من الأوضة دى لأن كلها رطوبة .. ضرورى

..

اومات برأسها فى تأكيد و هى لا تدري ماعليها فعله و تناولت وصفة الدواء من الطبيب الذى ألقى التحية و رحل تاركا إياها فى حيرة ..

أرسلت حمزة لبيبناع الدواء و دخلت تعد له بعض الحساء و مرت على غرفة بخيئة لتقص عليها ما حدث و تستشيرها فى الأمر .. لتهتف بخيئة فى تأكيد :- طب و ماله يا بتى .. ماننجلوه ..

هتفت كسبانة :- فين يا خالتى !؟..

ننجله فين!؟

أكدت بخيئة :- الأوضة المجفولة اللى بتطل على الجنينة و ليها باب من بره لحالها .. وضبيها و تبجى اوضته .. الراجل بن حلال ..كفاية وجفته جصاد سليم .. ده كان هيروح روحه لجل خاطرك ..

تخرجت كسبانة هاتفه :- لجل خاطري ليه ...؟!.. هو بيعمل
بوصاية سى زكريا

ابتسم بخيته فى خبث هاتفه :- طيب .. ما دام أنت شايقة
كده ...؟!.. ربنا يشفيه .. و يكتب لكم الخير يا بتي ..
همست كسبانة مؤمنة :- امين ..

و نهضت فى عجالة تخرج من باب الدار الداخلية لتستدير
عبر الحديقة و تصعد عدة درجات تفضى لتلك الغرفة التى لم
تدخلها من قبل و التى جعلتها بخيته كمخزن للأشياء الغير
مستخدمة .. بدأت فى نقل ما أمكنها نقله و قامت بتنظيفها و
نصبت الفراش و وضعت بعض الأشياء الاخرى اللازمة
للإستخدام

و اخيراً اندفعت مطمئن على يونس لتساعده فى المجئ
للغرفة الجديدة بعيدا عن رطوبة تلك الغرفة
التي كان يسكنها ..

دخلت غرفته لتجده بدأ يستيق برغم شحوب وجهه الذى
لازال يكلل ملامحه السمرء الرجولية ..

مدت كفها لتضم كفه جاذبة إياه و هى تهتف فى رقة :-
ياللاه يا سى يونس .. شد حيلك معايا ..

انتفض عندما ضمت كفه بتلك الطريقة الحانية و جذبها
هاتفا فى تعجب بصوت واهن :- على فين..؟!..

ابتسمت فى رقة و عادت تجذب كفه مرة اخرى لينهض فى
تثاقل نظرا لمرضه مشرفا عليها بقامته المتوسطة الطول و
التي أظهرت مدى قصر قامتها بالنسبة له مؤكدة :-

حضرنالك أوضة تانية خلاف دى ..

همس متعجبا :- و مالها دى ...؟!.. ما هى زينة اهى...
ابتسمت وهى تسير فى بطء ليسير خلفها متعكزا على كفها
محاو لا قدر استطاعته ان لا يثقل عليها رغم شعوره بالدوار
يكتنف رأسه :- الداكتور جال مينفعش تجعد فيها .. كلها
رطوبة ..

توقف للحظات و بدأ يسعل فى شدة أدمت قلبها لتتهف :-
 اهااا.. شايف ..لازما تنجل أوضة جديدة بعيد عن الرطوبة
 .. نضفت لك الاوضة المجفولة على الجنية و هتروح
 تستريح فيها دلوجت ..

بدأ فى السير من جديد محاولا الإستناد على الحوائط القريبة
 من خط سيره حتى لا يضطر للإرتكان على كفها البضة التى
 تجعله يشعر بمزيد من الحرارة الحارقة تسرى بعروقه .
 وصل اخيراً للدرجات حيث الغرفة المعدة لأجله ..صعدها فى
 مشقة و اخيراً ألقى بجسده المنهمك من جراء رحلة الإنتقال
 على الفراش

وقفت هى على اعتاب باب الغرفة هاتفة فى قلق :- سى
 يونس .. انت كويس ...؟! ..

أشار اليها بكفه ان لا وانه لا يشعر بانه على ما يرام ..
 لتندفع لداخل الغرفة تشرف على محياه المسجى على
 الفراش هاتفة بنبرة تقطر ذعرا :- اجيب الدكتور تانى ..
 ...؟! ..

فتح جفونه فى بطء و ارتسمت على شفثيه ابتسامة باهتة و
 هو يهمس :- بجيت كويس اول ما طلتي على .. كسبانه
!! ..

كانت المرة الاولى التى يهمس فيها بإسمها مجردا .. بل
 بإسمها من الأساس فدوما نداءه لها كان .. أم حمزة .. لم
 تسمع اسمها تنطقه شفثاه من قبل مما جعل ارتعاشه خفيفة
 تسرى فى اطرافها لا تعرف لها سببا و هو يستطرد
 هامسا:- تتجوزينى؟! ..

لتشهب فى صدمة و هى تطل عليه بعيون مفتوحة و فم
 تغطيه بكفها.. و ما ان استفاقت من صدمتها حتى اندفعت
 خارج الغرفة تكاد تتعثر فى خطواتها و هى تهبط درجات
 السلم مندفعة لداخل الدار ..

ظهرت له من جديد تبتسم كعادتها لكن هذه المرة الأمر
مختلف فقد استدارت و رحلت بعيدا و حاول هو النداء عليها
لكن صوته ظل حبيس حنجرته لا يفارقها .. استدارت مرة
أخرى و غابت بالفعل بعد ان لوحث له من خلف غمام اسود
بدأ يتحول للرمادي و أخيرا عاد صوته ليهتف باسم واحد :-
حالا ازم ..

انتفضت هي عندما سمعته يهزى باسم ما فأندفعت لوالدها
الذى كان يطالع الجريدة في اخر الجناح الواسع و لم يستمع
لهمهمات زكريا ..

انتفض ابيها مسرعا اليها عندما اشارت نحو زكريا ليصل
لجسد زكريا المسجى و الذى بدأ يستعيد وعيه أخيرا مكررا
النداء باسم ولده الوحيد ..

حاول زكريا فتح عينيه عدة مرات و لم يستطع من قوة
الضوء الضاربة في عمق عينيه .. و أخيرا اعتاد سطوع
الضوء ليفتحهما في تمهل متطلعا حوله ...

زفر الرجل الخمسينى في راحة

هاتفاً :- الحمد لله .. أخيرا فوقت .. قلقتنا عليك ..

تطلع زكريا لملامح الرجل الذى لا يعرفه و لم يسبق له
رؤيته ..

همس زكريا بصوت واهن :- انى فين ..؟! و حاول
التحرك لكن ذراعه اليسرى و رأسه المضمدة اشعرتاه بالألم

..

هتف الرجل :- خليك زى ما انت بلاش حركة الدكتور قال
راحة تاالمة...

أعاد زكريا السؤال :- انى فين ..؟! ..

أجاب الرجل :- انت هنا في فيلتى .. فيلا الحاج مندور

الشامى ..

شهق زكريا متعجباً متغلباً على ألم رأسه الذي يكتنفه الان :- هو حضرتك الحاج مندور .. الف حمد وشكر ليك يا رب

..
ابتسم الحاج مندور و لم يعقب ليستطرد زكريا :- ده انى كنت بدعى ربنا اجابلك و مكنتش عارف اوصلك كيف ..؟! .. اتسعت ابتسامه الحاج مندور هاتفاً :- و اديك أهو جوه فيلتى نايم في جناح الضيوف.. بس ليه كنت بتدعى تشوفنى ..؟! ..

هتف زكريا بصوت رتيب واهن :- يا حاج انى مش هشهد غير بالحج .. ألحج مالك و سمعتك .. انت راچل زين و الكل بيحلف بحياتك بس شعلان ..

هتف مندور متعجباً :- ايه اللى بتقوله ده ..؟! .. و ايه دخل شعلان بيه ..؟! ..

استطرد زكريا :- يا حاج مندور في لعب ياما بيتعمل من ورا ضهرك و مواصفات مش مطابجه و مهندسين مطرمخين على اللى بيحصل عشان بيجبضوا ..

هتف مندور في ضيق :- و انا ايه اللى يخلينى اصدقك ..؟! .. اه انت انقذت بنتى زينة .. و أشار لإبنته التي كانت خارج مجال رؤية زكريا .. ثم استطرد :- لكن ده مش كفاية ان اصدق المصايب اللى بتقولها دى .. ده انت لسه جديد عندنا على ما سمعت و شعلان في الكار ده من زمان و اشتغل مع مقاولين ياما .. هو اه انا مبرتحلوش بس ده مش معناه انه حرامى ..

هتف زكريا :- عندك حج يا حاج .. اه انى جديد هنا .. لكن منيش جديد على الكار .. انا اشتغلت مع الحاج مرشدى الضبع في مصر و شربت منيه الصنعة و عرفت ايه اللى ينفع و اللى مينفعش .. و قاطعه مندور هاتفاً :- الحاج مرشدى الضبع ..؟! .. انت كنت شغال معاه ..؟! ..

أكد زكريا :- اه .. و جبّل ماجى اسكندرية كنت عنديه شغال
و تجدر تسأله ..

هتف مندور في تعجب :- يااه .. مرشدى ده صاحب عمر
بس للأسف اتفرقنا .. هو فضل هناك و انا جيت على
إسكندرية .. فضل هو ف شغل القطاعى و انا غامرت و
بقيت اللى انت شايفه ده .. ده انت اللى هتدلى عليه لأنه قفل
محله القديم و غير مكانه خالص و من ساعتها مش قادر
أوصله و الدنيا خدت كل واحد في سكة ..

ثم تنهد و هتف أخيرا :- طب يا زكريا .. انا عايز اتأكد من
اللى بتقوله ده و اسمعه بودنى..

مش عايز انزل الموقع الأقى كل حاجة تمام و المهندسين
مضبطين الدنيا لأن واضح ان في حد بيبلغهم بمجيتى حتى و
لو فجأة ..

أكد زكريا :- خلاص يا حاج سيبها عليا .. و كله على الله في
الأول و الآخر ..

هز مندور رأسه متفهماً ليهتف زكريا محرجا :- طب انا
بجيت كويس يا حاج .. استأذّنك اروح .. زمان ولدى خارب
الدنيا على ..

هتف مندور فى لوعة :- ابنك ...؟! يا زكريا .. انت بقالك
خمس ليالى غايب عن الدنيا .. فين ابنك ده ...؟! .. و ازاي
تسيبه لوحده ...؟! ..

بهت زكريا من الفترة التي غاب فيها عن الوعي و لكن ما
افزعه حقا هو حازم .. يا ترى كيف حاله الان مع الست
تهانى و التي بدورها لا تعلم أين مكانه ...؟! ..

هتف زكريا :- ولدى في البنسيون اللى انى جاعد فيه
بترعاه صاحبتة و بتخلى بالها منيه لحد ما ارجع من شغلى
.. كتر خيرها ..

هتف مندور :- طيب احنا هنبعت نجبهولك .. بس هي فين
ولدتة ...؟! ..

همس زكريا بشجن :- الله يرحمها ..
 تخرج مندور :- الله يرحمها ..
 ثم استدار مندور هاتفاً :- انا هبعت السواق يجيب الولد
 .. اسمه حازم مش كده ..؟!..
 هتف زكريا رافضا :- لاه .. ملوش عازة يا حاج مندور ..
 بس وصلوني لعنديه و كتر خيركم ..
 هتف مندور مؤنباً و هو يستدير ليعود لزكريا يرجع كتفيه
 لموضعهما على الفراش حينما عم بالنهوض متحاملا على
 الأم كتفه و رأسه :- انت رايح فين ..؟!..
 ممنوعة و خطر عليك دلوقتي .. مفيش روحة في اى حته و
 ابنك هيجيلك لحد هنا .. ارتاح بقى ..
 عاد زكريا متمدداً على الفراش و في اثناء ذلك وقعت عيناه
 على تلك الفتاة التي كانت قابعة في احد أركان الغرفة
 صامته تماماً لم تنبس بحرف .. تتطلع لما يحدث بعيون
 متسائلة حيرى .. و تشبك كفيها و تفرك أصابعها في
 اضطراب ظاهر ..
 أشاح زكريا بنظراته عنها و هو يكتنفه شعور عجيب بأنه
 قابل تلك الفتاة من قبل و لكن لا يعلم أين او متى حدث ذلك
 ..؟!..
 اندفع مندور خارج الحجرة ليقوم بما يلزم ليحضر حازم و
 ما ان رأت ابيها يخطو خارج الغرفة حتى اندفعت بدورها
 في اضطراب خلفه حتى انها لم تفكر للحظة بأن تشكره ..
 لكنه لم يهتم كثيراً فهو يدرك تماماً تلك الطبقة الواسعة
 الثراء و كيف يكون ابناءها .. انهم يروا أنفسهم فوق البشر
 جميعا و ان جميع بنى ادم قد خلقوا فقط لخدمتهم ..

دخلت الخادمة تحمل صينية الطعام لزكريا و خلفها كانت تلك
 الصامته التي لا تنطق بحرف ترفعا ..

وضعت الخادمة الصينية على تلك الطاولة الصغيرة
الموضوعة على الفراش امام زكريا و رحلت ..
توقع زكريا ان ترحل معها .. فهو بالنسبة لها مجرد شخص
غامر بحياته لإنقاذها و عليها شكره و الإمتنان له بطريقتها
اى كانت هذه الطريقة حتى و لو فظة و لا تحمل اى ملامح
من الذوق المفترض في مثل هذه الحالة .. لكن من هو
ليطلب اكثر من ذلك؟! .. فعليه ان يكون راضيا و ممتنا لذاك
البزخ الذى يعيش فيه و تلك الرفاهية التي ما كان يحلم بها
في جناح ملكى كهذا و في فيلا احد أكبر مقاولى الإسكندرية

...
جلست هي كعادتها في ذاك الركن و بدأ الاضطراب المعتاد
يسكنها بفرك أصابعها كما اعتادت ..
لم يعرها اهتماما و لا نطق بحرف لكن لا يعلم لما نظراته
رغما عنه تحيد باتجاهها ..
هناك شيء ما يجذب نظراته اليها و هو القادر دوما على
غض بصره ..

لكن هناك شيء أقوى من تلك القدرة امام تلك الفتاة .. ربما
هو الفضول الذى يدفعه للتفرس فيها رغما عنه لعله يتذكر
أين رآها.. فهو يكاد يقسم ان هذا الوجه قد قابله من قبل
لكن لا سبيل للتذكر في اى مكان و ما المناسبة ..
اندفع حازم من باب الجناح في تلك اللحظة هاتفاً ما ان رأى
ابيه مندفعاً لفراشه :- سكريا..!!!...

اخرج هتاف حازم زكريا من شروده ليتلقفه بين ذراعيه ..
اندفعت هي ترفع صينية الطعام بعيدا عن الفراش مخافة
اسقاطها بسبب اندفاع حازم المحموم تجاه والده الا ان
زكريا ترك حازم و اندفع يحمل الصينية في نفس اللحظة
التي وضعت كفيها لتحملها بعيدا ..

كفه على احد كفيها و صينية الطعام بينهما و نظرات
مصعوقة من قبلها و نظرات محرجة من قبله .. ثوان مرت

بلا رد فعل و فجأة تركت الصينية ليتدلقها هو قبل سقوطها
و تندفع خارج الغرفة كالمذعورة التي يتعقبها الشيطان ..
ترك زكريا صينية الطعام جانبا و أعاد تركيزه على حازم
الذى اندفع لأحضانه من جديد معاتباً إياه على غيابه تلك
الفترة الماضية و تركه وحيدا و قد بكى كثيراً و لم تستطع
الست تهنأى إسكاته ليهتف زكريا مازحاً :- وهو في راجل
يبكى برضك ..؟!..

هتف حازم بنبرة جدية :- انا مش راجل على فكرة .. شوف
انا طولى ايه و انت طولك ايه .. و أشار بكفه مقارنا طوله
بطول والده مستطرداً لما ابقى طولك هبقى راجل ..
انفجر زكريا ضاحكاً و لم يعلق على منطق ولده الغير قابل
للمناقشة بل احتضنه في شوق و استدار يحمل صينية
الطعام يطعم ولده منها و يتناول طعامه متطلعاً لحازم في
سعادة ...

.....
اندفع مهران لداخل السرائ و هو
يمسك
برأسه متألماً صرخت الحاجة فضيلة و هى ترى الدماء تلو
ث جلباب
حفيدها مما استرعى
انتباه زهرة الذى اندفعت تتأكد من سلامة
ولدها ..
رفعت كفه عن الجرح النازف لتتأكد انه يحتاج الى بعض ال
قطب الطبية فى الحال ..
اما الحاجة فضيلة فاندفعت تحضر
بعض من
البن المحوج الذى تخفيه بعيدا عن

كف
عاصم حتى لا يتخلص منه بسبب
حبها للقهوة
التي ترفع لها ضغط الدم ..
هتفت زهرة بها وهي تهم بوضع البن على
جرح مهران :- لا يا خالتي .. ده
محتاج
خياطة ضروري .. انا هبعت سعيد يجيب
الدكتور ..
و بالفعل اندفعت زهرة تطلب الطبيب بينما
هتفت الحاجة فضيلة في ضيق
موجهة كلامها لمهران حفيدها الذي كان يجلس على طرف
الأريكة شاردا لا يبالي :-
مين اللي عمل فيك كده يا روح ستك ...؟!..
هتف مهران :- الواد سلامة الصايغ .
ضربني بالحجر و جرى ..
أغمضت الحاجة فضيلة عيونها
مفكرة بعمق :- طب و هو عمل كده لحاله ...؟!..
ايه يا واد الغالى ...؟!..
هتف مهران مدافعا عن نفسه فاشيا سره في
براءة :- هكون عملت له ايه ...؟!..
انا
خناچتي كانت مع اخوه الجبان اللي
مجدرش على راح باعت لى اخوه الكبير ..
راح
ضربني على طول بالحجر في
راسي و
جرى .. هما الاتنين أجبين من
بعضيهم عشان

عارفين محدش هايصدر يضربني ..
 ابتسمت فضيلة لحفيدها الذي كان
 يتسم عن
 اقرانه بقوة البنيان و هتفت بفخر و
 هي
 تحاول تنظيف الجرح :-
 معلوم .. هو انت واد مين ؟!.. ده انت واد
 عاصم الهواري ..
 ثم نظرت في تخايب و هي تدرك ان في الأمر شئ خفى لا تد
 ركه :- بس برضك انت مجلتش .. ايه سبب
 العركة من الأساس يا مهران ؟!
 صمت الصغير و أنقذه الطبيب الذي استأذن و بدأ في عمله
 و نظف
 الجرح و عقمه ثم بدأ في تقطيعه و
 الطفل يبدي رباطة جأش تفوق سنه جعلت الجدة تبتسم و ه
 ي تتذكر ابيه في
 مثل عمره .. كان نسخة منه في كل شئ على
 الرغم انه يشبه لحد اكبر الجد مهران الذي
 سُمى تيمنا به من الناحية الشكلية و بعض
 الصفات .. لكن فيما يخص القوة و
 الحمية
 فإنه لا يختلف عن عاصم إطلاقا ..
 اندفعت سهام داخل القاعة حتى كادت تصطدم بالطبيب الذي
 أنهى عمله و كان في سبيله
 للرحيل
 و هي تجذب خلفها ابنتها تسنيم في
 يد و
 الأخرى تسبيح ذات الاربع سنوات في اليد
 الأخرى

هتفت فى لوعة ما ان رأت ضمادة
 مهران
 التى وضعها الطبيب على جرحه :-
 يا ولدى .. يجطعنى .. بتي السبب ..
 هتفت فضيلة و زهرة فى آن واحد :- ازاي ..؟! .. كيف ..؟! ..
 نكس مهران رأسه أرضا و صدق
 حدس الجدة فضيلة فها هو المستور يظهر عندما اندفعت سد
 هام تحكى
 بعفوية :- تسنيم كانت بتلعب
 جدام الدار راح الواد البارد بن
 الصايغ
 ضايحها راح مهران ضاربه .. الواد الفجرى راح جاب اخوه
 و راح
 ضارب مهران بالحجر فى رأسه و طلع يرمح و الله لما ياچ
 ي عاصم و حسام لهيشوفوا الى ما شافوه .. عيال
 جليلة الرباية ..
 ابتسمت الحاجة فضيلة و هى تربت على كتف مهران هامس
 ة فى
 استحسان :- جال كنت
 بتحوش عن بت عمتك يا مهران ..؟!
 هز الصبى رأسه المنكس ببطء ..
 لتعيد الجدة
 التريبت على الكتف الصغير في
 سعادة هامسة له :- جدع .. عفارم
 عليك .. أوعى تخلى حد
 يجرب من حاجة تخصك ..
 رفع الصبى رأسه متعجبا :- تخصنى .. ازاي يا ستي ..؟! ..
 ابتسمت الجدة متناسية سهام و زهرة اللتان
 أخذتا فى الحديث فى شأن رجالهما

الغائبين :- معلوم يا جلب ستك ..
 تخصك .. مش بت
 عمتك .. يبجي تخصك .. و تدافع
 عنيا مهما كان جدام مين .. سمعنى يا مهران ..؟!..
 همس الصبى محاولا الإستيعاب لكل ما قالته
 الجدة :- سامعك يا ستى ..
 اقتربت تسنيم بجسدها البض الممتلئ
 قليلا فى خجل من مجلس مهران و جلست
 بجانب الجدة على استحياء هامسة و
 هى تشير للجرح برأسه :- هو بيوجعك يا مهران ..؟!..
 هتف الصبى فى تأكيد :- لاه مش
 و اچمنى ..
 انا راجل .. و ده خربوش صغير ..
 انفجرت الحاجة فضيلة ضاحكة على رد فعل حفيدها الذى اث
 لج صدرها ..

اندفع حازم لغرفة زكريا صارخاً فى فرحة و كانت زينة فى
 أعقابه تحاول اللحاق به حتى انها من شدة اندفاعها لم
 تستطع ان تمنع نفسها من التوقف قبل ان تصل لأعتاب
 الغرفة ..

كان حازم الآن فى أحضان زكريا مدعيا الإختباء منها
 فابتسم زكريا لأفعال ولده و تطلع ممن يركض بهذا الشكل
 ليراها تقف حائرة على اعتاب الباب مضطربة و مترددة
 هل تدخل ام ترحل .. كانت تلك المرة الأولى التى يراها فيها
 بعد حادث صينية الطعام الغير مقصودة منه و رد الفعل
 العجيب منها ..

هتف زكريا فى تأدب :- اتفضلى يا أنسة زينة ..

و كأن عرضه هو الدافع الذى كانت بانتظاره لتدخل الجناح
في خطى وئيدة و مترددة ..

حتى جلست في ركنها المفضل .. صامتة كعادتها ..
هتف زكريا معاتباً حازم :- احنا مش جلنا نبجى هاديين يا
حازم و منتعش حد معانا !؟..

هتف حازم ممتعضاً:- ما انا مؤدب و هادى أهو .. انا كنت
بلعب مع طنط زينة .. فيها ايه دى؟!؟..

ابتسم زكريا :- مفيهاش حاجة يا غلباوى بس منتعبهاش
معاك ..

تطلع اليها زكريا ليجدها أخيراً ترفع نظراتها المطرقة دائماً
الى الأرض لتتطلع اليه بدورها ..

دخل الحاج مندور في تلك اللحظة ملقياً التحية و مطمئناً
على صحة زكريا ..

نظر الحاج مندور لإبنته متعجباً عندما وجدها تجلس في
هدوء في حضرة زكريا و ابنه دون ابداء ذاك الإضطراب
المعتاد و فرك أصابعها المترامن مع ذاك التوتر ..

كانت بالفعل تجلس هادئة تماماً و كأنها في حضرته هو ..
فهو الوحيد الذى تكون على طبيعتها معه ..

هتف الحاج مندور :- ها جاهز يا زكريا للى اتفقنا عليه .. و
لا نأجل الموضوع شوية !؟..

هتف زكريا مؤكداً :- لاه نأجل ايه؟!؟ كيف نأجل يا حاج ..
ده انت موجف الشغل من ساعتها في العماير و ده برضك
جوت ناس و اكل عيشها ... الداكتور جال بإذن الله على
بكرة بالليل بكثيره هاياجى يظمن على چرح راسى و يفك
الشاش اللى عليها ده.. هي بس يدى اللى هتاخذ و جت شوية
.. بعد بكرة الصبح بإذن الله انزل الشغل و ننفذوا اللى اتفجنا
عليه يا حاج ..

هز الحاج مندور رأسه موافقاً :- تمام يا زكريا و ربنا يعمل
اللى فيه الصالح ..

همس زكريا :- ياذن الله ..
 نهض الحاج مندور مغادراً :- طيب يا زكريا نسيبك تستريح
 و كله على الله ..
 استدار الحاج مغادراً و ما ان وصل لأعتاب الباب حتى وجد
 ابنته لم تتحرك خلفه مسرعة كالمعتاد .. ابتسم في هدوء
 هاتفاً في محبة :- زينة .. مش هتعشنا و لا ايه؟! ..
 انتفضت زينة عندما انتبهت لمغادرة والدها و قد احمرت
 وجنتاها خجلاً و هي تندفع خلفه مغادرة الغرفة في سرعة
 كما اعتادت ..
 ليتبعها زكريا بنظراته المتمردة على رغبته في عض بصره
 عنها حتى رحلت .. فتنهد في ضيق و احتضن ابنه بذراعه
 السليمة الى صدره .. ليروحا في نوم عميق من جراء
 الدواء الذي يتناوله ..

صرخات أيقظت زكريا من سباته دافعة أياه للنهوض في
 عجالة مقاوما ذاك الدوار الذي اكتنف رأسه فجأة عندما
 نهض مسرعا من نومه ..
 اندفع خارج جناحه متتبعا الصرخات المتلاحقة و التي تنبئ
 بكارثة ..
 وصل أخيرا لمكانها و عرف مصدرها و الذي لم يكن الا
 حازم ..
 هتف زكريا ملتاغاً عندما رأى حازم متعلقاً بأحد أعمدة
 السلم الداخلي للفيلا على ارتفاع لا يقل عن مترين من
 الأرض ..
 و كانت تقف على مقربة منه زينة .. و التي كانت تقف
 مصدومة لا تحرك ساكنا و لا تنطق حرفا ..

اندفع زكريا ليقف أسفل المكان المعلق به حازم هاتفاً به
يطمنئه :- متخافش يا حازم .. متخافش .. انا اهاا .. سيب
يدك .. انا هتلقفك ..
ليصرخ حازم برعب رافضاً ترك كفيه و الدفع بنفسه للأسفل
ليتلقفه والده ..

هنا ظهرت الخادمة التي كانت تشتري بعض مستلزمات
المطبخ ووصلت لتوها لتترك ما بيدها مندفعة لأعلى الدرج
محاولة سحب حازم لكن حازم لم يعطيها الفرصة لمساعدته
خوفاً من سقوطه .. حاولت معه كثيراً و زكريا يكاد يجن
بالأسفل لا يستطيع ان يبرح مكانه خوفاً من سقوط حازم
المفاجئ .. و الذى حدث بالفعل عندما قلت قدرة كفيه
الصغيرين على الإمساك و التعلق لفترة طويلة بذاك الافريز
الضيقة فهو صارخاً ليلتقطه زكريا

بذراعه السليمة مترنحا من الثقل و الألم في نفس ذات
الوقت فسقوط حازم قد مس ذراعه المصابة غصبا عنه ..
شهق حازم بين ذراعى والده باكيا .. ضمه زكريا اليه
متهددا و زافرا في عدم تصديق ان ابنه بخير و لم يُصب
بأذى .. و هنا ..

وقعت عيناه عليها .. كانت لاتزل على وقفها المشدوهة و
نظراتها المصدومة ..

لا يعرف زكريا ما الذى دهاه لحظتها ليندفع اليها و قد وضع
حازم ارضا ليمسك بذراعها و يهزها في عنف صارخاً :-
انت ايه ..؟! الواد كان ممكن يموت جدامك و انت ولا اى
إحساس .. هو احنا رخاص جووى عنديكم كده .. يلعن أبو
الفلوس اللي تخلى اللي زيك مش هماه حتى أرواح الناس ..

و دفع بها و ألتقط كف حازم منصرفا في ثورة و قد عقد
عزمه على الخروج من هنا مهما كان .. فلن يأمن على
طفله الوحيد مع امرأة مستهترّة كتلك الفتاة و التي لم يكن
يع انها بدأت تنتفض و تتشنج ما ان لمس ذراعها في

خضم ثورته و لم يدرك انها الان بدأت تبكى بشهقات
منتفضة تقطع نياط القلب حتى ان الخادمة اندفعت اليها
تحاول تهدأتها لكن لا فائدة ...

ترنيمة جنوبية

الثالث عشر

بدأ زكريا في جمع ملابسه و ملابس ولده و هو يقسم انه لن يبيت في هذه الفيلا بل لن ينتظر فيها لحظة و احدة .. فلقد كاد ان يفقد ولده الوحيد بسبب تلك المدللة التي تتعالى على امثاله حتى انها تترفع عن الحديث اليه و لو ببعض كلمات مجاملة او شكر ..

انتهى من جمع كل ما له و ألتقط كف حازم و اندفع خارجا من الجناح الجانبى للفيلا و الذى يفتح بباب منفصل على الحديقة و الذى خُصص لضيوف الحاج مندور حتى يكون لهم الخصوصية بعيدا عن الفيلا وقاطنيها...

وما كاد يصل زكريا لباب الفيلا الخارجى حتى هتفت به الخادمة و التي جاءت مسرعة تستجد بأى شخص تجده في طريقها :- حد يلحقنى .. الست زينة واقعة و قاطعة النفس و جسمها كله بينتفض و مش عارفة أتصرف ..

ترك زكريا حقيبته في عجالة تاركا كف حازم في يد الخادمة مندفعاً لداخل الفيلا حيث وجدها في نفس المكان الذى تركها به منذ دقائق لكنها متمددة على الأرض تنتفض و هي تضم جسدها في وضع الجنين و تطبق عليه محتضنة نفسها بذراعيها بغرض الحماية .. انحنى زكريا بإتجاهها هاتفا باسمها في قلق :- أنسة زينة .. أنسة زينة ..

لكن لا مجيب .. تطلع حوله في توتر لا يعرف كيفية التصرف يتأكله الذنب لأنه شعر ان ما يحدث الان بسبب صراخه في وجهها .. هتف للخادمة التي وصلت في أعقابها مع حازم :- اتصلنى بالحاج مندور.. خليه ياچى بسرعة ..

هتفت الخادمة :- الحاج مندور مسافر وهايرجع اخر النهار
 .. و قال يمكن يبيت و مش هاييجى الا بكرة الصبح..
 ضرب زكريا كفا بكف و هو يرى حالتها تسوء و هو غير
 قادر على التصرف و أخيرا هتف :- طب تعرفى نمرة
 داكتر نكلموه ياچى يشوفها!..
 أكدت الخادمة الحمقاء :- اه .. الدكتور مؤمن .. هو بيتابعها
 من فترة و..

قاطعها زكريا هاتفاً في حلق :- و ساكتة يا حزينه ..
 !؟؟..أجرى كلميه خليه ياچى حلاً..
 اقترب زكريا منها و هاله وجهها الباكي و جسدها المنتفض
 حتى و ان خفت حدة انتفاضاته الا ان مظهرها الآن يدمى
 القلب.

اقترب منها متحاملا على نفسه حتى يحتمل ألم ذراعه و هو
 يفك تلك الدعامة التي يتعلق بها ذراعه محمولا و منجذبا
 لأعلى الى رقبته ليدفع به جانبا و يضع يده اليسرى تحت
 كتفيها و اليد اليمنى يدفع بها متألماً تحت ركبتيها و ينهض
 دفعة واحدة حاملا أياها و هو يتصبب عرقا من جراء ألم
 ذراعه الذى بدأ كنيران تنشر بطول كتفه
 .. صعد الدرج و وصل للردهة لا يعلم أين حجرتها و أخيرا
 قطعت الخادمة حيرته هاتفه به :- من هنا يا سى زكريا ..
 تبعها زكريا و هي تعدل الفراش و هو يدخل تلك الغرفة
 الرحبة ليضعها أخيرا به و هو يكتم ألماً فاق الحد ..

رفع زكريا نظراته لأعلى الدرج الذى يهبطه الطبيب الان و
 هو يكلم الخادمة هاتفاً:- هو ايه اللى حصل بالظبط وصل
 الحالة لكده ..؟!..

ازدرد زكريا ريقه فيبدو ان الامر اكثر سوء مما كان يظن
 ليستطرد الطبيب :- واضح انها اتعرضت لصدمة جامدة ..

هتفت الخادمة :- ايوه .. عندنا ضيوف ابنهم كان هايقع من السلم و هي كانت واقفة و مش عارفة تتصرف ..

سأل الطبيب :- بس ..؟! ..

هنا تدخل زكريا قائلا بعد ان وصل الطبيب بالقرب منه :-

لااه .. انى زعجت فيها چامد يا داكطور لانها حتى

مصرختش و لا استنجدت بحد يلحج الواد ..

نظر اليه الطبيب في تعجب للحظات و أخيرا ادرك ان زكريا

لا علم له بطبيعة حالة زينة فلم يستطرد في حديثه و إنما

هتف في عجالة:- على العموم بلغوا الحاج مندور يكلمنى

ضرورى اول ما يوصل .. و انا أديتها مهدئ و ان شاء الله

تصحى كويسة ..

اوما زكريا موافقا :- بإذن الله ..

لم يستطع زكريا الرحيل و هي بتلك الحالة و خاصة بعد أن

تأكد ان الحاج مندور لن يأتي الليلة فوجب عليه البقاء لأى

ظرف طارئ ..

دفع بحازم الشبه نائم لجناحهما مؤكدا على الخادمة البقاء

معها و ان تناديه اذا ما جد جديد او حدث شيء ما يستدعى

وجوده ..

وضع حازم على الفراش و دثره جيدا و هو لا يحتمل الألم

كتفه فترنح حتى وصل للحمام معتقدا ان حمام ساخن على

موضع الألم قد يخفف بعض مما يعان .. لكن هذا لم يحدث

فقد ظل الألم على حاله .. بحث في تلك العقاقير التي كان

يتناولها ليجد في احداها مسكنا تناول منه حبتين و استلقى

محاولا النوم و لو قليلا ..

أغمض عينيه محاولا الوصول لأعتاب النعاس لكن لا فائدة

فأمامه تظهر نظراتها المذعورة و جسدها المرتعش و هو

يهزها بقوة .. كيف لم يع كل هذا في لحظات غضبه؟! .. كيف

فاته ذعرها و نظراتها المرتعبة بتلك الطريقة ..؟! ..

لقد أعمته ثورته عن ادراك ما كان يجب عليه ادراكه .. و
أنساه حنقه اقل أصول المفروض .. كيف يمسه من
الأساس .. كيف يضع كفه عليها وهي وحيدة و ابوها غير
متواجد ..

اخذ يزفر في ضيق و هو يشعر بذنب رهيب لانه تخطى
أصول المفروض و الواجب و هذه ليست طبيعته و لم تكن
يوما ..

ما الذى دفعه لذلك ..؟! .. هو لا يعرف .. لكن كل ما يعرفه ..
ان صمتها القاتل و نظراتها المذعورة أحيانا و المتعالية
أحيانا أخرى .. تثير حنقه .. و تطلق شياطينه ..

دخل عاصم السرائى مسرعا يصعد للأعلى مناديا زهرة في
عجالة .. ظهرت من داخل احدى الغرف تلبي نداءه ..
دخلت خلفه الغرفة لتجده يزرعها في غيظ جيئة و ذهابا ..
هتفت و هي تراه على هذه الحالة :- خير يا عاصم ...!!!
في حاجة .. شكلك ميظمنش ..؟! .. و سعيد لما جالك مذعور
الصبح يناديك .. كان عشان ايه ..؟! ..
هتف فيها أمرا :- ما ده اللى هعرفه منك .. ألبسى بسرعة و
تعالى معاى ..

لم تجادل بل ذهبت لترتدى ملابسها على عجالة لتقف أمامه
في لحظات لتتبعه و هو يضع عباءته على كتفه .
ركبا السيارة و اتجها كما استنتجت للزائب الخاصة
بالبهائية .. و التي تأتيها من حين لآخر لفحص البهائم او
تطعيمهم او عند وجود حالة تستدعى تدخلها ...
ما ان ظهر بالسيارة حتى تنحى الجميع جانبا و ما ان
ادركوا وجود زهرة معه حتى اختفى الجميع في سرعة
تاركى الساحة فارغة ..

هتف عاصم :- تعالى .. لتدفع خلفه و هي لا تدري من
امرها شيئا و لا تدرك لما هي هنا من الأساس حتى دخلت

للذرية و ما ان طالعتها المنظر الدامي أمامها حتى شهقت
في دعر .. من الذي يمكن ان يفعل شيئا حقيرا كهذا؟!..
عدة رؤوس من الماشية ممدة بلا حراك نظرت لعاصم في
صدمة :- مين اللي عمل كده؟!..
ماتت بشكل طبيعي ..

هتف عاصم :- ما هو ده اللي شكيت فيه .. عشان كده جلت
محدث هياكد شكى الا انت..

مد لها كفه ببعض القفازات التي احضرها من الدكتور
البيطري المشرف على الاسطبلات .. و الذي كان من
الممكن ان يطلب منه فحص البهائم .. لكنه لم يكن يريد الا
رأيا يثق فيه .. رأيا ..

بدأت في مباشرة عملها .. و ما ان انتهت حتى خلعت
قفازاتها وهي تتنهد في حسرة مؤكدة صدق شكوكه هاتفة
:- ايوه يا عاصم .. شكك في محله .. البهايم دي مسمومة
للأسف .. حسبنا الله و نعم الوكيل ..

جز عاصم على اسنانه هامسا باسم ما لاعنا صاحبه لتهتف
زهرة :- انت عارف مين اللي عملها يا عاصم؟!..
متسكتش انت عارف ده مخسر كرام راس .. دوول ثروة ..
خسارة و الف خسارة ..

أوما برأسه موافقا إياها و هو يصطحبها للسيارة ليعودا
للسرائ و هو شارد الفكر مشغول الخاطر

انتفض زكريا من فراشه وهو يتحسس موضع حازم فلا
يجده ليتطلع حوله مناديا و لا مجيب .. خرج مذعورا
للحديقة ينادي

بلهفة على ولده و الذي فجأة اجابه ..

نظر زكريا للأعلى ليجد ولده يطل عليه من نافذة احدى
الغرف بالأعلى هاتفا ليسأله في حلق :- انت بتعمل ايه
عندك؟!..
.....

هتف حازم :- انا قاعد مع طنط زينة .. مش هي تعبانة و لازم اقعد جنبها!؟..

جز زكريا على اسنانه في غيظ من تصرفات و لده و التي ستجبره على الصعود اليه و صرفه عن ازعاجها .
زفر زكريا في ضيق و هو يدخل الى الفيلا مستأذنا صاعداً الدرج في تردد و أخيراً وصل لغرفتها عبر ذاك الرواق المكسو بالسجاد القرمزي .. طرق الباب في اضطراب هاتفاً :- تعالى يا حازم عشان نُفطر ..

انفرج الباب فجأة عن ولده هاتفاً :- انا فطرت من بدرى مع طنط زينة ..

جفل زكريا من فتح الباب بغتة و استطاع لوهلة ان يلمح طيفها على الفراش جالسة تتكى على الوسائد خلف ظهرها و شعرها الكستنائى القصير يحيط بوجهها في براءة لم يستطع الا ان يهتف بصوت متحشرج يملؤه الشعور بالذنب :- كيفك النهاردة يا أنسة زينة ...؟!..
لم ترد كعادتها .. و لكنه لاحظ انها تؤمى برأسها في إيجاب

و فجأة لاحظ زكريا ما يقوم به حازم فاندفع لداخل الغرفة ملتقطاً منه تلك الصينية التي يحاول حملها هاتفاً فيه بضيق :- مالك انت و مال الصينية .. هاتها و تعال جدامى سيب طنط زينة تستريح ..

امتعض حازم هاتفاً و هو يندفع لأحضان زينة :- لاا .. مش هسيب طنط .. هقعد معاها ..

كانت هي صامتة تماماً .. و ابتسامة محبة لحازم مرسومة على شفتيها و لم تعترض على قراره بالبقاء معها .. لكن زكريا كان يشعر بالإحراج يغرقه .. أولاً لانه يقف الان في أكثر الأماكن خصوصية .. حجرتها..

و هذا لا يجوز و ثانيا .. ان من دفعه لذلك هو ولده الذى بلغ منه الحق مبلغا كبيرا جعله يقسم داخلها ان يخرجها معه من غرفتها و لو عنوة .. و ليكن ما يكون ..

وضع صينية الطعام على الطاولة الجانبية و اقترب يرفع حازم بيده السليمة الا ان اعتراضات حازم تزايدت وتيرتها و هو يحاول رفعه حتى انه ضرب ذراعه المصابة بقوة و التي كان الألم قد بدأ يعاودها من جراء انسحاب تأثير المسكن القوى الذى تناوله الليلة الماضية .. تألم زكريا بصوت عال هذه المرة و انحنى تاركا حازم رغما عنه لتنتفض هي في اتجاهه تتأكد ان كل شيء على ما يرام .. كان الوضع عجيبا .. حازم صامتا من جراء احساسه بارتكابه خطأ فادح في حق والده الذى يتألم الان منحنى الجذع ممسكاً بذراعه و كتفه المصاب .. و زينة التي انتفضت من فراشها تقف حائرة لا تعلم ما يجب عليها فعله .. الا انها وجدت نفسها بلا إرادة منها تربت على كتفه مشيرا اليه بالجلوس ليلتقط أنفاسه ..

كانت أنفاسة زكريا لربتها على كتفه أقوى من اثر الألم الذى يعتل في كتفه .. لذا نظر اليها متعجبا و لم ينطق بحرف ..

قطع ذاك الصمت المحموم دخول الحاج مندور الغرفة هاتفاً في لهفة :- زينة .. انت كويسة .. طمئنى عليك!..؟! .. ألتقط الحاج مندور ابنته بين ذراعيه يقبل جبينها في محبة و هي تربت على كتفه في محاولة منها لطمأنته .. كان وجود زكريا و ابنه في غرفة ابنته غريبا و غير مقبول بالطبع .. لذا هتف زكريا مبررا :- انا اسف يا حاج ..حازم كان هنا عند الانسة زينة و كنت چاى أبعدده عنها عشان ميسايجهاش .. اسمحلنا يا حاج نمشوا النهاردة .. و انا باذن الله من بكرة نازل الشغل عشان نعمل اللى اتفجنا عليه

..

هتف الحاج مندور :- خلاص يا زكريا .. اللى يريحك ... و
بكرة زى ما اتفقنا ..
هز زكريا رأسه موافقا و جذب ولده خلفه و رحل في سرعة
خارج غرفتها ..

سار زكريا باتجاه الموقع يبحث بعينيه عن شعلان و ما ان
وقعت عيناه عليه حتى توجه نحوه في سرعة ووقف أمامه
متحديا .. هتف شعلان ما ان رأى زكريا متصنعا المحبة :-
حمد الله على السلامة يا زكريا .. بركة انك بخير بعد اللى
حصل ..

هتف زكريا بنبرة تحمل المحبة الكاذبة :- الحمد لله يا ريس
.. بجولك ايه ..؟!.. انا كنت عايزك في موضوع كده ..
تتحى شعلان جانبا ساحبا وراءه زكريا متصنعا الاهتمام :-
خير يا زكريا .. خير يا خويا .. و ادخل كفه في جيبه هاتفاً
.. عايز فلوس .. رقبتي سداة .. خير ربنا كتير ..
ابتسم زكريا محاولا مداراة نبرته الساخرة :- ربنا يزيدك يا
ريس .. شيلك لعوزة .. اه انا عايز فلوس بس مش سلف ..
هتف شعلان :- أمال ايه ..؟!.. سلفة قصدك .. ما انت عارف
يا ..

قاطعه زكريا بحزم :- و لا سلفة ... عايز حجي ..
هتف شعلان مستنكرا :- حقك ..؟!.. حقك في ايه و لمواخذة
..؟!..

ابتسم زكريا ساخراً :- حجي من النهية اللى انتوا واكلينها
لحالكم انت و الباشمهندسين .. و احمد ربك انى مجلتش
للحاج مندور لحد دلوجت ..

تصنع شعلان الدهشة :- انت ايه اللى بتقوله ده يا زكريا ..
احنا مش بتوع الحاجات دى .. حد الله بينا و بين الحرام ..
انت جبت الكلام ده منين؟!..

همس زكريا :- هجولك چبته منين؟! .. وهاجولك كمان كنت
بتتفج مع الباشمهندس على ايه...؟! .. و تجابله فين و ازاي
...؟! .. اجولك على الناس اللي بيوردولك الاسمنت المغشوش
اللي بتخلطه بالأصلى .. ها .. اكمل و لا كفاية ...؟! ..
بهت لون شعلان ليكمل زكريا بغيط:- انت فاكرا انى مكنتش
واعى لراچلك اللي كان سامعنى و انا بحكى مع عم بحر و
جه نجل لك كل كلمة .. بس انت مصبرتش لحد اما اجيلك و
جلت تخلص منى بالحادثة الخايبة اللي كانت هتروح فيها
بت الحاج مندور لولا ساتر ربنا وان انى اللي كنت مجسود

شوف بجى الكلام ده كله لو راح للحاج مندور هايحصل ايه
...؟! .. و هايصرف معاك ازاي ...؟! ..

اصبح وجه شعلان يحاكى الموتى و جبينه يتصبب عرقا
عندما همس بصوت متحشرج:- طب انت طلباتك ايه ...؟! ..
هتف زكريا :- متسوينيش معاكم .. جدر انت حج سكوتى و
شوف تاجى كام من اللي نهبتوه من ورا الحاج!
هتف شعلان :- خلاص .. اتفقنا .. بس انا اضمن ازاي
سكوتك ...؟! ..

هتف زكريا :- مفيش ضامن الا مُصلحتى يا شعلان .. و انا
مُصلحتى معاكم .. و بعدين هو انا لو عايز أتكلم .. ما انى
جعدت أسبوع في بيت الحاج مندور .. مفتحتش بجى و جلتي
له ليه...؟! .. و اه نصيحة لوچه الله .. متحاولش تخلص منى
تانى .. اصلك انى بسبع أرواح ..

اوما شعلان برأسه موافقا و مقتنعا بكلام زكريا هاتفاً :-
خلاص .. انت معانا يا زكريا .. بس اللي هيسرنى علينا
يسرى عليك ..

كان دور زكريا ليومئ برأسه موافقا و أخيرا اتفقوا على
مكان يسلم فيه شعلان لزكريا نصيبه من العملية الأخيرة و
التي ثمنها سكوته ..

خرج الحاج مندور من وراء ذاك الجدار المهجور الذي كان يتحدث عنده زكريا و شعلان ليتأكد من صدق كل كلمة أبلغه بها زكريا ..

رن الهاتف بتلك الرنة المميزة لأذن بخيئة لتهتف من مكانها في شوق :- رد يا واد يا حمزة .. و لا أنت يا كسبانة .. ده زكريا اللي على التليفون ..

اندفع حمزة مجيبا في لهفة :- ازيك يا عمى هتف زكريا :- وااه .. كبرت يا حمزة و بجيت بترد على التليفونات كمان .. كيفك و كيف ستك بخيئة!؟.. هتف حمزة في سعادة :- بخير .. نفسنا نشوفوك .. مش هتاجي بجي يا عمى!؟..

تنهد زكريا هاتفا :- باذن الله .. فين ستك بخيئة .. نادم لها .. اچرى ..

جذب حمزة الهاتف و سار به في اتجاه جدته و وضع سماعته في كفها لتضعها هي في لهفة على اذنها تطمئن على ولدها الغائب ..

اندفع حمزة خارج الدار ليلعب فصادف يونس جالسا على درجات السلم المفضية لغرفته فهتف في سعادة :- اني كلمت عمى زكريا في التلفون و جالى انه هايجي جريب باذن الله ..

انتفض يونس متسائلا :- هو لسه بيتكلم!؟..

أكد حمزة :- اه .. لسه بيتكلم مع ستى بخيئة..

هتف يونس :- طيب اچرى .. جول لستك بخيئة متجفلش انا عاوزه ضرورى ..

اندفع حمزة منفذا امر يونس الذي تبعه داخل الدار هاتفا بصوت عال :- يا رب يا ساتر ..

و دخل منكس الرأس حتى وصل لموضع الحاجة بخيئة التي
ردت على سلامه هاتفة :- ادخل يا بنى .. منتش غريب ..
خد .. أهو زكريا كان لساته بيسأل عنيك ..
ألتقط يونس سماعة الهاتف من بخيئة ليهتف فى لهفة :-
زكريا ...؟!.. كيفك يا صاحبي ...؟!.. كده تغيب و تجول
عدولى ...؟!..

هتف زكريا مبررا:- معلىش .. الدنيا تلاهى يا يونس .. المهم
إنكم كلكم بخير .. و انت ايه اخبارك .. عجبك بلدنا ...؟!..
هتف يونس :- كله تمام يا هوارى .. بس بجولك ايه ...؟!..
انى عايز اطلب منك طلب ..
هتف زكريا :- انت تأمر يا يونس .. انت عارف غلاوتك
عندى ..

تلجلج يونس فى حروفه و تردد قليلا قبل ان يهتف بطلبه
دفعة واحدة قبل ان يتراجع :- انى طالب يد الست كسبانة ..
ايه جولك ؟..

صمت زكريا قليلا ثم هتف فى
سعادة :- انى ملاجيش أحسن منك يبجى بن اخويا فى
طوعه بس هى الأساس .. كلم امى و خليها تاخذ رأيها و لو
كده عاصم هيجوم بالازم .. على الأجل نجطع السكة على
سليم فى انه يفكر يردھا أو يضايجھا تانى وهى فى عصمة
راجل ..

هتف يونس فى سعادة :- يعنى انت موافج يا زكريا ...؟!..
أكد زكريا مقهقها :- ايووه .. انى موافج ياسيدي بس المهم
هى توافج .. و بلاش الغنا الفجرى بتاعك
لحسن تطفشها ..

قهقهه يونس :- بجى كده .. ماشى يا هوارى .. متشكرين ..
قهقهه زكريا و هو ينهى مكالمته مؤكدا ليونس على ضرورة
موافقة كسبانة ..و التى كانت فى احد الجوانب تقف تستمع
للمكالمة فى وجل و ضربات قلبها تصم اذنيها لا تصدق انها

تمر بتلك المشاعر المضطربة كمعظم الفتيات .. تلك
المشاعر التي لم تنعم بها في ظل ظروف زواجها القهرى
من سليم و الذى كان اقرب لصفقة بيع و شراء منه زواج
مبنى على المحبة كما تستشعر الان تجاه يونس الذى اندفع
لبخيتة كما نصحه زكريا لتكون همزة الوصل بينهما .. فمنذ
ذاك الإعلان عن رغبته فى الزواج منها داخل غرفته منذ ما
يزيد عن الأسبوع و هى كانت حريصة حد الهوس فى ألا
تراه و لو مصادفة فما كان لها ان تواجهه بعد تصريحه ذاك
.. حتى طعامه و دواءه كانت تضعهم على صينية تتسحب و
تضعها امام بابيه و تطرقه و تندفع مبتعدة ..

انها تذوب خجلا و اضطرابا ما ان تتذكر همسه لها بطلب
الزواج الغير متوقع ..

تنبهت لإبتسامة بخيتة و هى تتحسس موضع لكفها على
كتف يونس رابطة عليه فى سعادة بأنها ستحاول معرفة
رأيها فى اقرب فرصة ..

اندفع يونس فى نشوة خارج الدار لتظهر هى من ركنها
الساتر تقترب من بخيتة متصنعة اللامبالاة و عدم المعرفة
بالأمر لتهتف بها بخيتة :- تعالى يا كسبانة .. كنت فين يا
بتى؟ ..

هتفت كاذبة :- كنت على السطح بنشر الغسيل .. خير يا
خالتي ..؟! ..

ربت بخيتة على ظهرها هاتفة فى سعادة :- يونس يا بتى
.. طلب يدك من زكريا .. جلتي ايه ..؟! ..

صمتت و لم تعقب .. تشعر بسعادة تفوق حد تصورها ..
سعادة أجمتها حتى عن النطق لتهتف بخيتة بابتسامة
متخابئة :- طب على بركة الله .. هجول للجدع انك موافجة

..
هتفت كسبانة منتفضة :- انا مجلنش انى موافجة يا خالتي

هتفت بخيئة مقهقهة :- و مجلتيش انك رافضة يا عيون خالتك ..

صمتت كسبانه فى احراج لتستطرد بخيئة ضاحكة :- يونس ميتعيبش .. بن حلال و رايدك و بيحب ولدك .. بالك لو سمعتيه و هو بيطلب يدك من زكريا كان ملهوف كيف ..؟! .. و لا لما بيجولى اشوف رأيك ... و الله شاريك عن جد .. هتفت كسبانه فى لهفة :- صُح يا خالتى .. عن جد رايدنى ..؟! ..

أكدت بخيئة :- عن جد يا روح خالتك .. رايدك كيف ما انت ريده و اكثر كمان .. احمرت وجنتا كسبانه و رغم عدم رؤية بخيئة لذلك الا انها استشعرته كعادتها هامسة :- و الله رايدك يا بتى .. و عاشجك و وعيت لعشجه فى كل حرف ف كلامه كيف ما انى واعياه فى جلبك اللى بيتنفض فى صدرك دلوجت .. نهضت كسبانه تحتضن بخيئة فى سعادة مقبلة رأسها فى امتنان

هامسة :- ربنا يخليكى ليا يا خالتى .. و الله ربنا عوضنى بيك عن امى اللى جاطعتنى من زمن .. ربت بخيئة على ذراعها هاتفة :- الام متعوضش يا بتى .. بالك هى لو سمعت بجوازك .. هتكون اول اللى يفرح لك .. هى الام هتعوز ايه غير فرحة عيالها ..!!! ربنا يتمم لك على خير يا بتى .. بس مجلتيش .. ابغ يونس بموافجتك ..؟! ..

همست كسبانه فى خجل :- بلغيه يا خالتى .. لتقهقه بخيئة فى سعادة ...

اصر الحاج مندور على التواجد لحظة تسلم زكريا للمبلغ المالى من شعلان نظير سكوته ..

بالطبع كان يستطيع فضحه في الموقع عندما سمع ما دار بينه و بين زكريا لكن لطالما كان الحاج مندور يضع سمعته في كفة ميزان الذهب ولا يسمح بان تطالها اى شائبة او إشاعة مهما كان حجمها .. و ابلاغ الشرطة معناه تحقيقات و بلاغات و اشاعات لا تعد و لا تحصى .. لذا قرر التعامل مع اى مشكلة بمجهوده الشخصى وخبرته فقط..

كما تعامل مع حادثة زكريا و لم يبلغ الشرطة لان بها شبهه جنائية .. وهنا فيما يخص مشكلة شعلان .. قرر أيضا عدم ابلاغ الشرطة و الاكتفاء بالتصرف بما يراه مناسباً .. و على الرغم من عدم اتفاق زكريا معه في الرأي الا انه لم يستطيع معارضته فهو قبل كل شيء صاحب المال و المتصرف الأوحد فيه .. ومن حكم في ماله ما ظلم .. ظهر زكريا على ذاك الجانب من الطريق الذى اتفق مع شعلان على التواجد فيه .. و لم تمر لحظات حتى ظهر شعلان بدوره ..

اخرج ظرفاً به بعض النقود سلمه لزكريا الذى ادعى اللفة و هو يفتحه ليتأكد ان النقود كاملة فيه ..

هنا ظهر الحاج مندور من احد الجوانب التي كان يختفى وراءها .. ليهتف في شعلان معاتباً :- كده برضة يا شعلان ..!!!..

بهت شعلان عندما رأى الحاج مندور أمامه يصيح في وجهه معاتباً بهذا الشكل .. و من وراءه ظهر عدد من الرجال يحيطون به ..

نظر شعلان بصدمة للحاج مندور و زكريا و كل الرجال الذين يعج بهم المكان .. ليهتف الحاج مندور بصوت جهورى غاضب من جديد :- انا استأمنك على مالى و سمعتى و انت تخونى .. لا عاش و لا كان اللى يخون الحاج مندور الشامى ..

و أشار لرجاله الذين توجهوا لشعلان الذى بدأ يستفيق من صدمته ليصرخ مستجدا ليظهر مجموعة من الرجال كانوا على ما يبدو في انتظار إشارة منه ..

و بدأ التلاحم بين المجموعتين ليندفع زكريا و كل همه الزود عن الحاج مندور و ابعاده عن خضم تلك المعركة الضروس التي يدور رحاها بين الفريقين .. و لكن كان زكريا نفسه مستهدفا .. فقد حاول الدفاع عن نفسه قدر استطاعته و خاصة بتلك الذراع المتألمة و التي لم تشفى بعد .. جاهد حتى يصل للحاج مندور الذى اشتبك بدوره فى المعركة فلم يكن رجال شعلان بأقل من قوة او صلابة رجال الحاج مندور بل انهم فاقوهم عددا ..

كاد زكريا يصل للحاج مندور و في سبيل ذلك تلقى العديد من الضربات و اللكمات التي اصابته ذراعه الذى وصل به الألم حد اللانهاية .. و ما ان هم بسحب الحاج مندور بعيدا حتى باغتتهما عصا ضخمة تسقط باتجاههما حاول زكريا تفاديها لكن الرامى كان اسرع لتسقط على رأس الحاج مندور و يسقط بين يدي زكريا مخرج في دمائه ...

وقفوا جميعا زكريا و الطبيب و زينة امام ذاك الحائط الزجاجى لغرفة العناية المركزة و التي نُقل اليها الحاج مندور بعد تلك الحادثة التي كادت تودى بحياته .. كانت زينة كعادتها صامته .. مصدومة من مظهر ابيها الشاحب و جسده المعلق بالعديد من الأنابيب الطبية .. بكاءها كان حارا بدموع ملتهبه لكن بلا ادنى صوت يذكر .. وقف زكريا بذراعه المصابة و التي اصر الطبيب على وضعها في الجبس لسوء حالتها و لإرغامه على عدم تحريكها حتى تمام الشفاء لا يستطيع ان يبرر لها ما حدث و لا كيف لم يكن بمقدوره الدفاع عن ابيها .. كل ما قاله في

محضر الشرطة ان هناك من هاجم سيارة الحاج مندور و هو معه و أرغمهما على الترحل منها بغرض سرقتهما وعندما اعترضنا نالهما ما حدث بذراعه و لرأس الحاج مندور و لاز اللصوص بالفرار..

هذا ما قاله زكريا و كان على يقين ان الحاج مندور ما كان ليقل غير ذلك ..

اقترب في إشفاق من تلك الباكية التي تلتصق بزجاج غرفة العناية متطلعة لابيها المسجى بلا حراك في إشفاق و لوعة و همس :- هاييجى بخير صدجيني ..

انتفضت عندما سمعت صوته الرجولى ينفذ لمسامعها و بدأت تتوتر كعادتها .. و لكن العجيب انه عندما رفعت نظراتها الى وجهه

تلاقت مع نظراته المتعاطفة مما هدا من انفعالها قليلا و بدأ توترها في التراجع و أومات برأسها موافقة ..قررت هي البقاء بجوار ابيها و فهم زكريا ذلك ضمنا .. فقد شارفت الساعة على الواحدة بعد منتصف الليل و هي لم تتحرك للعودة للفيلا .. حمد الله انه استطاع مكالمه الست تهانى ليخبرها بما حدث و انه باق بجوار الحاج بدوره و أوصاها خيرا بحازم الذى كان قد نام بالفعل.

جلست على تلك المقاعد امام الغرفة لا قبل لها لتحيد بناظريها عن الزجاج .. عيونها تتعلق به كمن يتعلق بسماء مفتحة أبوابها لحظات استجابة ..

نهض يحضر بعض من ماء و شراب ساخن لأجلها و لأجل ألم رأسه الذى يقهر احتماله..

و ما ان عاد بحمله حتى رآها قد راحت في نوم عميق .. وضع الأكواب جانبا و زفر في حنق و هو يرى ما ترتديه .. تلك الجونلة التي بالكاد تصل لركبتيها و سترتها الحريرية التي تظهر ذراعها بأكمله .

اندفع لتلك الممرضة التي ظهرت عند اخر الرواق ليضع
بكفها ورقة مالية و يطلب منها احضار غطاء لأجلها ..
استلمه من الممرضة و عاد به ليجدها تضم نفسها بذراعيها
شاعرة بالبرودة جراء ما ترتديه ..

وضع الغطاء عليها في هدوء لتتململ هي في وداعة و
تتحرك رأسها عن حافة المقعد الذي كان تتركن عليه لتسقط
على كتفها تنبأ بقرب سقوطها او ربما اصطدام رأسها بحافة
المقعد المجاور .. وقف حائر لا يعلم ما عليه فعله و أخيرا
سحب عمامته من فوق هامته و انحنى يضم العمامة يدفعها
كوسادة تحت خدها دون ان يمسه .. يدعو الله الا تستيقظ
لكن ما حدث هو العكس .. فلقد استيقظت فاتحة جفونها في
صدمة ناظرة لذاك المنحنى يضع شيء ما تحت رأسها
.. تلاقت عيونهما و شعرت بشئ غريب يكتنفها .. شيء اكثر
غرابة مما تستطيع وصفه او اسباغ مدلول ما على كنهه ..
تنحنج هو في اضطراب و صرف بصره عنها في ثوان جاذبا
عيناه عن مجال عينيها المغناطيسي بقوة إرادة لا يستهان
بها ..

و نهض مسرعا يبتعد جالسا على أبعد مقعد اما هي
فانتفضت مندفعة باتجاه الحائط الزجاجي لحجرة ابيها ليسقط
الغطاء عنها و تقع عمامته على الأرض جوارها باهمال
أورثه الحنق و جعله يجز على اسنانه ندما
لأنه وضع عمامته تحت تصرفها لتكون هذه نهايتها ..
قرر النهوض في صمت لينتزع عمامته العزيزة من مكانها
الملقاة فيه خلف مكان وقوفها خوفا من عودتها لتدهسها
بإقدامها و ما ان هم بالتقاطها حتى عادت هي لمكانها
بظهرها و فجأة .. حدثت الكارثة ..

سقطت هي متعثرة فيه وتألم هو صارخا بسبب ذراعه و
أنقلب الوضع ليصبح كلاهما ارضا .. هو يفترش الأرض و

هي بلا حول و لا قوة تجد نفسها في احضانه جالسة على حجره ..

ماذا يحدث ...؟! .. و كيف حدث ...؟! ..
لا علم لأحدهما بما يجرى .. و لا كيف تم مثل ذلك الوضع الغريب ..!

وكما أصبحت عادة منذ تقابلا .. لحظات من صمت رهيب يعقبها صدمة .. ثم إفاقة تامة يخلفها رد فعل غير طبيعي ..
و في المعتاد من قبلها .. لكن الغريب هذه المرة ان رد الفعل العجيب ذاك كان من جانب زكريا .. الذي شعر ان تلك المتعالية ذات النظرات العجيبة المتباينة و المتقلبة كموج البحر .. و التي ترتدى تلك الملابس المتحررة عما اعتاده و تجلس في حجره الان ما هي الا جمرات من لهب ألقيت عليه فجأة ليكون رده الطبيعي ان يقذفها بعيدا و هذا ما حدث بالضبط .

لا يعرف كيف تم له ذلك .. لكن كل ما أدركه انه ألقاها عنه مبتعداً كأن شياطين الجحيم كلها تلاحقه .. حتى انه نسي في غمرة الاحداث المتلاحقة ألتقاط عمامته التي ظلت على حالها ارضا .. حتى انتشلتها يد رقيقة بأصابع مرتجفة ..
تضمها لتتوسدها و هي تشعر بإحساس عجيب و مفتقد منذ امد يغمر روحها و يهدد ألبها .. رائحته الرجولية المنبعثة من تلك العمامة كانت بمثابة ترياق ما لجلب النوم الهائى لجفونها التي ما كانت ترى الا كوابيس واقعها .. حتى بعد ما جرى منه و دفعه أياها بعيدا عنه بهذا الشكل .. الا انها لم تستطع ان تتخلى عن عمامته التي وجدت فيها بعض من شعور قديم مفتقد .. لا قبل لها على ضياعه من جديد ...

وصل عاصم و رجاله لذاك المكان المتطرف في اعلى التبة
الشرقية من النجع شاهرا سلاحه و اندفع لداخل احدى
المغارات الصخرية

هاتفا في حارسها الذى كان غافلا لحسن الحظ :- جوم ..
نادم على سيدك سليم ..

اندفع الحارس في دعر هاتفا و هو يتوجه للداخل مناديا
سليم الذى ما كادت تمر اللحظة حتى ظهر أمام عاصم
مشهرا سلاحه بدوره هاتفا في دهشة لمرأى عاصم :- انت
كيف وصلت لهننا يا عاصم ...؟! .. و ايه اللى چابك ورايا من
الأساس ...؟! ..

هتف عاصم بغضب هادر وهو يمسك بتلابيه بقوة :- يعنى
منتش عارف ..؟! .. وانى ايه اللى هيجيبنى وراك يعنى
...؟! .. عاشچك و مش جادر على بُعدك؟! .. عمايلك اللى
منتش مبطلها و الظاهر كده مش هتبطلها الا لما أنفذ اللى
جلتلك عليه جبل سابج ..

هتف سليم حانقا :- ايه ...؟! .. عملت ايه؟! .. ولدى و
اتوحشته و رحت اشوفه .. مكفرناش يعنى ..

زمجر عاصم هاتفا :- و احنا اخر مرة اتفجنا على ايه يا
سليم ...؟! .. مش جلتلك رچلك متعشبش النجع تانى؟! .. مش
كفاية انى ساكت على سمك للبهائم و حرجك للزرعة انت و
رچالتك .. بس شكلك كده جبت اخرها يا واد عمى ..

هتف سليم في دعر وهو يزدرد

ريقه :- ايه؟! .. ناوى على ايه يا عاصم ...؟! .. ده انى واد
عمك برضك ..

هتف عاصم في نفاذ صبر بثورة :- انت مخلتليش حل تانى
.. و ده أخرى معاك يا سليم ..

و اندفع عاصم من أمامه ليهتف سليم خلفه متسائلا :-

هتبلغ عنى الحكومة يا عاصم؟! ... هتبلغ عن واد عمك؟! ..

نظر عاصم و هو يمتطى جواده في ضيق :- معدش يتسكت
ع اللى بتعمله يا سليم .. و انى ماشى من هنا وإياك حد من
رچالتك يتعرض لى انى ورچالتى عشان اطربجها عليك جبل
حتى الحكومة ما توعى تشم خبر ...
و اندفع عاصم و رجاله بالفعل مغادرين ..
و لم يستطع اى من سليم أو احد من رجاله ان يحرك ساكنا
ليوقف الغول عما عزم أمره عليه ..

أفاق الحاج مندور أخيرا و للعجب اول من طلب رؤيته لم
تكن ابنته كما كان يظن الطبيب بل زكريا .. و الذى سمح له
الطبيب بالدخول للحظات لان الحالة مازالت غير مستقرة ..
تنحج زكريا و هو يتوجه لسرير الحاج مندور ليقف بالقرب
منه .. ليشير اليه الحاج مندور بالإقتراب اكثر .. أطاع
زكريا في هدوء و اقترب قدر الإمكان و انحنى حتى يستمع
لما يريد الحاج مندور قوله دون ان يرهقه كما امر الطبيب

..
همس الحاج مندور بصوت
متحشرج :- زكريا!!

انتبه زكريا بكامل حواسه مشجعا الحاج على الإستمرار
بإماعة من رأسه .. ليستطرد الحاج مندور بصوت متحشرج
:- زينة أمانة في رقبتك يا زكريا .. هي ملهاش حد غيرى و
قرايب من بعيد كل همهم هيورثونى امتى ..
هتف زكريا متعجبا :- في رجبتي انى يا حاج!..؟! كيف
..؟!..

اوما الحاج مندور هامساً بوهن :- ايوه .. محدش غيرك
هيعرف ياخد باله منها و يصبر عليها زيك .. و خصوصى
في حالتها دى ..

كانت الدهشة هي كل ما اعتلى ملامح زكريا و عقدت
الصدمة لسانه عن اى رد مناسب .. لذا استمر الحاج
مندور و هو يزدرد ريقه في صعوبة .. و يغمض جفونه في
محاولة منه ليستمد القوة اللازمة ليكمل ما بدأه :- انا
عايزك تتجوز زينة ..

كانت الصدمة الأكبر الان على ملامح زكريا الذى هتف
بدهشة :- اتجوزها؟! .. اتجوزها كيف؟! .. يا حاج انت
متعرفنيش .. و لا تعرف ايه اللى ورايا .. مش يمكن أكون
مش زى ما انت واعى .. و مراعيهاش بما يرضى الله و
ابجى كل اللى عايزه مالها و بس.. زى باجى جرايبها ...!!?
ابتسم الحاج مندور في ود لكلمات زكريا و التي تؤكد انه
رجل اصيل ذو معدن طيب كما كان يعلم و كما أكدت له
الظروف ذلك ليهمس :- يا زكريا يا بنى .. انا طول عمرى
بخش في صفقات كسبانية .. و ربنا كان ببسلهالى لانه
عارف انى ماشى في طوعه و عمرى ما عملت اللى يغضبه
.. هاتيلى على جوازة بنتى الغلبانة اللى ملهاش حد و
هخسر .. ربنا اكيد رايد لى الخير و رايد هولك .. و قبلنا كلنا
رايده للغلبانة اللى بره دى .. انا لما سافرت من يومين رحت
للحاج مرشدى الضبع ..

تنبه زكريا بكل حواسه و لم يعقب .. فاستطرد مندور :-
جبت سيرتك ف الكلام لقيت الراجل بيقول فيك و في أخلاقك
شعر و حكى لى حكايتك كلها من طقطق لسلام عليكم .. و
ازاى هو زعل انه خسر حد في امانتك بعد ما طلعت من
السجن براءة و رجعت اشتغلت عنده .. و بعدها قررت
تيجى على هنا ..

تنهد مندور في محاولة لالتقاط أنفاسه مما دفع زكريا
ليهمس :- طب ارتاح يا حاج و نكمل بعدين ..
هتف مندور في نزق :- مفيش بعدين؟! .. لازم تعرف كل
حاجة عن زينة بما يرضى الله .. وانا مش عايز حاجة الا

انها تبقى في عصمة راجل يحميها من اللي ممكن يحصل
بعد موتى و يصبر عليها عشان عارف حالتها ووضعتها ..
هتف زكريا :- حالة ايه يا حاج بعد الشر .. ماهى زينة و
زى الفل ...؟! ..

ابتسم مندور :- هي كده معاك انت بس ..
فغرزكريا فاه و لم ينطق .. و شرد قليلا فيما حدث منذ
ساعات و كيف عندما هدا و عاد لموضعه الأول امام الجدار
الزجاجى وجدها نائمة تتدثر بالغطاء الذى احضره لها و
تحتضن عمامته أسفل خدها في راحة .. ليستكمل مندور
بنفس الابتسامة مخرجا أياه من شروده :- هي مكنتش قابلة
تشوف او تسمع جنس راجل غيرى .. مكنتش بتطلع بره
الفيلا الا معايا و لأماكن محددة و متطرفة بعيد عن الناس ..
كل الخدم في الفيلا ستات و بس .. حتى البواب راجل عجوز
و بيقد دائما من بره .. فين و فين لما اتعودت على السواق
و بقت تخرج معاه من غيرى ..

هتف زكريا و هو يضيق ما بين حاجبيه في تعجب مستفسراً
:- طب و ليه العجدة دى !!

هتف مندور بنبرة منكسرة :- زينة من حوالى خمس سنين
اتعرضت لحادثة...

و صمت الرجل منكس النظرات و لم يستطع ان يتفوه بكلمة

..

حتى زكريا صمت بدوره و لم يكن يستطع ان يستنتج حتى
نوع تلك الحادثة .. فلم يكن بمقدوره تخيل ان تلك الفتاة قد
تعرضت لجريمة وحشية بهذا الشكل ..

طال الصمت و قطعه مندور بعيون دامعة لم يكن من السهل
ابدا ألتماعها في احداق ذاك الرجل الذى يرهبه السوق كله
و يقيم له الجميع ألف حساب .. لكنه في الأخير أب ..

همس مندور بصوت متحشرج :- ايوه يا بنى .. هو زى ما
استنتجت كده .. حادثة اعتداء .. و طبعاً متمسكوش .. و انا

قفلت الليلة عشان سمعة بنتى اللي مكنتش عارف يوميه
 هتقوم منها و لا لأ .. و أديك شايف حالتها .. بتتعالج لحد
 دلوقتي .. تفتكر دى ممكن اسيبها لمين ...!!! و لا مين
 ممكن يقدر يراعيها ...؟! .. ارحم واحد فيهم هيجيب شهادة
 بحالتها النفسية و يرميها في مصحة
 عشان يحط ايده على مالها كله .. و يبقى عمل اللي عليه ..
 عرفت انا بقول ليه اتجوزها ...؟! .. حتى ولو عايز تتجوز
 تانى ده حقك .. لكن متسيبهاش يا زكريا و خليها دايم تحت
 حمايتك ..

هنا بكى الحاج مندور بالفعل و لم ينبس زكريا بحرف واحد
 و نظراته تتأرجح ما بين ذاك الباكي المسجى على فراشه و
 تلك التي تقف خلف الحائط الزجاجي تلتصق وجهها به
 كالأطفال و تتابع بنظراتها العجيبة ما يحدث بالداخل بين
 زكريا و ابيها الذى هدأ قليلا ليهمس :- زكريا ..
 سلط زكريا نظراته من جديد على مندور الذى استطرد :- انا
 لما كلمت الدكتور مؤمن بعد الحادثة اللي حصلت معاكم يوم
 ما انا كنت غايب .. قالى ان اللي حصل ده خير و أكد لى ان
 وجودك انت بالذات و معاك حازم هيخليها تبندى تتعامل
 بشكل طبيعى و خاصة انى لاحظت انها مش بتخاف منك زى
 باقى الرجالة .. حسيت انها متقبلة وجودك معنا في الفيلا ..
 و كمان سامحتك على زعيقك فيها .. و ده مؤشر كويس
 على حسب كلام الدكتور و مما يكون عامل مساعد كويس
 في رجوع الكلام ليها ..
 انتفض هنا زكريا من على طرف فراش الحاج مندور هاتفاً
 في

صدمة :- هي مبتكلمش ...؟! ..

أكد مندور بتعجب :- ايوه يا بنى .. هي فقدت النطق نتيجة
 الصدمة بعد الحادثة .. انا كنت فاكرك عارف ...

هتف زكريا بحق:- اعرف منين؟! انا كنت فاكّر .. اجصد
 انها .. اصل يعنى احنا متكلمناش كثير .. فجلت ..
 ابتسم مندور لإضطراب زكريا :- انا افكرتك عارف او
 الخدمة قالت لك او حد في الموقع قال لك .. او حتى حازم
 ابنك .. ما هو اكثر واحد كان بيقد معاها و بيكلمها
 بإشارات ايده و كنت بسمعها بتضحك و هي قاعدة معاها ..
 كم شعر زكريا بذنب رهيب يعصر كل خلية من خلايا جسده
 .. رفع نظراته للزجاج ليطلع وجهها الندى و ملامحها
 الأكثر براءة من طفلة لم تتخطى العاشرة من عمرها ..
 و شعر بالمزيد و المزيد من الذنب الذي أورثه ندم قاتل
 جعله يود لو تعود به الساعات لعدة أيام مضت حتى لا يتفوه
 بمثل تلك الكلمات الجارحة الى ألقاها على مسامعها صارخاً
 بها في وجهها خوفاً على ولده ...

هتف مندور ساعلا :- روح يا زكريا هات المأذون .. اكتبوا
 الكتاب .. زينة متخرجش من هنا الا وهى مراتك ..
 و بدأ يسعل من جديد ليندفع الأطباء للحجرة دافعين زكريا
 خارجها في توتر ليشرعوا في إنقاذ المريض ..
 وجد زكريا نفسه خارج الغرفة يقف امام الحاجز الزجاجي
 يتطلع لما يحدث خلفه و بجواره تقف هي في صدمة تتابع
 ما يحدث لأبيها بالداخل .. و قد أشفق عليها من جراء ما
 تحمله الأيام لها ..

تم عقد القران في المشفى بجوار فراش ابوها الذي استطاع
 الأطباء إنقاذه بأعجوبة..

وضع كفه في كف زكريا و بدأ المأذون بتلاوة الصيغة و من
 قبلها سؤال العروس بقبولها الزيجة ام رفضها و التي
 أومأت بالإيجاب من ذاك الركن حيث كانت تقف في احد
 جوانب الغرفة صامته كعادتها لكن زكريا في تلك اللحظة قدر
 صمتها و بدأ يستوعبه و انتهى عقد القران ليخرج

الجميع من الغرفة مع استياء الأطباء بسبب سوء حالة المريض و إمكانية تأجيل اى مناسبات حتى يتعافى و يتم شفاؤه او حتى على الأقل تسمح حالته الحرجة بذلك .. وقف زكريا و زينة للحظات خلف الجدار الزجاجى يتطلعا للحاج مندور الذى رفع غطاء الأكسجين عن وجهه لثوان .. همس لابنته بحروف كلمة "مبروك" لتبتسم في شجن و عيونها دامعة تتحسس الزجاج بأطراف اناملها كأنما تتحسس وجنة ابيها

.. همس زكريا بعد لحظات بصوت متحشرج يتنحنج في احراج :- انى بجول نروح الفيلا .. انتفضت هي حتى قبل ان يكمل كلماته التي أيقن انها ما كانت الكلمات المناسبة في تلك اللحظة و ان تعبيره خانه و صاغ الكلمات بشكل خاطئ تماما ليتنبه مستدركا :- اجصد انى اروح اجيب حازم من البنسيون و أرجعه الفيلا تكونى ارتاحتى و نعاود تانى هنا عند الحاج .. أومات برأسها متفهمة و موافقة .. ليشير اليها بالمغادرة خلفه ليعود بها للفيلا وعند المدخل الذى فتحه البواب العجوز يتبعها حتى الداخل .. و ما ان اطمئن لدخولها حتى عاد بالسيارة للبنسيون لتقابله تهانى بفضولها المعتاد لكنها لا تستطيع صبر أغواره فقط أبلغها انه سينتقل للعيش بجوار رب عمله و ترك لها اجرة الشهر الباقي كاملا .. شاكرها كل ما فعلته في سبيل حازم و لأجل صداقتها لأمه رحمها الله .. دخل الغرفة ليجد حازم قد غفا منذ فترة قليلة بدأ يجمع في حاجياتهما و هو يتطلع لتلك الغرفة التي شهدت اجمل اللحظات بينه و بين بدور .. الان هو متزوج من امرأة أخرى .. امرأة مختلفة تماما عن بدور الطيبة حد السذاجة .. الحانية حد الثمالة الشفافة .. النقية .. العاشقة حد الألم ..

تطلع للمرة الأخيرة للبحر من هذه الزاوية و زفر في
 محاولة لوأد شعور جارف بالحنين لتلك الرائحة الراحلة ..و
 التي طالما خالطت أنفاسه أنفاسها في محيط تلك الغرفة التي
 جعلتها عالم في حد ذاته ..عالمهما ..
 ايقظ حازم في حنو .. و حمل الحقيبة بذراعه السليمة ..و
 رحل مودعاً تهانئ .. و جال ببصره حوله قبل ان يودع
 بنسيون السعادة..و تساءل
 هل يا ترى ستقابله السعادة مرة أخرى في مكان اخر ..؟!..
 ام انها ضلت طريقها اليه بعد رحيل بدور عن عالمه ..

الرابع عشر

خرج عاصم من غرفة مكتبه مندفعاً ينادى سعيد الذى أتى
على عجلة كعادته ليهتف أمرا :- أرمح اجمع الهوارية
كلهم في المُنْدرة .. و جولهم محدش يتأخر ..حلاً..
اندفع سعيد ينفذ الامر و عاد عاصم ادراجہ لداخل السرائ
لنتلقه الحاجة فضيلة من موضعها هاتفه في قلق :- ايه في
يا عاصم...؟!.. خیر یا ولدی ... جامع الهوارية كلهم ليه
...؟!..
هتف عاصم في شرود :- مش خیر یا حاجة .. مش خیر
أبدا ..
انتفضت أمه هاتفه :- الستر من عندك یا رب .. ايه في
...؟!..
استطرد عاصم :- سليم یا حاجة .. سليم واد عمی ..
انضرب بالنار النهاردة ..
شهقت الحاجة فضيلة وهی تربت على صدرها في زعر ..
ليستطرد عاصم :- الحكومة عرفت مكانه و لما راحوا
يجبضوا عليه حاول يُهرب ..فضربوا عليه نار .. ووجع
جتيل في ساعتها ..
بكت الحاجة فضيلة رغما عنها هاتفه :- ليه كده یا سليم یا
ولدی .. یا خسارة شبابك ..
تنهد عاصم مندفعاً لأعلى الدرج
هاتفا :- انا رايح أجابل الهوارية اعرفهم بالخبر .. عشان
ألحج اجيب الچثمان و ندفنوه ..
و صعد للأعلى تاركا للحاجة فضيلة محاولة مواساة سمية
اخته .. و اخبار الحاجة بخيئة .. حتى يصل الامر لزكريا
عند اتصاله .. فهو على ايه حال.. أخيه ..

ظلا على حالهما لأسبوع كامل يعودا للفيلا حتى يطمئنا على
حازم و يبدلان ملابسهما و يتناولوا طعامهما و يعودا
ادراجهما للمشفى من جديد..

حتى تحسنت صحة الحاج مندور بشكل ملحوظ فاق
التوقعات لكن للأسف تلك الضربة القوية على رأسه جعلت
من الصعب

عليه السير على قدميه من جديد فقد اثرت بشكل كبير و
خاصة في مثل سنه على أعصاب قدميه و التحكم فيهما ..
و بالرغم من حزن الحاج مندور على حاله و ما آل اليه الا
انه شكر الله كثيرا انه لايزل في عمره البقية حتى يسعد
برؤية ابنته عروس سعيدة..

كان لابد من وضع بعض التغييرات في الفيلا من اجل
استقبال الحاج مندور بحالته الجديدة فعمل زكريا على
تجهيز غرفة له في الطابق السفلى لا يحتاج فيها لإستخدام
الدرج و ملحق بها كل ما يحتاج اليه ..

اما هو وحازم فكان بقائهما و بيات ليااليهما في جناح
الضيوف مثلما كانا من قبل .. لا شئ تغير .. حتى ان زكريا
لم يخبر حازم حتى تلك اللحظة بخبر زواجه بزينة ..

عاد الحاج مندور للفيلا مدفوعا على كرسي مدولب و مع
ذلك ترتسم ابتسامة رضا على شفثيه مما دفع رزقة الخادمة
لإطلاق زغرودة فرحة برجوع رب عملها و سيدها
هتف الحاج مندور في سعادة برجوعه لبيته من جديد :-
تسلمى يا رزقة .. بس حوشى زغاريدك دى ليوم فرح زكريا
و زينة ..

بهتت الخادمة التي بالطبع لم يكن لها علم بأمر كتب الكتاب
و لا علم لحازم الذى لم يستوعب الامر جيدا نظرا لصغر
سنه ..

.....

هتف الحاج مندور عندما وجد الصدمة مرسومة على
الوجوه و خاصة من أصحاب الشأن .. زكريا و زينة و الذى
أمتقع وجه كل منهما بلا سبب واضح .. لذا هتف الحاج
مندور متسائلاً :- هو محدش منكم جاب سيرة ان كتب
كتابكم كان في المستشفى ...؟! ..

هتفت رزقة معاتبة :- و لا حصل يا حاج مندور ...؟! .. ثم
استطردت عندما لاحظت نظرات زكريا الغاضبة :- بس
تلاقيهم كانوا مستنيين خروجك بالسلامة عشان تبقى
الفرحة فرحتين ..

هتف زكريا :- اه .. صُح .. هو كده يا حاج .. المهم انت
ترتاح دلوجت و متشغلش بالك بأى حاجة ..
هتف الحاج مندور :- خلاص يا زكريا .. انا أصلا شلت
ايدى من كل حاجة بعد اللى حصل لى .. البركة فيك انت يا
بنى ..

و ربت على ظاهر كف زكريا التي كانت ممسكة بمقبضى
دفع المقعد المدولب ..

هتف زكريا :- متجوليش كده يا حاج .. البركة كلها فيك ..
هتف مندور مغيرا الحديث :- طب بصى يا زينة .. و انت يا
زكريا .. حددوا ميعاد الفرح .. و انا اعمل احلى فرح في
اسكندرية كلها ..

هتف زكريا مبهورا وهو ينظر لزينة التي تلبكت و توترت
مكانها :- ... فرح ...؟! ..

هتف مندور :- اه .. اكيد فرح .. هو انا هفرح ببنتى
الوحيدة و أشوفها بفستانها الأبيض كام مرة ...؟! ..
كانت تقف زينة متسمرة في مكانها لا تحرك ساكنا .. و لكن
قرأ زكريا اضطراب عيونها مع كلمات ابيها الاندفاعية و
فرحته بعودته لبيته .. لكن مع كلماته الأخيرة بخصوص
الفرح و الثوب الأبيض كان احتمالها قد نفذ بالفعل لتشهق
بقوة هاربة للأعلى تحتمى بجدران غرفتها ..

هتف مندور مبهورتا يهمس لزكريا :- هو انا قلت حاجة غلط
..؟!.. ده انا عايز افرحها زى كل البنات ..

همس زكريا رابتاً على كتفه مطمئناً آياه :- عارف يا حاج ..
بس معلوم هي اكيد بتضايح من السيرة دى .. و فاكدة ان
جوازنا غصب ..

همس مندور متعجباً :- قدرت تفهم سكوتها و تفسره
بسرعة كده و صح قووى كده يا زكريا ..؟!..

همس زكريا بشجن :- اللى جعد سنين مينطجش خوف ..
هايفهم اللى مش جادر ينطج خوف برضك يا حاج مندور ..
استفسر مندور في دهشة :- مش فاهم قصدك ايه يا زكريا
..؟!..

ابتسم زكريا و هو يدفع كرسي مندور المدولب أمامه حتى
غرفته المعدة خصيصا لاجله :- ده موال طووويل يا حاج
..المهم دلوجت تستريح عشان دى أوامر الداكتور ..و
هانعمل الفرح اللى انت عاوزه كمان .. ايه رايك ..؟!..
هلل مندور في فرحة :- تسلم يا زكريا ..

وصمت فجأة ..ليستفسر رافعا كفه لاعلى :- طب و اللى
فوق دى يا زكريا .. مش عايزاضايقها .. بس دى من ضمن
تعليمات الداكتور ..و انا عايز اصالحها بس مبقتش اقدر
اطلع لها زى الأول ..

هتف زكريا بلهجة مرحة :- طالما الداكتور جال يبجى لازماً
ننفذ .. سيب دى عليا انى متجلجش يا حاج .

خرج زكريا من عند الحاج مندور من يراه يعتقد انه يخطط
لكل شيء و يعرف كيف يسير الأمور لكن الحقيقة انه ما قال
ذلك الا لبث الطمأنينة في قلب الرجل المريض ..

و هاهو يقف مكتوف الايدى ليس في جعبته اى أفكار لتلك
القابعة بالأعلى و التي تحتاج لمعاملة خاصة ..لا يعلم من
أين يأتي بها !!

صعد للأعلى حيث غرفتها و طرق بابها و لازال رأسه
خاوية من الأفكار .. فتحت الباب بعد الطريقة الثانية و
عيونها تغطيها الدموع .. يعرف انها تعشق ابوها لذا شعر
ان هذا هو المدخل ..

تتحنح في توتر هامساً و هو يحاول ان يرفع نظراته في
وجهها حتى يتمكن من قراءة عينيها التي تنطق بأحترافية
بكل ما يجول بخاطرهما و كأنهما مرآة لروحها :- انا عايز
اجولك حاجة مهمة .. الحاج مندور نفسه يفرح بيك و بعد
تعبه بالخصوص .. انا عارف انك مش عاوزة فرح ولا
فستان .. انت مش محتاجة الحاجات دي عشان تفرحي ..
بس هو محتاجهم .. هاتبخلي على ابوك بيهم ..

هزت رأسها نافية في سرعة .. ابتسم في راحة عندما علم
انه أصاب الهدف فأستكمل في هدوء يعاكس تماما تلك
العاصفة المضطربة التي تمور بداخله من جراء نظراتها
البريئة تلك و الموجهة لعينه بغرض التركيز اكثر على
كلماته :- يبجي ننزل نختار فستان .. و نحاول نريحه على
الآخر .. صُح ...؟!...

اومات موافقة من جديد .. ليهمس هو في سعادة لإقناعها
للمرة الثانية :- زينة!!!

انتبهت بكل حواسها عند نطق اسمها بهذا الشكل .. هو
نفسه كان الاسم له وقع خاص على مسامعه و هو ينطقه
مجردا ..

استكمل متحاشيا تلك الأفكار الحميمة هامساً:- انى عمرى
ما هفرض روى عليك و لما جبلت بجوازنا كان برضك
عشان الحاج مندور .. متجلجيش منى .. انى بس كل اللى
عاوز اجوله ان انى و انت هدفتا دلوجت الحاج مندور و
راحته و بس..و اذا كانت فرحته هتكون في وجودنا سوا
..نبجوا سوا و نبين له اننا مبسوطين كمان ..صُح .. و لا
انت ليك رأى تانى ...?!... ..

هزت رأسها نفيا .. و اشارت انها ستفعل المستحيل من اجل
إسعاد ابيها ..

ابتسم زكريا و قد فهمها بسهولة ليهتف في سعادة :-يجي
اتفجنا ..حددي ميعاد الفرح و شرا الفستان .. و أوعدك
هيكون فرح هنا ع الضيغ اذا كان ده اللي هيرحك !!..
ابتسمت للمرة الأولى في وجهه و هي تؤمى مؤكدة له
فرحتها لإقتراحه الأخير ..

ابتسم بدوره ابتسامة لأرادية قفدت لشفتيه و ملأت تفاصيل
وجهه الأسمر ليتنبه انه يبتسم في بلاهة ردا على ابتسامتها
الصافية..فاستأذن في عجالة و غادر ...

لم يكن من اللائق بالطبع عقد قران يونس و كسبانة في ظل
تلك الأجواء التي تخيم على النجع ...بالتأكيد لم يكن سليم
محبوبا و لكنه كان فردا من الهوارية و التي يُعمل لأفراحها
كما لأفراحها الف حساب و حساب ..

بكت كسبانة وحيدة .. فقد ابتعد ميعاد لم شملها على ذاك
الذى حاولت صد باب قلبها بوجهه لكنه ابى الا ان يُفتح
حتى دخل و تربع على عرشه و استحوذ على مجامع عقلها
و قلبها معا .. اصبح صوته العذب و شدوه الصافى هو زاد
يومها الذى يحييها ..

همست رغما عنها لشدة حزنها :- في حياتك و موتك يا
سليم مش سايبني في حالى ..اجول ايه غير ربنا يرحمك ..
وصلتها الان همهمات شدوه من نافذة المطبخ.. كانت
تتجنبه كل تلك الفترة الماضية و ما كانت تخرج لملاقاته أو
حتى اعطائه صينية الطعام كما اعتادت ..

مسحت دمعها و أرهفت السمع لذاك الصوت المحبب
لروحها ..ليتناهى اليها كلماته التي يشدو بها في صوت
يقطر حسرة :-

ولا هد جلبي العليل غيرك
يا وجع البعاد
ولا شالوا م الأرض شيل
غير فرحته بحب عاد
اه يا وجع البعاد
انا چمل صلب لكن علتني اچمال
شيلني اچمال ان شالها اچبل جام مال
طعمني علجم وخذ من كدي منچم مال ورماني وسط الرمال
منكاد كسير الفؤاد
مالك يا دنيا ومالنا ؟!
جطعتي حبل الوداد
اه اه يا وجع البعاد

بكت و بكت بقهر على كلماته التي اصابته قلبها في الصميم
.. و هو لا يدري ان كلماته تلك تنكئ جرحها النازف لبعاده
بالمثل ..

على الرغم من معرفة زكريا لخبر وفاة أخيه سليم الا انه
اثرها في نفسه و لم يخبر احد لا الحاج مندور و لا زينة
.. ظل يتجرع الحزن على أخيه وحيدا على الرغم من انه يعد
ظالمه الثاني بعد أبيهما غسان .. أبوهما الذي ظلمهما معا
حين فرق كل منهما عن الآخر فشبا غريبان اقتتلا على
اسمه و ميراثه .. لكن رغم ذلك كله يظل سليم أخيه و لقد
حزن عليه بالفعل .. لكنه دفن ذاك الحزن في قلبه كما تعود
بل اصبح خبيرا في ذلك .. و تطلع الى حياته التي تأخذ
مسارا جديدا بعد معرفته بالحاج مندور و ابنته ..

و الذى اصر على إقامة فرح لابنته الوحيدة مما دفع زكريا
لكتمان خبر الوفاة حتى لا يعكر صفو تلك الفرحة البادية
على الأب المقعد ...

كان الفرح الذى أقيم في حديقة الفيلا الواسعة لا يقل فخامة
عن أى فرح كان يمكن ان يقام خارجها فلقد اشرف الحاج
مندور على اعداد و تجهيز الفرح على كرسيه المدولب في
نشاط منقطع النظير .. و اهتم بتفاصيل الحفل حتى أصغرها
ليخرج الزفاف بهذا الشكل الرائع و خاصة في وجود زمرة
كبيرة من اكبر رجالات التجارة في الإسكندرية و الذى كان
الزفاف فرصة مميزة لمقابلتهم زكريا و تعريف الجميع علي
زوج ابنته الوحيدة و الذى سيتولى معه الإدارة لشركته
منصافة

كان زكريا يقف الان في انتظار نزول العروس و هو يرتدى
تلك البدلة التي اصرروا عليه ليرتديها .. ما بالهم الجلباب و
العباءة و العمامة!؟.. فها هو حماء الحاج مندور يرتديهم ..
و هي لباسه المعتاد و اليومى ..

لما طلب الحاج مندور ذلك .. على الرغم انه اشترى العديد
من الجلابيب الجديدة غالية الثمن و عباءات مختلفة الألوان
و الخامات .. فهو يكاد يختنق في تلك البدلة ..؟!.. انها
ليست المرة الأولى التي يرتدى فيها قميصا و بنطالا .. بل
انه يتذكر عندما جاء للإسكندرية بعد اتهامه بمقتل سمرى
نصحه غندور بتغيير طريقة لبسه التي تشير لموطنه
الاصلى فيسهل التعرف عليه ..

انطلقت الزغاريد عندما بدأت تخطو العروس باتجاه سلم
الفيلا الداخلى لتهبط متوجهة اليهم .. كانت ترتجف .. شعر
بها و تمنى لو ترفع نظراتها اليه حتى يستطيع ان يطمئنها
.. و كأنها سمعته يناديها لترفع وجهها و تتلاقى نظراتهما
ففعلت ..

ابتسم عندما لاحظ صدمتها من مرأه ببدلته السوداء الداكنة
و التي زادتة وسامة لم تكن تتخيلها .. شعرت بالدفع في
نظراته و شعور عجيب فصلها عن كل هذا الصخب الدائر
حولها و الذى يثير توترها حتى انها عندما وضعت كفها في
أحضان كفه الممدودة الان عند وصولها اليه .. ألقها في
بساطة و تلقائية و لم تهتز للحظة او تتردد كما كان في
السابق .

جذبها برفق حتى جلسا سويا و بدأ الحفل الذى استمر
لساعة متأخرة .. حتى ان حازم الذى كان يرتدى بدلة رائعة
مثل ابيه لم يستطع ان يقاوم النعاس لتأخذه رزقه تضعه
في فراش الحاج مندور كما امرها .. لا في جناح الضيوف
كما كان الوضع ..

انتهى الحفل على خير ما يرام .. حتى عدم رغبة زينة في
تقديم كفها لإلقاء التحية على الرجال كان مبرره هو غيرة
زوجها ذو الطبع الصعدي .. تفهم الجميع الأمر و لم يعلق
احدهم ..

صعد العروسان لجناحهما شكليا ..
توترت عندما أغلق خلفهما الباب فهتف مطمئنا إياها :- اول
ما اخر ضيف يمشى .. هنزل على الجناح ..
اتخذت هي مجلسا متطرفا من الغرفة و انكشيت فيه تحاول
على قدر استطاعتها مداراة حزنها و تلك الدموع التي
تترقق في مآقيها ..

و بالفعل ما ان هدأت الأمور و تأكد زكريا من مغادرة اخر
ضيف حتى تسلل ليعود لجناحه لكن الحاج مندور و لحظ
زكريا العسر خرج من غرفته في نفس ذات اللحظة التي كان
يمر بها زكريا في قلب البهو متجها للخارج حيث مدخل
جناح الضيوف الذى يعتقد ان ابنه حازم ينام هناك ..
هتف الحاج مندور مندهشا:- على فين يا زكريا .!؟

تتحنح زكريا :- على الجناح بجى يا حاج .. انام چار ولدى

..

ابتسم مندور :- ولدك هينام جنبى .. لحد لما نجهز له أوضة
و انت مكانك فوق مع مراتك في جناحكم ..

هتف زكريا معترضاً :- بس يا حاج انا مش عايز اضايجها
او تحس انى..

هتف مندور مقاطعا بكلمته السحرية :- دى أوامر الدكتور
.... لازم تفضل معاها و تتعود عليك و على وجودك قريب
منها .. انت سبتها دلوقتى عارف هاتفتكر ايه ..؟! .. هاتفتكر
انك مش شايفها ست كاملة و تستحق تبقى عروسة بسبب
الحكاية أياها ..

حاول زكريا ان يضبط أفكاره التي بدأت تدور في فلك واحد
.. كيف له ان يبقى معها في غرفة واحدة ..؟! .. لا قبل له و
لا لأعصابه على ذلك .. هي زوجته .. لكن ليس برضاها ..
و هو زوجها لكن لا يشعر ان من الصواب البقاء معها و
بقربها .. فهذا عذاب من نوع مختلف .. عذاب ذو شعر
كستائى و نظرات بريئة و ملابس متحررة و أسلوب خاص
في المعاملة ..

و هو لا قبل له على مواجهة كل هذا الخليط في امرأة واحدة
.. فمنذ رحلت بدور و قد عدم النساء في حياته و نسى او
تناسى انه رجل و له متطلبات حتى رآها .. و شعر انه سقط
في مجالها المغناطيسي و انحرفت كل بوصلات ثباته و ضاع
استقراره النفسى بلا رجعة ..

اخرجه الحاج مندور من شروده هاتفاً :- روجت فين يا
عريس .. ياللاه على فوق .. و انسى بقى الجناح ده باللى
فيه .. ده كان جناح الضيوف و انتوا دلوقتى أصحاب بيت ..
اوما زكريا للحاج مندور برأسه إيجابا و هو يصعد السلم من
جديد في سبيله لجناح الزوجية ..

كيف يفسر لها و هو يطرق على بابها ان رغبة ابوها
ونصيحة الطبيب هي القرب منك و اعتيادك وجودى .. فهل
من المنطقى وضع

النار جنب مادة حارقة .. !!؟..

طرق زكريا باب جناحهما المزعوم ربما للمرة الثالثة و هو
يتمنى الا تسمعه و لا تفتح

لكن للأسف فتحت و العجيب انه وجدها تبكى .. مسحت
دموعها بظاهر كفها و أفسحت له الطريق للداخل متباعدة و
نظراتها تحمل الكثير من التساؤلات و التفسيرات .. هتف
زكريا يريها مفسرا:- لجيت الحاج مندور تحت لما شفى
جولته نسيت حاجة و راجع اچبها من جناح الضيوف .. و
رجعت تانى .. بس انت لو ..

قاطعته بإشارة من كفها ..و جلست على طرف الفراش
بفستانها الأبيض الرائع ..

ليجلس هو بدوره على تلك الأريكة الوثيرة في احد أركان
الغرفة ليهتف مؤكدا :- بصى.. انا بس مستنى الحاج يخش
اوضته و هرچع تانى جناح الضيوف و مش هضايك..
اومات برأسها موافقة بلامبالاة تدعيها لكن نظراتها تشي
بالعكس تماما .. نظراتها كلها طلب و رغبة في بقائه بقربها
و في نفس الوقت لا قبل لها لتفرض نفسها عليه و تجعله
يبقى مع امرأة لم يرغبها يوما و كان زواجهما مجرد حل
من قبل والدها لينقذ أموالها و يضع حياتها بين كفيه في
امان

لكن هي ترتاح للبقاء معه منذ اللحظة الأولى التي رآته فيها
على شاطئ البحر و انقذها من تطفل هؤلاء الشباب .. كل
يوم تمر من هناك فقط لتراه .. لتشاهد جلسته على تلك
الرمال و تطلعه للبحر .. كان صوته ساعته يحمل حنان و
دفع لم تعهدهما .. و نظراته كانت أسرة .. تحيط القلب
ببلسم شاف يهدد الألم الذى ادمن المكوث فيه منذ سنوات

.. لما هو ..؟!.. هي لا تعلم .. كل ما تعلمه انها تعلقت به
دون ان تدري .. حتى انها يوم ان اكتشفت انه ما عاد
يجلس في بقعته المفضلة و ظلت تتردد لأيام بل لأسابيع
على مكانه حتى يأسى من عودته
عندها فقط بكت .. بكت بجنون حد الضياع..

هو لا يعلم هذا ..؟!.. و لا تظن انه سيعلمه يوما ..؟!.. لن
تفرض قلبها على رجل لا يشعر بما تعاني .. ستفعل كل ما
يمليه عليها من اجل صالح والداها و صحتها .. ستفعل اى
شيء اى كان لإسعاد ابوها .. اما زكريا ..

فيكفيها انها بقره .. هي لن تستطيع ان تهبه المزيد لأنها
بكل بساطة لا تملكه .. هي نصف امرأة .. فقط نصف امرأة
فقدت احساسها و أحلامها و أمانها و قلبها و روحها يوم
ان ذبحها الاوغاد و تركوا لها مجرد جسد ملطخ بالعار و
اسم ليس على ما يسمى .. زينة ..

ماذا يمكن ان تهبه ..؟!.. لا شيء..

عليها ان تقنع بما هو متاح .. لان لا قبل لها لخوض
المعارك للحصول على مزيد هي لا تملك ما تقايسه به ..
انها ترتعش مجرد تذكرها انه يمكن ان يمسه .. لازالت
لمسات و فحيح هؤلاء القتلة في آذانها تذكرها انها بقايا
أنثى .. ما الذى يمكنها ان تهديه ..؟!..

لا قلب .. لا روح .. لا جسد .. فقط حطام امرأة .. و بقايا
أنثى .. و جسد يرتجف حتى من لمسات حانية لا يستطيع
ان يتقبلها .. او ربما يعتقد انه لا يستحقها ..

دقات على باب الحجرة أيقظت زكريا ليذكر انه نام ببذلته
على الأريكة مثلما فعلت هي على اطراف الفراش و نامت
بفستان زفافها

تعالت الدقات مرة أخرى جعلته ينهض مقتربا منها ينحنى
ليربت بهدوء على كتفها مناديا باسمها في خفوت :- زينة
.. زينة ..

انتفضت هي كعادتها و انكشيت كالمذعورة تجمع شتات
نفسها و ردائها في صدمة حتى انتبهت لزكريا فخفت حدة
توترها قليلا و هو يشير للطرق على باب الغرفة ..
هتف في نبرة ناعسة من خلف الباب :- ميين؟!..
لم يجب احدهم .. فتح الباب في حرص ليجد صينية الطعام
موضوعة امام عتبه .. سحبها سريعا و أغلق الباب .. ترك
الصينية على الأرض في منتصف الغرفة تقريبا و خلع سترة
بدلته و حذائه و اندفع جالسا يشعر بجوع قاتل حد المجاعة

..
رأها تنظر اليه في استمتاع و ابتسامة تبرق على شفيتها
فتشجع هاتفاً :- مش هاتفطري؟!.. تعالى ..
و أشار اليها للنزول ارضا لتشاركه الطعام .
نهضت من مكانها و جلست أمامه بفستانها الضخم ذاك
بطبقات التل و الاورجانزا و ما ان جلست حتى غطى
الفستان على صينية الطعام المغطاة..
نظر زكريا و هتف مازحاً و قد اختفى الطعام تماما تحت
طيات ردائها :- طب لو انت چعانة كده جولى .. لكن تخدى
الصينية كلها لحالك؟!..
انفجرت ضاحكة .. و كانت المرة الأولى الذى يسمع فيها
رنين ضحكاتهما .. تحرك شيء ما بالقرب من معدته أرجعه
للجوع ..
لكن ماذا عن ملامحها التي تغيرت تماما و أصبحت اجمل
بمراحل عندما أشرقت تلك الابتسامة و علت الضحكة من
حنجرتها و كأنها ألف ناى يعزف لحنا شجيا .. و كم كان
خبيراً بالنأى و نعماته ..!!!!..

شعرت بالخل عندما لاحظت تفرس زكريا بوجهها ..
فنكست رأسها الصغير ليصنع شعرها الكستائى ستارا يخفى
ملامحها خلفه

تنبه لغيبته في التطلع اليها .. ففتح و هو يحاول إظهار
 صينية الطعام من جديد من تحت طيات الفستان ..
 ضم لقيمة صغيرة و رفعها لأراديا لفمها و فجأة غامت
 عيناه و تذكر بدور ..
 شعر بإحتقان عجيب للدمع في حلقه و حتى هي ترددت في
 قبول يده الممدودة خجلاً ..
 كان على وشك إزاحة كفه الا انها اقتربت بوجهها في بطء
 و فغرت فاهها و هي ترفع نظراتها اليه في خجل .. ابتسم و
 غصة الحزن لازالت تملكه و مد أصابعه
 لفمها بلقيمتها الأولى ..
 تناولتها في سعادة بدت ظاهرة على محياها ليعيد الكرة و
 يرفع لقيمة أخرى فتشير انه دوره و هو من كان جائعا من
 الأساس ..
 ابتسم لها و وضع اللقمة في فمه و بدأ كلاهما في تناول
 الطعام ... في شبه سعادة

دخل عاصم متحنا لبیت زكريا :- يا رب يا ساتر..
 ظهرت كسبانة مندفعة تفتح الباب الداخلي للدار و هي تعدل
 من شالها فوق رأسها هاتفة في ترحيب :- اتفضل .. اتفضل
 يا عاصم بيه
 .. ده دارك ..
 وقف عاصم على اعتاب الباب
 هاتفاً :- كيفك يا أم حمزة .. معلى ندخل الصالون بس
 عشان معاي ضيوف ..
 أفسحت الطريق في عجالة و هي تهتف متعجبة :- اتفضل يا
 عاصم بيه .. و اهلاً بضيوفك ..
 دخلت تستتر بالداخل ليهتف عاصم لحمزة الذى ظهر
 مسرعاً ملبياً نداء عمه ..

و الذى أمره بمناداة يونس من الأرض فوراً..اندفع حمزة
مسرعاً ينادى عمه يونس الذى ما ان سمع بوجود عاصم
بالدار حتى ارتدى جلبابه على عجلة و أسرع لداخل الدار
متحنحاً كعادته .. على الرغم من شوق عينيه لمراها و لو
للحظة الا انه غض الطرف حتى وصل الصالون مرحباً
بعاصم و ضيفه الذى لا يعرفه ..

هتف عاصم ما ان جلس يونس :- بص بجى ده .. و أشار
للرجل الذى كان بصحبته مستطرداً .. عم الشيخ مصباح ..
مأذونا الخصوصي ..

هتف يونس بتعجب :- مأذون ..!!
و انتفضت كسبانة بدورها في الخارج و هي تسترق السمع
في فضول دفعها اليه رغبته في معرفة كنه الضيف
المصاحب لعاصم .

عاد عاصم مؤكداً :- اه .. مأذون .. لجل ما يكتب كتابك انت
و أم حمزة..

هتف يونس متعجباً :- بس يا عاصم بيه .. حالة الوفاة .. و
يا دوب الأربعين معدى و ..

هتف عاصم مقاطعاً :- هو اللى مات ده الله يرحمه مش واد
عمى .. و المفروض انى انا اللى احزن عليه .. طب انى
اللى جايب لكم المأذون لحد عنديكم .. عايز ايه تانى ...؟!..
موضوع چوازكم مينفعش يتأجل اكتر من كده .. و انا هبجى
مظمن اكتر على أم حمزة وولدها و هما في حمايتك .. و
بيت زكريا يبجى فيه راجل صاينه .. جلت ايه ...?!..

هتف يونس غير مصدق :- هجول ايه بعد جوك يا عاصم
بيه ...?!.. اللى تجوله يمشى على رجبتى ..

هتف عاصم في فرحة موجهة حديثه للمأذون :- افتح دفترك
يا عم الشيخ مصباح .. و اتكل على الله ..

ابتسم يونس في سعادة غير مصدق انه بعد دقائق معدودة
سيكون من حقه التطلع اليها و البقاء بقربها للأبد ..

حصل عاصم على موافقتها و أتم المأذون عقد قرانها
ليستأذن عاصم مصطحبه معه مهنئا العروسين ..
أغلق يونس الباب ووقف لا يعلم ما عليه فعله ..حتى ظهرت
اخيراً على اعتاب باب حجرتها ..
و ظهر على اعتاب الغرفة الأخرى الحاجة بخيئة التي
جلست على اقرب أريكة بمساعدة حمزة هاتفة في
سعادة :- الف مبروك يا يونس يابنى .. الف مبروك يا
كسبانة .. ربنا يسعدكم دايماً .. و يجمعكم في الخير..
لاحظت الصمت المخيم على المكان فهتفت و هي لا ترى
بسبب نظرها العليل :- إنتوا رحتوا فين؟!..
كان كل منهما هائم في عالم اخر لا يستطيع رفع ناظريه عن
صاحبه ..

ليهتف حمزة مجيباً بخيئة :- اهم واجفين يا ستي .. بس
مش عارف مبيتكلموش ليه !?
ابتسمت بخيئة في خبث هاتفة :- تعال يا واد يا حمزة ..
سندنى عشان عايضة ادخل اوضتى انام .. و اعمل حسابك ..
هتنام چارى ..

اسند حمزة كفها هاتفاً معلقاً على قرارها :- ماشى .. موافج
هنام چارك .. بس تحكيلى مش تضحكى على زى كل ليلة ..
انفجرت ضاحكة و هي تأمره بغلق باب حجرتها حتى تترك
كسبانة و يونس لشأنهما..

تحرك يونس في اتجاهها .. منجذباً بقوة لأرادية تجاه مكان
وقوفها وهى متسمة منكسة الرأس خجلاً .. وجيب قلبها
يكاد يُسمع لذاك القادم اليها في ثبات ..
وقف أمامها مباشرة لا يفصله عنها الا سنتيمترات قليلة
..همس بصوت متحشرج:-اول مرة ابجى جريب منك كده

.....

مد كفه ليرفع رأسها ليطالع عينيها التي ترقص فرحا و
سعادة لقربه .. وفي ذات الوقت تضطرب خجلا وهي تنظر
لعمق عينية بهذا الشكل الصريح ..
همس لها في عشق :- زى ما أكون دعيت في ليلة جدر ..
و الدعوة اتحجبت .. و اكثر
همست بخجل و نبرات مضطربة :- دعيت بأيه ..؟!..
همس وهو يقترب اكثر يمد كفيه ليحتض كفيها التي
ارتجفت للمساته :- دعيت أطول نجمة في السما بعيدة .. و
طولتها ..

همست مخدرة بسحر كلماته :- و النجمة دى تبجى انى
..؟!..

اوما برأسه موافقا و اخيراً طوقها بذراعيه لتسكن صدره
حيث غمرها فيض من الأمان الذى ظلت عمرها كله باحثة
عنه و لم تجده الا الان و في تلك اللحظة ..

قرر الحاج مندور و اصدر بالفعل فرمانا بوجوب ذهاب
زكريا و زينة لقضاء شهر العسل في قرية سياحية و قد تم
الحجز باسمهما بالفعل و لا سبيل للتراجع ..
حاول زكريا اثناء الحاج مندور عن فكرته و الانتباه للعمل و
إعادة إصلاح ما لحقه من أضرار بسبب ما حدث من شعلان
و جماعته الفاسدة .. الا ان الحاج مندور اصر على موقفه
هاتفاً :- خد يا زكريا .. أدى مفتاح العربية .. و الشنطة
البت رزقة وضبتها و حطناها في العربية و معاكم كل اللى
يلزمكم هناك .. ياللاه انت و مراتك من غير مطرود
و مش عايز اشوف وشكم هنا قبل ٣ أيام .. اهو مدة مش
كبيرة عشان الشغل اللى خارب الدنيا عليه ..
تنهد زكريا مستسلما و هو ينظر لزينة كأنما يقول لها ليس
باليد حيلة .. و كانت هي على استعداد للذهاب لآخر الدنيا
تلبية لرغبة ابيها مهما كانت و خاصة لو هي معه ..

ألقت التحية على الجميع و بالمثل فعل زكريا الذى اخذ
يوصى حازم بالهدوء و عدم ازعاج الجد مندور كما كان
يحب ان يسميه

و كم اطرب الحاج بسماعها منه و تمنى في قرارة نفسه لو
يُكتب له العمر ليسمعها من احفاده .. أبناء زينة و زكريا ..
انطلق كلاهما بالسيارة يتبع زكريا إرشادات الحاج مندور
للوصول لتلك القرية السياحية .

نظرت زينة بشكل جانبي لزكريا و هو يرتدى قميصا ابيض
و بنطال من اللون الكحلى .. و يغطى عينيه بنظارة شمسية
أهداها له ابيها لا تظهر الا ملامحه الرجولية و خاصة
شاربه المهذب ذاك .. كان وسيما بشكل لا يصدق مما دفعها
لتصرف نظراتها المضطربة عنه ..

كانت دوما تراه وسيما بشكل خاص حتى عندما قابلته
للمرة الأولى على الشاطئ وهو يرتدى جلبابه و عمامته ..
أسرها بخليط خاص لا تعرف له كنهه او تفسير ..
طال صمتها ليقر انه غبى بما فيه الكفاية فعليه هو البدء
في الحديث و محاورتها فهي لا تتكلم رغما عنها .. لو بيدها
لكان الامر مختلف ..

ابتسم و هو يحيد نظراته عن الطريق لثوان موجهها نظراته
اليها .. شعرت بحمرة خجل تغزو وجنتيها الصافيتين ليهتف
:- تحبى اشغل لك الراديو .. او اى اغانى يعنى !؟..
اومأت موافقة .. بدأ في وضع احد الأشرطة في مشغل
الاغاني الخاص بالسيارة ليصدح في عذوبة صوت سيدة
الغناء العربى :-

اد إيه من عمري قبلك راح وعدى يا حبيبي
ولا شاف القلب قبلك فرحة واحدة
ولا داق في الدنيا غير طعم الجراح

ابتديت دلوقتي بس أحب عمري.
ابتديت دلوقتي أخاف أخاف للعمر يجرى

اخذ كلاهما يستمع لكلمات الاغنية التي لمست شيء ما
بداخلهما ..
قطعت الصمت الذى طال بالاستماع للأغنية بان أخرجت
احدى الشطائر من حقيبة كانت قد سلمتها لها رزقة عند
خروجهما للسيارة لتعنيهما على الطريق ..
هتف زكريا عندما وجد الشطيرة في يدها تقدمها له مع
ابتسامة :- الله .. هو ده الكلام .. چه في وجته .. اتسعت
ابتسامتها و للعجب مد كفه و بدل من ألتقاط الشطيرة
ليلتها بنفسه .. ضم كفه حول كفها الحامل للشطيرة و
رفعه لفمه ليقتطم منه قضة جبارة تدل على مبلغ جوعه ..
توقع ان ترتجف او تتوتر او حتى تسحب كفها بعيدا لكن
لدهشته و جدها تبسم لفعلته في سعادة ..
جذب باقى الشطيرة من كفها هاتفاً بمزاح :- حوشى يدك
بجى لأكلها من الجوع ..
فهقهت و هي تخرج له شطيرة أخرى .. ليتناولها هذه المرة
في سعادة هاتفاً :- ان مكنيتش تحلفى .!؟
علت قهقهاتها من جديد .. على أنغام ام كلثوم التي تشدو
في هذه اللحظة:-

بعيد بعيد أنا وانت
بعيد بعيد وحدينا
ع الحب تصحى أيامنا
ع الشوق تنام ليالينا
صالحت بيك ايامي
سامحت بيك الزمن
نستني بيك آلامي

ونسيت معاك الشجن
رجعوني عنك لأيامي اللي راحوا
علموني أندم على الماضي وجراحه
اللي شفته قبل ما تشوفك عنيه
عمر ضايح يحسبوه إزاي عليّ

وصلا مساءً لذا قررا تناول طعام العشاء و بعدها الصعود
لغرفتهما للنوم بسبب تعب الطريق ..
تناولا طعامهما بالفعل و نهضا لغرفتهما المطلة على جزء
من القرية و البحر الحالك الظلمة من بعيد لا ترى حدوده و
بعض انوار لسفن بعيدة و كأنها نجوم في سماء حالكة
السواد ..

تنهد في هدوء و هو ينتظرها لتخرج من الحمام .. لكن طال
بقائها ليهتف باسمها في قلق :- زينة .. انت كويسة ؟!!..
طرقت على الباب كي يسمعها فظن انها حبيسة بالداخل
ليفتح الباب بهدوء هاتفاً باسمها من جديد .. ليجدها تجلس
على حافة المغطس تمسك ملابس نومها تقلبها بين كفيها
في ذهول .. تعجب و لم يفهم شيء .

حاولت ان تفهمه لكنه لم يدرك ماذا تعنى ..
تنهدت في نفاذ صبر و تركت الحمام و خرجت .. سحب
ملابسه من الحقيبة و دخل ليرتديها ليصرخ هاتفاً بغضب :-
ايه ده ؟!..
..

خرج من الحمام و لازالت نوبة الغضب تجتاحه حتى انه لم
يلحظ انه لا يرتدى الا بنطال قطنيا بلا سترة .. و.. صدر عار

هتف بغیظ :- طيب يا رزجة .. اما اشوفها هخنجها ؟!..
انفجرت زينة مقهقهة عندما تيقنت انه ادرك الان ماذا تعنى
.. فرزقة عندما حضرت حقيبتهما وضعت فيها أجزاء

مستقطعة من كل منامة او قميص نوم .. الان كل ما يملكه
 زكريا هو ثلاث سراويل لمنامات من دون سترات .. و هي
 كل ما تملكه سترة من هنا و بنطال قصير من منامة أخرى
 .. ولا منزر على الإطلاق تدارى خلفه تلك الفضيحة غضت
 بصرها عندما شاهدت زكريا بهذا الوضع و الذى جذب احد
 الشرافى ملتحفا به .. مشجعا أياها لارتداء ما تملك على
 اى حال .. و الا كيف النوم ..؟! ..

تشجعت و دخلت الحمام تبديل ملابسها بما تملكه .. لتخرج و
 يشهق زكريا بصوت مكتوم متمنيا انها لم تكن لترتدى تلك
 المنامة الحريرية ذات السترة الرقيقة الوردية بلا أكمام و
 ذاك البنطال القصير الحريري الأخضر اللون ..
 دخلت للحجرة تقف كالمتشعبة لا تستطيع الحراك .. و هو لا
 يستطيع ان يحيد بناظريه عنها ..

سحبت شرشيف اخر تتدثر به .. ليتنح زكريا محاولا
 ترطيب الجو الحار:- شكلنا الصراحة كده مش ولا بد .. كل
 واحد متلحف بغطا و لا اللى اتسرجت هدومه ف حمام
 التلات ..

انفجرت مقهقه غير قادرة على كبح جماح ضحكاتها حتى
 دمعت عيناها .. ليهتف و هو يشاركها قهقهاتها :- منك لله
 يا رزجة .. اشوف فيك يوم يا بعيدة ..
 لتشير اليه ان يصمت فقد أمتها بطنها من كثرة الضحك
 على حالهما و تعليقاته ..

نهضت تجلب لنفسها كوب من الماء ترطب به حلقها
 فتعثر رغما عنها في طرف دثارها المحيط بها لتندفع
 للأرض .. ليشهق هو مندفع لانقاذها
 ليتعثر بدوره ساقطا معها .. سقطة كبيرة و ارتطام ثم صمت
 مطبق ..

لحظات قبل ان يرفع كل منهما رأسه يتطلع حوله في تشوش
 كانت هي بالأسفل و هو يشرف عليها بهامته و جزعه

المرتفع قليلا عن الأرض و ذراعاه تحيطان بها و قد تلقت
 اثر الارتطام عن جسدها ..
 تلاقت نظراتهما .. و بدأ جسدها يرتجف تحت وطأة لمساته
 على ظهرها .. و نظراته التي تربكها .. همس رغما عنه :-
 متخافيش.. طول ما انتِ معايا أوعاك تخافى..
 سحب كفه اليمنى رويدا من تحت ظهرها لتمتد بلا إرادة منه
 يبعد عن وجهها خصلات شعرها الكستائى التي تثار
 على ملامحها المصدومة قليلا ..
 لما فعل ذلك لا يعرف .. لكنه انحنى و لثم جبينها في رقة و
 رفع رأسه ناظراً اليها من جديد يدعو الله ان يصبره على
 تلك النظرات التي تدعوه اليها و في نفس اللحظة تقصيه
 عنها ..
 نهض و رفعها ليحملها بين ذراعيه بدثارها الذى حمد الله
 انه لازال يلتف حولها بإحكام ووضعها على الفراش متمنيا
 لها مساء طيبا و اندفع الى الحمام .. لعله يبيت ليلته فيه
 بعيدا عن تأثيرها الدامى على أعصابه ..

نزلا لتناول الإفطار و شراء بعض الملابس عوضا عن تلك
 القطع الغير متناسقة التي اتحفتهم بها رزقة الخادمة ..
 جالا قليلا خارج القرية السياحية .. أراد شراء بعض
 المشروبات لها فتركها للحظات ليعود ليجد
 شابين يحاولان التحرش بها في
 صفاقة .. ألقى بما كان في يده .. و بدأ في الشجار معهما و
 لم يتركهما الا بعد ان أتى امن المكان ليلقوا بهما خارجا ..
 كانت هي ترتجف في خوف ليندفع اليها هامساً بقلق :- زينة
 .. فيك حاجة ..؟! .. طمنينى .. حد فيهم مسك .. حد جل أدبه

..

هزت رأسها حتى تطمئن .. تؤكد له انه جاء في الوقت المناسب .. جذب كفها ضامه اليه في تملك ليدفع جسدها ليحتضن كتفيها بطول ذراعه لسحبها بعيدا عن الزحام حيث يصف عربته ..

جلس معها في مكان هادئ يحضر لها بديل عن المشروبات التي ألقاها جانباً حتى تستعيد بعض من هدونها .. ربت على ظاهر كفها الممدودة على الطاولة قبالة وهو يهمس مازحاً محاولاً إخراجها من حالة السكون التي اعترتها منذ ما حدث :- ايه اللي حصل يعني .. ملحجناش نشترى اللي

عاوزينه؟! .. آخرتها ايه ... ها نلبسوا لبس رزجة المخربط تانى ..؟! ..

ابتسمت على مزاحه .. فانشرح صدره لما رأى ابتسامتها تكلل محياها من جديد ..

هتف ليغير الموضوع :- مچعتيش!؟ظ

هزت رأسها إيجاباً .. ليطلب الطعام و يشرعاً في تناوله .. لكنه تعجب منها عندما وجدها انتظرت و لم تمد كفها على اى من الأصناف قبالتها

قرأها و فسر رغبته بشكل أثار دهشته ليمد كفها و يقدمه لها بلقمة .. ألتمعت عيناها بفرحة و مدت فمها المفتوح لتتناول الطعام الذى بات أشهى من يده ..

عادا للفندق في سعادة و دخلا غرفتهما و جاءت لحظة الكرنفال اليومي لعرض الأزياء الاغرب على الإطلاق .. هو ارتدى احد السراويل بلا سترات و هي ارتدت منامة غير متناسقة الألوان و لا الخامة ..

و بدأت وصلة الضحك على مظهرهما العجيب .. و أخيراً.. بدأ التوتر يسدل استاره على الغرفة ..قطعه هو مؤكدا أين موضعه بالضبط حينما جلس على احد المقاعد ماذا قدمه على الآخر وهو يتدثر بغطاءه المعتاد و يضع

احدى الوسائد التي جذبها في طريقه من على الفراش أسفل
 رأسه داعيا الله ان تمر الليلة على خير ..
 تمددت هي على طرف الفراش .. محاولة تقليده و التدثر
 بغطائها و الغطيظ في النوم
 و لكن ذاك الألم الذى داهمها منذ قليل يصرف عنها النوم
 بالفعل ..
 لا تعرف ماذا حدث ليصبح ألم معدتها لا يحتمل بهذا الشكل
 ...؟!.. ربما هو طعام الغذاء...!!!
 فطعام العشاء لم تتناوله حتى لشعورها بالامتلاء بالفعل
 فشربت بعض المهضومات .. لكن يبدو انها لم تفلح ..
 ارتفعت وتيرة هنات ألمها لتسترعى انتباهه فينهض في
 دعر باتجاهها ينحنى هاتفاً في قلق :- زينة .. ايه اللي
 حصل ...!!! ماالك...؟!..
 اشارت لألم معدتها .. فهتف يهدأها وارتدى ملابسه على
 عجل يشتري دواء
 ويعود سريعا ليعد لها مشروبا ساخنا من الأعشاب .. مر
 بعض من الوقت حتى هدأت تماما و هو بجوارها ..
 لا يعرف كلاهما متى غفلا .. لكن همهماتهما قد علت لتبدو و
 كأنها تصارع شيء ما في أحلامها.. شيء بغيض يحبس
 أنفاسها و لا يدعها تطلق الصرخات استنجادا .. شيء يكمن
 فاهها و لا يتركها تنادى باسمه لعله يأتي ليخلصها من
 عذابها و ألامها و يكفيها معاناة ستعيشها لسنوات و عار
 سيلحق بها للأبد ..
 لكن لا فائدة من المقاومة لتشقق منتفضة في دعر لينتفض
 بدوره جوارها يتيه لثوان غير مدرك ما يحدث .. ثم
 يستفيق دفعة واحدة و قد أيقن انه كابوس من كوابيسها و
 التي اخبره عنها طبيبها و التي يبدو انها عاودتها بعد ان
 ظن انها ذهبت بغير رجعة فهو لم يصادف اى من تلك
 الكوابيس منذ اصبح يبيت ليلته في غرفتها ..

ما الذى دفعها للظهور من جديد يا ترى .!؟. و ظلت الأجابة
في سرعة .. ما حدث معها اليوم فى المركز التجارى من
الشابين الفاسدين لابد و انه أعاد على ذهنها تلك الحادثة
المقيبة ..

نظر اليها في إشفاق و هي تلتقط أنفاسها في تلاحق مما
دفعه ليستدير متاولا كوب الماء ليقدمه لها .. نظرت اليه
نظرات تائهة و أخيرا انخرطت في بكاء مرير و هي تتدفع
لاحضانه بقوة تنكمش داخلها في ذعر دفع القليل من الماء
لينسكب على كفه الحاملة للكوب ..

ظل للحظات مبهوتا مما يحدث تشل الصدمة رد فعله
المفترض ..

آفاق تدريجيا ليضع الكوب موضعه الأول و يعود الى تلك
المنتحبة في احضانه .. و بلا إرادة منه وجد ذراعيه
تحكمان أسرها و تقربها الى أضلاعه يخبئها من كل ألامها
و أحزانها و هواجسها التي تطاردها بلا رحمة..
لثم هامتها في محبة حقيقية هامساً بالقرب من اذنها :-
متخافيش .. مش انا جلت لك طول ما انى جنبك متخافيش
...!!...!!..

رفعت رأسها عن احضانه قليلا و تلاقت نظراتهما لتدفع
بحروف اسمه في بطء على شفيتها ليستطيع قراءتها ..
فكان دوره هو ليرتجف .. لتسحب هي نفسها من بين
ذراعيه ليحمد الله ان رحمته به جاءت في وقتها قبل ان يفقد
عقله من جراء تلك الرقيقة المهلكة .. التي اتخذت من طرف
الفراش البعيد ملجأ لها تتدثر بغطائها و تتركه يعانى
الامرين من ذاك المد و الجزر ..

عادا للفيلا و اصبح من المعتاد ان ينام في حجرتها بعد ان
تم تخصيص غرفة في نفس الرواق لحازم ..

كان يتمدد على الأريكة في مقابلة فراشها الذى كانت تتمدد
على أحد اطرافه و لا تغفو في اطمئنان الا اذا كان وجهها
في مقابلة وجهه الذى كان يديره اليها دون ان يدرك انها
تتفرسه دوما حتى تغيب في نوم مريح هادئ بلا كوابيس
ترزعجها كالسابق ..

دفع حازم باب غرفتهما باكيا شاكيا في احدى الليالى هاتفاً
في ذعر :- انا خايف يا زكريا..

انتفض زكريا مع هجوم حازم المباغت داخل الغرفة و ذلك
لعدم رغبته في رؤيته ممددا على الأريكة لا على السرير
بجوار زينة كما هو مفترض ..

هتف به زكريا :- تعال يا حازم نروح اوضتك ننام فيها ..
متخافش هنام معاك ..

سمعتهما زينة و زكريا يحاول جذب حازم خارج الغرفة الا
انها استدارت مهممة ليتنبه حازم و هي تشير اليه ليندفع
راكضا لأحضانها فتدفعه ليتمدد جوارها ..

وقف زكريا متعجباً من افعالها و طبعاً لم يكن من المنطقى
ان ينام بعيداً عن الفراش الذى يجمعهما حتى لا يخرج حازم
يخبر الجميع .. تمدد في هدوء و جسده متشنج
لكن رويدا رويدا .. بدأ يسترخى و يثقل جفنه ليروح في نوم
عميق لأول مرة منذ وقت طويل ربما لانه لأول مرة منذ
فترة يتمدد جسده على فراش وثير لا على أريكة متعرجة
تصيب عضلاته بالتعب ..

همهم حازم فضمه زكريا هامساً فيه من أعماق غطيته :-
نام .. نام ..

اخذ يربت عليه و يمسد كفه رأسه مهددا و هو اقرب للنوم
منه لليقظة.

همهم حازم من جديد ليهمس زكريا مجددا و هو يجذبه اكثر
لأحضانه :- هششش .. ناام..

و اعتصره بين ذراعيه أخيرا .. لكن تلك الهمهمة الأخيرة
جعلت زكريا يفتح جفونه في ثقيل هامساً :- يا واد ما تنام
...نااا..

قطع أمره لحازم الذي بين ذراعيه و الذي لم يكن سوى
زينة و قد نهض حازم هاربا خارج الغرفة منذ زمن و تركه
يعتقدها ولده

الذي يهدده و يضمه لصدرة..ابعد كفيه عن الضغط عليها
قليلا لكنه لم يجذبهما بعيدا ..

ازدرد ريقه في صعوبة و هو يرى تلك النظرات الشقية التي
تتطلع اليه في بريق عجيب كانت المرة الأولى الذي يراه
يتراقص بهما .. همس يحاول ان يفسر ما يحدث الا انها
رفعت رأسها اكثر تنظر لأعماق عينيه ..

لم يكن يصدق انها هنا بجواره على مثل ذاك القرب الحميمي
دون خوف دون ارتعاش او ارتجاف .. غابت تلك النظرة
التي تقصيه عنها لتحل محلها نظرة مشتاقة و مرحبة بقربه

رفع ذراعه لا أراديا ليحيط خصرها هامساً بالقرب من اذنيها
باسمها :- زينة .. ؟!! ..

رفعت فمها مقابلا لنظراته تنطق كل حرف من حروف اسمه
مفردا متفردا .. كل حرف كان مسمارا في نعش ثباته
الوهمي الذي يدعيه أمامها .. و الان أعلن استسلامه لها
دون قيد او شرط وهو يقربها اليه اكثر هامساً في اذنها
بصوت متحشرج بعد ان أنهت نطق اسمه بهذا الشكل
الخطر:- عيون زكريا ..

غابت بين احضانه و هي لا تصدق انها أخيرا صالحت الدنيا
.. او ربما صالحتها الدنيا ان أهدتها ذاك الرجل الذي عشقته
منذ الوهلة الأولى .. لتجد نفسها أخيرا ...و تشعر أخيرا
.. انها امرأة طبيعية يمكن ان تهب الحب و تناله بكل روعة

و في منتهى الرقى مع ذاك الحنون الذى تنعم الان بدفع
الأمان بين ذراعيه..

جاء من الخارج بعد ان استدعاه الحاج مندور لقضاء بعض
الاعمال فاندفع ملبيا مبتعدا عنها بعد ان وجدت اخيرا
طريقها لأحضانه .. صعد الدرج متوجها لحجرة حازم يطمئن
انه خلد لنوم هائئ .. أغلق باب حجرتة و توجه بقلب خافق
باتجاه غرفتهما..

فتح باب الغرفة في وجل و دخل في تودة و أغلق الباب
خلفه متطلعا حوله باحثا عنها ماسحا الغرفة بنظراته
المتلهفة لمحيائها و ما ان هم بالتحرك لداخل الغرفة حتى
ظهرت هي من داخل الحمام في ثوب حريرى رقيق
ظهرت و كأنها شذى عطر فاح في الأنحاء ليغمر روحه ..
تسمر موضعه .. و كذا هي لم تتحرك قيد انملة و هي تنكس
رأسها في خجل .. دفع نفسه دفعا للتوجه اليها في خطوات
متمهلة لا تشئ إطلاقا بما يعتمل ب صدره من شوق اليها ..
وقف أمامها مباشرة لا يفصلهما الا بضع سنتيمترات ..
شعر بارتجافاتها المعتادة و تسلل القلق لروحه .. هل عادت
سيرتها الأولى ..؟!.. سأل نفسه في توجس .. الا ان شيء
ما في أعماق نفسه اجابه بالنفى و دفعه ببطئ ليمد كفيه
ليضعهما على اعلى ذراعيها و في بطء و تودة يديها الى
احضانه و يطبق في حنو عليها بذراعيين من حنان يدثراها
.. و ابتسم في سعادة عندما اختفت الارتجافات المعهودة
و سكنت هي في احضانه بوداعة ..

اخفض رأسه ليهمس بإذنها في حنو :- انا مش جلت لك
طول ما انت جنبى متخافيش .. أوعى تخافى ..
رفعت رأسها في تردد باتجاه وجهه لتلتقى نظراتهما و أخيرا
اماءت برأسها في إيجاب

و هي تحرك شفيتها بكلمة غالية تمننت ان تبوح بها منذ
سنوات :- بحبك ..
لمعت عينا زكريا لكلمتها الثمينة التي تعنى انه اصبح مالكا
لقلبها و ان أمانها بالفعل بين ذراعيه و هو لا يدرك انه
كذلك منذ ان وعته يتطلع اليها على شاطئ البحر في تلك
الليلة التي تعدها هي ليلة القدر بالنسبة لها.
همس و هو يقربها لصدره من جديد بشوق و لهفة بعد ان
باحث بمكنون صدرها
أخيرا :- و انت يا زينة .. جلب زكريا ..
رفعت نظرات دامعة لوجهه ليحنى هامته مقبلا جبينها
الوضاء و يضمها الى أضلعه في شوق ..

الخامس عشر

خرجت تترنج من داخل الحمام .. لا تصدق ما استنتجته منذ
عدة أيام و أكده لها الطبيب و ظلت لا تصدقه حتى هذه
اللحظة ..

تقدمت خطوات باتجاه فراشها لكنها شعرت بالدوار و كادت
تسقط عندما مادت الأرض بها الا ان كفى زكريا القويتين
تلقفتها عندما دخل للغرفة على حين غرة و أسرع لنجبتها
رفعها مسرعا باتجاه الفراش و ما ان هم بالاندفاع لإحضار
الطبيب حتى همهمت معترضة و جذبه ليعاود الجلوس
بجانباها من جديد ..

أخذت تلتقط أنفاسها في تنابع و هي تنظر اليه في استكانة
تربت على كفه تطمئنه انها بخير ..

هتف زكريا في اضطراب :- لازما اجيب الداكتور يشوفك ..
هزت رأسها نفيا و ابتسمت في سعادة و هي تقربه لتضم
وجهه بين كفيها .. و قربت جبينه لشفتيها مقبلة إياه في
عشق ثم ضمت رأسه لصدرها ..

استكان في تعجب بين أحضانها و هو يستشعر قبلاتها
الدافئة على جبينه

رفع رأسه في تردد باتجاه نظراتها يود لو تطمئنه و تريح
ذاك القلق الذي يتسلل الى أعماقه بسرعة ..

استشعرت هي ذلك التوتر البادى على محياها المحبب فمدت
كفها و التقطت كفه السمراء تضعها على بطنها و تشير ..
لم يستوعب ما تقصده او ربما لا قبل له ليتستنج مقصدها
.. اتسعت ابتسامتها لمرأى صدمته .. فأشارت بكفيها لبطنها
و مثلت انها ستتكور و ضمت عضديها كأنها تحمل طفلا و
تهدهده ..

دمعت عيناه في سعادة غير مصدق .. و اندفع اليها ضاماً
إياها في فرحة غامرة .. اعتصرها بين ذراعيه مقبلاً جبينها

في حبور طاغ .. و همس بالحمد و الشكر لله و هي تبكى
بين ذراعيه في وجل رافعة نظراتها للسماء شاكرة ..

هتف الحاج مندور بنبرة غير
مصدقة :- حامل .. زينة بنتى حاامل؟! .. الف حمد وشكر
ليك يا رب ..
غامت عيناه بدموع فرحة و هو يفتح ذراعيه لإستقبال ابنته
التي شاركته دموع فرحته و هي تلقى بنفسها في سعادة
لأحضانه ..
هتف حازم سعيدا بالخبر السار:- يعنى هيكون عندى اخ يا
ماما زينة؟! ..
انفجر زكريا ضاحكاً :- يعنى هي اتجوزت ابوك بجت ماما و
انا ابوك افضل زكريا .!
انفجر الجميع ضاحكين ليرد حازم :- حاضر يا زكريا ..
هقولك يا بابا ..
قهقه زكريا :- طب كتر خيرك و الله بصراحة معرفش أودى
چمايلك فين؟! .. و اه يا سيدى .. هياچيلك اخ او اخت ..
هتف حازم معترضاً :- لاااا .. بنات لاا .. عايز ولد ألعب معاه

..
قهقه الجميع ليرد زكريا :- اهو عشان لمضتك دى هيجيك
بت .. ايه رايك؟! ..
انفجر حازم باكيا :- لااا .. عايز واد ألعب معاه ..
ضحك الجميع على سذاجة حازم و كأن الأطفال بضائع
معروضة في محل الألعاب ننتقيهم كما نحب و نرغب ..

كان حمل زينة مستقرا لحد كبير مع بعض المحاذير
.. اتبعته بحذافيرها و خاصة مع وجود الحاج مندور الذى

كان يعد الأيام و الليالى حتى يهل حفيده الذى انتظره طويلا
و لطالما دعا الله ليطيل في عمره حتى تتكحل عيناه برويته

..
مرت أشهر الحمل على خير ما يرام لتأتى اللحظة الحاسمة

..
اندفع زكريا بزوجته للمشفى المتفق على الوضع بها .. كان
يروح و يجى في قلق لا يستطيع تهدئته ..

لقد دخلت لغرفة العمليات منذ ما يزيد عن الساعة و لكن لا
جديد .. ماذا يحدث بالداخل..؟!..! التوتر وصل به حد

الجنون وهو يرى ممرضات تروح و تجى لداخل غرفة
العمليات حيث ترقد زينة و لا احد يطمئنه ... و أخيرا خرجت
إحداهن لتضع بين كفيه لفافة صغيرة تحمل ابنتهما .. كانت

قطعة مصغرة عن أمها .. نظر إليها في فرحة لكنها
منقوصة لقلقه على أمها التي لم يطمئنه احد عليها حتى هذه
اللحظة و أخيرا خرج الطبيب يتطلع لزكريا هاتفاً:-

حضرتك جوزها مش كده ..؟!..!

اكد زكريا في دعر :- اه .. انى جوزها يا دكتور خير ..

!..؟!.. هي كويسة ..؟!..!

اكد الطبيب :- هي للأسف ..

صرخ زكريا و قد ذابت مفاصله هلعاً غير قادر على الوقوف

من دعره متذكراً بدور :- مالها .. ايه فيها!..؟!...

أقر الطبيب :- للأسف بعض المضاعفات اثناء الولادة

هاتضطرنا نشيل الرحم .. بس كان لازم ابلك و اخذ

موافقتك ..

صرخ زكريا مضطرباً يهزه الذعر هذا:- اعمل اللي تجدر

عليه يا دكتور .. بس هي تبجي كويسة .. اى حاجة بس

تجوم بالسلامة .. اى حاجة ربنا يخليك.

ربت الطبيب على كتفه مطمئناً و هو يعود من جديد لداخل

غرفة العمليات لينهار زكريا تماماً على احد المقاعد القريبة

من باب الغرفة يسند رأسه على احدى كفيه و ينظر لابنته
بغصة و أخيرا نظر بعين دامعة للسماء متضرعا بقلبه:-

يااارب .. اجول

ايه ...؟!.. أسوى كيف ..؟!..

ياارب مش جادر اجولها بس انت اعلم بيها..يا رب .. جلبى
معدش جادر.. انى معدتش جادر .. زكريا معدش جادر على

وجع تانى.. يااارب ..

و سالت دموع قلبه قبل عينيه ..لا يعلم كم مر من الوقت و

هو يناجى ربه ..لينتفض اخيراً باتجاه الباب عندما رأى

الطبيب خارجا ..

و الذى ابتسم في وجه زكريا هاتفاً :- الحمد لله .. عدت

على خير .. هاتبقى كويسة باذن الله .. بس لازم نخبى عليها

موضوع إزالة الرحم ده شوية لحد ما تشد حيلها ..

هتف زكريا غير مصدق :- يعنى هي بجت تمام كده .. بجت

بخير ..؟!..

ابتسم الطبيب من جديد :- الحمد لله .. هانقلها لاوضتها

دلوقتي و هاتابعها و تبقى زى الفل .. و مبروك عليك

العروسة الصغيرة ..

نظر اليها زكريا للمرة الثانية منذ وضعوها بين ذراعيه لكن

تلك المرة بفرحة عارمة حامدا لله كثيرا ..

اندفع ماجد ذو السبعة أعوام لمجلس جدته فضيلة فى

قاعتها المفضلة يراها تجلس القرفصاء فوق احدى الأرائك

تمسك بمسبحتها ذات الألف حبة تتمم بالاستغفار حتى

تأخذها سنة من نوم .. و تستفيق فجأة كما غفلت فجأة

معاودة التسبيح من جديد ليهتف فى استكانة مصطنعة :-

يعنى يا ستي حفظتى مهران القرآن .. و انا لااه ..؟!..

هتفت الحاجة فضيلة :- مين جال كده .. احفظك يا ماجد ..
 ده انت حبيبي .. اخر العنجد ..

ابتسم ماجد فى شقاوة هاتفا :- طب ياللاه .. جولى و انا
 اجول وراك ..

أكدت هى :- تمام ..ياللاه ورايا ..
 و بدأت بالفعل تتلو بعض آيات من القران الكريم حتى راحت
 فى نعاسها المعتاد ..

ابتسم ماجد فى سعادة و ما ان هم بالاندفاع خارجا ليلعب
 حتى استفاقت الحاجة فضيلة هاتفة :- رايح فين؟! تعالى
 سمع يا واد..

هتف ماجد مشاكسا :- خبر ايه يا ستى .. ما انا لسه مخلص
 تسميع .. انت نمتى تانى و لا ايه؟!..

هتفت الحاجة فضيلة نافية :- لاه .. ما نمتش يا جليل الأدب

..
 هتف ماجد بضيق :- طب اعمل ايه انا طيب .. اسمع تانى ..
 ..!..

أكدت الحاجة فضيلة :- اه .. سمع ياللاه ..
 ما ان هم ماجد بفتح فيه حتى راحت الحاجة فضيلة فى نوبة
 نعاسها السريعة من جديد .. لينهض ماجد متسللا من خلف
 أريكتها ليخرج .. الا انها استيقظت متلفتة حولها هاتفة فى
 ضيق :- وااه .. الواد سهانى و خرچ .. معجون بمية
 عفاريت ..

قفز ماجد من خلف اريكتها هاتفا فى شقاوة :- انا أهو يا
 ستى ..

لتنفخ هى مزعورة هاتفة فيه :- طيب يا ماجد .. و الله
 لأجول لأبوك لما ياجى .. و الله ليعلجك فى السجرة اللى بره
 لحد لما يبان لك صحاب ..

هتف ماجد مستعظفا :- و اهون عليكى يا ستى؟!..

هتفت الحاجة فضيلة بعد ان رق قلبها لإستعطافه:- لاه ..
 متهونش يا جلب ستك .. ده انت الغالى واد الغاليين .. بس
 بجولك ايه؟! .. لساتك معاك من البسكويت الطرى ده اللى
 دوجتهونى عشية ..؟! ..

أكد ماجد :- اه .. لسه معايا يا ستى ..
 امرته هاتفة :- طب اچرى هاتلى منيه أحسن انى نفسى فى
 حاجة حلوة...

اندفع ماجد مسرعا يحضره لها هاتفا قبل ان يغيب:- بس
 مش هتجولى لبابا حاجة ماشى ..!!?
 اكدت :- لاه .. مش هچول .. بس هاته انت .. اچرى..
 لتغيب الحاجة فضيلة فى سباتها
 المفاجئ مرة اخرى ..

اندفع زكريا بجوار السرير المدولب المدفوعة عليه زوجته
 زينة داخل أروقة المشفى .. يتطلع اليها في دعر .. هو يكره
 المستشفيات و كل ما يتصل بها وكان يتجنب الدخول اليها
 او التواجد فيها لأي سبب ...

اخر مرة كان فيها داخل المشفى يجرى مضطربا بنفس ذاك
 المنظر المذعور يوم ولادة هدير منذ سبع سنوات .. و الان

..

لا يعلم ما الذى حدث لزينة بالضبط .. فكل ما قصته رزقة
 عليه .. ان هدير كانت تخرج من حافلتها المدرسية و
 كعادتها المشاغبة بدلا من ان تدخل لبوابة الفيلا اندفعت في
 الاتجاه المضاد تعبر الشارع للجانب الاخر حيث احد بائعى
 الحلوى و الذى رغبت في الشراء منه تلك المصاصات ذات
 الألوان و الأشكال المختلفة التي تعشقها .. و في اثناء ذلك
 كانت زينة تنتظرها كعادتها في نافذة الطابق الثانى ..

لتسمعها رزقة فجأة تصرخ عندما شاهدت هدير تعود
ادراجها للفيلا بشكل غير محسوب و هناك سيارة قادمة في
سرعة باتجاهها فما كان منها الا الصراخ و الهاتف باسم
هدير .. لتسقط فاقدة وعيها

تسأل :- هل حقا زينة هتفت باسم ابنته ..؟! هل تكلمت
اخيراً .. نطقت بعد كل تلك السنوات ..؟! لا يدرى حقيقة
ذلك ..؟! و لا ثقة له في رواية رزقة .. و التي يعلم تماما
مدى تركيزها المحدود .. و التي للأسف كانت الشاهد
الوحيد على ما حدث ..

لحظات و خرج الطبيب المعالج مطمئنا زكريا :- دى صدمة
عادية .. متقلش .. هتاخذ وقتها .. و خاصة ان بقالها سنين
متكلمتش ..

هتف زكريا مستوضحا :- يعنى هي هتبجي بخير ..؟! ..
أكد الطبيب رابتا على كتفه :- أكيد بإذن الله .. بس لازم
دكتور متخصص يتابعها أفضل ..
أكد زكريا بايماءة من رأسه .. و هو يفتح باب غرفتها ليتقدم
الى فراشها رابتا على رأسها في حنو .. متلهفا على
استفاقها ليتأكد انها بخير .. و ربما يستمع لصوتها الذى
يشتااق لسماعه منذ سنوات ..

دخل حمزة الى الإسطنبول فى سعادة
فأخيرا سيكون له فرسا باسمه ..
فرسا خاصا به .. هكذا وعده عمه
عاصم عندما ينجح فى الإعدادية و
ها قد نجح بتفوق كعاداته و اليوم
يوم انتقاء الجائزة هدية النجاح ..
فرسته الحبيبة التى حلم بها دوما ..

جال بنظرة فى الإسطبل باحثا عنها حتى
 وقعت أنظاره عليها ..
 فرصة شامخة مشعة
 اللون كالعسل المصفى المخلوط بتبر الذهب .. كانت خلافة .
 ذهبية ..
 هكذا قرر تسميتها .. اندفع فى
 اتجاهها يربت على عنقها
 الشامخ القوى كأي فرس عربى
 اصيل وأخرج من جيب جلبابه
 مكعبات من السكرابتاعها خصبيا لأول لقاء بها .. دفع بقط
 ع السكر اليها و هو يهمس باسمها بجوار اذنيها و هى تتخذ
 ى تلتقط قطع السكر فى
 استمتاع سهلت الفرسة فى سعادة
 و كأنما قد راق لها الاسم ..
 اسرجها بغية امتطائها قليلا حتى و
 لو داخل الإسطبل فعمه عاصم لم
 يسمح له بالخروج بها بعد ..
 انتهى من وضع السرج الفضى على ظهرها ليزيدها فتنة ..
 و ما ان هم بالصعود على صهوتها حتى هتف صوت رقيق أ
 سفل منه فى نبرة مترجية :- ممكن تخلىنى
 أركبها يا حمزة ..؟!..
 نظر حمزة للأسفل منتفضا ليجد
 تسبيح ابنة عمته سهام
 .. تلك الصغيرة الشقية التى تبلغ السابعة من عمرها
 و التى لا
 يُرفض لها طلبا و الا ملأت الدنيا صياحا و ظلت تبكى حتى
 تحصل
 على مبتغاها .. كان لديها القدرة
 للبكاء بالساعات دون انقطاع

و لا قبل لأحد على احتمال هذا
العذاب .. لا تغرنه تلك النظرة
البريئة المظلة الان من عينيها ..
فهي نظرة توصل تأتي في البداية قبل الرفض الذي يكون عا
قبتة وخيمة و
يظهر ساعتها الوجه الاخر
لتلك البراءة المزيفة ..
هتف فيها حمزة :- لاااه .. مش
هاينفع يا تسبيح ..
انا لسه متعودتش على الفرصة و
معرفلهاش .. و بعدين أنت ايه اللي جابك
هنا من الأساس ..؟! ..
رفعت كتفيها بلامبالاة مجيبة :-
كنت راجعة من المدرسة شوفتك
داخل هنا .. رحت
چيت وراك .. مش هتركبني بجا..؟! ... باسل مش بيرضى ..
و انت كمان يا حمزة ...!!
و بدأت في إطلاق شهقات خفيفة
إيذانا ببدء وصلة البكاء المعتادة ..
هتف في دعر :-
لااه .. خلاص ما تبكيش .. انا هخليكي تركبيها بس
تنزلي على طول .. اتفجنا ..؟! ..
سكتت شهقاتها في التو و ابتسمت
مؤكدتهاهتزازات متتابعة من
رأسها انها موافقة على اقتراحه ..
جال حمزة ببصره في المكان
ليجد دلولا في احد الأركان ..
احضره على عجالة وضعه
مقلوبا أسفل سرج الفرسه

و طلب منها الوقوف عليه
وقفت بالفعل .. فأمرها بوضع قدمها داخل موضع القدم المدل

ى

من السرج مع دفع جسدها
لاعلى الفرس بمساعدته لتستقر
على ظهرها ففعلت فى طاعة عمياء
و اتبعت تعليماته بحذافيرها .. لتجد نفسها
وقد أصبحت على ظهر

الفرس ونظرت من عليائها فى
سعادة منقطعة النظير ابتسم هو
لسعادتها و هتف أمرا :- ياللاه ..
بكفياكى كده .. هاتى يدك انزلك ..
هتفت تسبيح فى رعونة :- لاااه ..
خلينى شوية

و مدت يدها تلتقط لجام الفرس
والتي تنبعت برفع رأسها عن
جوال التبن الذى كانت
تغرس فمها فيه و تحركت آذانها استشعارا
لبداء نشاط ما منذ لمست يد
تسبيح اللجام و الذى لسوء الحظ
حاول حمزة ألتقاطه منها لمعرفته
بخطورة العبث بلجام الفرس
دون دراية لكن .. سبق
السيف العزل .. واشربأت عنق
الفرس و صهلت لتندفع في
حماسة خارج الإسطبل و تسبيح
تحاول التوازن على صهوتها مع
صرخات حمزة و نداءاته و ركضه خلفها .. لكن .. لا فائدة

اندفعت سندس لداخل السرائ تلقى
 حقيبتها المدرسية فى حنق باكية
 مما استرعى انتباه زهرة
 التى توجهت اليها فى قلق
 هاتفة :- فى ايه يا سندس ..؟!..
 بتعطى كده ليه يا حبيبتي ..؟!..
 فتحت سندس كفيها ليظهر
 بينهما اساورها العزيزة عليها و
 قد تحطمت تماما .. تلك
 الأساور التى كانت تتباهى و تزهو بها فى سعادة لندرة
 الحصول على مثلهن ..
 فقد طلبتهن مخصوص من
 احدى صديقاتها
 التى كانت تسافر لأبيها
 احدى دول الخليج .. فتلك
 الأساور هى أساور هندية اصلية .. وهى تعشق الأساور بجذ
 ون .. و هى المفضلة لديها من بين
 تلك المجموعات التى تملكها . ولكم تعجب
 عاصم ابيها لحبها الشديد
 لارتداء الأساور من صغرها ..
 و طالما أكد انه يريد لها ان ترتديهم
 من الذهب الخالص .. لكنها
 ترفض بشدة مكتفية بالأساور
 الخاصة بالزينة بألوانها المبهجة و صوت رنينها الأخاذ ..
 هتفت زهرة مؤنبة :- كام مرة قلت
 لك المدرسة مش مكان
 للبس الغوايش بتاعتك دى و

انت مفيش فايدة .. برضه بتلبسيهم ..
اهم اتكسروا ..

رق قلب زهرة لبكاء ابنتها الحار فسألت مستفسرة :-
بس اتكسروا ازاي ..؟! ..

هتفت سندس من بين دموعها :- مدرس العربى
طلب منى أعراب جملة غلطت
راح ضاربني بالعصايا ..
جت فى الغوايش و اتكسروا ..
ضمتها زهرة هامسة :- طب خلاص
متزعلش .. هنجيب لك غيرهم ..
بس

متلبسيهمش فى المدرسة ماشى .. !!
ابتعدت سندس عن احضان أمها
واضعة اساورها المكسورة على
الطاولة فى حنق مندفة
للدرج :-

مش هتلاقوا زيهم يا ماما .. دوول جاينين من بره ..
رن جرس التليفون .. فاتجهت زهرة للإجابة تشعر بالضيق
لحال ابنتها و عشقها العجيب للأساور
و التى ألقت نظرة على بقاياهم
المحطمة على الطاولة
قبل ان تنصرف للإجابة على
الهاتف الذى يدوى رنينه
بغرفة المكتب ..

لم تكن زهرة تعلم أو حتى تدرك
ان هناك من كان يستمع للحديث
الدائر و دخل يجمع بقايا
الأساور المحطمة يضعها فى جيب
جلبابه و يخرج فى هدوء كما جاء .

صرخت سهام داخل رواق المشفى
هي تندفع الى الحجرة التي
تضم ابنتها و الطبيب الذى يقوم بفحصها الان ..
اندفعت تستند على ذراعى حسام
زوجها الذى كان يقف مشدوها
لا يعرف ما الذى يحدث بالضبط و خلفهما
يقف عاصم فى حيرة لا يعرف
ما عليه قوله .. صرخت فى جنون فى حمزة الذى كان يقف
فى

احد الأركان زائغ البصر لا يدرك
ما عليه قوله أو فعله :- انت السبب .. انت يا بن سليم
السبب .. منك لله ..
ذنبها فى رقبتك .. حرام عليك ..
كانت تهزى بتلك الكلمات كالذى فقد عقله غير مدركة لأثر
كلماتها فى

نفس متلقيها .. هي
مكلومة فى ابنتها و تريد ان تلقى
اللوم على احدهم ..
بكى حمزة .. ذاك الفتى الذى يعلم ان دموع
الرجال عيبة كبيرة فى حقه
.. لكنه لم يحتمل اتهاماتها
و بكى بدموع صامته ..

ربت عاصم على كتفه مطيبا خاطره
هامسا بالقرب من مسامعه عندما
تأكد من ابتعاد سهام بعد ان
جذبها حسام بعيدا عن حمزة محاولا

تهدئتها حتى خروج الطبيب :-
 معلى يا حمزة يا ولدى متاخذش
 على عمتك و كلامها .. من خوفها
 على بتها ..
 أوما حمزة برأسه متفهما هامسا
 بصوت مختنق بالبكاء: - و الله يا
 عمى عاصم هي اللي ركبت
 الفرس و انا جلت لها تنزل
 مرضيتش و شدت لجام الفرسة
 فرمحت بيها و ملحجتهاش ..
 و لجيتها بعديها
 واجعة و رجليها منصابة ..
 ربت عاصم على كتف حمزة
 من جديد : الغلطة مش غلطتك
 يا حمزة .. الغلطة غلطة
 الغفير الفجرى اللي جلت له
 يخلى باله عليك و انت بتختار فرسك .. كان فين ساعتها !؟

...
 لو كان موجود مكنتش
 تسبيح دخلت الإسطبل من اساسه ..
 بكى حمزة من جديد :- انا مكنش
 جصدى اللي حصل لتسبيح ده ..
 جول لعمتى سهام تسامحنى ..
 هم عاصم بإجابة الفتى و طمأنته
 الا ان باب الغرفة فتح فجأة
 فانتفض الجميع عندما خرج
 الطبيب و اندفعوا كلهم نحوه في
 لهفة ليكونعاصم السائل
 الاول :- خير يا دكتور ..طمنا ..

هتف الطبيب بصوت يحاول ان
 يخفف عليهم الصدمة :- انا
 كان بوسعى أطمنكم .. بس
 الحالة صعبة و إصابة رجلها شديدة و لازملها عملية حالا
 و بعدها ممكن نقرر ..
 لجمت الجميع الصدمة و لم يتفوه
 احدهم بكلمة و استفاقوا جميعا
 على سهام التي سقطت بين
 أيديهم فاقدة الوعي ..

استفاقت من غيبوبتها التي تدخل اليها مرغمة بسبب تلك
 الأدوية و العقاقير التي تتناولها ..
 همست بصوت متحشرج واهن متقطع الأحرف :- هدير ..
 هدير ..

اندفع اليها زكريا غير مصدق ينظر اليها و عينيه تكلها
 الدموع .. انها تتحدث بحق .. انها تسأل عن هدير
 همس متأثرا :- هدير بخير يا زينة .. و الله بخير .. و
 هجبتها تشوفيها ..

اومات إيجابا و هي تمد كفها لوجهه المحبب لقلبها تملس
 على جانبه في شوق ..

لتهمس بوهن :- زكريا .. بحبك يا زكريا
 ابتسم في حبور و انحنى يقبل جبينها في شوق اليها .. و
 يرفع كفها الممدودة جواره ليقبل باطنه في سعادة لا توصف

..
 همست من جديد :- كنت واخدة عهد على نفسى .. اول كلمة
 أنطقها لو ربنا أراد و اتكلمت .. هي اسمك .. زكريا ..
 و اعادت نطقه من جديد في حبور .. وهو ينظر لعرق عينيها
 الجوزيتين في عشق .. لتهمس من جديد

متسائلة :- برضة لسه معرفتش انا مين يا زكريا ..؟! ..
ابتسم محركا رأسه في تأكيد على فشله الذريع في تذكر أين
راها و متى ..؟! ..

لتهمس هي :- انا البنت اللى انت أنقذتها من غلاسة الشباب
على البحر .. و اللى وقفت تتنفض في خوف و مكنش في
حاجة غير صوتك اللى حسسها بالأمان .. و اللى خلتها تقدر
تقاوم لحد ما تقدر ترجع لطبيعتها ..

شهق زكريا متذكراً غير قادر على التفوه بحرف .. لا يصدق
انها تلك الفتاة حقاً ..

اومات برأسها إيجابا مستطردة :- انا حبيبك قبل ما ترجع
إسكندرية تانى و تتقذنى يوم ما جيت اتفرج على الفيلأ ..
حبيبك قبلها بسنين .

مد كفه ليعيد خصلة متمردة من شعرها الى جانب وجهها
ليبتسم متسائلا :- كيف ..؟! ..

من يوم الموقف ده على الشط و انا كل يوم امر من هناك ..
اشوفك قاعد قصاد البحر .. أفضل قاعدة أبص لك من بعيد
لحد لما تقوم تمشى ..

كل يوم على كده .. لحد لما جه يوم .. مشفتكيش على البحر
تانى .. و فضل عندى أمل أسابيع انك راجع .. بس

مرجعتش .. لدرجة انى تعبت فترة بعدها .. و اليوم اللى
شفتك فيه تانى و انت بتتقذنى في موقع البنأ .. ده كان

اجمل يوم في عمرى .. لأنك رجعت .. ظهرت تانى في
حياتى بعد ما كنت فاكرة انى مش هشوفك تانى أبدا ..

انحنى في حب يلثم جبينها من جديد هامسا :- ده كان اسعد
يوم في حياتى انا .. و النهاردة .. تانى اسعد يوم لانى

سمعت صوتك .. صوتك اللى كان نفسى اسمعه من يوم ما
عرفتك

ابتسمت في حبور غير مصدقة انها اخيراً تتكلم اليه ..
تحادثه .. منذ اللحظة لن تصمت أبدا .. ستظل تتكلم و تتكلم

ستظل تبثه حبها و عشقها كلمات و كلمات لسنوات طويلة
قادمة ... لتعوض كل ما فاتها وهى غارقة في دنيا الصمت

..

اندفع حمزة لداخل داره في حزن حقيقى .. فذاك اليوم الذى
ظل ينتظره حتى يحصل على فرسه التى تمنها أصبح اليوم
الاسوء على الإطلاق بعد ما حدث لتسبيح ..
دخل حمزة لغرفة جدته بخيئة و التى استشعرت وجوده بعد
ان ذهب الحزن و البكاء بنظرها فى بطء
دون ان يستشعر احد حتى اصبح علاجها لا يصلح لإعادة
بصرها .. و كم استحلفت الجميع الا يخبروا زكريا بذلك و
عاهدتهم و اوفى الجميع بالوعد ..
هتفت بخيئة فى سعادة :- حمزة ...!!! تعال يا ولدى .. جرب

..

اندفع حمزة فى حزن باتجاه جدته ليلقى برأسه فى حجرها
لتمسد على جبينه و شعره هاتفة فى توجس :- خير يا ولدى
.. ايه فى...؟!..
شهق حمزة فى محاولة لكتم بكائه :- يعنى مسمعتيش باللى
حصل لتسبيح يا ستى ...؟!..
اومأت جدته برأسها ايجابا ليستطرد فى حلق .. انا مكنتش
اجصد .. انا معملتش حاجة .. هى اللى طلبت تركب الفرس و
انا مجردتش اجولها لاه ..
همست بخيئة :- عارفة يا ولدى .. مهياش غلطتك يا حبيبى
.. روج حالك ..

هتف حمزة شاهقا :- لكن عمتى سهام
قاطعته بخيئة هاتفة :- معلىش .. متخدش على كلامها
.. محروچ جلبها على بتها .. ربنا يكون فى عونها .. باذن
الله تجوم بالسلامة .

هتف من قلبه :- يارب يا ستى .. يا اارب

كان الجد قدرى يراجع بعض الآيات لحفيدة
المفضلة و القريبة لقلبه تسنيم و لم يكن وصلهما بعد ما
حدث لتسبيح عندما تنحج مهران فى أدب مستأذنا
للدخول ..

تأكدت تسنيم من احكام حجابها حول رأسها حتى أذن الجد
قدرى لمهران .. دخل مهران يغض بصره فى تأدب هاتفا لل
جد قدرى :- ازيك يا جدى .. انا چيت حسب الميعاد
هتف قدرى :- تمام يا ولدى .. اجعد عشان
اراجع لك انت و تسنيم ..
ثم أخذ يقلب فى مصحفه
متسائلا و قد اخذه النسيان كعادة كل
أسبوع عندما يجمعهما ليسترجع لهما ما أمرهما بحفظه :-
احنا

وصلنا لفين ..؟! ..
هتف كلاهما .. مهران و تسنيم فى
نفس اللحظة :- الجزء الـ ..
و صمت كلاهما فى نفس اللحظة
دون ان يكمل احدهما إحراجا ..
فتعجب الجد قدرى ليرفع رأسه
عن مصحفه هاتفا :- الجزء الكام .. محدش جال يعنى ..؟! ..
هتف مهران فى عجالة ليجنبها
الاحراج :- الجزء الأخير يا جدى
..سورة المطففين ..
هتف قدرى وهو يفتح مصحفه :-
ايوه يا ولدى صُح ..
ربنا يبارك لك ..ثم استطرده

أمرأ حفيدته الخجول التي لم تتفوه
بحرف منذ بداية الجلسة :- ياللاه
يا تسنيم ابدأى ..
تنحنحت فى اضطراب و بدأت
فى التلاوة بصوت أخاذ و ما ان
وصلت للآية الكريمة
التي تحمل اسمها حتى ابتسم مهران فى فرحة متذكراً كيف
كانت تكره
اسمها .. و كيف ذكر لها الجد قدرى تلك الآية فى نفس ذاك
المكان
الذى يجمعهما الان .. هل لا زالت
تذكر ذاك الاسم الذى أطلقه
عليها عندما ارادت ان تختار
اسما غير اسمها الذى كان مثار
سخرية الاولاد منها
.. هل لا زالت تذكر ..؟! ..
هتف الحاج قدرى مخرجاً مهران
من شروده وفرحته التي غافلته
لترسم بابتسامة بلهاء
على شفثيه دون ان يدرك ذلك :- ايه فى يا
مهران .. بتضحك ليه !! ..
ما تفرحنا معاك
انتفض مهران هاتفا فى احراج :- لاه
مفيش يا جدى .. عادى ..
أمره الجد :- طب ياللاه كمل ..
السورة اللى جبلها ..
بدأ فى التسميع بإجادة و استمروا
على هذا الحال ..
حتى وصلوا لسورة كان يحفظها

مهران عن ظهر قلب .. بدأت تسنيم فى التلاوة لكنها تلجلجت
و أخفقت فى تذكر بعض الآيات مما استرعى
انتباه الجد ليؤكد لها ضرورة
إجادة حفظ تلك السورة بشكل أفضل و اكثر إتقانا .. و هنا ج
اء دور

مهران الذى
ألقى نظرة سريعة عليها فوجد وجهها يحمل
الكثير من الحزن لإخفاقها ..
فصمت ..

هتف الجد مازحا :- خبر ايه
يا مهران .. سمع ياللاه .. و لا شكك عايز عزيمة ..
ابتسم مهران بإحراج هاتفا :- أصل شكلى يا
جدى انا كمان نسيته
و عايز أراجعها ..
انفجر الجد ضاحكا :-

طيب و ماله .. خلاص راجعوها و نبجى
نسمعها الأسبوع الجاى مع
السور الجديدة .. ياللاه تعالى
يا مهران خد بيدى لحد الجامع ..
العصر وجب ..

انتفض مهران فى اتجاه الجد قدرى يأخذ بيده
متوجها لخارج
القاعة ليفاجئ بتسنيم تنحنى
تضع خُف جدها الجدى
تحت أقدامه ليرتديه الجد فى بطء
هامسا بالدعاء لهما .. دعاء
وصلت بعض من حروفه
و كلماته المبهمة لأذن مهران ..
ليبتسم فى سعادة عندما

استنتج ان الجد يجمعه بها فى
دعائه الذى دوما يخصصهما به ..
لكن هذه المرة ..
تلك الكلمات التى كانت دوما مبهمه و كأنها
طلسم أو تعويذة ما لا
يستطيع احد فك رموزها
استطاع مهران اخيراً ادراك
احدى الكلمات التى تحمل دلالة
تخص .. قلبيهما .. فابتسم فى حبور

***** هتف صديق باسل والذى كان
يتدارى داخل غيط من القصب
بجوار بيت مدرس اللغة العربية
بالمدرسة الإعدادية و بجواره يرقد
باسل فى شرود يقلب تلك الأساور
المحطمة و الغالية على قلبه فى تيه تام حتى انه لم
يسمع هتاف
صديقه للمرة الثانية و الذى لم يستطع رفع صوته اكثر
من ذلك فألقى بإح الأحجار
بجوار باسل الذى كان ممددا داخل
الغيظ بلامبالاة و تنبه اخيراً لإشارة زميله دلالة على
وصول المعلم صف معلم اللغة العربية دراجته
البخارية المتهاكة
بجوار باب داره و دخل و أغلق
بابه خلفه ..
اندفع كلاهما باسل و صديقه
فى اتجاه
الدراجة البخارية و بدأ كل منهما فى إلحاق
الضرر بها بأى شكل من الأشكال ..

كان على باسل ان ينتقم .. نعم .. كان عليه ان يثأر من ذاك
 المعلم القاسى الذى تجراً و
 ضرب سندس و حطم اساورها
 الغالية و التى يتزايد وجيب قلبه كلما سمع رنينها قادم
 تجاهه ..
 هى لا تدرك ذلك أبدا .. و هو لم
 يجعلها يوماً تدركه
 كلاهما على طرفي نقيض .. هى تلك المتفوقة التى لا تعبء
 لشيء سوى
 دراستها و تلك
 الأساور التى تعشقها ..
 اما هو فلم يلقى بالاً بأى
 شئ فى حياته سوى سندس .. هى
 فقط .. لا شئ اخر يحتل مكانتها أو حتى
 يزاحمها فى محبتها .. وعلى عكسها هو فإن الدراسة
 لم تستهويه يوماً ..
 منذ بلغ الثانية عشرة و هو يصحب
 أباه فى كل ما يخص العمل و الغيطان و القصب و
 العصاره .. و
 أخيراً... اصبح يترك له بعض السفريات الى
 القاهرة يقوم بها منفرداً
 واثقاً فى قدرته على اتخاذ
 القرار السليم و كم اسعد ذلك حسام
 والده فهو ولده الوحيد و ذراعه
 الأيمن بقدر ما احزن
 أمه التى كانت تتمنى لو تراه طبيباً أو
 مهندساً .. انتهى و صديقه من
 مهمتهما الثأرية و افترقا ليندفع فى سعادة وهو يربت على
 جيب جلبابه يطمئن انه يحمل بغيته ..

تسلل بهدوء للسراى و استدار
 حيث ذاك المرأب القديم
 الذى يحتفظ فيه خاله عاصم
 بتلك السيارة القديمة الطراز و التى لم يعد
 يستخدمها برغم حالتها
 الجيدة منذ زمن بعيد . لقد سمع أمه تخبر أبيه انها نفس الع
 ربة التى
 اختطف فيها خاله عاصم .. زوجته زهرة
 لينفذ انتقام الهوارية
 القديم من ابوها ..
 ابتسم عندما وصل للسيارة القابعة فى احد الأركان
 و فتح بابها
 الذى يزأر عند فتحه دوما .. و الذى حاول على قدر استطاع
 ته اخفاض صوته بأن يبطن فى
 فتحه حتى لا يدرك احدهم وجوده ..
 تنهد فى سعادة و هو يضع تلك
 الأساور الرائعة الألوان
 على مقعد السيارة الخلفي
 حيث تحب سندس دوما الجلوس
 وحيدة لقراءة رواياتها
 أو حتى بعض كتبها المدرسية
 فهذا هو مكانها المفضل .. بالأصح مكانها السرى المفضل
 و الذى لا يعلمه احد غيره .. تطلع
 لمجموعة الأساور البراقة التى تركها على مقعد السيارة و أ
 غلق الباب
 بحرص وهو يتخيل مدى سعادتها
 عندما تأتى لتجد اساورها الحبيبة ..
 نعم .. نسخة جديدة من تلك الأساور التى لف و دار الكثير م
 ن المحال

فى اخر زيارة له فى القاهرة حتى
يستطيع الحصول على نسخة منها ..
و عندما وجدها كاد يقفز فرحا ..
تسلل عائدا من جديد و هو يبتسم فى سعادة
لانه استطاع ان يثار
من المعلم الاحمق الذى تطاول عليها و الأهم هو ان اساوره
ا قد
عادت اليها من جديد ..
عادت على يديه ..

دخل يونس لدار زكريا و التى أصبحت داره بعد ان كتبها
زكريا بإسمه هو و كسبانة
كهدية بمناسبة زواجهما ..
ليجلس فى حزن قبالة كسبانة التى كانت تضع الطعام
لصغارها حمزة و حامد و اخيراً تنبته لنبرة الحزن فى
صوت زوجها و هو يلقي التحية فتساءلت فى قلق :- خير
يا يونس!؟..ايه فى؟!..
هتف محزونا :- خالتى البقاء لله ..
شهقت كسبانة :- لا حول ولا قوة الا بالله .. الله يرحمها ..
همس مكررا :- الله يرحمها .. المهم دلوجت امى .. كيف
هسيبها لحالها هناك .. كانت جاعدة مع خالتى و مونساه
..دلوجت هتجد هى فى بلد و انى فى بلد و كمان بطولها ..
طب ده انى اللى كان مصبرنى انها هى اللى مش عايزة
تفوت اختها و تاجى تعيش هنا و اهى راحت الله يرحمها..
هتفت كسبانة :- لاه .. ميصحش تسببها لحالها يا يونس
.. روح جيب الحاجة سكىنة تعيش معنا .. و أهو البيت
واسع و يساع من الحبايب ألف ..و حتى و لو مش واسع
نشيلها فوج روسنا ..

هتف يونس :- بس هي ترضى تاجى...
 أكدت كسبانة :- هاتاجى .. هي ليها مين هناك .. مش
 بجيلها حد .. روح جيبها يا يونس وجولها انك ساكن فى
 ملكك .. ساعتها هاتيجى و هي عارفة انها مش هتجل على
 حد و انها جاعدة فى ملك ولدها ..
 هتف يونس فى فرحة :- و الله و عندك حج يا كسبانة ..
 يمكن ده يخليها تاجى صُح ..
 ابتسمت كسبانة عندما بدأ حزنه يتبدد و جذبتة ليجلس
 بجوار ابنهما حامد لتضع له صحنها هو الاخر ليتناول عشاءه
 و قد بدأ يستعيد راحة باله ..

دخل زكريا يخلع سترته و يضعها على ظهر مقعده ليتناول
 الطعام مع عائلته كالعادة .. كان يترك كل ما يشغله ليأتى
 اليهم ليقتضى سويغات قليلة فى صحبتهم قبل عودته للعمل
 من جديد ..
 عدة سنوات مرت عمل فيها بجد و اجتهاد حتى اصبح من
 اكبر رجال المقاولات فى الإسكندرية ..
 هتف فى رزقة :- فين باجى الأكل يا رزقة .. چعانين ..
 طلّت زينة فى سعادة لعودته تشاركه المائدة :- حالا يا حبيبى
 .. الأكل هاجى ..
 ابتسم لها متسائلا :- طب و فين العيال ...؟!..
 اندفع كل من حازم و هدير لداخل الفيلا فى صخب .. لتتلف
 هدير ممتعة :- يا بابى لو سمحت خلى حازم ملوش دعوة
 بيا .. و ميعيش على لبسى و لا صحبتاتى ..
 هتف حازم ذو الخمسة عشر عاما مدافعا عن نفسه :- انت
 اللى تنتبهى للبسك ده .. كام مرة اتخاقت بسببها و بسبب
 لبسها .. العيال بيعكسوها ...?!..

انفجر كل من الحاج مندور و زينة ضاحكين و هم يروا
حازم يشعر بالغيرة على اخته الصغرى التي لم تبلغ العاشرة
بعد .. بينما ظلت من عيني زكريا نظرات إعجاب لرجولة
ولده و اصله الصعدي الذي يتسرب رغما عنه في تصرفاته

استطرد حازم هاتفاً في حلق :- كمان صحباتك أساسا بنات
هايفة .. انا مش عارف انت بتحبى فيهم ايه دوول !؟
انفجرت هدير باكية ساخطة مندفة لأحضان جدها مندور
نصيرها الأوحد و الأقوى في فيلا مندور.. فأبوها دوما ما
يخبرها ان عليها طاعة اخيها الأكبر .. و أمها تقف دوما
على الحياد و أحيانا في صف حازم و لا يبقى لها غير جدها
مندور و الذي لا يقبل ان يضايقها احدهم او يفرض عليها
امرا لا تحبه .. و بالتأكيد لا يستطيع احد ان يخالف الجد
مندور او يرد له امرا ..

ضمها جدها بين ذراعيه مهدداً.. و جاذبا أياها لتجلس
على قدميه فوق ذاك المقعد المدولب الذي لم يغادره منذ
سنوات طويلة..

هاتفاً بما يشبه الفرمان :- هدير تعمل اللي هي عيزاه .. دى
حبيبة جدها .. متزعلهاش تانى يا حازم ..
اكد حازم بأدب :- حاضر يا جدى ..

بينما نظر زكريا لزينة و التي تعلم تماما سبب نظرات زكريا
التي تحمل الكثير من الضيق نظرا لانه لفت نظرها كثيرا
لذاك الدلال الزائد الذي تحظى به هدير من جدها مندور و
مخاوف زكريا من ان يفسدها دلاله

و لكم أخبرته زينة ان ابوها يفعل ذلك رغماً عنه فهي
حفيدته الوحيدة و التي يعشقها بالفعل و يرى ان بعض
الدلال لن يفسدها ..

بل انه يرى انه من حقها و من أولى بالدلال اكثر من حفيدة
الحاج مندور الوحيدة...و خاصة ان الحاج مندور يعلم انه

لن يكون له المزيد من الأحفاد بعد إزالة الرحم التي تعرضت
 لها زينة ابنته بعد ولادة هدير مباشرة .. و كم نيه زكريا
 زينة كثيرا لتساهلها مع هدير فيما يخص ملابسها المتحررة
 قليلا و التي لا ترضيه و لكن دوما كان هناك الجد مندور
 الذى يحكم لصالح هدير و كل ما ترغب به ..
 جلس الجميع يتناول طعامهم بصمت خيم على الطاولة .. كان
 يقطعه بين الحين و الاخر بعض كلمات هنا و هناك حتى
 هتف زكريا متذكرا :- بجولك ايه يا حاج ..؟! ..
 انتبه الحاج مندور ليستطرد زكريا باهتمام :- تعرف حد
 اسميه الباشا ..؟!
 ردد مندور الاسم في محاولة للتذكر ثم هتف أخيرا :- لا يا
 بنى .. مصدقنيش الاسم ده قبل كده .. مين ده ..؟! ..
 هتف زكريا بحنق :- ده واحد بجاله فترة جليلة في السوج ..
 بس ايه مجلكش يا حاج .. خارب علينا المناجصات كلها ..
 مش سايب لحد حاجة يتهنى بيها ..
 هتفت زينة :- مش ماشى قانوني؟! .. خلاص
 هتف زكريا معترضاً :- بس الرحمة حلوة برضك .. يعنى
 الناس اللى حواليه مش تاكل عيش ..؟! .. و لا تجعد تتفرج
 عليه .. اخر مناجصة احنا جايبين فيها اجل سعر و كنت
 متأكد انها بتاعتنا .. فجأة لجيته طلع من تحت الأرض و
 اخدها لحسابه .. انا مش هسيبه الباشا ده ..
 هجبله و اعرف ميتة ايه ..؟! ..
 هتفت زينة في لوعة :- لا يا زكريا .. عشان خاطرى ..
 بلاش السكك اللى فيها مشاكل .. و همست بالقرب منه .. انا
 خايفة عليك ..
 نظر الى عمق عينيها في محبة هامساً و هو يغمز لها
 بطرف خفى بكلمته التي طالما كان يرددتها على مسامعها
 عندما كان يجدها ترتجف مذعورة :- طول ما انى معاك
 متخافيش ..

ابتسمت وعادت تتناول طعامها في سعادة ليهتف الحاج
مندور مؤيدا لقرار زكريا :- عين العقل .. اعرف خصمك
مين و دماغه فيها ايه ...؟! .. روح قابله يا زكريا ..
هز زكريا رأسه موافقا ..

حاول زكريا مقابلة ذاك الرجل المدعو الباشا عدة مرات و
في كل مرة يكون غير متواجد في الإسكندرية و أحيانا يكون
خارج مصر كلها فيأس زكريا من مقابله ..
اليوم يقف الان كل رجال المقاولات في الإسكندرية تكتظ بهم
قاعة المزادات .. اليوم يوم حاسم في مزاد ضخم لا يتكرر
الا كل فترة طويلة لذا يتكالب على النيل به كل رجال الاعمال
في الإسكندرية بلا استثناء
و بالتأكيد ذاك المدعو الباشا من أوائل من سينضمون
لقائمة المتصارعين على ذلك المزاد و مكسبه الخيالى الذى
يفوق التوقعات
لذا وطد زكريا نفسه على الفوز به مهما كان الثمن ..
فالفوز بمزاد كهذا سينقل شركته نقلة نوعية جبارة في عالم
الإنشاءات و المقاولات و هذه فرصة لا تعوض و لن تأتى
في القريب ..
كان المكان يعج بالوافدين من كل صوب و حذب و كان
هتافهم و نقاشهم يعلو حتى يصم الاذان .. تلفت حوله يبحث
عن مندوب الباشا الذى يعرفه الجميع و الذى يحضر بالنيابة
عن الباشا نفسه في كل المزادات ..
لكنه لم يجده كالعادة و كم تعجب لذلك .. فكيف يتغيب عن
مزاد كهذا ينتظره الجميع ..
انتبه و صمتت الأصوات المتعالية فجأة عندما سُمع عدة
طرقات على طاولة ما إيدانا بدأ المزاد ..

تعالى الهتافات هنا و هناك مع بدء المزايدة و احتدم صراع
الأرقام التي كانت تتقاذف من الأفواه هنا و هناك .. و في
لحظة ما و عندما وصل الصراع لأشدّه .. فُتِح باب القاعة
ليَهْتَف اِحدُهم برقم أَلْجَم الجَمِيع عن المتابعة و المزايدة بل
أرغمهم على التطلع لذاك الذى دخل القاعة متبخترا و حوله
زمرة من رجاله من بينهم ذاك المندوب الذى تغيب اليوم
ليحضر و معه سيده ..

توقف الباشا في قلب القاعة لا يفصله عن طاولة المزاد
سوى خطوات ليهتف من جديد بالسعر الذى حدده .. و
يستدير لكل من بالقاعة .. نظر اليه زكريا في شك يعقد
جبينه في حيرة .. و أخيرا عندما خلع الباشا نظارته
الشمسية شهق زكريا في صدمة جعلت الباشا نفسه يتطلع
نحوه ليصمت للحظات و يشهق بدوره و هو يتطلع لزكريا
في ذهول ...

دخل حسام غرفة نومه لتطالعه سهام تجلس فى احد
الأركان تبكى فى صمت .. اقترب ليجلس بجوارها على تلك
الأريكة التى تجلس هي على احد اطرافها تنوح فى حزن
يمزق نياط القلب ..

ربت حسام على كتفها هامسا:- خبر ايه يا بت الشيخ مهران
...؟! ايه المناحة دى .. ؟!..

همست و هى تمسح دموعها الغزيرة عن وجنتيها بظهر
كفيها :- يعنى معرفش ليه المناحة ..؟! بتى ضاع
مستجبلها و تجولى ليه المناحة ...؟!..

هتف فيها مهدئا :- طب استهدى بالله كده .. و متخليش
شيطانك يغلبك و جولى الحمد لله ان بتك لساتها عايشة و
رجعت الدار بعد شهور العلاج الطويلة اللى فاتت ..

شهقت سهام باكية من جديد و لم تعقب على كلام زوجها
الذى احزنه بكاء زوجته الموجوعة ليهتف من جديد :-
وحدى الله يا أم باسل .. وحدى الله ..
هتفت بصوت متحشرج :- لا اله الا الله .. اللهم لا اعتراض
.. بس البت يا حبة عيني مش جادرة تمشى و هى سائدة
على العكاز ده .. بتك بجت عاجزة يا حسام و متجدرش
تمشى لحالها .. تسبيح اللى كانت بترمح يمين و شمال طول
النهار مش بتجدر تمشى خطوتين من غير العكاز اللى
مبتعرفش تمشى بيه و لا حتى تجدر تمشى من غيره ..
صمت حسام للحظات يستجمع شتات نفسه و يتغلب على
حزنه لكلماتها التى تقر بها حقيقة وضع ابنته الجديد بعد
الكثير من دورات العلاج المكثفة نتيجة لحادثة سقوطها من
على صهوة الفرس .. و اخيراً همس :- الداكتور جال
هاتخذ لها فترة و بعدين تستغنى عن العكاز ده .. و هاتجدر
تمشى لحالها تانى ..
هتفت سهام صارخة فى ضيق :- هتمشى كيف ؟!.... عارف
هاتمشى كيف ...؟! .. عارضة يا ابو باسل .. بتى هاتبجى
عارضة طول عمرها .. ااه يا حرجة جلبى عليك يا بتى ..
عند هذه النقطة و لم يحتمل حسام المزيد ليندفع خارج
الغرفة غير قادر على مداراة ألمه و حزنه على تسبيح ابنته
الأقرب لقلبه و التى كانت مدللة الدار كلها بلا منازع .. الان
.. أصبحت لا تقوى على المسير لخطوات و اصبح لزاما
عليها الاتكال على ذاك العكاز حتى تقوى عضلات قدمها من
جديد و تستطيع الاستغناء عنه .. لكن ماذا بعد ...؟! .. هتفت
بها أمها منذ لحظات .. ستظل هى تلك العرجاء التى لن تعود
قدمها لحالتها الطبيعية من جديد ..
مما أورثه المزيد من الحزن لتدمع عيناه ألما و يملؤه
شعورا غامرا بعجز لا يوصف ..

هتف زكريا في سعادة و هو يجلس بجوار الباشا في سيارته
 الفارهة :- واه يا سعادة العميد .. عاش مين شافك !!!
 انفرجت اسارير العميد مختار
 هاتفاً :- لواء من فضلك .. انا اترقيت بعد ما انت طلعت من
 السجن بسنتين و محبتش اكمل في الخدمة و كانت عيلتى
 كلها في سوق المقاولات من زمن فقلت اجرب .. و اهو ..
 ايه رايك...؟!..
 ابتسم زكريا :- رأيي ...؟!.. هي دى عايزة كلام حضرتك ..
 ده انت بسّم الله ما شاء الله أكلت السوج كله في فترة
 جصيرة كنك متربى فيه من صغرك ..
 اتسعت ابتسامه العميد مختار :- واضح ان المقاولات في
 دى و مكنتش عارف .. المهم انت بقى ايه اللى جابك هنا و
 ايه اللى غيرك كده .. ده اما معرفتكش يا صعيدى ..
 انفجر زكريا ضاحكاً :- يا باشا الهدمة تتغير لكن اللى في
 الجلب مبيتغيرش .. انا بعد ما طلعت و ظبط امورى رجعت
 اسأل عليك جالولى اترجى و معرفتش أوصل لحضرتك و
 بصراحة مجدرتش اجعد في القاهرة .. جيت على اسكندرية
 و ربنا عترنى في الحاج مندور و اتجوزت بته و معايا هدير
 دلوجتى منيها ..
 قاطعه مختار :- ده غير حازم طبعا يابو حازم .. !!!
 اكد زكريا :- اه .. أمال ايه ...؟!.. ده انت لو شفته
 متعرفوش دلوجت .. و جال ايه عايز يبجى ظابط .. !!!
 انفجر مختار ضاحكاً :- و ماله يا صعيدى .. هو يشد حيله
 بس و سبهولى .. ده انت مداين الحكومة بتلت سنين سجن
 ظلم ..
 ابتسم زكريا و لم يعقب ليهتف مختار متسائلا :- متعرفش
 اخبار عن اللى كانوا معاك في السجن ...?!..

هتف زكريا :- لاه يا باشا .. الوحيد اللى اعرف هو فين ..
يونس ..

سأل مختار :- مين يونس ..؟! ..

ابتسم زكريا مؤكدا :- سنچأ يا باشا .. الصعيدى اللى كان
دايما ملازمنى ..

ابتسم مختار :- اه .. افكرته .. اللى صوته حلو ده ..؟! ..
اكذ زكريا :- ايوه يا باشا تمام .. بعته النجع عندينا مباشر
ارضى و ياكل لجمة بالحلال و اهو اتجوز و خلف كمان ..
ربت مختار على كتف زكريا

هاتفأ :- دايما معرفتك .. معرفة الخير يا زكريا .. مقتلش
كملت تعليمك و لا خلاص بعد ما طلعت بعث الموضوع
..؟! ..

اكذ زكريا :- لاه كملت .. و بصراحة بعد جوازي من بت
الحاچ مندور .. هي كمان مكنتش كملت علامها .. شچعتنى
.. و دخلنا الجامعة المفتوحة سوا .. خدت بكارليوس إدارة
اعمال .. و الفضل يرجع لحضرتك ..

هتف مختار في سعادة :- الله اكبر .. بجد فرحتنى .. و
عشان كده ... بص بقى .. المزاد اللى وقع في حجرى ده ..
ليك نصيب فيه ..

هتف زكريا متعجبأ :- انا ..؟! .. بس ده تجيل عليا يا باشا
.. ده انا كنت هخشه بكذا شريك لو رسى على ..
هتف مختار :- ملكش دعوة .. انت هتخش معايا انا شريك

..
ايه رايك ..؟! ..

هتف زكريا في سعادة :- و هو انا اجدر اجول لاه للحكومة
..؟! ..

انفجر مختار ضاحكأ :- انت بكاش يا زكريا .. حكومة ايه
بقى ..!!! .. ما قلنا سبناها ..

فهقه زكريا :- بس لسه برضك انت الباشا

قهقهه مختار بدوره :- تصدق غلبتني
و .. تعالت ضحكاتها

مر حمزة كعادته ببیت عمته سهام و هو فی طريقه لدرس
الفيزياء .. تمنى ان يغمض عينيه و يفتحهما فيجد ان تلك
السنة الكبیسة المسماة الثانوية العامة و قد مرت بسلام و
حصل على ذلك المجموع الذى يؤهله لدخول كلية الهندسة
كما تمنى دوما .

نظر باتجاه الدار و شرفاته المغلقة و لم يلمح اى كائن ..
صمت مطبق خيم على تلك الدار التى كانت تعملها الفرحة
دوما بعد حادثة تسبيح و التى ألفت على الدار و أصحابها
غيمة من حزن و كآبة منذ ما يزيد عن العامين
استمر فى مسيره و ما ان هم بانهاء الطريق الترابى المحاز
لسور الدار المتوسط الارتفاع حتى سمع صوت صخب و
هتاف قادم من ناحية الغيط القريب من الدار بجوار تلك
الشجرة السامقة العتيقة ..

جال بنظره و مد بصره بعيدا ليكتشف فجأة حفنة من الأطفال
يحاوطون فتاة ما و يشكلون حولها دائرة واسعة و يطلقون
عليها الألفاظ و المسميات اندفع ناحية تلك الجمهرة ليكتشف
ان تلك الفتاة الصغيرة ما هى الا تسبيح و هى تقف منكسة
الرأس ينعتها الأطفال حولها بمسميات تعيب فيها من اجل
عكازها و خطواتها المتعثرة ..

صرخ فيهم حمزة ناهرا :- انت يا واد انت وهو ... اقسام
بالله .. اللى هيضايجها تانى منيكم لهيشوف منى اللى عمره
ما شافه و إنتم عارفينى..

انفض الأطفال من حولها فى دعر مبتعدين فى عجالة
ليختفوا خوفا من حمزة الذى يعرفه جميعهم خاصة من
حكايات اخوتهم الأكبر سنا و الذين اوسعهم حمزة مرات و

مرات العديد من الضربات و اللكمات .. فعلى قدر هدوء
طبعه و رزانتة .. لكن عندما يغضب يتحول الى أسد كاسر لا
يستطع اى من كان السيطرة عليه..

اقترب حمزة من تسبيح و التى لم تبلغ العاشرة بعد و
الواقفة فى ثبات رغم دموعها التى تغطى وجنتيها .. احنى
حمزة رأسه الشامخ ليطالع وجهها الطفولى هامسا :- انت
كويسة يا تسبيح ..؟! ..

رفعت رأسها و مسحت دموعها هاتفة :- ايووه .. انا
كويسة .. و راجعة دارنا ..

و استدارت ببطء تحاول السيطرة على ذاك العكاز الذى
يعاندها اثناء سيرها على الارض الطينية ..
و كادت ان تسقط عدة مرات و هو يتابعها فى صمت يتأكله
شعوره بالذنب تجاهها .. كادت ان تسقط للمرة الرابعة .. و
المسافة حتى باب الدار لازالت بعيدة .. اقترب منها و حملها
فجأة لتتهف فى نرق طفولى :- نزلنى يا حمزة .. انا كويسة

..

هتف بدوره :- انى عارف انك كويسة ..
انزلها بجوار باب الدار و سلمها عكازها هاتفا و ابتسامة
على

وجهه :- كده انى مطمئن انك جدام الدار و محدش هيضايحك
تانى ..

هتفت باكية :- بعد ما تمشى هيرجعوا تانى ينادوا عليا و
يجولولى .. يا أم رچل مسلوخة
اشفق عليها فهتف مازحا :- اى حد من العيال دى يضايحك
جوليله هنادي حمزة .. ه يخافوا و محدش فيهم هيجرب لك
تانى .. خلاص ..

اومات موافقة فهي على علم تماما بأن الجميع يهابه فهو
على قدر طبيته التى ترتسم على وجهه الان الا انه عندما
تفور أعصابه لا يرى أمامه ..يصبح كالثور الهائج و

يتصرف كبركان ثائر يلقي حممه .. و كم حكي باسل اخيها
عنه و عن شجاراته و انه لا يتفاهم الا بكفه الصلبة التي
اورثتها فلاحه الارض مع زوج أمه يونس مزيدا من
الصلابة جعلته يتفوق على اقرانه في اى نزال .. بل جعلت
الجميع يهابه و يتحاشى الاقتراب أو الاحتكاك به ..
دفعت تسبيح باب الدار لتدخل في بطء تتعزز و تغلق الباب
ليتنبه هو انه متأخر اكثر من اللازم على درسه ليندفع
للطريق مهرولا ..

جلست تسبيح داخل غرفة القراءة الخاصة بزهرة زوجة
خالها في الحديقة الخلفية لسراى جدها مهران الهوارى ..
تطلعت للكتب المختلفة على الأرفف و مدت كفها تحاول ان
تطال احداها جذبها غلافه الملون ليخذلها عكازها و ينزلق
على تلك الأرض الملساء للغرفة و ما ان همت بالصراخ
حتى اندفع اليها ماجد الذى يماثلها في العمر لينجدها من
سقوط محقق ..
اجلسها على الأريكة الأقرب لكليهما و بدأ في اللهات لحمله
ثقل جسمها ..
و أخيرا هتف مازحا :- كل ده عشان كتاب .. طب كنت
نادتيني اچبهولك اسهل من شلتك دى ..
ابتسمت بدورها لابن خالها و توأمها فهي تعتبره توأمها
بالفعل فهو يكبرها بنصف ساعة فقط فرق في توقيت الولادة
بين أمه و أمها و لو حدد الطبيب لأمه توقيت متأخر قليلا
لأصبحت هي الأكبر ..
هتفت في تأكيد حقيقة :- معلىش .. العكاز مش مخلينى
أتحرك على راحتى ..
هتف و هو ينهض جاذبا ذاك العكاز من جوارها دافعا به
بعيدا :- انت اللى عاوزاه و خايفة تمشى من غيره ..

الدكتور بتاعك جال انت مش محتاجاه بس انت جبانة ..
مش جادرة تستغنى عنه ..

هتفت هي في ذعر و هي تراه يدفع بعكازها بعيدا عن
متناول يدها :- لاه يا ماجد .. الله يخليك .. رجهه جنبى ..
هتف ماجد في إصرار :- لاه .. مش هرجههوك .. و
هتجومى و تمشى من غيره .. و استطرد مازحا :- بلا دلح
ماسخ .. على جولة ستك فضيلة...

شعرت بضعفها و رغبته في البكاء الا ان قلبه لم يحن لها
بل اقترب منها و أمسك بكفيها جانبا إياها لتقف فجأة و
تشهق في صدمة و تكاد تسقط .. ليصرخ هو فيها هاتفا
بعزم :- انا مش هجدر اشيلك لو وجعتى تانى .. اسندى على
رجلك .. و بالراحة ياللاه نتمشوا ..

تماسكت قدر استطاعتها و اشفتت عليه من حمل معظم ثقل
جسدها فتحاملت على نفسها و داست على قدمها المصابة
أخيرا ..

بدأ هو في استشعار استجابتها فبدأ في جذبها رويدا ..
رويدا .. حتى سارت خطوات قليلة

مستتدة على قدمها لأول مرة منذ سنوات ..

بدأت تبتسم .. و نظرت الى بن خالها بإمتنان فما كانت
قادرة على اتخاذ تلك الخطوة الا بدفعة منه .. دوما كان
قادرا على إقناعها بما يفشل فيه الجميع .. فهي لا تتذكر
عدد المرات التي حاول فيها باسل و ابيها فعل ذلك و كان
نصيبهما الفشل الذريع في إقناعها و خاصة بعد اطلاقها عدة
صرخات و كذلك زجر أمها لكل من يقترب منها لأى سبب
من الأسباب .. تراها ما هي بفاعلة عندما تراها
الان ...؟! ..

بدأت بالفعل تخطو عدة خطوات و أخيرا ترك ماجد كفيها
متقهقرا عدة خطوات للخلف مشجعا إياها على المضي في
طريقها معتمدة على نفسها .. ظلت واقفة في ثبات غير

قادرة على التقدم .. كانت تحتاج لقوة دفع داخلية جبارة كي
تقوم بتلك الخطوة ..

استجمعت قواها و تقدمت بالفعل ليهتف ماجد في سعادة
مشجعا لمزيد من الخطوات تجاهه ..
استطاعت بالفعل السير عدة خطوات غير مصدقة ما فعلت
ليندفع ماجد ليحضر احد المقاعد داعيا إياها للجلوس لتلتقط
أنفاسها

بعد ذاك المجهود الشاق ..
ما ان بدأت في استجماع قواها حتى حاولت إعادة الكرة
تريد ان تثبت لنفسها انها بدأت تسير على قدميها من جديد

..
ابتسمت لابن خالها و بدأت مسيرتها
يدعما هو مازحا و هاتفا لتتعالى ضحكاتها التي بدأت
تصدح في فرحة غابت عنها لسنوات .. تنتاهي صوت
ضحكاتها لتلك التي تقف منذ مدة تتابعهما بنظرها متحسرة
غير قادرة على الاقتراب لتلعب معهما او حتى تجالسهما
بسبب أمها سمية و تحذيرات الدائمة لها ألا تقترب من
أولاد زهرة ..

دمعت عيون ايمان في حزن فطالما كانت لتسبيح مكانة
خاصة عند الجميع على خلافها لا تعلم ما السبب .. هل
لمرضها ..؟! .. جاءتها لحظات تمنت فيها ان تكون في
وضع تسبيح ولو قليلا حتى تنال اهتمام الكل و رغبتهم في
أرضائها و الأهم هو صحبة ماجد الذي لا يعيرها ألتفاتا حتى

..
انتفضت ايمان عندما فاجأها صوت مؤمن اخوها هامسا :-
ياللاه يا ايمان .. أمك بتنادم عليكِ عشان نمشوا ..
دوما مؤمن هو الأقرب لقلبها من اخيها ماهر الذي كان
دوما صلفا و قاسيا معها لذا كان دوما محل ثقتها و لا
تعصى له أمرا ..

هزت رأسها في إيجاب و سارت معه راحلة و هي تلقى
نظرة بعيدة لذاك الباسم الضاحك هناك .. دونها ...

السادس عشر

ترددت تكبيرات عيد الأضحى من اقرب جامع للسراى تلك
التكبيرات التي تصدح عاليا بصوت مهران الذى كان يصمم
كل عيد منذ بلغ الخامسة عشرة ان يهتف بها عاليا من
مأذنة الجامع العتيق بالقرب من السراى و الذى بناه جده
الأكبر صادق و أضيفت اليه الكثير من التعديلات و
التوسعات ...

انتهى مهران و باسل و كل رجال العائلة من صلاة العيد
ليندفعوا للسراى من اجل الذبح و التضحية و التى صمم
شباب العائلة القيام بتلك المهمة هذا العام .. باسل الذى
انتهى من معهده المتوسط منذ ما يقارب السنتين و زاد ما
يحملة من مسؤوليات العائلة و مهران الذى انتهى من سنته
الثانية فى كلية الطب البيطري و الذى مارس مهامه فى
اختيار البهيمة و انتقائها من اجل الذبح بعين خبير مدقق ..
و الذى كان اكثر الشباب اصرارا للقيام بمهمة الذبح لانه
امر مستحب دينيا ..

انتفخت أوداج عاصم و هو يهمس لحسام التهامى:- و الله و
كبروا العيال .. !!.. ربنا يبارك لنا فيهم .. و نشوفوا
هيعملوا ايه فى الدبايح .. و قهقه مستطردا .. ربنا يستر ..
الحريم مستعجلين عايزين يطبخوا و دول شكلهم لسه غشم
شكلهم هيفطرونا على المغرب ..

.....

قهقهه حسام بدوره :- لاه .. باذن الله يظبطوها تمام .. احنا
أهم حاجة نضمن الكبة ندوها للحريم يفطرونا بيها و بعدين
يبجى لها صرفة ..

أكد عاصم باسم :- على جوك .. نضمن الفطور و بعدين
يحلها ربك ..

توجه الشباب مهران و باسل للذبيحة الكائنة فى الجانب
الخلفى من السرائ .. و اعدوا العدة ..

وذبحوها و عملوا على تقطيعها و توزيعها كما يجب ..
عمل كل منهما بهمة و نشاط .. حتى نهض مهران هاتفا :-
محتاجين حاجات تانى نوزعوا فيها .. انا رايج اچيب اللى
أجدر عليه من المطبخ ..

هز باسل رأسه موافقا و هو منهمك فى عمله ..
لحظات غاب فيها مهران ليبقى وحيدا يفكر فى تلك التى لم
يرى محياها فى صبيحة العيد ..

لم يأت العيد بعد يا باسل .. كان يحدث نفسه .. ما عاد هناك
عيد ما لم تتكحل عيناه بمراها .. صاحبة الطلة الصاخبة
التي تنقر على جدران قلبه بأساورها فتثير فيه العديد من
الزوابع

و فجأة و فى عز انهماكه بتقطيع اللحم انتفض قلبه لمسمع
الصخب الأقرب لقلبه و الأحب لروحه

صخب اساورها التى هلت و التى ألتقطها قلبه قبل أذنيه .. و
تأكد حدسه عندما هتفت متعجلة اياهم :- ايه يا جماعة ..
محتاجين الكبة ضرورى فى المطبخ .. هانفطر امتى ..؟! ..
الضهر ...!!!

تلك الانتفاضة لمسمع صوتها و رناتها التى تترد بقلبه
جعلته ينتفض و تنتفض سكينه بدورها بين كفيه لتضرب
احد أصابعه بدلا من اللحم الذى كان ينهمك فى تقطيعه ..

دفع السكين بعيدا وهو يتأوه ممسكا بإصبعه المصاب ..
اندفعت هي بلا اى تفكير تجاهه لتجلس بدورها قبالتها فى
ذعر هاتفة :- ايه اللى حصل ..؟! انت جرحت نفسك ..؟!..
هتف فى نزق وبكبرياء حمقاء :- مفيش حاجة .. ده چرح
صغير و السكينة حامية .. عادى ..
ظهر كذب ادعائه عندما بدأ الدم الغزير يتساقط من بين
اصابع كفه القابضة على إبهامه الجريح و النازف بشدة ..
هتفت فى رعب :- انت بتنزف جامد..
و جالت بنظرها حولها و وضعت يدها فى جيب عباءتها
لتصطدم باحد مناديلها و بلا وعى
اندفعت تجذب كفه المصابة بين كفيها تحاول ان تكتم اندفاع
الدم من الجرح بمنديلها الذى ربطته حوله إصبعه ..
صمت هو و هو يرى كفه مستكينة بين كفيها فى وداعة ..
يرى لهفتها عليه و ذعرها لإصابته .. يرى
اندفاعها لنجدته و منديلها الغالى يعانق جرحه..
انتفض كلاهما عندما دخل مهران هاتفا وهو يراهما فى تلك
الحالة :- ايه فى ..؟!.. ايه اللى چرى ..!!!..
انتفضت سندس هاتفة فى حرج :- ألحق واد عمك يا
مهران .. جرح حاله .. و بينزف جامد ..
انتفض مهران ملقيا ما بيده من أوعية مندفعاً باتجاه باسل
يلتقط كفه ليطمئن على بن عمته المصاب و اخيراً زفر فى
راحة :- الحمد لله .. الجرح مش چامد ... ثم نظر لباسل فى
مرح :- خضتنى يا شيخ .. چلت هتشتمت فىنا الكبار اللى
مستيين چوه عشان يخلونا سلوتهم ..
ابتسم باسل هاتفا :- لاااه .. الحمد لله چت سليمة ..
دفع مهران بوعاء لسندس التى كانت تقف دون أدنى رد
فعل و هى تدارى إحراجها تتذكر ما فعلت مع باسل و كيف
اندفعت اليه بهذا الشكل .. لا تصدق انها وصلت من الحماسة
تلك الدرجة التى جعلتها تصرح بذعرها و قلقها عليه ..

لم تع يد مهران الممدودة لها و هي غارقة في افكارها تجاه
ذاك الجريح الذي كان لا يقل عنها تيهاً و شرود
ينظر لذاك المنديل الغالى الذي مازال يعصب إصبعه و لا
يجرو على رفع نظراته ليتأمل صاحبتة
فما عاد قلبه يستطيع تحمل وجيبه المتنامى فى حضرتها ...
و قد اكتفى .. نعم اكتفى .. فها قد طل العيد و هلت نسائمه
بمرأها .. بل زاد روعة بلهفتها و ذعرها لجرحه .. فما
أروعه من عيد !!...

هتف مهران للمرة الثالثة صارخا :- سندس .. ايه ..
روحتي فين ...؟! .. خدى اهاا الكبة عشان نفطروا
بدل ما ابوك و عمك حسام يفضحونا
انتفضت تتناول الوعاء من يده .. و تخرج مندفة للمطبخ
تناوله للنساء ..

و تعود لتنادي مهران من جديد حاملة كوب من اللبن
المحلى بالعسل الأبيض ليعطي باسل إياه ..
اخذه مهران لباسل هاتفا :- ياللاه يا عم .. اشرب .. الظاهر
سندس چالت للدكتورة زهرة على اللى حصل فبعثت لك
كوباية اللبن دى ..

تناول باسل اللبن ليتجرعه على دفعتين متلذذا و هو يتساءل
كيف عرفوا انه يحبه بارد من المبرد رأسا لمعدته ..
دخلت زهرة الحظيرة حيث تتم عملية الذبح لتطمئن على
سير العملية لتتهتف فى قلق :- ايه ده؟! .. انت اتجرحت و لا
ايه يا باسل ..؟! ..

هتف مهران :- چرح بسيط يا مرت خالى .. متجلجيش..
اندمجت زهرة فى الحديث مع ولدها مهران بينما تاه هو فى
ذاك الكوب الفارغ الذى وضعه بالقرب

يؤكد له انها هي من احضره من تلقاء نفسها و ليست
الدكتورة زهرة كما ادعى مهران و هو يناوله إياه .. هل
تهتم لأمره ..؟! .. أم هي مجرد شفقة من قبلها لابن عمتها

الجريح !؟ نظر لإصبعه الذى عقمه و ضمده له مهران
بالشاش الطبى و مد كفه يربت على جيب جلبابه الذى يحمل
هديتها الثمينة التى ما كان حاصلها عليها الا وهى مدرجة
بدمائه ..

هتف زكريا في حازم محاولا إثثاءه عن رأيه:- يعنى خلاص
يا حازم .. هي كلية الشرطة ...؟؟! .. لازماً يعنى .. ما جدامك
اي جامعة هنا في اسكندرية .. اختار لك واحدة و خليك
جنبينا .. و اذا كان ولا بد كلية عسكرية ما جدامك البحرية
طيب .!؟

هتف حازم في إصرار :- لا يا بابا .. انا عايز شرطة .. و
عمى مختار و عدنى انه يساعدى .. و بعدين محدش عارف
مش يمكن مقبلش .. ادينى بجرب ..

ابتسم زكريا و هو يربت على كتف ولده :- ربنا يجدم لك
اللى فيه الخير يا ولدى ..روح چرب حظك .. محدش عارف
نصيبه فين .!؟ ..

هتفت هدير ذات الأربعة عشر عاما مشاكسة:- سيبه يا بابا
خليه يروح .. هو في كلية تانى هاترضى تقبله بتكشيرته
دى ...!؟ ..

انفجر زكريا ضاحكاً على مشاكسة هدير لأخيها و خاصة مع
امتعاض حازم الذى نظر اليها في غيظ لكنه ترفع عن الرد
عليها ..

تساءل زكريا و هي يضم كتفيها :- و انتِ بجى يا ستى ..
تحبى تدخلى كلية ايه ...!؟ ..

هتفت هدير بدلال :- يا دادى انا لسه مخترعوش كلية تليق
لى ..

.....

عاد زكريا يقهقه من جديد ليهتف حازم حانقاً:- ايوه صحيح
...لسه مختر عوش كلية تليق على تسريحة شعرك .. او
لون بلورتك..

نظرت اليه هدير بابتسامة واسعة و ما ان استدار والدهما
ليجلس خلف مكتبه حتى أخرجت لسانها تكيد اخيها .. الذي
نظر اليها متوعدا .. لتخرج في سرعة تختفى من أمامه ..
ليهتف زكريا :- طالما ده اللي انت عاوزه يا حازم ..يجي
لازم انزل معاك جريب ..

سأل حازم مستفسراً :- هاتيجى معايا عشان الاختبارات و
التقديم يعنى يا بابا ...؟!..

نفى زكريا :- لاه .. روح انت جدم و خلص على خير .. و
لما تجبل باذن الله .. هاييجى لينا جاعدة تانية .. و نزولة
لمصر باذن الله .

اوما حازم برأسه موافقا و هو يتعجب متسائلا في نفسه ..
عن اى شيء يتحدث والده ...؟!..

وصل السرائى نبأ وفاة الحاج قدرى
التهامى فى الصباح الباكر
ليهرع الجميع لدار التهامية فى
لحظتها لمساندة صهرهم حسام
التهامى و

اداء الواجب المفترض فى مثل
هذه الظروف الحزينة ..

اندفع مهران بدوره مع ابيه ..كان
الأكثر تأثرا بين الجميع فقد كان دوما الأقرب له ..
مرت الثلاث ليال الاولى بعد وفاة

الحاج قدرى كنيبة تظلل الجميع
 بسحابة من حزن طغى
 على جميع الملامح بلا استثناء ..
 اليوم .. ميعاد لقاءه الاسبوعي مع
 جده قدرى .. دمعت عينا مهران .. فى تلك اللحظة كان من ا
 لمفترض
 عليه التوجه لدار التهامية ليجلس فى تلك القاعة التى كان
 لا يبرحها الجد أبدا الا الى فراشه ليلا ..
 ازداد حزنه عندما تذكر موعد اللقاء و زاد الحزن شدة
 عندما ادرك انه لن يراها بشكل
 أسبوعي كما كان يحدث بالسابق .. فمن كان يجمعهما من ا
 جل حفظ و ترتيل كتاب الله قد رحل ..
 غادر بغير رجعة .. لن يراها ..
 و لكم كان ذاك الخاطر قاسيا
 لا يُحتمل .. لم يع الا و قدماه تقوده
 الى بيت عمته
 و دخل من الباب الخلفى للدار حيث يظل باب القاعة مفتوحا
 على مصراعيه كعادته ..
 تتحنح فى تأدب و كأنما كان
 يتوقع ان يسمع
 الجد صوت استئذانه فيأذن له ..
 كانت القاعة
 فارغة كعادتها فى تلك الساعة
 من النهار ..
 تقدم مهران لداخلها و جال ببصره فى ارجائها حتى وقعت ع
 يناه
 على مصحف الجد قدرى
 الذى لم يكن يبارح كفه الا فيما ندر .. و بجانب المصحف
 مدلاه من

حامله الخشبي تقبع
 مسبحته الكهرمانية تقدم مهران
 يتحسس أشياء جده قدرى العزيزة فى محبة و شوق لذاك
 الرجل الذى يدين له بالكثير من أمور دينه و دنياه ..
 اصطدم مهران بعصا الجد التى كانت تقبع بالقرب
 و لم يرها فسقطت أرضا محدثة
 دويا مسموعا لحد كبير .. لم يكن
 يريد ان يدرك احد انه هنا . كان يريد الانفراد ولو قليلا بذاك
 المكان
 الطاهر الذى جمعهم هو و جده
 و تسنيم ..
 ااه .. تسنيم .. ما بالها الان ..؟!..
 انه يشفق عليها
 فمن المؤكد انها فى دنيا اخرى من
 حزنها على جده .. ليته يستطيع ان يراها أو حتى يطمئن على
 حالها ..
 و كأنما كانت أبواب السماء مفتوحة لتستجاب
 أمنيته فى لحظتها ..
 فقد فُتح الباب فى اندفاع
 لتدخل منه تسنيم ..
 انتفض هو ليووجه القادم ..
 نظر اليها و الى ذاك الحزن الذى
 عشب على ملامح وجهها الصبوح ..
 كانت تقف كالمشدوهة .. نظرت
 للعصا
 الساقطة أرضا و قد ادرك ان صوت سقوطها
 هو ما جذب انتباهها للقاعة
 بدأت تستفيق من صدمة ما تجلت
 على

ملاحها و استطاع ان يستنتج انها
تعيش نفس حالة النكران التى عانى منها فى الأيام الاولى لـ
وفاة .. كان يعتقد انه فى حلم سئ و سيستيقظ منه قريباً ليد
رك ان كل هذا محض خيال و انه لم يحدث فى الواقع .. و
بالفعل استفاق.. لكن

على الحقيقة التى كان يحاول الهرب منها بالإنكار ..
هى لم تستفق بعد .. ولقد أتت تجرى للقاعة
ظنا منها انها يمكنها رؤية الجد قدرى و هو

يجلس على مقعده
و يقرأ فى مصحفه

أو يتمم محركا حبات مسبحته ..
لكنها لم تجد الا طيف ذكرى و
أياه ..

تحركت فى بطء و جلست على
أطراف

الأريكة القريبة من الباب.. و ذاغت نظراتها فى المجهول أم
امها ..

ماذا عليه ان يفعل ...؟! .. انه لا يطيق رؤيتها بهذه الحالة ..

كيف يمكنه مواساتها ...؟! .. كيف

يمكنه اخراجها من حالة التيه

و النكران التى تسيطر عليها

بهذا الشكل الموجع ..؟! ..

عاد ينظر من جديد للمصحف و

المسبحة و

اخيراً جلس فى هدوء و بدأ فى تلاوة القرآن

بصوت عذب شجى .. و بدأت هى تبكى و

تبكى ..

حتى انتهى و صمت .. كان تأثره

وصل به مبلغاً شديداً جعله ينهض راغبا في

الرحيل ..
 و ما ان هم بالخروج من باب القاعة حتى هتفت به تسنيم
 بصوت متحشرج :- يا شيخ
 مهران ...؟!..
 نادته كما تناديه جدته فضيلة .. كانت المرة
 الاولى التي تناديه فيها منذ زمن
 بعيد .. منذ تخطيا اعتاب الطفولة و
 هي لم تنطق اسمه مطلقا ..
 لا مجردا أو حتى بألقاب تسبقه ..
 الان فقط سمعه منها .. و تعجب من حاله ..
 هل يمكن لانسان ان يجمع بأعماق
 قلبه
 مشاعر حزن دفين و مشاعر فرح صارخ في آن واحد ...؟!..
 هل يمكن ان يحدث هذا
 لشخص عاقل ...؟!..
 استدار في ببطء يحاول ان يغض
 الطرف عن
 محياها قدر استطاعته ..
 توجهت هي حيث موضع المسبحة و تناولتها في إجلال و
 ضمتها
 لصدرها في شوق
 لصاحبها و اخيراً تماكنت نفسها و
 ازددت ريقها و هي تستدير
 له هامسة بصوت غير قادر على
 الإفصاح من شدة تحشرجه :-
 جدى كان موصينى لو چراله حاجة تبجى
 السبحة بتاعته من نصيبك انت ..
 كاد ان يمد كفه ليلتقطها من كفها لكنه خشى ان يمس ذاك ال
 كف الطاهر

الذى لم يصافح رجلا قط
فعدل وضعية كفه ليبسطها أمامها
فتسقط عليها المسبحة في بطنه ليضم عليها أصابعه و
يندفع خارجا و قد انتزع نفسه من
امام نظراتها التي تقطر حزنا على
جدها انتزاعا ..

هتف زكريا في مشاكسة :- نلاقى عندكم كباية شاي
مظبوطة و لا ناخذ بعضنا ونمشوا ..؟!..
اندفع المعلم خميس من داخل مقهاه ما ان سمع صوت
زكريا يهتف مشاكساً من الخارج ليهتف خميس مهلاً في
فرحة :- زكريا ..؟!.. يا مرحب يا مرحب.. شاي بس .. ده
احنا نجيب شربات لمجيتك دى ..
ثم هرش خميس في رأسه يحاول التذكر:- بس هو النهاردة
موافق كام..؟!.. ده مش معاك من كل سنة يا صاحبي
..؟!..

اوماً زكريا مؤكداً على صدق قول خميس فبالفعل لم توافق
بعد ذكرى رحيل بدور السنوية و التي يأتي اليها من
الإسكندرية يطل على الحارة و أهلها و يزور البيت و يخرج
ما أمكنه من صدقة على روحها و روح ابياها .. قبل ان
يزور قبرهما ..

جلس زكريا و قباليته جلس خميس متعجباً و خاصة عندما لم
يرد زكريا بل نظر لمدخل الحارة و أخيراً أشار لأحدهما من
بعيد ما ان اقترب حتى هتف زكريا مشيراً لحازم الذى تأخر
عن والده قليلاً يبتاع غرض ما :- اهو يا سيدى السبب
..!!!..

.....

نظر خميس للشباب الفارع الطول و الذى يمشى في كبرياء
متطلعاً حوله حتى وصل اليهما ليشير له زكريا :- سلم يا
حازم على عمك خميس .. فأكره ..
صرخ خميس مهلاً :- حازم !!.. ده حازم!!!.. الله اكبر ..
الله اكبر .. بقى راجل طول بعرض ما شاء الله .. دى خالتك
نعمة هاتفرح بشوفتك قووى ..
ابتسم حازم بدبلوماسية و لم يعقب .. و جلس على احد
المقاعد المجاورة ليستكمل زكريا هاتفاً :- حازم قبل في كلية
الشرطة .. هابقى ظابط باذن الله .. و انا قلت مفيش مكان
ممکن يقعد فيه هنا في مصر لو اضطرته الظروف و منزلش
اسكندرية كل إجازة .. الا هنا .. في الحارة وسطكم ..
هلل خميس بنشوة :- و احنا نشيله في عنينا ده هيبقى
ضهرنا في الداخلية باذن الله ..
قهقه زكريا .. و ابتسم حازم و الذى بالتأكد لم يكن اقتراح
ابيه في البقاء لو اضطرته الظروف في الحارة على هواه ..
فقد كان يتمنى ان يشتري له ابيه شقة خاصة تكون ملاذه
وقت الحاجة .. لا بيت قديم في حارة شعبية عتيقة حتى و
لو كان يحمل عقب امه الراحلة .. هو يعلم كم كان يكن ابوه
لامه من مشاعر دوما كانت محل نقاش بينهما ..
دوما ما كان حازم يسخر من الحب و المحبين و لا يصدق
في ترهات القلب و احاديث العشق و الشوق .. يعتبر رغم
حادثة سنه ان تلك الشاعر المرهفة التي طالما ذكرها ابوه
ما هي الا نوع من أنواع الضعف التي لا يحب و لا يتمنى ان
يعيشها و لو للحظة .. و لا يعتقد انه سيفعل .. بل كان واثقا
من انه ابعد ما يكون عنها

سار في اتجاه جامعها يمنى نفسه برويتها .. فمنذ حادثة
إصبعه صبيحة العيد لم يلح طيفها حتى و لو من بعيد ..

فقد اعتزلت حجرتها من اجل المذاكرة بسبب امتحاناتها التى
على وشك البدء ..

و اخيراً جاءتة الفرصة على طبق من فضة .. خاله عاصم
مسافر و مهران فى جامعته فقد بدأت امتحاناته .. و
السيارة التى دوما ما يبعثها خاله من اجلها معطلة بالفعل و
سعيد أتى بالمكانيكى لإصلاحها انتشى فرحا فقد اجتمعت
الأسباب و الظروف كلها ليكون هو الوحيد الموجود ليذهب
لإحضارها ..

اقترب من الحرم الجامعى الذى لم يكن له حظ الالتحاق به
فمعهد المتوسط فى محافظة اخرى
و قد أنهى الدراسة التى لم تزد عن السنتين به ليتفرغ للعمل
مع والده منذ ما يزيد عن عامين ... اما هى فالتحقت بكلية
الحقوق عن رغبة قوية منها رغم مجموعها العالى فى
الثانوية العامة ..

تنهد فى ضيق .. لطالما كان و سيظل الفارق التعليمى
بينهما سبب قويا فى ابتعاد كل منهما عن الآخر .. هو يعلم
تماما انها تسعى للتفوق فى كليتها للحصول على الماجستير
فى تخصصها اما هو فقد اكتفى من التعليم بما حصل عليه
بالفعل..

كل سنة يجد الهوة بينهما اتسعت بل و تزداد اتساعا مع
ازدياد طموحها العلمى الذى يخالف عدم شغفه التام
بالدراسة ..

توقف امام بوابة الجامعة و كما أكدت عليه زوجة خاله
زهرة أن سندس تنتظر امام البوابة مجئ سعيد بسيارتهم
كما تعودت .. جال بنظره امام البوابة لعله يلمح طيفها
ليجدها تقف بالفعل مع احدهم

انتفض فى غيظ هامسا فى ضيق لنفسه :- مين ده؟! .. و
ليه واجفة تكلم معاه عادى كده ..؟! ..

اشتعل غيرة و رغبة فى الاندفاع اليها ليجذبها من ذراعها
دافعا بها للسيارة بعيدا عن هذا الشاب السمج الذى يحادثها
لكنه سيطر على نفسه بالكاد جازا على اسنانه فى حلق بالغ
لمحته صديقتان لسندس يقف فى توتر بانتظارها ليتهاامسا
بغمز :- بصى .. ده بن عمه سندس .. اللى واقف مستنى
هناك ده عند العربية الزرقا..

هتفت صديقتها :- معقول .. دى سندس دى محظوظة
متوقعش الا واقفة ..

و نظرنا لسندس التى كانت تنهى حوارها مع الدكتور عمرو
الذى وقفت تستفهم منه على بعض النقاط الخاصة بامتحان
المادة القادم .. لتهتف احدهما :- طبعا .. بن عمته من
ناحية و الدكتور عمرو من ناحية ثانية .. بجد مبتضيعش
وقت و الاتنين ايه .. مال و جمال..

هتفت الاخرى :- لاا .. سيبك من بن عمته .. ده اخره
معهد متوسط .. لكن خليكى فى دكتور عمرو اللى واضح انه
مغرم قووى .. حظها ناار .. مش احنا ...!!..
هنا كانت وصلت سندس لتنضم إليهما لتهتف احدهما فى
نبرة

متمنية :- بن عمته أهو يا سندس .. يا بختك يا ستى .. حد
يكون عنده ابن عمه بالشكل ده و يسيبه .. طول بعرض ..
اوعدنا يا رب ..

صمتت سندس و لم تعقب لتهتف الاخرى بنبرة حاقة
استطاعت اخفاءها ببراعة :- لااا .. لاا .. بن عمته مين
.. ده معهد سنتين .. بقى اسيب دكتور عمرو اللى هابقى
دكتور فى القانون و اخد ده !؟

عند هذه النقطة اشتعلت سندس ضيقا و حنقا لتهتف بهما :-
إنتوا خلاص قرررتوا و بتختاروا لى اللى هتجوزه كمان ..
!!؟.. ده إنتوا بنات دماغها فاضية .. انا امشى أحسن ..
.....

و انصرفت فى ضيق مندفعه باتجاه باسل الذى كان اخر من
تريد رؤياه بعد هذه المناقشة السخيفة ..

فكلتاها ضغطت على العضلة التى تؤرقها ليل نهار .. و
تزيد من احتدام الصراع المتواصل بين قلبها و عقلها...
وصلت عنده فألقت التحية فى هدوء تجيد اصطناعه رغم
ذاك الصخب الدائر داخلها لتفتح الباب و تجلس فى المقعد
الامامى بلا تفكير ..

دخل هو يضبط نفسه امام مقود العربيه فهو أبدا لم يكن
قريبا منها فى مجلس ما مثلما هو قريب منها الان .. فيما
عدا تلك اللحظة التى اندفعت مزعوره تجاهه يوم جرح
إصبعه الميمون ..

ازدرد ريقه فى توتر و هو يحاول ضبط أعصابه التى بدأت
فى الغليان هاتفا لنفسه :- مش هتسألها مين ده !؟ مش
هتسألها ساالمع ..!!؟..

و أخذ يؤكد لنفسه ذلك مرارا و تكرارا وهو يدير السيارة و
ينطلق بها عائدا للنجع ..

اخرجت هى احد كتبها و منظارها الطبي و بدأت فى مطالعته
متناسية إياه أو ربما تتجاهل وجوده كعادتها التى تثير
اعاصير غضبه..

ألقي ببضع نظرات فى اتجاه نافذته للخارج يحاول التنفس
بعمق حتى يضبط قدرته على الانفعال و يسيطر عليها ..و
داس بعنف على زر مشغل الاغانى لعله يقذف بخواطره فى
اتجاه اخر بعيدا عن تلك الهادئة حد برود القطب الشمالي
بجواره و هو يستعر غضبا بجانبها حد الجحيم ..
تسربت الاغنية من المشغل هاتفة :- جرب نار الغيرة و
قولى ..

ايه رأيك ؟!.. رأيك ؟!.. جرب و أوصف لى ..

انتفض فى غيظ مغلقا الاغنية التى شعر انها تخرج له
لسانها بغية إغاضته و سكب البنزين على نار صدره ..

هنا استفاقت الساكنة لتهتف في اعتراض :- ليه قفلت
الاغنية ..؟!.. دى لذيزة قووى ..

جز على اسنانه طالبا من الله المزيد من السيطرة على
النفس وهو يهتف :- مش عجباني ..

نظرت اليه بغيظ و عادت لتجاهله بالنظر لكتابها الذى مارس
أقصى درجات ضبط النفس حتى لا ينتزعه من يدها ملقيا به
فى عرض الطريق .. و اخيراً قررت التمرد لتمد كفها تفتح
مشغل الاغانى من جديد ليهتف الصوت المنبعث منه هاتفا
:- ياالمستبدة ..

اعادت إغلاق المشغل بسرعة و شعرت و كأنه يسبها
لينفجر باسل هاتفا فى استمتاع :- ليه جفلتية .. و بدأ فى
تقليد صوتها هاتفا :- دى أغنية لذيزة قووى ..
زفرت فى حنق و لم تعقب كعادتها التى تثير جنونه
ليسود الصمت الصاخب بينهما من جديد ليعود مؤكدا لنفسه
انه لن يسألها .. نعم لن يسألها ..

و فجأة هتف مجفلا إياها :- مين اللى انت كنت واجفة معاه
ده ..؟!..

رفعت رأسها فى هدوء مجيبة :- ده دكتور عمرو .. استاذى
.. و دكتور المادة اللى هنمتحنها كمان أسبوع .. ليه ..؟!..
هتف محاولا تصنع اللامبالاة :- لاه .. مفيش .. بس هو
عادى توجفى مع الدكاترة بتوعك كده و فى الشارع كمان ..
و فى الاخر تسلمى عليهم بيدك و أنت ضحكك مليه وشك
؟!..

هتفت فى حنق :- قصدك ايه ..؟!.. و بعدين انا مكنتش فى
الشارع .. انا كنت على البوابة لحقته قبل ما يخرج عشان
فى حاجات مهمة كنت بستفسر عنها .. و بعدين ايه ضحكك
مالية وشك دى ..؟!.. انا مقبلش اى تلميح من اى نوع .. و
بعدين انت ايه اللى جابك أصلا .. فين عم سعيد ..؟!..
.....

نظر اليها و على الرغم من انه أشعل غضبها الا انه كان فى
 قمة الاستمتاع بها هو يرى وجها اخر لها بخلاف ذاك
 الوجه البارد الذى تطالعه به دوما ما ان يلتقيها ..
 نظر اليها فى ضيق مصطنع هاتفا وهى يضغط على حرف
 السين عقدتها محولا إياه ل ثاء كما تنطفه :- عم سعيد
 بيصلح عربيتكم و مرت خالى هى اللى طلبت منى أجيبك ..
 المرة الجاية انا اللى هجول لمرت خالى اعفينى .. عشان
 مبحبش اضايح بتك .. و اسيبها توجف مع اللى يعجبها من
 غير ما يكون ليا حج فى السؤال ..
 انتفضت فى غضب حقيقى تغلق كتابها فى عنف هاتفة :- انا
 مسمحل...

قاطعها مشغلا الراديو هذه المرة بصوت هادر حتى لا تصله
 اعتراضاتها و يستمتع بانتصاره عليها اخيراً و خاصة انه
 نجح فى إذابة بعض من الجليد الذى يحيط بتلك الوثيقة
 الباردة دوما ..

ليهدر المذيع قاذفا كلماته التى ألجمت كلاهما لتصمت هى و
 ينتبه هو بكل حواسه لتلك القصيدة
 الملقاة :-

ايوه بغير ..
 اصل المشكلة عندك .. عندك ..
 جلت حاسيبها وبكرة تحس
 بعده تحس
 بعده تحس
 ده انا لو چبس كنت زعجت
 ماشي صداجة و ماشي زمالة
 بس مچتش على الرچالة
 ماهي نسوان الدنيا كتير
 وانا ما بجولش تخاصمي الناس
 ولا تتججبي عن الرچالة

ولا تعتكفي وتسكني دير
بس يا ريت حبة تجدير
اني بحبك
واني بريدك
واني زرعت حياتي في ايدك
واني غزلت بنات الدنيا عجود على چيدك
واني تعبت من التفكير
واني بغير

انتهت القصيدة .. ليعلو صوت التصفيق من المذيع و يمد
باسل كفه في آلية ليغلقه وهو في تيه كامل .. لا يجرؤ حتى
للنظر لتلك التي عادت لسكونها المريب بالقرب منه ..نظر
من نافذته لثوان ثم عاد بناظريه يثبتهما على الطريق و قد
أيقن إنهما وصلا بالفعل فقد لاحت السرائ على مرمى
البصر ..

توقف في لحظات امام بابها الداخلى بعد ان اجتاز بوابتها
في سرعة و اخيراً داس على المكابح في غيظ لتتوقف
السيارة مزمجرة فتندفع منها سندس الى داخل السرائ
بسرعة الصاروخ ليزفر هو في قوة و يضرب المقود بكفه
في غضب .. و يستدير بالسيارة راحلا ..

مرت عدة أعوام من عمر شراكة زكريا مع العميد مختار
كانت أخصب سنوات عمل بالنسبة لزكريا .. فقد توطدت
علاقتهم الاجتماعية و توسعت المعرفة على نطاق العائلتين
لتصبح صداقة متينة الأواصر ..
وقفزت شركة زكريا من مصاف الشركات الجيدة السمعة
والكفاءة الى مستوى اعلى بمراحل وضعها في مصاف
أقوى شركات الإنشاءات ..

كان من المفترض ان تتم بينهما مقابلة في تمام الساعة الخامسة .. لكن هاهي الساعة شارفت على السادسة و لم يظهر مختار كما هو متفق و هذه ليست من عادته فهو دقيق جدا في مواعيده مما دفع القلق الى نفس زكريا و هو يتلفت على امل ان يراه قادما لكن لا فائدة... ليهم بالنهوض مغادراً ليجده أخيراً يندفع معذراً :- اسف على التأخير يا زكريا .. معلش امر طارئ ..

هتف زكريا بقلق :- خير يا باشا ..؟!
اكذ مختار :- خير .. أصل من فترة كانت بتجلى شوية تهديدات ...؟! .. و الظاهر عرفوا مين وراها ...؟!
هتف زكريا مذعوراً :- تهديدات ...؟! .. و مين وراها دي ...؟! ..

هتف مختار كأن الامر لا يعنيه :- عارف العيال اللي حاولوا يموتوني في السجن لولاك ...؟! .. هم دوول ..
هتف زكريا :- بس ده كان من زمن يا مختار باشا و انت سبتلهم الداخلية بحالها عايزين منك ايه تاني ...؟! ..
ابتسم مختار :- عايزين تارهم .. العيال دي مبتساش .. و اللي كان منهم ساعتها لسه تابع صغير دلوقتي بقى أمير جماعة قد الدنيا .. بيامر والكل يطيع .. دلوقتي بقوا متوغلين في كل حارة و كل بيت .. كلامهم اللي متغمس بآيات من القران و احاديث نبوية
مخلى الناس مغشوشين فيهم و بيقولوا عليهم بتوع ربنا ..
هتف زكريا في ضيق :- لا حول و لا قوة الا بالله .. طب و العمل دلوجت يا مختار بيه ...؟! ..
ابتسم مختار :- العمل عمل ربنا يا زكريا .. العمر واحد و الرب واحد و اللي له نصيب في حاجة هيشوفها ..
همس زكريا :- و نعم بالله ..

نهض مختار متعجلا :- طب يا زكريا انا لازم امشى دلوقتي
.. عندي معاد مهم جدا.. و اكيد هقبلك تاني عشان نكمل
كلامنا اللي مخلصش النهاردة ..

نهض زكريا بدوره هاتفاً :- طب انى كمان ماشى معاك ..
انت تروح مشوارك و انا ارجع الشركة ..

خرجا سويا من ذاك المقهى العريق في احد اهم شوارع
الإسكندرية .. اتجه زكريا لسيارته و بالمثل فعل مختار ..
ليتذكر مختار شيء ما ليعود مسرعا لزكريا هاتفاً به من
نافذة عربته :- زكريا ...؟!.. خد ..

وسلمه ظرفا مغلقا تناوله زكريا بنظرة مستفسرة ..
ليستطرد

مختار :- لو حصل لى حاجة يا زكريا .. افتح الظرف ده ..
ده وصيتى ..

انقبض قلب زكريا ليندفع خارج سيارته هاتفاً في ضيق :-
ليه بس يا مختار باشا السيرة دى ...؟!.. ربنا يخليك لأهل
بيتك ..

ربت مختار على كتف زكريا بابتسامة هاتفاً وهو يودعه
ملوحا :- اشوف وشك بخير يا زكريا ..

لا يعلم مختار لما هتف بتلك التحية و هو يغادر زكريا الذى
ارتسمت على وجهه ملامح الضيق و شعر بانقباض في
صدره دفعه ليلتقط أنفاسه في شهيق قوى ..

و ما ان عاد للسيارة يتبع مختار بنظراته و هو يستدير
بسيارته لتكون بمحاذاة سيارة زكريا .. حتى بدأ الهرج و
المرج .. و صوت صرخات تعلو و طلقات متتابعة تدوى ..
و ظلام تام غلف واقع زكريا المحيط و هو يهتف باسم واحد
.. مختار ..

و يده يضعها على جيب سترته حيث أودع وصية صديقه ..

دخلت زهرة حجرتها فاذا بعاصم ممدد على سريرهما وما
ان طالعه وهى تدخل حتى سألها فى تخايت :- لسه فى
فردة حمام من غداء النهاردة نتسلوا بيها .. ؟!! ..

ابتسمت وهى ترفع حاجبيها
متعجبة :- فردة واحدة .. دوول يبقوا جوز حمام عشان
خاطر عاصم بيه

جلست على طرف الفراش وهى تستطرد :- بس انا بخاف
على عصومى ينام بالليل ثقيل ..

ربت عاصم على معدته البارزة مقهقها :- خايفة على
عصومى و لا على شكل عصومى اللى بجى مش ولا بد و
هايمشى چمبك يجولوا مين الجمر اللى ماشية ويا ابوها دى
!! ..

انفجرت ضاحكة على غزله الصريح :- قمر ايه بس يا
عاصم .. بس تعرف ..

تنبه بكل حواسه عندما قالت كلمتها الاخيرة و التى اعتاد
دوما ان يسمع بعدها ما يسر قلبه .. استكملت هى حديثها و
ابتسامة هادئة تكلل شفتيها و عيونها تلمع ببريق يحمل
جمال الذكرى عندما هتفت :- الكرش مش فارق معايا كتير
.. لان انا لسه شيفاك زى اول مرة شفتك فيها ..

ثم أسرع قائلة بضحكة واسعة :- مش اول مرة قووى
يعنى .. عشان كانت صعبة الصراحة ..

كان دوره لينفجر ضاحكاً متسائلاً :- ألا صحيح .. حسيتى
بياه لما شفتينى اول مرة!؟ ..

ابتسمت هاتفة :- حسيت برعب غريب و صوت داخلى
بيقولى اهربى من قدام الراجل ده .. بس ملحقتش ابتسم هو
و نظراته لها تؤكد عشقه هامسا :- انا لو اعرف اللى
هيچرالى منك ساعتها .. كنت انى الى هربت.

ظهرت على جانب فمها ابتسامة و نظرة معاتبة و هى تقول :- كنت هربت ..؟! .. طيب .. اما اهرب انا كمان .. و مفيش أكل حمام النهاردة .

و اندفعت مبتعدة مشاكسة أياه .. ليهتف هو ضاحكاً :- خلاص بلاها الحمام .. و نحاول نجل من الاكل بالليل عشان خاطر عيون زهرة ..

قررت الاستمرار فى مشاكسته :- اه الصراحة .. حرام عليك .. يعنى زهرة بنت عزيزة تركبها بكرشك ده .. الرفق بالحيوان هيقاضونا يا عاصم ..

لم يصمت هذه المرة بل اندفع ليمسك بها قبل ان تهرب مختبئة فى الحمام و يهتف مازحاً :- خايفة على زهرة الفرسة منى .. و بتجولى الرفج بالحيوان هيجاضينا .. طب شوفى من هيخلص زهرة اللى هو انت من يدى دلوجت ..؟! هتفت مازحة وهو يلتف حولها ليقف خلف ظهرها و يطوق خصرها بذراعيه و يرفعها قليلا عن الأرض حتى ما عادت قدميها تلامسها

هاتفه :- عاصم .. هصرخ و اشهد عليك عيالك اللى بقوا طولك ..

انفجر ضاحكاً و هى يلقي بها على الفراش :- متعليهاش .. و اقترب منها لتهتف بتحدى :- ايه ..؟! جايب الثقة دى منين ..؟! ..

انحنى عليها و هى لازالت على حالها ليأسرها بذراعيه و هى يقول بصوت يقطر حبا :- عارفة چايبها منين ..؟! .. من عيونك دى اللى كلها تحدى و اللى وجعتنى فيك .. ده يوم ما وجفتى تتحدينى وانا بكتب عليك غصب

.. مصرختيش .. هاتيچى دلوجت و تصرخي ..!! .. همست مدعية النداء مازحة :- يا مهران .. يا سندس .. يا ماالجد .. تعالوا شوفوا ابوكوا بيعمل ايه ..

انفجر ضاحكاً و قال :- طب ما تخدنيش فى دوكة و جوليلى .. انت شيفانى كيف ...؟! ..

ابتسمت وهو تطوق ذراعيها حول عنقه :- شيفاك زى اول مرة شفتك فيها بقلبي ..

رفع حاجبيه معجبا :- وااه .. ده باينه كلام كيبيرجووى .. كيف يعنى ...؟! ..

ابتسمت و هى تستطرد :- لسه شيفاك يا عاصم زى يوم ما قلبي و عقلى اتفقوا ان روحى متعلقة بيك و انى مقدرش أعيش من غيرك ... يوم ما خدتنى قدامك على الفرسة و كان نفسنا نعيش العمر على زهرها بعيد عن الدنيا كلها .. يوم ما لقيتك بين دراعاى غرقان فى دمك و عيونك بتلومنى انى هبعد عنك .. لسه شيفاك عاصم اللى مقبلش الظلم على بن عمه و كان هيدفع حياته تمن لرد الحق لصاحبه .. عاصم البار بابوه و امه .. عاصم الحنين على اخته .. عاصم حبيب قلبي و روحى ..

نظر اليها مشدوها تلمع عيناه كنجمتين فى سماء شديدة الظلمة .. تنحنح محاولا تقليل تأثيره بكلامها و انحنى يقبل جبينها قبلة عميقة أودعها كل عشقه و حنانه و رفع رأسه يقول بنبرة مشاكسة :- خليها اخر مرة .. و جومى هاتى الحمام ..

انفجرت ضاحكة و هى تتعلق اكثر برقبتة

ظلام دامس .. انوار تُضاء و تُطفأ .. صرخات و ضحكات .. نداءات من عمق سحيق و همسات بجوار مسامعه .. صورة امه الحبيبة التى لم تتكحل عيناه برويتها منذ زمن بعيد .. عاصم بن عمه الذى يعده بمثابة الأخ الحقيقى .. النجع و كل شبر بأرضه التى يعشقها حد الهوس و رغم ذلك ابتعد عنها حد اللانهاية ..

ابنة عمه سهام ربيته .. و حبيبته الأولى..
 و نايه الذى دفنه مع ذكرياته القاتمة بجوار قبر ابيه غسان
 الهوارى الذى لم يعترف به ابنا في حياته و اقسم ان يعود
 ليصبح افضل مما حلم ان يكون اذا بقى في النجع ..
 سيكون زكريا لذاته ...
 بدور و عشقها الذى ما غادر روحه قط و حنانها و الأمان
 بين ذراعيها ..
 سنوات السجن و سنجاً ..
 زينة و حكايته معها و كيف حركت فيه قلب ظنه دفن منذ
 زمن مع سارقة روحه الغالية . كل تفاصيل حياته في فيلا
 الحاج مندور ..
 ابناءه .. حازم و هدير..
 و أخيرا .. الباشا .. سيادة العميد مختار ..
 ووصيته ..
 حرك كفه في تشاقل يبحث عنها في جيب سترته .. لكنه لا
 يجد موضع الجيب من الأساس.. لا .. الا الوصية .. أين هي
 ...؟!..
 أين ذهبت ...؟!..
 تملل في ضيق و أخيرا بدأ يفتح جفونه في تشاقل ليطلع
 أشباحا تتراقص امام عينيه لا يستطيع تمييزها مباشرة
 فهمس:- .. أمى...!!.. عاصم ...?!..
 بدأت الصورة تتضح امام عينيه المشوشة تدريجياً ليتبين ان
 الشبحين هما لحازم ولده و زينة زوجته التي كان وجهها
 يغطيه الدمع بغزارة...
 لا يعلم كم غاب .. و لا يعلم ما حدث
 لكن كل ما استطاع ان ينطقه في صوت منهك متحشرج :-
 فين الظرف اللى كان في چيبى ...?!..
 باشا ...?!..
 اندفعت زينة تسلمه ذاك الظرف الذى

وجدوه في جيب سترته مدرج بالدماء...
قبض على الظرف و ضمه ل صدره مستطردا في وهن ..
رجعوني النجع .. عايز ارجع بلدنا ..
لينظر كل من حازم و زينة لبعضهما و لم يكن بوسعهما الا
الازعان لطلبه و قد اوما كل منهما برأسه إيجابا ...ليستكين
هو مغمضا عينيه مرة أخرى محاولا الاسترخاء و قد أدرك
ان موال تيهه ووجعه قد أوشك على الانتهاء ...

تمت بحمد الله

و

انتظرونا في الجزء الثالث

رضوى جاويش

فريق عمل
ترنيمه جنوبيه

<https://www.facebook.com/groups/196316047836420>



